

سلسلة منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
العدد: 14 السداسي الثاني 2023

أعمال الملتقى الوطني
الثورة الجزائرية في الكتابات العربية والأجنبية
يومي: 02-03 مارس 2023

تنسيق وإشراف

أ.د/ عبد الله مقلاتي أ.د/ عمر بوضربة
أ.د/ أبو بكر الصديق حميدي أ.د/ فتح الدين بن أزواو
أ.د / منى صالحى د/ الطاهر خالد

المدير الشرفي للسلسلة

أ.د/ عمار بودلاعة - مدير الجامعة

مدير السلسلة

أ. د / عبد الله مقلاتي

رئيس التحرير

د / الطاهر خالد

المراجعة اللغوية

أ. د / عبد الحميد عمران

اللجنة العلمية الاستشارية للسلسلة

الجامعة	الأستاذ	الجامعة	الأستاذ
جامعة تونس	أ.د/ حسن حبيب اللولب	جامعة المسيلة	أ.د/ عمر بوضربة
جامعة المسيلة	أ.د/ أبو بكر الصديق حميدي	جامعة المسيلة	أ.د صالح لميش
جامعة المسيلة	د/ منى صالحى	جامعة المسيلة	أ.د/ عبد الكامل جويبة
جامعة المسيلة	د/ حسين محمد الشريف	جامعة المسيلة	أ.د/ محمد يعيش
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	د/ حسين عبد الستار	جامعة المسيلة	أ.د/ أحمد مسعود سيد علي
جامعة المسيلة	د/ فتح الدين بن أزواو	جامعة الجزائر 02	أ.د/ بوعزة بوضرساية
جامعة سطيف 02	أ.د/ سفيان لوصيف	جامعة المسيلة	أ.د/ كمال بريم
جامعة تيبازة	د/ دحمان تواتي	جامعة الجلفة	أ.د/ محمد قن

منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

- جامعة محمد بوضياف بالمسيلة-

حي إشبيلية، ص ب 190 ولاية المسيلة-الجزائر



revuehagint@gmail.com



virtuelcampus.univ-msila.dz/lerra2



<https://www.facebook.com/profile.php>

رقم الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2023

ISBN: 978-9931-899-03-7

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**أعمال الملتقى الوطني
الثورة الجزائرية في الكتابات العربية والأجنبية**



كلمة مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

لقد كان الملتقى الوطني " الثورة الجزائرية في الكتابات العربية والأجنبية" المنظم من قبل المخبر يومي 2. 3 مارس 2023 ناجحا بكل المقاييس العلمية، ودعت توصياته إلى طبع أعمال الملتقى، فحرصنا على تعميم الفائدة وتجسيد تلك التوصيات.

ويعد الملتقى المنظم ساحة علمية لمناقشة موضوع علمي مهم، رأى أعضاء المخبر تنظيمه بمناسبة الذكرى الستينية للاستقلال، وذلك بهدف التعريف بالكتابات التي تناولت الثورة الجزائرية بمختلف أحداثها وقضاياها، والإشادة بالمكانة الإقليمية والدولية والإنسانية للثورة الجزائرية.

وقد تبين من خلال مداخلات ونقاشات الملتقى أن الثورة الجزائرية حظيت باهتمام ملفت من قبل المفكرين والكتاب والمؤرخين لأكثر من سبعة عقود، وظلت وما تزال محل اهتمام الباحثين والمفكرين.

وقد حاولنا حصر موضوعات الملتقى في ثلاث محاور كبرى، هي الكتابات الجزائرية الوطنية أولا، والكتابات المغاربية والعربية ثانيا، والكتابات الفرنسية والأجنبية ثالثا. وأما عينات الكتابة فهي تتوزع بين الأرشيفات والوثائق، والصحافة والكتب والمذكرات، والدراسات الأكاديمية والرسائل الجامعية.

وبعد تقديم مداخلات ست جلسات، بلغ مجموعها أربعون بحثا، وفتح نقاشات موسعة حول قضايا الموضوع توصل المشاركون إلى جملة توصيات التي نعمل على تجسيدها، وكان منها طبع أعمال الملتقى.

وأثنى جهود الباحثين الذين نشرت أعمالهم، وكذا المشرفين على الملتقى على الجهد المبذول في تحضير الملتقى، وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتورة منى

صاحي والدكتور فتح الدين بن ازواو على جهدهما في مراجعة وإخراج الكتاب،
وخالص الشكر إلى الدكتور الطاهر خالد على جهده في تصفيف الكتاب وإعداده
للطبوع.

ونتمنى في الختام أن تتواصل جهود أعضاء المخبر في تناول موضوعات
أخرى من تاريخ الثورة التحريرية، متمنيا للجميع التوفيق في أعمالهم البحثية،
ونتمنى أن يلقي الكتاب قبولا لدى الباحثين والقراء وأن يكون لبنة جديدة ومفيدة
في المكتبة الوطنية.

الأستاذ الدكتور عبد الله مقلاتي

التعريف بموضوع الملتقى واشكاليته وأهدافه:

حظيت الثورة الجزائرية باهتمام ملفت من قبل المفكرين والكتاب والمؤرخين لأكثر من سبعة عقود، وذلك لمكانتها الدولية كأعظم ثورة تحررية عرفها القرن العشرين، ولقيمتها الحضارية والإنسانية التي لقيت إعجاب مختلف الشعوب والأمم، وأبعادها الإقليمية والجغرافية المغاربية والعربية والإفريقية.

وكل ذلك يجعل من الثورة الجزائرية أنموذجا متميزا من الأبعاد الحضارية والإنسانية والإقليمية، ومركزية في الاهتمام القومي والإسلامي والإيديولوجي المتعدد الأقطاب والمشارب، وقد ظلت وما تزال محل اهتمام الباحثين والمفكرين.

فقد كتب عن هذه الثورة السياسيون في تقاريرهم ومذكراتهم، واهتمت بها مختلف الدوائر الدبلوماسية والاستخباراتية، وتحدث عنها الصحفيون ووسائل الإعلام المختلفة، وألهمت الكتاب والشعراء والمثقفين، وحظيت باهتمام الأكاديميين والباحثين... الخ.

وانه من الصعوبة بمكان رصد وقراءة كل تلك الكتابات الممتدة عبر الزمن والقارات، ولكنه من الضروري دراسة ملامح تلك الكتابات وابرار أبعادها المختلفة وقيمتها في تأريخ الثورة الجزائرية، وخاصة من حيث دراسة النصوص ومنهج الكتابة، وهي الاشكالية التي يعالجها هذا الملتقى.

أهداف الملتقى:

. التعريف بمختلف الكتابات التي تناولت الثورة الجزائرية بمختلف أحداثها وقضاياها.

. الإشادة بالمكانة الإقليمية والدولية والإنسانية للثورة الجزائرية.
. مناقشة مختلف قضايا الثورة الجزائرية من زوايا ونظرات مختلفة باعتبار
أن كل عيون العالم كانت موجهة لها.
تبادل الخبرات بين الباحثين وبينهم وبين طلبة الدكتوراه لتعميم المعارف
والتعريف بالكتابات الخاصة بالثورة الجزائرية.

محاوَر الملتقى:

- المحور الأول: الثورة الجزائرية في الكتابات الوطنية.
- المحور الثاني: الثورة الجزائرية في الكتابات المغاربية والعربية.
- المحور الثالث: الثورة الجزائرية في الكتابات الفرنسية.

المحور الأول

الثورة الجزائرية في الكتابات الوطنية

أهمية مذكرات عبد الرزاق بن ايدر في التوثيق لأحداث الثورة
الجزائرية بالولاية الثالثة (زمورة والمناطق المجاورة لها أنموذجا)
The importance of the memoirs of Abderezak Ben Idir in
documenting the events of the Algerian revolution in the
Wilaya III (Zemoura and its neighboring regions as a model)

ك.أ.د. فتح الدين بن أزواو

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

fateheddine.benazouaou@univ-msila.dz

الملخص:

تنشد هذه الدراسة الإجابة على إشكالية جوهرية تتعلق بإبراز أهمية مذكرات المجاهد عبد الرزاق بن ايدر ومدى شرعية الاعتماد عليها في التوثيق لأحداث الثورة الجزائرية، ولمعالجة هذه الإشكالية توقفت عند الوقائع التاريخية الهامة التي سجلتها هذه المذكرات، كبداية الثورة في زمورة ومختلف العمليات اللوجيستية (التموين والمخابئ)، ونشاط ورشة الجيش بمغارة جبل قرقور ومجريات حصارها، واستعمال الاستعمار لسلاح الغاز المحرم دوليا في اقتحام هذه المغارة ومغارة المستشفى (جنوب عقار)، والسياسة الفرنسية المطبقة ضد سجناء قصر الطير، وزيارة ديغول إلى زمورة ونداءاتها، وأصداء قرار وقف إطلاق النار وإجراءاته الأولية، وظروف وملابسات اجتماع قادة الولايات في زمورة. حيث حللت هذه الأحداث فبينت أبعادها وأهميتها، وخلصت إلى استنتاج القيمة العلمية والتوثيقية لهذه المذكرات، ومكانتها من بين المذكرات الأخرى في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية.

Abstract:

This study seeks to answer a fundamental problem related to highlighting the importance of the memoirs of the Moudjahid Abderezak Ben Idir and the extent of the legitimacy of relying on them in documenting the events of the Algerian revolution. In order to address this problem, I stopped at the important historical facts recorded by these notes, such as the beginning of the revolution in Zemoura and the various

logistical operations (supply and caches), the activity of the army workshop in the cave of Mount Guergour and the course of its siege, colonial use of the internationally prohibited gas weapon in storming this cave and the hospital cave (south of Agar), the French policy applied against the prisoners of Kasr Atair, de Gaulle's visit to Zemoura and its aftermath, echoes of the ceasefire decision and its first steps, circumstances and conjunctures of the meeting of heads of wilayas in Zemoura. I analyzed these events and showed their dimensions and importance, and concluded the scientific and documentary value of these notes and their place among the other notes in writing the history of the Algerian revolution.

مقدمة:

تعد الثورة الجزائرية واحدة من أهم ثورات القرن العشرين، فقد قدمت نموذجا فريدا في المقاومة للتححرر من الهيمنة الاستعمارية، كان محل إلهام لحركات التححرر في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، ومثار إعجاب شعبي ورسامي في كثير من الأقطار العربية والأجنبية. لقد انبرت أقلام كثيرة للكتابة عن أهمية هذه الثورة ومكانتها، وتتنوع الكتابات بين الدراسات العلمية الأكاديمية، ومختلف الأعمال الأخرى كالمذكرات التاريخية التي حررها بعض المجاهدين؛ هذه المذكرات تمثل اليوم مادة علمية خصبة ومصادر لا غنى عنها لإنجاز مختلف الأبحاث حول تاريخ الثورة الجزائرية، خاصة وأن أصحاب هذه المذكرات عايشوا أحداث الثورة وكانوا طرفا فيها، وهو ما يرفع من قيمتها، كما هو الشأن لمذكرات المجاهد عبد الرزاق بن ايدير والتي هي موضوع دراستنا.

والحق أن المذكرات تعد من أهم المصادر المادية لكتابة تاريخ الثورة الجزائرية، ذلك لأن الذين كتبوها عايشوا أحداث الثورة، خاصة إذا تعلق الأمر بقيادة الثورة الذين رسموا مسارها، وساهموا مساهمة فعالة في أحداثها، فتكون شهادتهم مصدرا لا غنى عنه في كتابة تاريخها. وترتكز الشهادة المدونة في

المذكرات على استرجاع أحداث ووقائع تاريخية معينة من طرف شخص عايشها أو كان طرفا فيها، ومن ثمة يصبح شاهدا على هذه الوقائع، ففي ظل غياب الوثائق أو عجزها عن تغطية حادثة تاريخية، إما بفقدان الوثيقة تماما، أو ضياعها أو عدم التأكد منها، أو عدم قدرتها على التفسير التام للواقعة التاريخية، يكون خيار الشهادة المستقيمة من المذكرات المدونة أمرا حتميا، وهذا لا يعني الانقاص من قيمتها، بل على العكس من ذلك فإن بعض الثورات والانقراضات والأحداث الكبرى يستحسن التوثيق لها بالشهادة سواء كانت شفهية أو مدونة في مختلف المذكرات، لأنه - كما يقول الباحث أحمد بن يغزر - عادة ما تلتزم هذه الثورات بطابع السرية وما يستتبع ذلك من إخفاء كل الآثار المادية كالوثائق والنشرات، أو استعمالها على نطاق ضيق جدا⁽¹⁾ لذلك تأتي المذكرات الشخصية بعض الأحيان مكملة للوثائق وبذلك تصبح مصدرا أساسيا لكتابة تاريخ الثورات والحوادث.

لكن رغم هذه الأهمية، فإن تطبيق المنهج التاريخي ضروري عند دراسة هذه المذكرات من أجل الاستفادة منها وتوظيفها بطريقة علمية، لأن عملية الكتابة التاريخية كثيرا ما تخضع لجملة من الظروف النفسية والاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، تكون سببا في خلق كثير من الإشكاليات المنهجية والعلمية، كما هو الشأن بالنسبة للمذكرات المتعلقة بالثورة الجزائرية، ما يثير صعوبة في قراءتها وفهمها. وهو ما يفرض تطبيق قوانين منهجية وعلمية صارمة عند استخدامها، من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتبرز أهمية المذكرات التي حررها المجاهد عبد الرزاق بن ايدير ومدى شرعية الاعتماد عليها في التوثيق لأحداث الثورة الجزائرية، اعتمادا على الأحداث التاريخية التي سجلتها.

1- منطقة زمورة وأهميتها بالنسبة للثورة الجزائرية:

كانت منطقة زمورة خلال الثورة التحريرية تابعة للولاية التاريخية الثالثة، تقع شمال شرق ولاية برج بوعريريج على مسافة تقدر بنحو 30 كلم، تشترك في حدودها شمالا مع ولاية سطيف عند بلدية قنزات⁽²⁾ وتعتبر المنطقة من أهم معاقل الثورة الجزائرية، فهي من الناحية الجيوستراتيجية تمتاز بموقع حصين، تحيط به جبال عالية وغابات كثيفة. وهو موقع محوري بالنسبة للولايات الثلاث الفاعلة في الثورة ما وفر خاصية فريدة جعل منها منطقة عبور واتصال وإمداد⁽³⁾، فقدمت بذلك دعما لوجيستيا حيويا للثورة، وهذا ما يفسر زخم الأحداث التي شهدتها المنطقة إبان الثورة والمتمثلة خاصة في المواجهات العسكرية بين المجاهدين والاستعمار الفرنسي التي شهدتها ربوع منطقة زمورة، والنزاع المسلح بين جيش التحرير الوطني وأفراد الحركة المصالية⁽⁴⁾، وزيارة ديغول المفاجئة إلى المنطقة (1959)⁽⁵⁾، واجتماع قادة الولايات التاريخي في ماي جوان 1962⁽⁶⁾.

2- السيرة الذاتية والنضالية للمجاهد عبد الرزاق بن إيدر:

ولد المجاهد عبد الرزاق بن إيدر في 17 جويلية 1941، بقرية أولاد مونة الواقعة في بلدية زمورة نشأ في أسرة كبيرة، ميسورة الحال لما تملكه من أراضي فلاحية وبساتين ومواشي تلقى تعليمه القرآني في مسجد القرية (أولاد مونة)، التحق بالمدرسة الفرنسية التي كانت تعرف باسم الكوليج⁽⁷⁾.

نفذ عملية حرق مكتب البلدية مع ابن عمه البشير بن إيدر، من أجل الانضمام لجيش التحرير الوطني، وأصيب بحروق بالغة فنقل إلى مستشفى الجيش، حيث مكث فيه خمسة عشر يوما، وبعد خروجه من المستشفى أدمج في صفوف جيش التحرير الوطني كجندي في كتبية الناحية

الرابعة المنطقة الأولى الولاية الثالثة في نهاية 1958، ونفذ مع كتائب جيش التحرير الوطني عمليات عسكرية داخل زمورة ومحيطها (8).

حول المجاهد عبد الرزاق بن ايدير من الكتيبة العسكرية التي كان يشغل فيها جنديا إلى ورشة للخياطة في مغارة بجبل قرقور، مختصة في صنع الألبسة والأحذية والكارتوش والأحزمة، وقد حققت هذه الورشة نجاحا في تلبية طلبات جنود جيش التحرير الوطني من هذه المواد الهامة، اكتشفت فرنسا موقع الورشة سنة 1959 م واقتحمتها باستعمال الغاز السام فاعتقلته ضمن مجموعة من زملائه المجاهدين، نقل إلى بوقاعة، فسجن فيها شهر ونصف، ثم نقل إلى سجن قصر الطير، أين ذاق مع زملائه المسجونين ألوانا من العذاب (9).

في سنة 1961 نقل إلى فرنسا لإجراء فحوصات طبية لانتقائه للتجنيد الإجباري كمدرّب للرياضة العسكرية، إلا أنه أوهم أطباء العيون - في اختبار الكشف عن صحة البصر - بعدم القدرة على قراءة الحروف، وبقي على موقفه رغم سياسة التهديد والعقاب التي طالته، وأطلق سراحه ومنح رخصة العبور إلى أرض الوطن، ليعود من جديد للعمل السري في زمورة، انطلاقا من مسقط رأسه بقرية أولاد مونة في نشر الوعي والاتصال والتنسيق والمساهمة في التموين والتعبئة وحفر المخابئ (10).

ساهم بعد إعلان وقف النار في المرحلة الانتقالية، حيث التحق بكتيبة الناحية الرابعة (الولاية الثالثة) فعمل في سدراتة ثم في صرام في مفترق الطرق (سطيف بوقاعة، سطيف الجزائر) أين أقام مع زملائه المجاهدين عند مدخل الجسر مركز تفتيش ومراقبة لكل المركبات العابرة بالطريق الوطني رقم 05، كان شاهدا على محاولة جيش الحدود دخول الولايات عبر نقطة التفتيش التي كان مكلفا بمراقبتها، وقد رفض عبر هذا المركز السماح لهذا الجيش بالمرور،

رغم الترسانة الضخمة التي كان يجرها هذا الجيش، تطبيقا لقرار اجتماع الولايات بزمورة، وتجنيب الصدام مع هذا الجيش الذي كان تابعا لهيئة الأركان بقيادة بومدين⁽¹¹⁾.

شارك في راب الصدع خلال المرحلة الانتقالية، وما بعدها ومن أبرزها تطويق التمرد الرائد بولحية من الولاية الأولى الذي توجه بفيلق إلى ثكنة لالة خديجة ببجاية، حيث انطلق مع كتبية من المجاهدين إلى ثكنة أوقاس ببجاية، وشارك في قطع الطريق على المتمردين عند جسر وادي أميزور لمنعهم من الخروج، حتى تفاوض معهم بومدين وحل المسألة وديا. في أواخر 1962 وضع السلاح وقرر الخروج من الجيش وباندلاع حرب الرمال ضد المغرب التحق به من جديد، بعد انتهاء هذه الحرب طلبوا منه التوقيع بالانخراط كجندي متعاقد في صفوف الجيش الوطني الشعبي، لكنه رفض العمل فيه بأجرة، واعتبر هذا الطلب إهانة لماضيه النضالي. وإلى غاية كتابة هذه الأسطر هو حي يرزق وفي كامل قواه العقلية والبدنية⁽¹²⁾.

3- مذكرات المجاهد بن ايدر عبد الرزاق وأهميتها في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية:

حرر المجاهد عبد الرزاق مذكراته المتعلقة بتاريخ نضاله، وانتهى منها سنة 2021، سلمني نسخة مخطوطة لوضع مقدمة لها استعدادا لطبعتها، ومن ثمة كانت لي فرصة الاطلاع عليها فأعجبت بمضمونها الذي يحتوي على أحداث هامة عاشها وشارك فيها المجاهد عبد الرزاق في مناطق من الولاية الثالثة ونظرا لأهميتها ارتأيت تقديم دراسة حولها لتعميم الفائدة، خاصة وأن المناطق التي مسحتها هذه المذكرات تعد معاقل مغمورة للثورة الجزائرية، لم يدون عنها في حدود علمنا مذكرات مثل هذه، وهو ما يرفع قيمتها كمصدر

هام من مصادر التوثيق للثورة الجزائرية بالولاية الثالثة.

حجم هذه المذكرات، التي هي موضوع هذه الدراسة، هو من النوع الصغير، نشرت سنة 2022 عن دار الباحث، بعنوان: "المجاهد الذي لم يمت لا بالنار ولا بغاز الخردل، مذكرات وأحداث نضال" تحتوي على حوالي 112 صفحة، مزودة بصور وملاحق مرتبطة بالأحداث التي كان المجاهد شاهدا عليها. لغتها سليمة، وأسلوبها عذب سلس، لدرجة أنك إذا قرأت بداية الفكرة تجد نفسك تتهافت على إكمالها، بل على قراءة المذكرة برمتها، تتميز المذكرات كذلك بنظام العنصرة والتفريع لأهم الأحداث، وهو ما يسهل للباحث التجول في صفحاتها بين الفينة والأخرى، والعودة للعنصر الذي يريده دون عناء.

تكتسي مذكرات المجاهد عبد الرزاق بن ايدير أهمية بالغة في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية بالولاية الثالثة وذلك للاعتبارات التالية:

- كون المجاهد عبد الرزاق بن ايدير من الذين كانوا شهداء لوصول طلائع المجاهدين الأولى إلى زمورة فمزل والده كما ذكر كان أول من استقبل هذه الطلائع، ولعل هذا ما يعطينا فكرة عن الآليات المستعملة من طرف قيادة الثورة السياسية والعسكرية، في إدماج القرى والأرياف الأهلة بالسكان في التنظيم الثوري الذي تقوده جبهة التحرير الوطني.

- كونه شاهدا عيانا على نشاط الثورة التعبوي والتمويني، فقد ساهم رفقة أخيه الأكبر صالح وعلي بونداوي في تموين منطقة بني يعلى بالمؤن عبر زمورة، فضلا عن عمله في الورشة الشهيرة (مغارة جبل قرقور) المختصة في صنع الألبسة والأحذية والكارتوش والأحزمة والتي حققت نجاحا في تلبية طلبات جنود جيش التحرير الوطني من هذه المواد الهامة. ما يعطينا فكرة عن قطاع ومجال آخر للثورة كثيرا ما غفل عنه الباحثون⁽¹³⁾.

- كونه أحد الشهود على جرائم فرنسا في مسألة استعمال سلاح الغاز السام المحرم دولياً، هذه المسألة الخطيرة لازالت تؤرق مضاجع الفرنسيين إلى اليوم، بسبب الجدل الذي أثارته في مختلف الأوساط السياسية الجزائرية والفرنسية وحتى الدولية، ورغم محاولات الفرنسيين التتصل والتكر والتضليل للهروب من المسألة القانونية والفضائح الإعلامية والسياسية، فإن هذه المذكرات التي حررها المجاهد عبد الرزاق بن ايدير، فضحت الاستعمار الفرنسي، وعرّت سياسته التعنيمية حول هذه المسألة، فقد وثق في مذكراته بما يقطع الشك باليقين استعمال فرنسا لهذا السلاح المحرم دولياً في مغارة الورشة بجبل قرقور ومغارة مستشفى الجيش بجنوب عقار⁽¹⁴⁾.

- مكوثه بسجن قصر الطير (ولاية سطيف) الذي كان رمزاً لسياسة التعذيب والتكيل الفرنسية، وقد وثق صاحب هذه المذكرات طبيعة سياسة الاستعمار الفظيعة في هذا السجن، وفضح أساليبه المنافية لحقوق الإنسان والأسرى، كما نصت عليها لوائح الأمم المتحدة ومختلف المواثيق الدولية، ومن هنا تكمن أهمية هذه المذكرات، في كونها مصدراً هاماً من مصادر التوثيق لدراسة سياسة التعذيب الفرنسية ضد المساجين إبان الثورة التحريرية، في قضية شغلت الرأي العام الجزائري والفرنسي والدولي ومازالت محل نقاش إلى اليوم⁽¹⁵⁾.

- كون هذه المذكرات وثقت لأحداث هامة خلال الفترة الانتقالية بعد وقف إطلاق النار 19 مارس 1962 إلى 05 جويلية 1962، ولعل من أبرزها اجتماع الولايات الذي عقد بزمورة (جوان 1962)، في فترة كانت حساسة وخطيرة بالنسبة لمستقبل الجزائر، وكانت له تداعيات مباشرة على مستقبل الصراع بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان. فضلا عن ذلك، فصاحب المذكرات دَوّن تفاصيل في منتهى الدقة والأهمية عن محاولة دخول جيش

الحدود إلى الولايات، إذ كان مشرفا على التفتيش والمراقبة في الطريق الوطني رقم 05 وتمكن بحكمته من تجنب الصدام مع هذا الجيش، رغم أنه كان محسوبا على الولاية الثالثة⁽¹⁶⁾.

- كون المجاهد عبد الرزاق بن ايدير رغم تقدمه في السن فإنه لا يزال والحمد لله في صحة جيدة، سليم في جسده وعقله، ومحل ثقة ونزاهة معروفين في بلدة زمورة، تربطني به أواصر القرابة والجوار والصداقة والثقة المتبادلة، وهذا ما يعطي شهادته التي سجلها في مذكراته جانبا من الصحة والمصادقية. هذه المؤهلات وفرت لنا ضوابط ممتازة ألح عليها الباحثون عند استعمال هذا النوع من المذكرات خاصة ما تعلق بالكفاءة العقلية، الثقة والنزاهة، صناعة الأحداث، والتي كما ذكرنا توفرت في كاتب هذه المذكرات التي استقينا منها هذه المعلومات النادرة والنفيسة، ما يكسبها شرعية في عملية التوثيق لدراسة تاريخ الثورة الجزائرية.

4- طبيعة الوقائع التاريخية التي سجلتها المذكرات، أهميتها وأبعادها:

4.1. وصول الثورة إلى زمورة:

تشير هذه المذكرات إلى أنه منذ سنة 1955 بدأت أخبار الثورة تصل إلى زمورة، وقد ذكر المجاهد عبد الرزاق بأن شقيقه الأكبر (صالح) كان من النشطاء الأوائل وكانت له علاقات مع بعض السياسيين الذين كان يصحبهم لقرية أولاد مونة، من أجل التوعية والانخراط في صفوف جيش التحرير الوطني، ثم أنشئت اللجان من خمسة أعضاء، وتحصيل الاشتراك المقدر بـ 2 فرنك للفرد شهريا. تحدثت هذه المذكرات عن وصول طلائع المجاهدين الأولى إلى قرية أولاد مونة سنة 1955 عندما حطت رجالها في منزل عائلة المجاهد عبد الرزاق بن ايدير، وكما ذكر فإن أخاه الأكبر المدعو صالح كان على علم

بموعد بوصول جنود جيش التحرير، الذين وجدوا ترحيبا بمنزل العائلة⁽¹⁷⁾، وكان هؤلاء أول الجنود الذين دخلوا إلى زمورة⁽¹⁸⁾.

في السنوات الأولى للثورة تمركز المجاهدون في منزل عائلة عبد الرزاق بن ايدير حتى سنة 1958، ثم غير جنود جيش التحرير مقرهم إلى زاوية "سي الطاهر بويكر" (مجاورة لقرية أولاد مونة)، كان المجاهدون في زمورة عادة ما يبيتون خارج ديارهم في الغابة، احتياطا من مداهمة العساكر الفرنسيين، وحسب ما ذكره المجاهد عبد الرزاق، فإن منزلهم العائلي الواقع في قرية أولاد مونة كان مركزا لصنع الكارتوش والأحزمة والأحذية للجيش، ومخزنا لتموين الجيش وهمزة وصل بين القادمين والذاهبين، ومحطة للاستراحة من عناء السفر⁽¹⁹⁾.

وحسب المذكرات فإن زمورة ساهمت في عملية الامداد لجارتها الشمالية، منطقة بني يعلى، التي كما ذكر المجاهد عبد الرزاق خضعت شهورا (1956) لجيش التحرير بزعامة عميروش وحميمي، وقد شارك المجاهد عبد الرزاق رفقة أخيه صالح وأحد المجاهدين (علي بونداوي) في عملية التموين لهذه المنطقة⁽²⁰⁾.

وقد زودتنا المذكرات بمعلومات هامة عن العمليات العسكرية لجيش التحرير، وذكرت أن انطلاقها كان أن أواخر سنة 1956 وأوائل 1957، عندما فجر المجاهدون لغما في منطقة عين بن عريوة ضد سيارة مجنزرة محملة بالجنود الفرنسيين لنتصاعد هذه العمليات سنة 1957 من حيث تنظيم أفواج المسبلين، أو من حيث التموين، أو الحراسة، أو مختلف الهجمات ضد منشآت العدو، كتخريب أعمدة الهاتف والطرقات، بما في ذلك الهجوم على مركز الاحتلال (الكوليج) الذي يقع قلب زمورة وبجوار سوقها اليومي⁽²¹⁾.

في سنة 1958 وبوصول ديغول للحكم نالت زمورة من سياسة القمع التي طبقتها على عموم القطر الجزائري، فأصبحت المنطقة، حسب صاحب المذكرات، مطوقة بالأسلاك الشائكة وأبواب الحراسة بعد أن هجرت سكان القرى والمداشر النائية إلى داخل زمورة (المركز) ومنطقتي أولاد عثمان وبوعزيز المجاورتين. وغدت العائلات الزمورية مكتظة بالوافدين المهجرين، وضيق الخناق على المنطقة من طرف مكتب لاصاص والمكتب الثاني، حيث جند العدو أعدادا من الحركى وفرض التفتيش وبطاقة التعريف عند الدخول والخروج (22).

4.2. النشاط التعبوي للجيش (ورشة المغارة بجبل قرقور):

قدم لنا صاحب المذكرات حقائق مهمة عن النشاط التعبوي للجيش، حيث ذكر أن قيادة المنطقة الأولى (التابعة للناحية الرابعة من الولاية الثالثة) قررت إنشاء ورشة لصنع الألبسة والأحذية والكارتوش والأحزمة للجنود، في مغارة بأعالي جبال قرقور الغربية، كانت تضم عند التحاق المجاهد عبد الرزاق بها (1959)، ثلاثة خياطين (سي المختار ميهوبي من حمام القرقور، فكنوس إدريس من القلعة والحسن من بني ابراهيم)، وثلاثة صنّاع الجلد (مبروك بن ايدير من زمورة ابن عم المجاهد عبد الرزاق، ابن زين الحسن من بني شبانة، ومحمد الطاهر من قلعة بني عباس)، فضلا عن ثلاثة أشخاص آخرين مكلفين بعملية الحراسة والتموين (محمد أولحاج، علي، عبد الرزاق بن ايدير). وكانت القيادة الثورية كثيرا ما تتردد على هذه المغارة لمتابعة عمل الورشة، ومن بين الذين زاروها قائد المنطقة الأولى (سي الحسين موسطاش)، وقائد الناحية الرابعة سي علي الزواش، ومسؤول التموين للناحية الرابعة سي عمر أوقمون (23).

وحسب المجاهد عبد الرزاق، فإن هذه المغارة تقع في مكان سري،

في سفح الجبل وبين الصخور تحت الأرض، مدخلها ضيق لدرجة أن صخرة واحدة تكفي لغلاقه، الدخول إليها يكون هبوطاً، وبعد الهبوط يوجد رواق ضيق، طوله خمسة عشر متراً (لا يتسع لمرور شخص إلا إذا سار بالجنب)، يؤدي إلى الورشة عبر سلم طوله ثلاثة أمتار، وفي هذه الورشة كانت توجد ماكينات العمل، وفيها كذلك كان الأكل والنوم. وكان الطريق الخارجي المؤدي إلى مدخلها وعلى بعد مئة متر مجهزاً بنتوءات من الحجارة حتى لا تترك أثراً للسير، وكانت حمولة الأقمشة والجلود ومختلف المواد تفرغ بعيداً عن مدخل المغارة، وكان التزود بالماء على مسافة 300 متر في منطقة أولاد عياد المدمرة بقنابل الاستعمار. وقد ذكر بأن العمل داخل الورشة كان جماعياً والتعاون كان سائداً في كل شيء، حتى في تحضير الطعام⁽²⁴⁾.

4-3- اكتشاف ورشة المغارة ومحاولات اقتحامها:

عقب عيد الفطر (1959)، عاد المجاهد عبد الرزاق إلى الورشة بعد إجازة قصيرة (تفقد فيها عائلته بزمورة)، في هذه الظروف تمكنت دورية استطلاع فرنسية من اكتشاف المغارة التي تحتضن الورشة فأطلقت وابلاً من القنابل والرصاص عليها، حاول الجنود الفرنسيون في اليوم الثاني اقتحام المغارة لكن دون جدوى، في اليوم الثالث حفر الجيش الفرنسي ثقباً فوق المغارة وحاول منه تنفيذ عملية الاقتحام إلا أن المجاهدين كما يروي عبد الرزاق بن ايدر في مذكراته كانوا يطلقون النار على كل جندي فرنسي ينزل عبر ذلك الثقب، فيردونه قتيلاً دون أن يستطيع العدو إخراجه. وفي ظل إصرار الجيش الفرنسي على اقتحام المغارة، فكر المجاهدون في الخروج منها، فجأة ودفعة واحدة، وتطوع ثلاثة منهم لبدأ تجسيد هذه العملية، وقد نجح المجاهد محند أولحاج تخطي الجنود المحاصرين وهم نائمون على أسلحتهم، أما المجاهد علي فقتل

عند خروجه من مدخل المغارة، وأصيب المجاهد مختار ميهوبي بالرصاص وشظايا المتفجرات وعاد ينزف دما إلى المغارة، فباعت محاولة التسلل والهروب بالفشل (25).

في اليوم الرابع، كثف الجيش الفرنسي من عملياته العسكرية لتسريع عملية الاقتحام، فرمى المغارة بالقنابل والرصاص، وحطم مدخلها بالآليات والمتفجرات، وراقب محيطها بالحوامة التي كانت تطوف به وقد ذكر المجاهد عبد الرزاق بأن ظروفهم كانت قاسية في المغارة في ظل هذا الحصار، بسبب دوي الانفجارات التي زلزلت المكان، ونفاذ الطعام والماء (لم يتناولوا طعاما طيلة أيام الحصار) (26).

4-4- استعمال فرنسا لسلاح الغاز المحرم دوليا في اقتحام ورشة المغارة بجبل قرقور:

عجزت القوات الفرنسية عن الدخول إلى المغارة بالطرق العسكرية التقليدية، فنفذ صبرها وجن جنونها أمام رباطة جأش المجاهدين المرابطين بالغار، وفي مساء اليوم الرابع فقدت أعصابها تماما ولجأت إلى استعمال أسلحة محرمة دوليا، وهو سلاح الغاز، لقد كان المشهد دراماتيكيًا حسب ما وثقته مذكرات المجاهد عبد الرزاق بن ايدر، فقد قال في هذا الشأن: "وفي مساء اليوم الرابع ونحن في الداخل فإذا بصوت رهيب نسمعه قادما من باب المغارة، كالضباب الكثيف لونه أصفر وأخضر، فسارعنا إلى تبليل القماش ووضعناه على أفواهنا لكي لا نستنشق الغاز ولكن دون جدوى. وبعد دقائق من تنفس الغاز أحسست بالاختناق وبدأت أكح وأعطس وبدأ الوجع في بطني، فقد كنت أتخبط كالماشية المذبوحة وبدأت أفشل وفي الأخير لم أتمكن من الحركة وكنت أفكر في نفسي كيف تخرج الروح" (27).

4-5 استعمال غاز الخردل في اقتحام مغارة مستشفى الجيش (جنوب عقار):
 وفي المسألة نفسها تحدث صاحب المذكرات عن مجريات استعمال
 فرنسا لغاز الخردل في مغارة المستشفى التابع لجيش التحرير الوطني في
 المغارة الواقعة جنوب عقار، وقد قدم معلومات مفصلة ودقيقة عن الكيفية التي
 تم بها تنفيذ هذه العملية المنافية للقوانين الدولية، قائلاً في هذا المجال: "ومن
 ثم أتوا بقتبلة من الغاز السام الممنوع دولياً وهو غاز موطارد وأتذكر شكلها
 دائري وسمكها حوالي 40 سم علوها 10 سم...ألقوا بها داخل المغارة ولم
 تنفجر، فأطلقوا عليها الرصاص، فحينها انفجرت وخرج الدخان من باب آخر
 للمغارة بلون أصفر وأخضر" (28).

4-6 - سياسة التعذيب المنهجية داخل سجن قصر الطير:

بعد القبض عليه نقل المجاهد عبد الرزاق إلى ثكنة تابعة للدرك في
 بوقاعة ثم حول إلى سجن قصر الطير، ويعتبر هذا السجن من أشهر السجون
 في البطش والترهيب بالمعتقلين، يعرف بمعتقل الموت البطيء، كان الفرار منه
 يشبه المستحيل، كان مركزاً كبيراً لترهيب المدنيين وإعدامهم، كان يضم أكثر
 من ثلاثة آلاف معتقلاً (29).

لقد ذاق المجاهد عبد الرزاق مع زملائه ألواناً من العذاب داخل هذا
 السجن، فحسب ما وثقته مذكراته فإن الأعمال الشاقة كانت تمارس طيلة اليوم،
 كحمل الطوب المحذب بوزن ثلاثين كيلوغرام والطواف به على كل السجن،
 إطلاق الكلاب على المساجين، فضلاً عن الطعام الضريع الذي كان يقدم
 داخل السجن، والمعاملة السيئة وعمليات غسل المخ بالدعاية المضادة للثورة
 (30).

4-7 زيارة ديغول إلى زمورة:

ذكر المجاهد عبد الرزاق أن الجنرال ديغول زار زمورة في سنة 1960،⁽³¹⁾ إلا أن التاريخ الرسمي لهذه الزيارة حسب الروايات المتداولة وما نقله الباحثون كانت في 28 أوت 1959⁽³²⁾ وهي الزيارة التي أثير عنها كثير من الجدل واللغط، خاصة وأن هناك من الحاقدين على المنطقة، حاول تزييف الحقائق المتعلقة بهذه الزيارة (لتشويه التاريخ النضالي البطولي والرصيد الثقافي الحضاري لزمورة)، كونها حسب زعمهم منطقة مسالمة وموالية لفرنسا. خاض المجاهد عبد الرزاق في هذا الجدل وقدم حقائق تنفي هذا الزعم، مفادها أن زمورة كانت من أهم المناطق خطورة على الاستعمار، مستدلا على ذلك بالاشتباكات العنيفة بين القوات الفرنسية وجيش التحرير، التي كانت تستمر أحيانا ثلاثة أيام، تكبدت فيها فرنسا خسائر فادحة في الأرواح، فضلا على أن المنطقة كانت منطقة عبور لقوافل جيش التحرير القادمة من تونس والمتوجهة إلى الولايتين الثالثة والرابعة، لذلك جاء ديغول للمنطقة في نظره ليشجع جنوده على الاستمرار في ممارسة سياسة الأرض المحروقة. ثم تحدث عن نقطة مهمة غفل عنها البعض في هذه المسألة، وهي ما ذكره من أن الذين استقبلوا ديغول، من الرجال والنساء والشيوخ، أخرجوا من ديارهم بالقوة، فضلا عن الجموع الأخرى التي أتوا بها من أماكن بعيدة ليظهروا بأن جميع السكان مواليين لفرنسا⁽³³⁾.

4-8- أصداء قرار وقف إطلاق النار وإجراءاته الأولية:

تحدث المجاهد عبد الرزاق بن ايدير في مذكراته عن الأصداء الأولية لقرار وقف إطلاق النار، ومن بين ما ذكر، سماعه في منتصف الليل لخطاب مباشر من يوسف بن خدة وهو يعلن وقف القتال، فقال أن هذه اللحظة مثلت

فرحة لا يمكن تصورها فبدأ الجميع يقفز ويصرخ، إلا أن القوات الفرنسية حسب ما ذكره قامت بإطلاق النار في زمورة على النساء والأطفال والشباب الذين خرجوا يحتفلون بهذه المناسبة ولعلنا هنا نلاحظ بأن القوات الفرنسية لم تطبق هذا القرار الذي توافقت عليه حكومتها والحكومة المؤقتة.⁽³⁴⁾

ومن بين الإجراءات العاجلة التي قام بها المجاهد عبد الرزاق مع زملائه عشية هذا الحدث، هي نزولهم ضيوفا عند رئيس بلدية زمورة (مداني شروك) واتصالهم ببعض المجندين مع فرنسا والمرتدين وكان هذا - كما جاء في المذكرات - لزرع الطمأنينة عند الناس المتخوفين من الانتقام.⁽³⁵⁾ ولعل هذا يعطينا صورة عن سياسة الثورة غداة الاستقلال من أجل الإبقاء على الوحدة الاجتماعية وتناسي الأحقاد.

في المقابل، هذا لا يفند ما حدث من مشاكل وانقسامات على هذه الجبهة، نتيجة السياسة الاستعمارية التي استمالت فئات لصالحها ووظفتها أسوأ توظيف لضرب مجتمعها والقضية الوطنية، ولعل هذا ما أكدته هذه المذكرات عندما تحدث صاحبها عن تصفية مجموعة من الخونة (بعد وقف القتال) بطريقة بشعة في "صرام" شرق زمورة، إذ يقول في هذا المجال: "وبينما نحن متمركزين في صرام في منتصف الليل أتت شاحنة معبأة بكثير من الخونة من كل نواحي (بئر قاصد علي) لتصفيتهم وبالفعل تمت تصفيتهم في أبشع الصور وتم ردمهم شرق جسر صرام الكبير والقديم والذين حضروا وشاركوا في هذه العملية في الليل لم يتمكنوا عند الصباح من لبس سراويلهم لأنها كانت ملطخة بالدماء"⁽³⁶⁾.

4-9- اجتماع ولايات الداخل بزمورة (24- 25 جوان 1962):

بالنسبة لمذكرات المجاهد عبد الرزاق بن ايدير فإنها لم تقدم الكثير من

التفصيلات عن هذا المؤتمر التاريخي، عدا مراسيم استقبال قادة الولايات في زمورة، حيث قال في هذا المجال: "وبعد أيام قليلة جاء عقد مؤتمر الولايات، كان الاستقبال في الساحة عند مدخل الكوليج استقبالا عسكريا بفوج من الضباط والمسؤولين العسكريين وتقديم السلاح للضيوف كان من طرف سي عمر الحافظي، وعند انتهاء مراسيم الاستقبال توجه الضيوف إلى صالون أولاد عبيد لعقد الاجتماع، وهذا الأخير يخص الخلافات بين الولايات الداخلية وجيش الحدود والحكومة المؤقتة، وكما سمعنا اتفقوا في هذا الاجتماع على أن لا يسمحوا لجيش الحدود بالعبور إلى العاصمة، كانت الولايات الممثلة هي الثالثة والرابعة والمعنية بالعبور عبر أراضيها" (37).

والملاحظ أن صاحب المذكرات لم يكن عنصرا فاعلا في هذا الاجتماع، فقد حضرته القيادة الثورية فقط، فضلا على أن قرارات الاجتماع كانت سرية نظرا للصراع الخطير الذي كان بين أطراف اجتماع زمورة وهيئة الأركان، وهو ما يفسر شح المعلومات الواردة في مذكراته عن الوفود القيادية التي حضرت الاجتماع والقرارات العديدة التي خرج بها، فضلا عن إهمال المذكرات لتاريخ انعقاد هذا الاجتماع الهام.

ومقارنة بما جاء في المصادر، فإن جلسات هذا الاجتماع انطلقت يوم 24 جوان واستمرت إلى 25 منه سنة 1962 ناقش الحاضرون الوضع السياسي المتدهور الذي تعيشه الجزائر عشية الاستقلال (أزمة صائفة 1962)، وفي موقف أولي يميل إلى الحيادية، عاب الاجتماع كلا من الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان، فوصف الأولى بالانقسام والضعف وافتقارها لسلطة القرار، واتهم الثانية بالعصيان، وخلص المجتمعون إلى أن هذا النزاع يحدث فراغا سياسيا ويهدد الوحدة الوطنية، وبناء على هذا التحليل للوضع السياسي قرر المجتمعون

في زمورة إنشاء لجنة تنسيق ما بين الولايات لحماية الوحدة الوطنية، أوكلت لها المهام التالية:

- إعداد قوائم المترشحين للجمعية التأسيسية
- تحديد شروط انعقاد المؤتمر الوطني والمشاركة فيه
- تنظيم دمج وحدات الجيش التحرير المعسكرة على الحدود في داخل الولايات (اتخذ هذا القرار للتقليص من صلاحيات هيئة الأركان التي كانت تسيطر على جيش الحدود)

- إدخال الأسلحة المخزنة في الخارج
 - إعلان حالة طوارئ في أقاليم الولايات المشاركة في الاجتماع (تحسبا لأيّ نشاط مشبوه لهيئة الأركان) كما دعا المجتمعون الحكومة المؤقتة إلى الوحدة حفاظا على السيادة الوطنية، ونددوا بهيئة الأركان⁽³⁸⁾.
- الخاتمة:**

في الختام، يمكن القول إن هذه الشهادة التي دونها المجاهد عبد الرزاق بن ايدير في مذكراته كانت بمثابة منجم من المعلومات الثمينة عن منطقة زمورة والمناطق المجاورة لها من مناضل عايش أحداثها، وكان طرفا فاعلا فيها، توافقت روايته مع الروايات الشعبية المتداولة في زمورة، وبعض المذكرات الأخرى وهو ما يعطي هذه المذكرات قدرا من المصداقية والأهمية، بل والشرعية في التأريخ للثورة التحريرية في أهم معاقلها بالولاية الثالثة، ويثري عملية التوثيق لإنجاز مختلف الأبحاث والدراسات لإعادة كتابة تاريخ الثورة على أسس منهجية وعلمية سليمة.

وهنا يجب التنبيه على ضرورة الأخذ ببعض التوصيات والآفاق المستقبلية التي من شأنها أن تعطي إضافة أخرى لموضوع البحث، كالقيام

بعملية إحصاء وجمع للمذكرات المطبوعة والمخطوطة التي تناولت تاريخ الثورة، خاصة في المناطق الساخنة والمغمورة، ثم القيام بدراستها دراسة تحليلية نقدية مقارنة، حتى نتمكن من كتابة التاريخ الجزئي للثورة الجزائرية في مختلف القرى والمداشر ومناطق الظل الأخرى، في خطوة نحو كتابة التاريخ الكلي لها.

ملحق (01)

عبد الرزاق بن إيدير يرفض مرور جيش الحدود عبر حاجز تفتيش

بالطريق الوطني رقم 05

"وبعد أيام كنت متواجدا في أعلى نقطة مراقبة جنوب الطريق الوطني رقم 05 وتقابلني نقطة أخرى شماله، ويتوسطنا الجسر الكبير الذي يربط الشرق بالغرب وبعده حاجز للتفتيش ومراقبة كل المركبات فعندما كانت الساعة حوالي الخامسة مساء أتت من ناحية سطيف قافلة كبيرة محملة بعتاد وأسلحة ثقيلة فوق شاحنات مدنية وحافلات تحمل الجيش بعدد كبير يفوق الخمسمائة جندي لما وصلوا إلى نقطة التفتيش وقفوا ونزلوا من المركبات بدون سلاح وأنا كنت في الهضبة فتقدموا نحوي وحيونا وصافحونا ورأوا السلاح الذي نملكه وهو قديم جدا فكانت عندي قطعة فرنسية 24 مع جنود آخرين برشاش صيني وآخرين بـ 36 وبعد ذلك عادوا إلى أماكنهم وحاولوا معنا بأن نسمح لهم بالمرور ولكن الأوامر هي الأوامر فمكثوا في الطريق ، وفي هذه الأثناء أتى جمع من الشعب مع رئيس دائرة برج بوعريريج سي عبد الحفيظ أمقران إلى صرام وهم يرددون "سبع سنوات بركات" وفي نفس الوقت يأتي سي عثمان من بوقاعة وهو رئيس المنطقة الأولى لإقناع الوافدين من الشرق أن يعودوا من حيث أتوا وعند حلول الظلام ... وعند حلول الظلام أنسحبنا من الأماكن التي كنا فيها وتوجهنا إلى خنادق كنا قد حفرناها من قبل والتي تسيطر على الطريق تماما

ورغم أن السلاح لذي نملكه غير متطور لكن الموقع الذي نتمركز فيه يسمح لنا بالتفوق، أما قوات جيش الحدود فتجمعوا في ساحة إلى جانب الطريق وكان أحد المسؤولين يلقي عليهم خطابا، ولما حل الظلام عادوا أدرجهم نحو الشرق حينها تنفسنا الصعداء لأن رصاصة واحدة لم تطلق" (39).

ملحق (02)

عبد الرزاق بن إيدير وإعلان وقف إطلاق النار (أصداء وإجراءات)

فعند منتصف الليل ونحن ننتظر ونسمع في المذياع إعلان وقف القتال من طرف السيد يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة، فكانت فرحة لا يمكن وصفها، فبدأنا نقفز ونصرخ وبعدها خرجنا من القرية متجهين إلى حسناوة مروراً بأولاد شلبي، وفي الصباح وأنا عائد توقفت في أولاد قارة وكانت بها قرابة عند هضبة شمال القرية، فرفعت لهم العلم وكانت الساعة السابعة صباحاً وأظن أنه الأول الذي رفع على المستوى الوطني وهذا بحضور بعض المواطنين والشباب... وبعدها لكي لا نفزع الذين كانوا موالين مع فرنسا كنت حاضراً عندما طلب سي مقران من خالي الصغير بن شعبان أن يتصل برئيس البلدية مداني شروك لكي ننزل عليه ضيوفاً، وفي علمي هو الأول وذلك حتى يهدأ الناس ولا يظنون أننا ننزل ضيوفاً عند المناضلين أو الناس الذين خدموا الثورة فقط ولكي يطمئن بعض المتخوفين من الانتقامات وغير ذلك. وبدأنا الاتصال ببعض المجندين والمرتدين مع فرنسا لنجذبهم للهروب" (40).

ملحق (03)

عبد الرزاق بن إيدير يتحدث عن ظروف عقد اجتماع ما بين الولايات بزمورة
(جوان 1962)

" وبعد أيام قليلة جاء عقد مؤتمر الولايات، كان الاستقبال في الساحة عند مدخل الكوليج استقبالا عسكريا بفوج من الضباط والمسؤولين العسكريين وتقديم السلاح للضيوف كان من طرف سي عمر الحافظي، وعند انتهاء مراسيم الاستقبال توجه الضيوف إلى صالون أولاد عبيد لعقد الاجتماع، وهذا الأخير يخص الخلافات بين الولايات الداخلية وجيش الحدود والحكومة المؤقتة، وكما سمعنا اتفقوا في هذا الاجتماع على أن لا يسمحوا لجيش الحدود بالعبور إلى العاصمة، كانت الولايات الممثلة هي الثالثة والرابعة والمعنية بالعبور عبر أراضيها"⁽⁴¹⁾.

ملحق (04)

عبد الرزاق بن إيدير شاهد على استعمال القوات الفرنسية لسلاح الغاز المحرم دوليا بورشة المغارة (جبل قرقور) ومستشفى المغارة (جنوب عقار)
"وفي مساء اليوم الرابع ونحن في الداخل فإذا بصوت رهيب نسمعه قادما من باب المغارة، كالضباب الكثيف لونه أصفر وأخضر، فسارعنا إلى تبليل القماش ووضعناه على أفواهنا لكيلا نستنشق الغاز ولكن دون جدوى. وبعد دقائق من تنفس الغاز أحسست بالاختناق وبدأت أكح وأعطس وبدأ الوجع في بطني، فقد كنت أتخبط كالماشية المذبوحة وبدأت أفشل وفي الأخير لم أتمكن من الحركة وكنت أفكر في نفسي كيف تخرج الروح ... عندما وصلنا إلى المكان عرفت بأنه مكان المستشفى الذي تلقيت فيه العلاج من الحروق... ومن ثم أتوا بقبلة من الغاز السام الممنوع دوليا ، وهو غاز موطارد وأتذكر

شكلها دائري وسمكها حوالي 40 سم، علوها نحو 10 سم، ولما نزعه ألقوا بها داخل المغارة ولم تنفجر فأطلقوا عليها الرصاص فحينها انفجرت وخرج الدخان من باب آخر للمغارة بلون أصفر وأخضر" (42).

الهوامش:

- (1) - بن يغزر أحمد، "الشهادة الشفوية كمصدر لتاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بين الإمكان والضوابط"، مجلة الحوار المتوسطي، عدد 13، الجزائر، 14 ديسمبر 2016، ص241.
- (2) - سمير بن سعدي، المختصر في تاريخ زمورة، مطبعة زاعياش، الجزائر، 2013، ص18-19.
- (3) - هذه الولايات هي، الثالثة (القبائل مركز العمليات العسكرية الكبرى، ومؤتمر الصومام)، الولاية الثانية (الشمال القسنطيني الذي كان مسرحا لعمليات هجوم 20 اوت 1955)، الولاية الأولى الأوراس (مهد الثورة وقاعدتها)،
- (4) - خاض جيش التحرير بقيادة" عميروش" معارك ضارية ضدهم، فاخترق صفوفهم وألحق بهم خسائر فادحة، عندها فر المصاليون إلى الجنوب عبر زمورة مع قائدهم " بن لونيس"، لكن جيش التحرير تابع فلول المصاليين الفارين فحدثت مواجهات عسكرية ومنها تلك التي حدثت في 23 جانفي 1956 عندما قام عبد الرحمان أميرة وسي محمد بوقرة على رأس عدد من المجاهدين بمجابهة المصاليين في زمورة، فأسفرت المواجهة عن قتل 70 من أفراد الحركة المصالية واستشهاد اثنين من المجاهدين. وللاطلاع أكثر انظر: Yves courrier ; la guerre d'algerie le temps des l'eopars ; 'edition rahma algerpp165-166
- (5) - سمير بن سعدي، المرجع السابق، ص91.
- (6) - فتح الدين بن أزواو، الاجتماع التاريخي لولايات الداخل بزمورة: <https://zemmouraedu34.yoo7.com/t4200-topic>
- (7) - عبد الرزاق بن إيدير، مذكرات وأحداث نضال، مذكرات مخطوطة قيد النشر، وقد سلمني المجاهد نسخة منها مرقونة لوضع تقديم لها استعدادا لنشرها، ص04.
- (8) - المصدر نفسه، ص ص 14-17، 48.
- (9) - المصدر نفسه، ص ص 18-28.
- (10) - المصدر نفسه، ص ص 10-12، 28-30، 37.
- (11) - المصدر نفسه، ص 44.
- (12) - المصدر نفسه، ص ص 45-48.
- (13) - المصدر نفسه، ص ص 6، 18-22.
- (14) - المصدر نفسه، ص ص 24-25.
- (15) - المصدر نفسه، ص ص 27-28.

- (16) - المصدر نفسه، ص 44.
- (17) - المصدر نفسه، ص 05.
- (18) - هناك رواية أخرى نقلها الباحث سمير بن سعدي عن الندوة الجهوية لكتابة تاريخ القليعة تقول بأن النواة الأولى للثورة بزمورة كانت بقرية القليعة في شهر أكتوبر 1955، وهو الشهر الذي - كما قال الباحث - عقد فيه أول اجتماع من طرف سكان القرية، حضره (بلحاج الطاهر، بن مخلوف لحلو، بوزيدي قدور، شوشو عاشور، بوزيدي لونيس، حموش مخلووزيف بن رايح، بن عثمان عبد القادر، بوزيدي لحسن) اتفقوا على طريقة جمع الاشتراك، ثم اتصلوا عقب الاجتماع بالشيخ بوشيببي الخير الذي كان يدرس في منطقة بني يعلى وكان هذا الشيخ على علاقة بأحد قيادات الثورة، وهو اسماعيل الحافظي الذي كان يشغل منصب وكيل سياسي للثورة في بني يعلى، وعلى العموم فإن كلتا الروايتين يمكن التسليم بهما نظرا للمسافة البعيدة نسبيا بين قريتي أولاد مونة والقليعة، ووقوع القريتين في منطقتين جغرافيتين بعيدتين عن مركز القوات الفرنسية، فضلا على أن القريتين كذلك تقعان في تخوم زمورة الخالية التي تحيط بها الغابات والأحراش ما يضمن حماية لأي نشاط ثوري في هاتين القريتين. أنظر: سمير بن سعدي، المرجع السابق، ص 79.
- (19) - عبد الرزاق بن إيدير، المصدر السابق، ص 10.
- (20) - المصدر نفسه، ص 06.
- (21) - المصدر نفسه، ص 07 - 08.
- (22) - المصدر نفسه، ص 09.
- (23) - المصدر نفسه، ص 18، 21.
- (24) - المصدر نفسه، ص 19-22.
- (25) - المصدر نفسه، ص 21-22.
- (26) - المصدر نفسه، ص 22.
- (27) - أنظر الملحق رقم 04.
- (28) - أنظر الملحق نفسه.
- (29) - مركز التعذيب "قصر الطير"...شاهد أخر على جرائم فرنسا الاستعمارية (تاريخ الاطلاع 2022/01/23).

Articles-19-51608-1.html

- (30) - عبد الرزاق بن إيدير، المصدر السابق، ص 27-28.
- (31) - المصدر نفسه، ص 50.
- (32) - سمير بن سعدي، المرجع السابق، ص 91.
- (33) - عبد الرزاق بن إيدير، المصدر السابق، ص 50-52.
- (34) - عبد الرزاق بن إيدير، المصدر السابق، ص 38.

(35) - المصدر نفسه.

(36) - المصدر نفسه، ص42.

(37) - أنظر الملحق رقم 03.

(38) - نشر يوسف بن خدة ومحمد حربي الوثائق المتعلقة بقرارات اجتماع زمورة، أ نظر:

Benyoucef ben khedda, la crise de 1962, edition dahlab,alger, 1997 pp 101 -106

Mohammedharbi, les archive de la revolutionalgerienne1954-1962, edition geune
afrique , paris , 1981 , p 343

(39) - عبد الرزاق بن إيدير، المصدر السابق، ص44-45.

(40) - المصدر نفسه، ص 38.

(41) - المصدر نفسه، ص 40.

(42) - المصدر نفسه، ص 24-25.

التدوين التاريخي لأحداث الثورة الجزائرية في اهتمامات المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله أنموذجا

د/خيرى الرزقي

جامعة باتنة 01

rezki.khairi@univ-batna.dz

مقدمة:

إنّ المتتبع للكتابات التاريخية حول الثورة الجزائرية، سواء كانت كتابات محلية وطنية أم كتابات أجنبية، يلمس ذلك الاهتمام الكبير بها، وزخم المنتج العلمي حولها، نظرا لما تركته هذه الثورة التحريرية والتحريرية من تداعيات جمة على الصعيدين الداخلي والخارجي، إلاّ أنّه لفت انتباهنا أكثر اهتمام المؤرخين الوطنيين بتدوين أحداث الثورة الجزائرية، وعلى رأسهم المؤرخ أبو القاسم سعد الله الذي نلاحظ أنه تأخر في كتاباته حولها، مقارنة مع ما كتب من مؤلفات ومواضيع علمية في شتى المجالات، وهذا ما دفعنا بطرح التساؤل عن سبب ذلك؟ وذلك منذ أن كان يدرسنا في مرحلة الماجستير بجامعة الجزائر 2، لكن لم نحض آنذاك بالإجابة الكافية منه، ولعلّ هذا الموقف دفع بالعديد من الأعلام الى التطرق لموضوع الثورة الجزائرية في كتابات أبي القاسم سعد الله، الذي أكد أن الكتابة التاريخية في تدوين تاريخ الثورة، يجب أن يكون بأقلام جزائرية، تتوخى الموضوعية العلمية وتكشف حقائقها الخفية.

وانطلاقا من بعض كتاباته وحواراته الصحفية، يمكننا أن نحصل على بعض الإجابات والأسباب الحقيقية والمهمة التي كانت وراء تأخره عن كتابة تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية، على الرغم من أنه كان ممثلا للطلبة في

القاهرة، ومنه يمكننا أن نطرح الإشكالية التالية: ما مدى اهتمام المؤرخ سعد الله بالثورة الجزائرية في كتاباته؟ وما هي أهم الأسباب التي تأخرت كتاباته في هذا الموضوع؟ وما هي الشروط التي وضعها من أجل كتابة تاريخ الثورة؟ وما هي أنواع الكتابة التاريخية عنده فيما يتعلق بتاريخ الثورة؟

أولاً: أهم الأسباب المساهمة في تأخير كتابة تاريخ الثورة عند أبي القاسم سعد الله:

بعد تتبعنا لهذا الموضوع من جميع جوانبه تبين لنا أنه يمكن أن تكون هذه الأسباب منها ما هو متعلق بالجانب الموضوعي مثل قلة الوثائق، والعامل الزمني المناسب للكتابة وطبيعة النظام السياسي السائد في البدايات الأولى لسنوات استرجاع السيادة الوطنية، هذا إلى جانب عوامل وأسباب أخرى ذاتية كانت قد أثرت على هذا المنتج الكتابي الخاص بالثورة الجزائرية ويمكن أن نفصل في هذا على النحو التالي:

1. الجانب الموضوعي: ويمكن تقسيمه من حيث:

أ. توقيت الكتابة:

ويعد من الإشكاليات التي ساقها أبو القاسم سعد الله كعائق في سبيل استكمال عمله حول تاريخ الثورة، وقد أكد سعد الله هذا من خلال الحوار الذي أجرته معه جريدة الحياة (لبنان)، إذ أشار إلى أن البعد الزمني ضروري لبعض الأحداث لتأثيرها على الأحياء وحياة الناس في الوطن¹.

كما أن التاريخ من وجهة نظره يجب أن يكتب من مسافة زمنية معقولة أي بعد انقراض الجيل الذي صنع أحداث وكلما ابتعدت المسافة كلما توفر التفسير الموضوعي وتمت معالجة الأحداث بموضوعية علمية.

1 أبو القاسم سعد الله، حوارات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 157.

أما إذا اقتربت المسافة فإن حرارة العاطفة هي التي ستطعن وتعطي للأحداث تفسيراً ذاتياً، ويعتقد من وجهة نظره أن المؤرخ الحقيقي يجب أن يترك للزمن يعمل عمله في الأحداث التاريخية قبل تناولها بالدرس والتحليل، فالبعد الزمني عنصر أساسي للوصول إلى الموضوعية لاسيما إذا كانت من مواطن عاش الأحداث وشارك فيها، ستزج به في متاهات التفسير الشخصي والحكم الذاتي¹.

والكتابة في هذا الخصوص لا تعني بالضرورة النشر حسب سعد الله، فإذا كان أي مؤرخ يكتب كتاباً أو مذكرات وهو يدرك مقدماً أن نشر ذلك قد يثير مشاكل وتصدعات سياسية أو اضطرابات اجتماعية، وأن الزمن كفيل بأن يجعل تلك المشاكل تأخذ مفهوماً آخر وهو ما يجعل السلطة القائمة تمنع نشر هذا العمل وهو من حقها، وهناك من الأعمال ما يضر بالعلاقات مع الدول الأخرى، ونحن نعلم أن لكل دولة ولكل مواطن حق في السرية أو الخصوصية. فبعض الكتاب يضعون يومياتهم ومذكراتهم في البنوك ونحوها ويوصون ألا تفتح إلا بعد كذا سنة بعد وفاتهم، فمثلاً لا تزال حقيقة مقتل الرئيس كيندي الأمريكي غير معروفة، لأنه ليس من مصلحة الشعب الأمريكي أن يعرفها الآن كاملة. وما الفائدة الوطنية التي سيجنيها الشعب الجزائري اليوم من معرفة تفاصيل مقتل ابن بولعيد وعبان رمضان وشعباني والعموري².

كما أن الثورة الجزائرية بخصوصياتها هي عمل بشري لا يمكن أن تضفي عليها طابع القداسة، بالرغم من نبل أهدافها ومشروعيتها، ذلك أن خلال مسيرتها، بل وحتى الفترة التي سبقتها أي فترة التحضير لها، شهدت عدة

1 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، المرجع السابق، ص 9.

2 أبو القاسم سعد الله، حوارات، المصدر السابق، ص ص 158-159.

خلافات بين قادتها وزعمائها، وهناك عدد منهم ما يزال على قيد الحياة وتحليل مواقفهم والفصل في خلافاتهم قد يعطي الحق لطرف على حساب الطرف الآخر، وقد يتدخل البعض باستغلال النفوذ السياسي لطمس الحقيقة أو السكوت عليها¹.

وهناك أحداث متعددة وقعت أثناء الثورة وهفوات مثلها في ذلك مثل كل ثورات العالم، يتنكر كل طرف من مسؤوليتها، والخوض فيها والكشف عن خفاياها، وقد تحرج أطراف معينة أو تدين أطراف موجودة في السلطة الحاكمة حالياً، وكل هذه المعطيات تحد من حرية الباحث فقضايا كالخلاف الذي حدث بين المصاليين والمركزيين قبل اندلاع الثورة، ثم الصراع بين أفراد الحركة الوطنية بزعامة مصالي الحاج وعناصر جبهة التحرير الوطني، خاصة تلك الصدمات الدموية التي وقعت بين إتباع الطرفين في المهجر، بالرغم من أن كلاهما يحمل هدف الاستقلال والخلافات بين قادة الأركان، وكل هذه المعطيات تزيد من إشكالية البحث في تاريخ الثورة خلال الفترة الزمنية الحالية².

ب. مشكلة توفر الوثائق الضرورية للموضوع من عددها:

إنّ أبا القاسم سعد الله في مشروع كتابته لتاريخ الثورة، لا يرمي إلى دراسة حدث بعينه، بل يهدف إلى القيام بمسح شامل لفترة سبع سنوات ونصف، وبنفس الطريقة التي اتبعها في دراسته للمراحل السابقة في الحركة الوطنية والتاريخ الثقافي، أما فيما يخص المصادر الشفوية أو بالأحرى الشهادات الشخصية لصناع الحدث لما لها من أهمية في كتابة تاريخ الثورة، فبالرغم من ظهور كم هائل من المذكرات الشخصية لمجاهدين شاركوا في الثورة من جنود

1 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، المرجع السابق، ص ص 9-10.

2 المرجع نفسه، ص 10.

وقادة عسكريين ومسؤولين سياسيين¹ إلا أنها هي الأخرى لا يمكن الاعتماد عليها لوحدها بشكل مطلق رغم ما وفرته من مادة تاريخية مهمة ورغم كشفها للعديد من الحقائق، وأحيانا قد تتخللها بعض المبالغات، فيتم الانحياز لشخص وتقزيم آخر، والوقوف مع طرف على حساب الآخر وغير ذلك².

إن من أهم العراقيل التي واجهت أبا القاسم سعد الله للكتابة في تاريخ الثورة التحريرية هي إشكالية جمع المادة الضرورية، وهو أمر مهم في الكتابة التاريخية، فلا يمكن بلوغ الحقيقة على نسبتها دون الإلمام بالمعلومات الكافية سواء كانت عبارة عن وثائق مكتوبة أو شهادات شفوية وفي هذا الإطار تطرح إحدى أهم إشكاليات كتابة تاريخ الثورة التحريرية والتي لم تعيق الأستاذ سعد الله لوحده، بل ما تزال عائقا لكل باحث في هذا المجال، وهي قضية الأرشيف الخاص بفترة الثورة التحريرية، والذي يوجد القسم الأساسي منه في كل من الجزائر وفرنسا³.

فإشكالية الاطلاع على الأرشيف سواء المتواجدة في الجزائر أو خارجها، يجعل من أي كتابة تاريخية مهما كانت جديتها مؤقتة وغير ملزمة بكل الجوانب، فالوثائق لها دور مهم في تجلية الحقائق وكشفها فلا تاريخ بدون وثائق وهذا لا يعني استحالة الكتابة حول تاريخ الثورة، إلا أن هذه الكتابة لا يمكنها أن تلم بجميع أحداث الثورة وتجيب على كل التساؤلات المطروحة⁴.
فبالرغم من أن السلطات الفرنسية توفر الكم الهائل من الوثائق الأرشيفية

1 رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 31.

2 أبو القاسم سعد الله، حاطب أوراق، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011، ص 289.

3 يوسف مناصرية، "أرشيف تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر"، حوليات المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 3-4، 2005، ص 260.

4 رابح لونيسي، المرجع السابق، ص ص 30-31.

الخاصة بتاريخ الجزائر، سواء فترة الاحتلال أم الثورة التحريرية في مختلف مراكز الأرشيف لديها. ويتعلق الأمر بأرشيف ما وراء البحار وأرشيف وزارة الخارجية الفرنسية وأرشيف وزارة الحربية الفرنسية¹، الذي فتح أبوابه للباحثين بعد مرور 30 سنة على استقلال الجزائر، وهي المدة القانونية في فرنسا التي يسمح بوضع الأرشيف بين يدي الباحثين، إلا أن هناك كم غير معلوم من الوثائق التي تحتفظ بها فرنسا، كما لا يمكن الاطلاع على الملفات الخاصة بالأشخاص إلا بعد مرور 120 سنة على تاريخ ميلادهم ولا يمكن الاطلاع على ملفات العدالة العسكرية إلا بعد مرور 100 سنة على بداية العمل بها². كما أن هناك ملفات لا يمكن الاطلاع عليها بتاتا إذ تعتبر من أسرار الدولة مما يجعل الاطلاع عليها في خانة الممنوعات، وبالخصوص الوثائق التي توثق للأعمال غير القانونية التي مارستها سلطات الاحتلال في الجزائر، والتي تصنف إلى خانة الجرائم ضد الإنسانية، وفي المقابل نجد جزءا هاما من أرشيف الثورة متواجد في الجزائر بعضه نجده عند الأشخاص والعائلات الجزائرية والبعض الآخر تحتضنه مراكز الأرشيف الوطنية، والتي تعتبر جزءا منه ذا طابع سري، إذ لا يسمح بالاطلاع عليها نظرا لحساسيتها في الفترة الحالية كما أن نصفه متواجد في مراكز الأرشيف في فرنسا، فمعظم الوثائق التي تدين الممارسات الغير قانونية للاحتلال الفرنسي خصوصا أثناء الثورة التحريرية قد أخذتها سلطات الاحتلال معها وقت خروجها من الجزائر³.

1 رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 275.

2 يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 275.

3 رابح لونيسي، "الصراعات الداخلية للثورة الجزائرية في الخطاب التاريخي الجزائري"، مجلة إنسانيات،

المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، العدد 25-26، 2004، ص 30.

ج. طبيعة النظام السياسي بعد استعادة السيادة الوطنية:

يعتبر هذا عامل آخر مهم، يضاف الى العوامل السابقة، والذي ساهم بطريقة ما في الدفع بأبي القاسم سعد الله إلى تأجيل الخوض في تاريخ الثورة الجزائرية، إذ يرى أنّ المؤرخين الأوروبيين والأمريكان تحميمهم قوانين وتشدهم تقاليد، ويعززهم الاستقرار السياسي، وهي خصائص قلما تتوفر لمؤرخي بلدان العالم الثالث¹.

ذلك أنّ الخلافات السياسية بين قادة الثورة، والتي ظهرت بعد الاستقلال، وكانت بدايتها من أزمة صائفة 1962 ثم أنّ بعض الكتابات التي كتبت من قبل شخصيات ثورية خاصة تلك المذكرات الشخصية لبعض القادة كانت ممنوعة نتيجة خلافات السلطة مع أصحابها ومن ذلك كتاب تشرح حرب لصاحبه فرحات عباس، على الرغم من أنه أول رئيس للحكومة المؤقتة الجزائرية أثناء الثورة، والبعض الآخر كان خارج الوطن، على غرار محمد بوضياف وحسين آيت أحمد، وهم من القادة الستة الذين ساهموا في تفجير الثورة².

2. الجانب المتعلق بشخصية أبي القاسم سعد الله من الناحية الذاتية:

رغم أنّ الأسباب المذكورة سالفاً، والتي هي ذات الطابع الموضوعي في عمومها مقنعة نوعاً ما في تأخر الكتابة لديه، إلاّ أنه هناك أسباب ذاتية تتعلق بشخصيته ودعمت وزادت في هذا التوجه لديه، فهو يرى أنّ الإشكالية لا تكمن في غياب الأفلام الوطنية التي تشغل بكتابة تاريخ الثورة التحريرية فقط، بل أنّ هذه الأفلام غائبة عن كتابة مختلف مراحل تاريخ البلاد، لأنّ

1 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص10.

2 رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 31.

الجزائريين عامة قليلو الكتابة قياسا بالشعوب الأخرى¹.

كل ما بيديه سعد الله نحو المدرسة التاريخية الفرنسية التي ابتدأت بكتابات العسكريين والمستشرقين والكنسيين ثم امتدت عبر كتابات الجامعيين والأكاديميين في جامعة الجزائر ثم انتقلت بعد الاستقلال إلى فرنسا نفسها لتبقى على تأثيرها في شبابنا الذين يذهبون إلى هناك لتلقي العلم والتلمذ، وأمل مؤرخنا هو أن تخرج من الجامعة فئة من الباحثين المتمرسين والمسلحين بوسائل العلم والبحث والمقتنعين بضرورة حمل رسالة كتابة تاريخ الجزائر منذ القديم من وجهة نظر الوطنية للكشف عن الذات الجزائرية وتحديد أبعادها وإبراز مساهمتها في الحضارة الإنسانية عامة والحضارة العربية الإسلامية خاصة².

وهناك سببا آخر منع أبو القاسم سعد الله، لوم يتفرغ للبحث والكتابة في تاريخ الثورة فقد صب جل أولوياته على مشروعه الفكري النهضوي المتمثل في الجانب الثقافي بطابعه الموسوعي، ويؤكد أن معركة تحرير تاريخ الجزائر من هيمنة الكتابات الأجنبية عموما والفرنسية بصفة خاصة هي كل متكامل تشمل جميع المراحل الزمنية التي مرت بها البلاد.

إن المشروع الذي كان يطمح إليه ذو طابع موسوعي، يهدف إلى كتابة تاريخ الثورة كتتمة للأجزاء التي كتبها والخاصة بتاريخ الحركة الوطنية، وبالتالي فهو يهدف في مشروعه للقيام بدراسة شاملة ومتكاملة لمختلف المراحل التي مرت بها الثورة وليس دراسة قضايا منفردة وقد تكون متباعدة زمنيا³ وفي

1 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج.1، ص 41.

2 المرجع نفسه، ص - ص. 9-10.

3 أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص. 179.

إحدى المناسبات التي سئل فيها المؤرخ أبو القاسم سعد الله عن عدم شروعه في كتابة تاريخ الثورة، كانت إجابته كالتالي: "ومتى كتبنا تاريخنا الآخر حتى لم يبقى إلا تاريخ الثورة، إن تاريخ الجزائر كله ما يزال غير مكتوبا وهذا ما جعلنا نتخبط في التعرف على هويتنا وانتمائنا فهذا الذي جعل الغير يجد أرضنا بلا تاريخ مكتوب فأخذ هو يكتب لملئ الفراغ كما يهوى¹.

كما يمكن إضافة سببا آخر اعترف به الدكتور سعد الله، ولم يكن يذكره من قبل، ويتمثل في غياب الجو المساعد على البحث التاريخي العميق، فحرية التفكير والتعبير مازالت بعيدة عن المستوى المطلوب والأمل المنشود²، إن أبو القاسم سعد الله ورغم عدم إصداره لمؤلفات حول تاريخ الثورة الجزائرية وعدم استكمالها لباقي الأجزاء في إطار مجموعته الخاصة بتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، لا يعني إهماله للموضوع أو عدم إدراكه لأهميته مبادرة أقلام وطنية لتولي هذا الموضوع، بل كان يرى أن المرحلة الحالية وإن لم تكن صالحة بعد لكتابة تاريخ مفصل ودقيق لوقائع الثورة التحريرية للأسباب السالفة الذكر، فهي من جهة أخرى مرحلة جد حساسة وذات أهمية كبيرة لتدوين أحداث الثورة³، فجملة الأسباب الموضوعية والذاتية التي تطرقنا لها دفعت أبا القاسم سعد الله إلى الاستمرار في مرحلة التدوين للأحداث الثورة، وجمع ما توفر لديه من مادة في هذا الإطار، وانتظار المرحلة المناسبة للشروع في الكتابة التاريخية المبنية على البحث العلمي المجرد، وهذا بالرغم من أنه عايش فترة الاستقلال لمدة

1 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص9.

2 مولود عويمر، الثورة الجزائرية في الدراسات المعاصرة، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2017، ص-ص13-14.

3 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 44.

تفوق الخمسين سنة، غير أن وفاءه لمبادئه ورفضه الكتابة للأجل الكتابة أو القيام بعمل مبتور، دفعه إلى الثبات على رأيه .

وفي الحقيقة فقد كانت الخشية من غلبة الذاتية على كتاباته، بحكم أنه أحد المشاركين في هذه الثورة، وهذا ما نلتزمه في كلام لوصيف سفيان نقلًا عن الدكتور لونيسي في حوار له بمجلة الجيش، أن سعد الله تحاشى الكتابة عن تاريخ الثورة التحريرية وكانت إجابته قائلاً: " أنني أعرف بعض المؤرخين الجزائريين الذين إذا كتبوا عن الحركة الوطنية كتبوا عنها من وجهة نظر أحزابهم أو الهيئات التي كانوا منتمين إليها قبل الثورة، وأعتقد أن مؤرخي الثورة سيتأثرون أيضا بدورهم فيها، وحدود مشاركتهم ومسؤوليتهم "ويقصد بهذا انه كان يخشى أن يكون من ضمن هؤلاء المؤرخين مما يمكن أن يفقده سلطته الأكاديمية فيما بعد ¹.

وهناك أسباب ذاتية أخرى لم يخفها سعد الله ومن بينها معاشته للثورة فقد كان جزء منها فمنذ سنة 1956 أصبح عضو في فرع القاهرة الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين والذي كانت تشرف عليه جبهة التحرير الوطني ومثله في عدة مؤتمرات منها، المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للطلبة العرب، واتحاد طلاب فلسطين بالقاهرة سنة 1958م. كما مثله سنة 1961 في المؤتمر الدولي للطلاب بأمريكا. ويقول عن نفسه أنه عاش الثورة من أعماقه في أعماله وكتاباته، ² وبالتالي كانت له مواقفه وميوله الخاصة وآرائه الذاتية فيما يتعلق بمختلف القضايا المرتبطة بها ومن مختلف الأزمات التي مرت بها، كما كانت

1 سفيان لوصيف، "المؤرخ أبو القاسم سعد الله وكتابة تاريخ الجزائر"، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة سطيف، العدد 28، 2017، ص 270.

2 أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 179.

له نظرتة الخاصة من الخلافات التي وقعت بين زعمائها وكل هذا جعله يتخوف من أن تطغى الذاتية على كتاباته، وهو الذي كان دائم الحرص على الموضوعية وحيث يذكر في هذا الصدد "والواقع أن الكتابة التاريخية لا تخلو من المزالق حتى عند تناول الفترة السابقة للثورة، وإن بلدا كالجائر تعرض للامتحانات، وشخصياته هزات ومفاهيمه إلى تعديلات جذرية ولا يمكن كتابة تاريخه المعاصر بدون خطأ أو تخطئة ولاسيما من مواطن عاش الأحداث وشارك فيها ستزج به في متاهات التفسير الشخصي والحكم الذاتي¹، ويرى أن المؤرخ نفسه سيكون متأثرا بالأحداث التي عاشها، لأنه يفتقر إلى البعد الزمني الكافي الذي يجعله بتجرد وبيرودة هادفا إلى الوصول إلى الحقيقة العلمية².

ثانيا: أنواع كتابة تاريخ الثورة الجزائرية عند أبي القاسم سعد الله

سيظل موضوع الكتابة التاريخية في شأن الثورة الجزائرية مجرد ادعاء إذا لم تدعمه الوثائق والوقائع، ومن هنا تبرز أهمية تدوين تاريخ الثورة، ولقد طرح أبو القاسم سعد الله تساؤلات عديدة عن دور الجزائريين في تدوين تاريخ ثورتهم، وفي هذا الشأن أبدى بعض الملاحظات، منها أن الجزائريين عامة قليلي الكتابة إذا قيسوا بالشعوب الأخرى، وأنّ روح الحذر والحساسية التي تميز الجزائري، كان لها الدور البارز في هذه الكتابات، فهو عادة يريد أن يتأكد مما يقول أو يكتب، إضافة إلى حداثة الثورة نفسها، فبالرغم من أنه قد مضى عليها مدة طويلة، إلا أن هذه الفترة تعتبر قصيرة مقارنة مع ما يطلبه التدوين للحداثة التاريخية، كما أن سعد الله نبه إلى وجوب التفريق بين عدة أنواع من الكتابة

1 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص 09.

2 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، المصدر السابق، ج1، ص46.

التاريخية، والتي حصرها في الكتابات الرسمية والشعبية والكتابة العلمية.¹ فالكتابة الرسمية والتي نعني بها قيام الدولة نفسها العناية بتراث الثورة ونشره وتفسيره تفسيراً يحمل فلسفتها الدولة ويظهر مواقفها الأيديولوجية واتجاهاتها نحو المستقبل على ضوء فلسفة الثورة نفسها² ويرى شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله أن الدولة ومؤسساتها لها مهمة خطيرة في جمع مادة تاريخ الثورة والحفاظ عليها وتوفيرها للباحثين والإشراف على فريق منهم، ليقوم بوضع إطار عام لهذا التاريخ، وهذه الطريقة معمول بها اليوم في معظم الدول المتقدمة ومن جهة نظر شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله أن: " نحن اليوم لا ندعوا إلى هذا النوع من التاريخ فالثورة الجزائرية ليست من عمل بطل واحد ولا هيئة واحدة ولا مؤسسة واحدة، والفريق الذي سيكلف بكتابة تاريخها رسمياً يجب أن يأخذ في اعتباره كل هذه المعطيات، حتى لا يتحول تاريخ الثورة إلى تاريخ أوتوقراطية أو أوليفاركية معينة، أو سيرة لزعيم من الزعماء"³.

أمّا الكتابة العلمية ويعني بها كتابة تاريخ الثورة الجزائرية من طرف المؤرخين الاختصاصيين في أقسام التاريخ بالجامعات الجزائرية، حسب المصادر المتوفرة وطبقاً للوثائق، وهذا في نظر أبو القاسم سعد الله مازال لم يحن وقته، كما أن الوثائق مازال غير متوفرة⁴ فإذا تناول أحد الباحثين موضوعاً وتوصل فيه إلى نتائج حساسة، فمن الممكن حجب هذه النتائج في

1 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، المصدر السابق، ج1، ص44.

2 المرجع نفسه، ص44.

3 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، المرجع السابق، ص09.

4 علي غنابزية، "نشاطات الدكتور أبو القاسم سعد الله وأهم كتاباته حول الثورة الجزائرية"، المثقف والثورة والواقع والرهانات، جامعة الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2014، ص15.

الجامعة إذا كان نشرها يضر بالآخرين أو بالمصلحة العامة¹، وهو يرى أن هناك منهجا واحدا لكتابة التاريخ، وهو المنهج العلمي الذي يعتمد المؤرخ فيه على كل الأدوات التي توفرت له، والاطلاع على المواقف، والنظريات والمدارس، "... ولاشك أن الثورة الجزائرية، باعتبارها حركة جماهيرية في حاجة هذا المؤرخ المتشبع بنظريات وأحداث العصر ومسيطر على مادته وأدواته"².

ومن ناحية الكتابة الشعبية والتي نعني بها قيام الكتاب عامة، أي غير الاختصاصيين، أمثال علماء السياسة، والصحافيين والأدباء، وكتاب الوقائع الراغبين بكتابة تاريخ الثورة الجزائرية والإشادة بمواقفها وإظهار أصالتها وسمو أهدافها، وبذلك تعزز المادة ويقراً الناس تاريخ الثورة بأقلام أبناءها، ويسد الفراغ في وجه الأجانب والموتورين ضد الثورة الحاقدين من نجاحها³ وحسب رأي شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله أن كل المثقفين (الفئات الاجتماعية المثقفة) يمكنهم، بل الواجب عليهم الإسهام في كتابة تاريخ الجزائر، كل في ميدانه واختصاصه ، فعلى المناضلين أن يسجلوا مذكراتهم وانطباعاتهم عن الأحزاب التي كانوا فيها ،وسير الثورة التي اشتركوا فيها، ودورهم فيها، والمشاكل التي تعرضت لها، وعلى السياسيين والصحافيين من(الجيل المخضرم)، أن يؤلفوا أعمالا توضح مواقفهم وتوقعاتهم ومكانتهم من الأحداث التي عاشوها، وعلى رجال الدين، مصلحين وتقليديين أن يصفوا علاقتهم بالشعب وبالسلطة الحاكمة ومدى استجابة الناس للثورة وتفسيرهم لانفعالاتهم، وعلى الأدباء كتابة الروايات والأشعار المستمدة من واقع التاريخ المليء بالرموز الحية من بطولات وأحداث

1 أبو القاسم سعد الله، حوارات، المرجع السابق، ص39.

2 علي غنابزية، المرجع السابق، ص 15.

3 أبو القاسم سعد الله، أبحاث...، المرجع السابق، ج1، ص45.

بارزة ومواقف إنسانية، وتضحيات في سبيل الوطن أو الدين أو الحب، بل أن من الأدباء من يكتب تاريخ الأدب فيدرس فيه مدى ارتباط الأدب بالشعب وعلاقة الأديب بأحداث بلاده، وهكذا بقية الفئات المثقفة وهكذا يرى شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله أن أعمال هؤلاء جميعا جزء لا يتجزأ من عملية الكتابة في التاريخ عموما وكتابة تاريخ الثورة خصوصا، وهي الأعمال التي أطلقنا عليها الكتابة الشعبية¹.

ثالثا: أهم قواعد وشروط الكتابة في تاريخ الثورة عند أبي القاسم سعد الله

يحدد المؤرخ سعد الله (رحمه الله) جملة من الشروط والقواعد العامّة لمن أراد الكتابة في تاريخ الثورة، وقد تزيد هذه القواعد من جمالية الكتابة إذا ما تقيّد بها الكتاب، لأنه حتما ستنتج هذه الكتابات مادة علمية جيّدة وجديدة، كما أن عدم التقيّد بها يضرّ بطريقة أو بأخرى بعملية التدوين التاريخي لأحداث الثورة التحريرية، وبمّا هذا أكبر شيء يرفضه أبو القاسم سعد الله، ويعتبره شيئا منافيا مع عملية التدوين ولا يتوافق مع شخصيته التي يميزها الطابع الجدي، ومن الممكن أن نوجز هذه القواعد في النقاط التالية:

- إن الوسائل البحثية هي أهم شيء يجب توفيره للباحث، وعلى الخصوص الباحث في تاريخ الثورة الجزائرية والتي يمكن لها أن تساعد المؤرخ على الوصول إلى الحقيقة، فهو مفيد ويدخل في ذلك التسجيل والمخطوط والمذكرات والوثائق التاريخية، والمكان الملائم فالمؤرخ لا يكتب تحت الأضواء الكاشفة ولا وسط ضجيج الملتقيات وصخب الجماهير كما أنه يجب أن يستعين بالمصورات والخرائط وآلات للقراءة وموظفين ومساعدين للكتابة والتصحيح

1 أبو القاسم سعد الله، أبحاث...، المرجع السابق، ج1، ج2، ص9.

والفهرسة¹.

- نجد أن الكثير من الأعمال المنتهية تبقى في انتظار النشر ثلاثة أو أربع سنوات أو أكثر وذلك راجع إلى عدم توفر وسائل النشر العلمي، وربما هذا ما يمثل مضيقا بالنسبة لمصالح القارئ واهتمامه أكثر بالقراءة والمطالعة وحط لعزيمة ومعنويات المؤلفين، بسبب الوقت الذي يستغرق في انتظار نشره لعمله².

- كما أن حرية التعبير تعد من أهم الشروط الأساسية في كتابة تاريخ الثورة، بمعنى آخر أنه لا يمكن توجيه الكتابة في هذا الموضوع، وعليه فإن حرية التعبير والكتابة شرط أساسي لظهور الكتابة في هذا المجال، والحرية في الكتابة لا تعني التمجيد والمدح والإشادة، ولا تعني أيضا القبح والإساءة والقذف وإنما تعني أحكاما متوازنة بالإضافة إلى روح تقبل النقد، فالمؤرخ لا يمكن أن يرضى جميع الأطراف، ولكن من جهة أخرى لا يعني إن لم تعجب آراؤه طرفا ما، فإن آراءه تصدر وتمنع من التداول³.

وبالتالي فحرية التعبير والنشر هي أعظم وسيلة. وكيف نطمح إلى الوصول إلى الحقيقة إذا كان على المؤرخ أن يداوي أفكاره وآراءه. وأن يشوه الأحداث لكي يكون مقبولا، لذلك فالتخلص من العقد والحساسيات هو الكفيل بتحبيب التاريخ والكتابة فيه⁴.

- كما يرى سعد الله أنه من المناسب أن يقع التفكير الجدي في تفرغ بعض المؤرخين للقيام بهذه المهمة تفرغا تما، ذلك أنه قد لا يتمكن بعض

1 مريم خالدي، المرجع السابق، ص 216-217.

2 نفسه، ص 217.

3 مريم خالدي، أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017، ص 216.

4 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، المرجع السابق، ص 239.

المؤرخين من القيام بأعمالهم الوظيفية العادية في التدريس وغيره. بالإضافة إلى الإسهام في مشروع كتابة التاريخ بطريقة ناجحة وسريعة. وسعد الله من خلال ما سبق يؤكد أن عدم توفر هذه الشروط والإمكانات لا تعتبر عائقاً، حيث نجد تعليقات كثيرة يسوقها بعضهم لعدم الكتابة، لكن هذا لا يمنع إن وجدت صعوبة في الإبداء بالرأي، فليبقوا آراءهم محفوظة ولكن مكتوبة لكي يطلع عليها الجيل اللاحق¹. ويشير إلى أنه على المؤرخ أن يتابع كل الأحداث التاريخية ويرصدها وأن يمثلها وأن يسجل في وعيه وعلى بطاقاته خطوات التيار العام ثم يتتحي بعيداً عن الأضواء والصخب والضجيج دارساً متأملاً مقدماً بعض الأحداث على أخرى محكماً عقله وضميره وبعيداً عن المؤثرات الخارجية مهما كان نوعها ثم يصدر حكمه الذي يعتقد أنه الحق مهما خالف ذلك الرأي العام أو ما اتفق عليه الناس أو ما كان يتوقعه هذا المسؤول أو ذاك².

الخاتمة:

إنّ أبا القاسم سعد الله وفي إطار تبنيه للبحث التاريخي الموضوعي، جعله يؤجل الخوض في كتابة تاريخ الثورة إلى أن تنهياً له الظروف بالشكل الذي يرغب فيه، وجملة الأسباب التي تطرق إليها دفعته إلى جمع ما توفر من الوثائق في هذا الموضوع، وانتظار المرحلة المناسبة للشروع في الكتابة التاريخية المبنية على البحث العلمي المجرد، هذا بالرغم من معاشته للكثير من أحداثها وحرصه الشديد على الكتابة التاريخية البعيدة عن الذاتية.

1 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، ج2، مرجع سابق، ص 218.

2 نفسه، ص 236.

إنّ المؤرخ أبا القاسم سعد الله بطبيعته الناقدة وبحرصه على تبني البحث التاريخي الموضوعي جعلته يرى بأن الظروف لم تنتهياً لكتابة تاريخ الثورة بالشكل الذي يرغب فيه، وبالمنهج الذي يتوافق مع قناعاته، فقد دأب على وصف نفسه بأنه ليس كاتب حسب الطلب، ولا مؤرخ مناسبات وكان رافضاً تماماً الى عملية توجيه الكتابة التاريخية في تاريخ الثورة بل يسعى دوماً إلى توخي الحقيقة على نسبتها بعيداً عن أي ضغط خارجي فهو يرى نفسه مؤرخاً أوقف حياته للبحث العلمي ولا يمكنه أن يكون شيئاً آخر.

ومجمل القول إن تأخر الكتابة التاريخية حول الثورة الجزائرية عند أبي القاسم سعده قد تحكمت فيه ظروف وعوامل معينة منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي، كما أنه يحدد جملة من القواعد والشروط لمن أراد الكتابة في هذا الموضوع الذي قال عنه أنه موضوعاً ذاتياً وجب التخلّص منه وأن موضوعاً يمكن تقسيمه الى أنواع متعددة أثناء الكتابة فيه.

قائمة المراجع المعتمدة:

- سعد الله (أبو القاسم)، حاطب أورانق، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، دار الغرب الإسلامي، ج1، لبنان، 1992
- سعد الله (أبو القاسم)، حوارات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3.
- سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007.
- سعد الله (أبو القاسم)، أفكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- مناصرية (يوسف)، "أرشيف تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر"، حولية المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد3، 2005.
- عويمر (مولود)، الثورة الجزائرية في الدراسات المعاصرة، شركة الأصالة للنشر، الجزائر د ط، 2017.
- غنابزية (علي)، نشاطات الدكتور أبو القاسم سعد الله وأهم كتاباته حول الثورة الجزائرية، المثقف والثورة والواقع والرهانات، جامعة الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2014.
- لوصيف (سفيان)، "المؤرخ أبو القاسم سعد الله وكتابة تاريخ الجزائر"، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة سطيف

2، العدد28، 2017.

- لونيبي (رابح)، "الصراعات الداخلية للثورة الجزائرية في الخطاب التاريخي الجزائري"، مجلة إنسانيات، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، العدد 25-26 2004.
- خالدي (مريم)، أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة الجبالي اليباس، سيدي بلعباس، 2017.

النشاط العسكري للقاعدة الشرقية من خلال مذكرات الضابط سالم جيليانو
The military activity of the eastern base through the
memoirs of officer Salem Gilliano

كخط د/ عصام بوسعيد

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

issam.boussaid@univ-msila.dz

المخلص :

تعتبر المذكرات الشخصية مصدرا هاما في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، إذ ساهمت في كتابة التاريخ الوطني انطلاقا من زمان الحدث ومكانه، وعلى الرغم من أن أصحاب هذه المذكرات ليسوا من المتخصصين في التاريخ، إلا أن كتاباتهم تبقى مادة علمية دسمة ويبقى التعامل معها من اجتهاد الباحث أو المؤرخ نفسه، ومن أكثر الأحداث ورودا في تلك الكتابات نجد النشاط العسكري للقاعدة الشرقية، حيث صدرت العديد من المذكرات لقيادة عسكريين أمثال الضابط سالم جيليانو، الذي شارك في الثورة التحريرية ودون أحداثها بصفته أحد العسكريين الذين عرفتهم القاعدة الشرقية، وهذا ما ستعالجه هذه الورقة البحثية.

Abstract:

Personal notes are an important source in writing the history of the Algerian revolution, as they contributed to writing the national history from the time and place of the event, and although the owners of these notes are not specialists in history, their writings remain a rich scientific material and dealing with them remains the diligence of the researcher or historian himself, and among the most reported events in those writings, we find the military activity of the eastern base, where many memos were issued by military leaders such as the officer Salem Gilliano, who participated in the liberation revolution and recorded its events as one of the soldiers known to the eastern base, and this is what this research paper will address.

مقدمة:

تعد الكتابة التاريخية من المواضيع المهمة في العصر الحالي، خاصة مع التطور التكنولوجي الذي عرفته المجتمعات، وهذا ما جعلها تسمى لتدوين تاريخها عبر مختلف الحقب الزمنية، وتعتبر الجزائر واحدة من هذه الشعوب، حيث شهد تاريخها سجلا حافلا بالبطولات والأمجاد أرخ له العديد ممن عايش أحداثه وشهد أيامه خاصة في الفترة المعاصرة فترة الثورة الجزائرية.

إذ شكلت حقبة محورية لمن عايش أحداثها وسعى الى تدوينها ونقلها كما عاشها في مذكراته الشخصية، إذ تعود أغلب هذه المذكرات الى الرجال العسكريين مع اختلاف رتبهم العسكرية، ومن بين هؤلاء العسكريين نجد الضابط سالم جيليانو الذي تناولت مذكراته عدة أحداث وحقائق عن الثورة التحريرية بالقاعدة الشرقية، ومن أكثر الأحداث ورودا في تلك المذكرات نجد النشاط العسكري، إذ سعى الى تدوين أحداث الثورة بالقاعدة الشرقية بصفته أحد العسكريين الذين عرفتهم الثورة، وهذا ما جعلنا نسلط الضوء على مذكراته لمعرفة هذه الشخصية المغمورة من جهة ومن جهة أخرى للاطلاع على واقع النشاط العسكري بالقاعدة الشرقية وتحليل ذلك انطلاقا من الإشكال التالي:

كيف كان واقع النشاط العسكري بالقاعدة الشرقية من خلال مذكرات الضابط سالم جيليانو، وما مدى موضوعية هذه المذكرات في سرد ونقل أحداث هذا الواقع؟

وللإجابة على هذا الإشكال، تناولنا أهمية المذكرات الشخصية في كتابة تاريخ الثورة وترجمة لشخصية سالم جيليانو واندلاع الثورة وموقفه منها، وفي الأخير عالجنا واقع النشاط العسكري بالقاعدة الشرقية وذلك بالحديث عن فيالقها العسكرية وتسليحها وعن أهم المعارك الثورية التي شهدتها وتناولتها مذكرات

سالم جيليانو .

1 - أهمية المذكرات الشخصية في كتابة تاريخ الثورة

شكلت المذكرات الشخصية مصدرا هاما في التأريخ للثورة الجزائرية، فقد نقلت العديد من الأحداث التي كانت مجهولة ومسكوت عنها، خاصة وأن تاريخ الثورة كتب بأقلام فرنسية فلم يتم إنصافه إذ اعتبرت الجزائر قطعة فرنسية، واعتبروا الثورة الجزائرية مجرد حرب فقط ومن أمثال ذلك كثيرون أمثال شارل أندري جوليان، وشارل روبير أجيرون وعليه كان لزاما أن يكتب الجزائريون تاريخهم بأيديهم للرد على هؤلاء من جهة ولسرد وقائع الأحداث التي عاشوها من جهة أخرى، وبالتالي تخليد بطولاتهم للأجيال القادمة، وتكون كأداة لمواجهة الفرنسيين وتوضيح مدى بشاعة جرائمهم. خاصة في ظل استمرار الصراع بين الطرفين الى ما بعد الاستعمار والى ما يعرف بحرب الذاكرة¹، فقد سعى كل طرف لمحاولة استعادة الحدث التاريخي وإدراجه في الذاكرة الجماعية للأمة.

هذه المذكرات جاءت بعد الاستقلال وخاصة بعد الحوادث المأساوية التي شهدتها الجزائر، في حقبة تسعينات القرن الماضي وقد تنوعت هذه المذكرات بين الفرنسيين الذين سجلوها باللغة الفرنسية، من عسكريين وسياسيين وكتاب وصحفيين على اختلاف توجهاتهم الفكرية والسياسية وبين الجزائريين الذين سجلوها باللغة العربية والفرنسية². وهي تقدم معلومات لا يمكن للوثائق

1- Benjamin Stora, *la guerre des mémoires, la France face a son passé colonial*, l'Aube, paris, 2012.

2 - نور الدين ثنيو، "الذاكرة والشهادة في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962م الثورة التحريرية في التاريخ الراهن"، مجلة سطور، العدد الثاني، جويلية 2015، ص 25.

أن تشير إليها، ولاسيما مشاعر وأحاسيس أصحابها، وهو الجانب النفسي والإنساني، الذي لا يمكن أن تبوح به الوثائق¹.

الى جانب عرض حقائق الثورة المعاشة بإيجابياتها وسلبياتها وهذا ما عبر عنه المجاهد بودوح السبتي الذي رأى أن الواجب يحتم عليه كتابة ما عاشه وقال أبدأ مذكراتي بقولي التزوير في التاريخ جريمة وإخفاؤه خيانة². ويضيف بودوح السبتي قائلاً: "أخي القارئ لا تنتظر أن تجدي في مذكراتي بطلا في ساحة الوغى أو من الذين خاضوا المعارك كلا يا أخي، إن الثورة ليست المعارك وقتل العدو بل إن الثورة أعمال كثيرة، وميادين متعددة يكمل بعضها البعض ويرتكز بعضه على البعض"³.

كما نجد المذكرات كذلك تتحدث عن جيل مارس العمل السياسي مبكراً، في خلايا حزب الشعب الجزائري، التي تربت على الوطنية، وعملت جاهدة على تكوين الوطنيين وإزادتهم حياتهم تمرسا على شتى الفنون في صفوف المنظمة الخاصة، وباتت نفوسهم تتحفز للانطلاق منها نحو الثورة⁴.

إلى جانب هذا نجد هناك مذكرات يفصل أصحابها في المنطقة التي مارسوا فيها العمل الثوري، مثل القاعدة الشرقية عند جيليانو سالم، وإشارته للعمل العسكري الذي يمثل مجالا واسعا لنطاق الثورة، واصفا حياة المجاهدين

1 - اسماعيل أحمد ياغي، مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة الكعبيبات، الرياض، 1999م، ص 38.

2 - السبتي بودوح، مذكرات المجاهد بودوح السبتي بعض حقائق الثورة المعاشة بإيجابياتها وسلبياتها 1955-1962م، مطبعة قرفي عمار، باتنة، الجزائر، 2002، ص 8.

3 - المصدر نفسه، ص 8.

4 - محمد حربي، حياة تحدي وصمود مذكرات سياسية 1945-1962م، دار القصة، الجزائر، 2004، ص. 05.

ومآثرهم، وعليه يمكن القول أن المذكرات الشخصية تمثل مادة خاما وخرانا ثريا بالقيم، والمعاني السامية والتضحيات الجليلة لنشاط المجاهدين، فهي تعتبر اللبنة الضرورية لبناء الفعل التاريخي.

فالدور الذي تقوم به المذكرات مهم جدا، وذلك في معرفة النشاط الثوري في مختلف المناطق الجزائرية بصفة عامة، فهي مصدر خام ذو أبعاد علمية، أثرت على مستقبل الدراسات التاريخية وأصبحت أساسية لكتابة تاريخ الجزائر¹. كما نجد دورها تعدى معرفة تاريخ الثورة على المستوى الوطني حيث تعطي نظرة للعالم عن ثورتنا وعن إنجازات الشعب الجزائري من أجل تحقيق غايته النبيلة التي زهقت لها الأرواح، فكان دورها التاريخي مثال حي للشعوب الأخرى وذلك من خلال التأثير والتأثير فيهم². فالمذكرات الشخصية تعتبر كمصدر في التأريخ، لعملية تحرير الجزائر من الكتابات الفرنسية المدعمة بأفخاخ³. وتبرز الخلافات الإيديولوجية والصراعات حول القيادة داخل صفوف منظري ومسؤولي الثورة الجزائرية⁴. فالكثير من المؤرخين والطلبة نجدهم اعتمدوا في بحوثهم ودراساتهم على المذكرات الشخصية سواء ما تعلق بمذكرات الماجستير أو أطروحات الدكتوراه، فأغلب كتاباتهم التي تتحدث عن تاريخ

1 - صالح بوسليم، "استخدام الرواية الشفوية كمصدر لتاريخ الثورة التحريرية الجزائرية"، ملتقى حول المقاربات الأكاديمية في جميع الشهادات الحية، متحف المجاهد، بسكرة، 11-12/12/2014م، ص 86.

2 - زهير إحدان، شخصيات ومواقف تاريخية، منشورات دحلب، الجزائر، 2012، ص 178.

3 - عمر بوداود، من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني مذكرات مناضل، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 5.

4 - علاوة عمارة وآخرون، نصف قرن من البحث العلمي بالجامعة الجزائرية 1962-2012م، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2013م، ص 23.

الثورة إلا وتعتمد على مذكرات مصالي الحاج أو بن خدة أو حربي، ومنه نقول أن المذكرات الشخصية ذات قيمة علمية كبيرة في أي بحث أو دراسة أكاديمية.

2 - ترجمة لشخصية سالم جيليانو

ولد سالم جيليانو سنة 1930م بمدينة عنابة قرب حي سيبوس جوانو، من جد إيطالي كوستانزو جيليانو، قدم إلى الجزائر عقب الحملة الفرنسية على الجزائر، كباحث عن الشغل. كما قدم غيره من الأوروبيين الآخرين، فاستقر بعنابة وعمل عند معمر فرنسي يملك مزرعة بالحجار، وبهذه المزرعة نشأت علاقة حب بين الجد كوستانزو وابنة المعمر الفرنسي التي تدعى أدريانة صابين فلاننتين، والتي ولدت 1858م بالحجار بعنابة، بسبب شجاعة وأخلاق الجد الإيطالي وقد رفضت هذه العلاقة من قبل والدها ولكن ذلك لم يمنع الزواج الذي تم سنة 1875م، وبعدها أنجبا ولد سميها جان باتيست وكان والدها قد حضر الزواج مرغما، كونها كانت قاصرا، لكن بعد الزواج مباشرة قام بطردها من المنزل وحرمت من كل شيء، أما والدتها فقد وقفت إلى جانبها ومنحتها بعض الأموال فرحلت إلى البسباس، رفقة زوجها وقاموا ببراء أرض فلاحية ولكن سنة 1886م توفي زوجها وهي لا تزال شابة فقررت توكيل أخيه لكنه حرماها من المزرعة وتخاصمت معه¹. بعد هذه الحادثة قررت أدريانة اعتناق الإسلام وكان ذلك في زاوية تقع بين ابن عمار والبسباس، واستقرت بالمكان متخذة لنفسها اسم علجية ولابنها جون باتيست اسم الشريف، ثم تزوجت شخص آخر لمدة ثلاث سنوات لينتهي بالطلاق ثم عادت أين أسلمت². وبخصوص إسلامها نجد الشاذلي بن جديد في مذكراته يقول سالم جيليانو أصوله من عائلة

1 - عمر تابليت، مذكرات سالم جيليانو 1930-1962م، دار الأملعية، ص -ص 11-13.

2 - شهادة سالم جيليانو، المتحف الوطني للمجاهد الطارف.

إيطالية استوطنت سهل عنابة، واعتنقت جدته الإسلام هناك¹. وعن زواج والده يقول تزوج الشريف وعمره 22 سنة دام هذا الزواج ست سنوات، أنجب بنتا سماها بية ثم طلقها وبقي لمدة 8 سنوات دون الزواج، بسبب ظروفه المادية، وفي سنة 1906م استطاعت أمه تزويجه من سلطانة فجرية، وهي امرأة مطلقة يتيمة وقد رزقت بـ 13 ولدا بنين وبنات².

ويوصل سالم جيليانو الحديث عن والده فيقول إنه أثناء الحرب العالمية الأولى 1914م استدعي والده الشريف للمشاركة في الحرب فانتقل إلى تونس، واصطحب معه العائلة إلى تونس وظل بها إلى غاية 1926م ثم عاد إلى عنابة واستقر بجوانو وبعدها انتقل إلى عصفور³. أما عن نشاط سالم جيليانو السياسي فيقول بعد الحرب العالمية الثانية شاركت في انتفاضة 8 ماي 1945م وأنا ابن 15 سنة، حيث ذهب عند خالي واكتشفت أن أبناءه علي والنوي على علاقة بحزب الشعب، ويحضران للاحتفال بيوم 8 ماي، وهنا التقيت الحاج بزو المسؤول السياسي عن حزب الشعب ورأيت أول مرة العلم الوطني⁴.

وعن استدعائه للخدمة العسكرية يقول سالم جيليانو تم استدعائي إلى مكتب التجنيد الإجباري، في البداية كنت معارضا لأداء الخدمة العسكرية، غير أن المسؤول السياسي لحزب الشعب الذي تعرفت عليه سابقا الحاج بزو أفنعي بضرورة التجنيد، لأن الثورة قادمة لا محالة، وهي بحاجة لأمثالي المجندين، ويواصل قائلاً: "قررت الالتحاق بمكتب التجنيد بقسنطينة حيث تلقيت تدريبي

1 - الشاذلي بن جديد، مذكرات الشاذلي بن جديد، ملامح حياة 1929-1979م، ج1، تحرير: عبد العزيز بوباكير، دار القصة، الجزائر، ص 78.

2 - عمر تابليت: مذكرات سالم جيليانو، مصدر سابق، ص 19.

3 - شهادة سالم جيليانو، مصدر سابق.

4 - عمر تابليت: مذكرات سالم جيليانو، مصدر سابق، ص 27-28.

لمدة شهرين ثم عدت إلى عنابة ومنها إلى مرسيليا بحرا ثم إلى ألمانيا، وعينت بها مسؤولاً عن المطبخ برتبة عريف أول¹. في مارس 1952م تم تسريحه من الجيش الفرنسي وعاد إلى عنابة وعندها قرر والده تزويجه من ابنة نجوعة لخميسي وهي من أهل عصفور². توفي سالم جيليانو بمقر سكناه بشعبية سيدي عمار ولاية عنابة يوم 28 سبتمبر 2019م ودفن بها بعد نضال طويل وتاريخ حافل بالبطولات.

3 - اندلاع الثورة وموقف سالم جيليانو منها

يقول سالم جيليانو في مذكراته، أن انطلاق الثورة في 1 نوفمبر 1954م لم يكن مفاجأة، وقد كان عمره آنذاك 24 سنة، وقد أتم تدريبه خلال الخدمة العسكرية، حاملاً الحقد الكبير للمستعمر الفرنسي رغم كونهم أهل من جلده³، وفي نفس السياق نجد يذكر ويقول بأنه وجد الكثير من الجزائريين الذين وصفهم بأهله الجدد وجددهم يعانون بسبب التمييز العنصري، وأن عدة أسباب كانت تدفعه للانتقام منها حب الجهاد والاستشهاد وعنقوان الشباب، ولهذه الأسباب يقول: "قمت بعدد المحاولات للالتحاق بالثورة منها اتصالي بالمناضل والمسؤول السياسي رئيس قسم يدي سالم وجوانو، غير أنه قال لي بأن كل من عمل بالجيش الفرنسي خاصة بإيعاز من حزب الشعب أو حركة انتصار الحريات الديمقراطية سيأتي يوم ويستدعى فيه من طرف الجيش الفرنسي، ومن ثم يمكنه الفرار بسلاحه والثورة بحاجة إلى السلاح"⁴. ويقول كذلك اتصلت

1- شهادة سالم جيليانو، مصدر سابق.

2 - عمر تابليت: مذكرات سالم جيليانو، مصدر سابق، ص 30-31.

3 - شهادة سالم جيليانو، مصدر سابق.

4 - عمر تابليت، مذكرات سالم جيليانو، مصدر سابق، ص 32.

بأحمد باباي وهو مسؤول سياسي يقوم بتجنيد الشباب وطلبت منه الالتحاق بالمجاهدين غير أن رده كان بالرفض كون الأمور في عنابة صعبة طالبا مني التحلي بالصبر¹.

ويواصل قائلا: "بعد عدة محاولات للالتحاق بالثورة الجزائرية، تلقيت استدعاء التعبئة من طرف الفرنسيين في شهر سبتمبر 1955م، فذهبت الى عنابة، والتحقث بئكنة قرب شركة الغاز بوسط مدينة عنابة وبقيت هناك الى أواخر أكتوبر 1955م ثم نقلت الثكنة الى بلاند² مع مجموعة من الشباب قدموا من كل جهات الوطن وهناك تعرفت على العديد منهم، وبسرعة استطعنا تكوين خلايا وكان عميرات رئيس الخلية وقارة نائبه الثاني ثم سلمون محمد، وكان التحضير للفرار من الجيش الفرنسي، وفي نوفمبر 1955م تم الهجوم على بلاندا من طرف فوج المجاهدين بقيادة شويشي العيساني³ فإتفقنا نحن الأربعة على الالتحاق بالثورة، ولكن عند اجتيازنا الطريق بسرعة اعترض طريقنا المسؤول برتبة ملازم من أصول فرنسية ابن قنصل فرنسا بتونس، فطلب مني التوقف وتفسير سبب اندفاعنا فبررنا ذلك بدعوى ملاحقة الفلاحة يقول سالم جيليانو فعدنا خائبين⁴.

ويواصل سالم جيليانو حديثه قائلا وبعد فشل هروبنا كلفت بمهمة الاتصال بمناضلي عنابة قصد الالتحاق بجبهة التحرير الوطني، وطلبت رخصة بحجة مرض الوالدة، فغادرت الى عنابة، لكن لم أجد أحد كي يساعدنا

1 - شهادة سالم جيليانو، مصدر سابق.

2- دائرة بوتلجة ولاية الطارف حاليا.

3 - عمر تابليت، مذكرات سالم جيليانو، مصدر سابق، ص ص 34-35.

4 - المصدر نفسه، ص 35.

على الهروب وبعد انقضاء العطلة عدت الى الثكنة فصدمت بفرار زملائي ولكن سرعان ما أرسل من يساعدي وذلك بعد محاولات شاقة وظروف قاسية¹. التحق سالم جيليانو بالقطاع العملياتي الذي يشرف عليه العيساني فإرتاب منه كثيرا حسب تصريح الشاذلي بن جديد.

يقول الشاذلي بن جديد في مذكراته التحق جيليانو بمجموعتنا شرق بوتلجة، وبعد وصول المجموعة الفارة شرع العيساني في تسجيل أسمائهم ولما وصل الى جيليانو سأله عن اسمه، فأجاب سالم وعن لقبه فرد جيليانو نظر إليه العيساني نظرة غضب وأمر باقتياده لشعبة لذبحه، ولم ينج سالم من هذه الحادثة إلا بتدخل جنود من عناية كانوا يعرفونه، وبعد إدماجه في المجموعة أصبح جيليانو صديق العيساني وشارك معه في أول عملية استهدفت مجرى مياه بوقلاز المار بين بلاندان وبولطان، ثم أصبح مسؤول قسم الشافية والشط الى غاية وصوله لقائد كتيبة الفيلق الرابع التي شاركت في معركة سوق أهراس الكبرى².

4 - مذكرات سالم جيليانو وواقع النشاط العسكري بالقاعدة الشرقية.

أ. الفيالق العسكرية وتسليحها:

يمثل التنظيم العسكري والأسلحة أحد أهم العناصر الأولى التي تقوم عليها الحروب والثورات، وهذا ما جعل قادة الثورة يهتمون به منذ اللحظات الأولى من اندلاعها. فمن أهم التنظيمات التي جاءت بها مقررات الصومام، دعت الى إعادة النظر في تنظيم الجيش وكانت الدعوة الى تشكيل فيالق

1 - شهادة سالم جيليانو، مصدر سابق.

2 - الشاذلي بن جديد: مصدر سابق، ص 78.

عسكرية باعتبارها أكبر الوحدات العسكرية المقاتلة لجيش التحرير الوطني¹. لذا شرعت قيادة القاعدة الشرقية في تطبيق بعض مقررات هذا المؤتمر حيث قسمت هذه الرقعة الجغرافية الى مناطق وشكل في كل منطقة فيلق يتوزع على نواحي وأقسام².

وقد شكل أول فيلق في الشمال 16 أكتوبر 1956م أي قبل ظهور القاعدة الشرقية بصفة رسمية³، حيث يقول سالم جيليانو: "في منطقة تسمى مجردة على الحدود التونسية الجزائرية، وبعد حضور محاسن أنشأ العقيد عمارة العسكري الفيلق الأول للقاعدة الشرقية"⁴. ثم يقول عن تنظيمات وكتائب هذا الفيلق الذي يعتبر أول فيلق أنشأ بالقاعدة الشرقية وبإشراف العقيدة عمار العسكري. تشكل من ثلاث كتائب الأولى بقيادة الشاذلي بن جديد، والثانية بقيادة يوسف بوبير، والثالثة بقيادة عمورة بلقاسم. وكل كتيبة تتألف من ثلاث فرق، وأنا أسندت لي الفرقة الأولى من الكتيبة الثانية التي يرأسها يوسف بوبير، واقتصر نشاطي على أعمال التخريب، التي كانت تستهدف المعمرين في مزارعهم، التي أخليت وتحولت الى ثكنات حوالي 8 مزارع في ضواحي بن مهيدي وفي الجهة الجنوبية تحديدا⁵.

أما عن قائد هذا الفيلق فكان يقوده النقيب شويشي العيساني مع ثلاثة

1 - الطاهر جبلي، دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية 1954-1962م، دار الأمة، الجزائر، 2004م، ص 144.

2 - مديرية المجاهدين، من ملامح القاعدة الشرقية، الأمانة الولائية لمنظمة المجاهدين ولاية عنابة، عنابة، 2000م، ص 121.

3 - الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص 47.

4 - عمر تابلت، مذكرات سالم جيليانو، مصدر سابق، ص 90.

5 - عمر تابلت، مصدر سابق، ص ص 90-91.

نواب بشايرية علاوة وصالح مزوز والحاج خمار¹، وامتد نشاطه من باب البحر أي الحدود التونسية شرقا الى غاية واد سييوس بالقرب من عنابة أي عند خط السكة الحديدية غربا ومن جبال الدير شمالا الى واد الداموس بالقرب من بوحجار جنوبا².

في حين أن الفيلق الرابع تأخر تشكيله الى النصف الأول من سنة 1958 فبعد الانتهاء من عمليتي *précieuse et jumelles*، وبعد أن ظن الفرنسيون أنهم نجحوا في عزل الداخل عن قواعد الإمداد. اتخذ عمارة بوقلاز قرارا بتشكيل الفيلق الرابع وتكليفه بمهام العبور الى الداخل، وكان قائد هذا الفيلق محمد لخضر سيرين يساعده يوسف لطرش نائب عسكري وأحمد درابا نائب سياسي وعلي باباي نائب مكلف بالاستعلامات والأخبار³. وعن تأسيسه يقول سالم جيليانو في مذكراته استدعيت من قبل المسؤول السياسي للفيلق الأول رصاع مزوز، وبذلك انتقلت لمقر الفيلق بعين سلطان على الحدود التونسية وهناك أبلغني بقرار ترقيتي الى رتبة ملازم أول وعينني كمسؤول في كتيبة، وبأن فيلق رابعا بصدد التأسيس وأن هذه الكتيبة ستكون من الكتائب الثلاثة المشكلة لهذا الفيلق الذي سيتولى ظهرة سوق أهراس غربا⁴.

أما عن تسليح الفيلق العسكرية نجد سالم جيليانو يوضح قضية التسليح من خلال ما قاله في مذكراته ولكن دون التعمق في ذكر ذلك، لكونه لم يتناول هذا الموضوع بشكل معمق. إذ يقول جمع عمارة العسكري جنود الفيلق الرابع،

1 - الطاهر سعيداني، مصدر سابق، ص 48.

2 - العياشي علي، "مواجهة العدو في الحدود الشرقية"، مجلة أول نوفمبر، العددان 98-99، الجزائر، نوفمبر-ديسمبر 1988م، ص 36.

3- الشاذلي بن جديد، مصدر سابق، ص 96.

4 - عمر تابليت، مذكرات سالم جيليانو، مصدر سابق، ص 124.

وقال إن أسلحة جديدة هي في طريقها إليكم وبعد مدة لم تطل وصلنا السلاح الذي وعدنا به عمارة العسكري وهذا السلاح من نوع LMC وهو غير معروف عند جيشنا فكان لابد من إجراء تدريبات عسكرية عليه¹. فكان أفراد الفيالق بالقاعدة الشرقية مسلحين بأسلحة أوتوماتيكية ولا نجد بندقية صيد واحدة يحملها جندي من جنود هذه الفيالق العسكرية²، وكل هذا بفضل إنشاء القواعد والمراكز الخلفية على الحدود وداخل تونس لربط الاتصال بالخارج، فتدفقت الأسلحة على القاعدة الشرقية بصفة رسمية ولم يعد السلاح مشكلا³، وبذلك تنوعت نوعية السلاح بين سلاح الأفراد كبنادق ورشاشات وسلاح الدبابات مثل البازوكا والمولوتوف وسلاح مضاد للطائرات مثل رشاش ألماني ومدفع رشاش⁴.

بهذه النوعية من السلاح استطاعت فيالق القاعدة الشرقية قهر العدو الفرنسي، محطة بذلك مراكزه المحصنة ومتحكمة في سير المعارك ما جعل الجيش الفرنسي يكون في حالة فوضى ويأس أرغمته على التفاوض مع جبهة التحرير الممثل الوحيد للشعب الجزائري.

ب. المعارك العسكرية بالقاعدة الشرقية:

- معركة سوق أهراس:

ارتبط العمل الثوري في القاعدة الشرقية بحكم موقعها الجيوستراتيجي

1 - المصدر نفسه، ص 124.

2 - إبراهيم العسكري، العقيد عمارة العسكري بوقلاز قائد القاعدة الشرقية ومؤسسها، الجزائر، 2004م، ص 29.

3 - عمر تابلت، القاعدة الشرقية نشأتها ودورها في الإمداد وحرب الاستنزاف، ط.1، دار الألفية، الجزائر، 2011م، ص.122.

4 - المنظمة الوطنية للمجاهدين، الملتقى الولائي لكتابة تاريخ الثورة تقرير المنطقة الشمالية للقاعدة الشرقية 1958-1962م، ج1، الطارف، سبتمبر 1986م، ص 12.

بفكرة المزاجية بين الدعم اللوجستيكي لتموين الثورة في الداخل بالسلاح والقيام بالمعارك الثورية لضرب القوات الفرنسية المتمركزة على الحدود، حيث استحدثت مراكز ومدارس للتكوين والتدريب، جعلت بذلك المعارك أكثر شراسة، ومن بين هذه المعارك نذكر معركة سوق أهراس. وفي هذا يذكر الصحفي اليوغسلافي زدار فكوبيكار بأن معركة سوق أهراس من أكبر المعارك التي خاضها جيش التحرير بالقاعدة الشرقية لإجتياز خط كوريس 1958م، حيث دامت سبعة أيام من 28 أبريل إلى 3 ماي 1958¹. ويمكن حصر أسبابها في ربط الاتصال بين ولايات الداخل بالحدود، على أساس أن هذه المنطقة تتصل بالولاية الثانية عن طريق الناظور وحمام النبائل وبالولاية الأولى عن طريق سدراتة²، وعن سير المعركة يقول سالم جيليانو في مذكراته تحركت كتائب الفيلق الرابع في اتجاه الجزائر يوم 22 أبريل 1958م، ويضيف قائلاً في جبل بوسسو تحركت الكتائب بينما تخلفت قيادة الفيلق الرابع والكتيبة الرابعة للتموين، وفي الوقت الذي كنا ننتظر حلول الظلام كانت قيادة الفيلق الرابع قد اصطدمت بالقوات الفرنسية³.

يقول سالم جيليانو امتدت المعركة إلى الكاف لعكس وصفاحلي وغيرها من جبال المنطقة وشملت كل الكتائب، ولم ينجح من جنود الفيلق الرابع إلا عددا قليلا وهم حوالي 80 إلى 90 مجاهدا منهم 18 من كتبتي⁴. كانت خسائر الجيش الفرنسي في هذه المعركة جسيمة 462 قتيلاً وأكثر من 100

1- Zdarvko pecor; *Algérie témoignage d'un reporter yougoslave sur la guerre d'Algérie*, Edition, EMAG, Alger, 2009, P 115.

2 - الطاهر جبلي، مرجع سابق، ص 139.

3 - عمر تابليت، مذكرات سالم جيليانو، مصدر سابق، ص ص 129-130.

4 - المصدر نفسه، ص 151.

جريح¹. أما عن خسائر جيش التحرير الوطني استشهد 600 شهيد وجرح 140 لأن جنود جيش التحرير الوطني كانوا يقاتلون من أماكن مكشوفة ضد عدو مدجج بالسلاح². أما حسب ما قاله سالم جيليانو في مذكراته أن عبور الفيلق الرابع في فصل الحرارة كان عبور غير مناسب بسبب ارتفاع الحرارة، إضافة الى السرعة التي تم بها العبور غير مناسبة فبمجرد الانتهاء من تشكيل الفيلق شرع في العبور وأغلب الجيش لا يعرف الجهة³.

- معركة غار الدخرج:

تعتبر معركة غار الدخرج⁴ هي الأخرى ذات أهمية لكون هذه المعركة جرت وقائعها في باطن وفي منطقة سهلية عارية من الأشجار تتبع القاعدة الشرقية⁵. وقعت هذه المعركة في 27 جانفي 1959م وتعود أسبابها الى مغادرة فرقة من جيش التحرير الوطني بقيادة سالم جيليانو مركز بني مزلين في إطار مهمة كلفت بها، وأثناء تنقلها اشتبكت مع العدو وذلك يوم 23 جانفي 1959م وانسحبت الى منطقة الدخرج، هذا الاشتباك أثر على معنويات العدو فانتمت بذلك من المجاهدين، الشيء الذي أدى بأحدهم بعد أن قتل أخاه أمامه إلى الكذب على القوات الفرنسية بادعائه معرفة مكان تمرکز وحدة جيش التحرير، لكي يهرب عن طريق الغار اعتقادا منه أنه خال من المجاهدين⁶.

1- المجاهد، ج1، العدد 24، الخميس 29 ماي 1958م، ص 12.

2- Zdarvko pecor, Opcit, P 139.

3 - عمر تابليت، مذكرات سالم جيليانو، مصدر سابق، ص 154.

4- يقع بالقرب من قرية الناظور التابعة لبلدية بني مزلين ولاية قالمة حاليا.

5- القاعدة الشرقية تضم ولاية الطارف وسوق أهراس وأجزاء من قالمة الآن ظهرت بصفة رسمية بعد مؤتمر الصومام وكان مقرها سوق الأربعاء في التراب التونسي.

6- العياشي علي، "معركة غار الدخرج"، مجلة أول نوفمبر، العدد 52، الجزائر، ص 29.

وبذلك اكتشف العدو المجاهدين ووقعت المعركة، إذ حاصر العدو المجاهدين مستعملا كل وسائل الإبادة¹، وعن ذلك يقول سالم جيليانو في مذكراته: " هذه المعركة حضرها 60 مجاهد بقيادتي حاصرنا العدو داخل الغار وحاول بشتى الوسائل الدخول إلينا، لكن جهوده باءت بالفشل بسبب حصانة المكان والدفاع المستميت للمجاهدين مما أدى بنا الى الخروج من الغار، وقطعنا بذلك واد سيبوس متوجهين الى جبل هواره التابع للولاية الثانية فالتقينا محمد عطايلية، وهو في الطريق بصدد نجدتنا رفقة محمود ولد الرومية"².

ويضيف قائلا مكتنا في جبل هواره حتى حلول الظلام كلفت مجموعة تتكون من 12 جندي بقيادة فيض الرمول، للبحث عن الذين بقوا داخل الغار ووقفوا عند مدخله، فوجده مغلق بواسطة الطوب والإسمنت فقد توفي هؤلاء وعددهم 18 شخصا، هذه المعركة خسرت فيها فرنسا 6 عساكر وكان من بين شهداء جيش التحرير 18 شهيدا ومن جبل هواره اتجهنا الى حمام ولاد علي بنصيحة من محمد عطايلية وهناك التقينا مجاهدين من الولاية الثانية³.

الخاتمة:

نستنتج مما سبق ما يلي:

- للمذكرات الشخصية لها أهمية كبرى في كتابة التاريخ المعاصر، خاصة تاريخ الثورة الجزائرية إذ تعد مصدر في التأريخ لتلك الحقبة خاصة، وأنه

1 - ابراهيم العسكري، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث، الجزائر، 1992م، ص 186.

2 - عمر تابليت، مذكرات سالم جيليانو، مصدر سابق، ص، ص 194، 198.

3 - المصدر نفسه، ص، ص 198، 200.

صدرت العديد من المذكرات الشخصية لقادة عسكريين شاركوا في الثورة وعاشوا أحداثها.

- ساهمت المذكرات في كشف جوانب حياتية عاشها المجاهدون، كما كشفت العديد من الأحداث المحلية المسكوت عنها.

- كشفت مذكرات سالم جيليانو عدة أحداث وحقائق لم تكن معروفة لدى المؤرخين، إذ تطرقت للثورة في منطقة عنابة وما جاورها إضافة الى كيفية التحاقه بالثورة وموقفه منها.

- كشفت مذكرات سالم جيليانو شخصيته التي ظلت مجهولة لدى المؤرخين لعدة سنوات، وحددت موقفه من الثورة ومشاركته في معارك القاعدة الشرقية.

- مذكرات سالم جيليانو كشفت الجانب الخفي في التاريخ العسكري للقاعدة الشرقية، إذ سردت معارك القاعدة الشرقية وكذلك الهيكل التنظيمي لجيش التحرير الوطني بالقاعدة الشرقية من خلال تناولها للفيالق العسكرية التي عرفتها القاعدة الشرقية.

- عاينت مذكرات سالم جيليانو الواقع الثوري للنشاط العسكري للقاعدة الشرقية، حيث كشفت عن عدة معارك ونوعية الأسلحة وحتى التسليح بالقاعدة الشرقية.

وعليه يمكن القول أن مذكرات سالم جيليانو تقيّد كثيرا في البحوث التاريخية خاصة بالنسبة للمهتمين بالتاريخ المحلي، إذ كشفت عن جوانب لا تزال مجهولة.

قائمة المصادر والمراجع:

أ - المصادر باللغة العربية:

1. بن جديد (الشاذلي)، مذكرات الشاذلي بن جديد، تحرير: عبد العزيز بوباكير، الجزء الأول ملامح حياة 1929-1979م، دار القصبية.

2. بوداود (عمر)، من حزب الشعب الجزائري الى جبهة التحرير الوطني مذكرات مناضل، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار القصة، الجزائر، 2007م.
 3. بودوح السبتي، مذكرات المجاهد بودوح السبتي بعض حقائق الثورة المعاشة بإيجابياتها وسلبياتها 1955-1962م، مطبعة قرفي عمار، الجزائر، 2002م.
 4. تابلبيت عمر، مذكرات سالم جيليانو 1930-1962م، دار الألمعية.
 5. حربي (محمد)، حياة تحدي وصمود مذكرات سياسية 1945-1962م، دار القصة، الجزائر، 2004م.
 6. سعيداني (الطاهر)، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، دار الأمة، الجزائر، 2010م.
- ب - المصادر باللغة الأجنبية:

1. Pecor Zdarvko ; Algérie témonignage d'un reporter yougoslave sur la guerre d'Algérie, Edition, EMAG, Alger, 2009.

د - المراجع باللغة العربية:

2. إحدادن (زهير)، شخصيات ومواقف تاريخية، منشورات دحلب، الجزائر، 2012م.
3. تابلبيت عمر، القاعدة الشرقية نشأتها ودورها في الإمداد وحرب الاستنزاف، الطبعة الأولى، دار الألمعية، الجزائر، 2011م.
4. جبلي (الطاهر)، دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية 1954-1962م، دار الأمة، الجزائر، 2004م.
5. العسكري (إبراهيم)، العقيد عمارة العسكري بوقلاز قائد القاعدة الشرقية ومؤسسها، الجزائر، 2004م.
6. العسكري (إبراهيم)، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث، الجزائر، 1992م.
7. عمارة (علاوة) وآخرون، نصف قرن من البحث العلمي بالجامعة الجزائرية 1962-2012م، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2013م.
8. ياغي (إسماعيل) أحمد، مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة الكعبيبات، الرياض، 1999م.

هـ - المراجع باللغة الفرنسية:

1. Stora Benjamin, la guerre des mémoires, la France face a son passé colonial, paris l'Aube , 2012.

و - المجلات والدوريات:

1. ثيو (نور الدين)، "الذاكرة والشهادة في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962م الثورة التحريرية في التاريخ الراهن"، مجلة سطور، العدد الثاني، جويلية 2015.
2. علي (العايشي)، "مجابهة العدو في الحدود الشرقية"، مجلة أول نوفمبر، العددان 98-99، الجزائر، نوفمبر-ديسمبر 1988م.

3. علي (العايشي)، "معركة غار الدخرج"، مجلة أول نوفمبر، العدد 52، الجزائر.
4. مديرية المجاهدين، من ملامح القاعدة الشرقية، الأمانة الولائية لمنظمة المجاهدين ولاية عنابة، عنابة، 2000م.

ف - الجرائد:

1. جريدة المجاهد نصف الشهر العسكري، الجزء الأول، العدد 24، الخميس 29 ماي 1958م.

س - الندوات والملتقيات:

1. بوسليم (صالح)، "استخدام الرواية الشفوية كمصدر لتاريخ الثورة التحريرية الجزائرية"، ملتقى حول المقاربات الأكاديمية في جمع الشهادات الحية متحف المجاهد، بسكرة، 11-12/12/2014م.
2. المنظمة الوطنية للمجاهدين: الملتقى الولائي لكتابة تاريخ الثورة تقرير المنطقة الشمالية للقاعدة الشرقية 1958-1962م، الجزء الأول، الطارف، سبتمبر 1986م.

ي - الشهادات الشفوية:

1. شهادة سالم جيليانو، المتحف الوطني للمجاهد الطارف.

الثورة الجزائرية من خلال كتاب الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير

1962 – 1954

كهد/ براهيم نصيرة

جامعة محمد خيضر بسكرة

brahmitebessa@yahoo.fr

الملخص:

أدت السياسة الاستعمارية القمعية إلى لجوء الجزائريين القاطنين بالمناطق الحدودية إلى تونس والمغرب، فارين بأنفسهم تاركين أموالهم وأراضيهم، ساءت أوضاعهم عانوا الفقر والجوع والمرض وارتفاع نسبة الوفيات فأسست الثورة الهلال الأحمر الجزائري، والذي بذل قصارى جهده لإيصال معاناتهم إلى الصليب الأحمر الدولي ومنظمات إنسانية أخرى. فعملوا على توجيه نداءات وطلب إغاثة الجزائريين كان نتيجتها الحصول على مساعدات نقدية وعينية عدة مرات.

نظرا لأهمية الصحة في النشاط العسكري ومدى تأثيرها على الاستمرارية عملت الثورة على إنشاء جهاز صحي يقوم بعلاج جرحى جيش التحرير الوطني والمدنيين، طورته، ودعمته بتكوين المرضين وإنشاء هيئات صحية على الحدود الشرقية والغربية. حاولت الثورة احترام الاتفاقيات الإنسانية الدولية منها اتفاقية جنيف لأسرى الحرب، وفي الكثير من المناسبات أطلقت سراح الأسرى وذلك للجانب الإنساني الذي تمثله قضيتها، لكن فرنسا كعادتها لا تستطيع أن تتخلى عن العنجهية والغطرسة فشغلت في الكثير من الاوقات المقصلة، فعملت قيادة الثورة على فضح هذه الاعمال أمام الرأي العام الدولي.

مقدمة

من أهداف الثورة الجزائرية القضاء على الاستعمار، وإنهاء العبودية ووضع حد للذل والخنوع، تطلعت إلى افتكاك السيادة الوطنية المغتصبة، واسترداد الجزائريين حريتهم، لسمو هذه الغايات والأهداف ضحى الجزائريون بالنفس

والنفيس، تحدوا جميع الإستراتيجيات الفرنسية العسكرية والسياسية، الاجتماعية وكذا جميع أساليب القمع والحرب النفسية.

ولقوة هذه الثورة فقد أخلطت منذ البداية أوراق الحكومات الفرنسية وجعلتها تتساقط الواحدة تلوى الأخرى، عجلت بسقوط الجمهورية الرابعة وقيام الخامسة بعد تمرد الجنرالات في ماي 1958، وقدم شارل ديغول واعتلائه سدة الحكم، والرهان عليه لتصفية الثورة والمحافظة على الجزائر كقطعة فرنسية ومنه استمرار النظام الاستعماري.

أدلى الكثير بدلوه في الكتابة عن هذه الثورة، وتناولتها أعداد الصحافة، وأقلام الكتاب العسكريين الفرنسيين في مذكراتهم والأدباء والشعراء وعلماء الاجتماع والمؤرخون، وكذا المجاهدون والمناضلون، وكانت أولى الكتابات بأقلام الفرنسيين سواء كمتخصصين في التاريخ، أو كمسليحين، أو كإداريين من خلال مذكراتهم مثل John Callet في كتابه *Hiver à Tébessa* المنشور سنة 1959 و Serge Bromberger في كتابه المنشور سنة 1958 الموسوم بـ *Les rebelles Algériens*، والملاحظ على الكتابات الفرنسية أنها حصرت المعالجة في التطرق إلى النشاط السياسي والعسكري للثورة، وكذا الصراعات السياسية بين أجنحة الثورة.

كما أنجزت بعض الكتابات المحلية، وأخرى لكتاب ومؤرخين من الدول العربية الشقيقة، غطت الثورة في زوايا مختلفة، من الكتابات المحلية نذكر الدراسة التي أنجزها فاروق بن عطية الموسومة بـ الأعمال الانسانية أثناء حرب التحرير 1954 - 1962، وهو من خريجي التعليم الفرنسي بالجزائر، أول دكتور من الدرجة الثالثة في علم الاجتماع، تحصل على دبلوم الدراسات العليا من جامعة الصربون.

يعتبر هذا الكتاب من أولى الكتابات التي تناولت قضية اللاجئين الجزائريين في المغرب وتونس، هذه الشريحة التي ظهرت بسبب السياسة القمعية الجزرية الفرنسية أهمها إنشاء المناطق المحرمة والمحتشدات، قانون الطوارئ، وتهجير الجزائريين من أراضيهم وحرمانهم من ممتلكاتهم. فرت جحافل اللاجئين تاركة أموالها وممتلكاتها واتجهت نحو تونس والمغرب، عانى هؤلاء حياة الضيم والحرمان والفقر والجوع والأمراض والوفيات خاصة بالنسبة للأطفال، مما أدى بقيادة الثورة إلى التصرف سريعا، وتشكيل الهلال الأحمر الجزائري، والذي بواسطته تم التحرك خارجيا وإيصال معاناة اللاجئين الجزائريين إلى الصليب الأحمر الدولي، وكذا إلى الرأي العام الدولي وبالتالي توجيه نداءات والحصول على مساعدات.

هذه الدراسة صاحبها تقلد منصب مدير المدرسة الوطنية للإدارة 1967-1970، اعتمد على مجموعة من الوثائق الأرشيفية ومجموعة من الكتابات باللغة الأجنبية لجزائريين وفرنسيين منها (en Algérie histoire de la santé pour l'Algérie) لأمير محمد، و (les maquis de la liberté) لـ Barrat Robert، و (le croissant et la croix gammée) لـ Faligot Roger و kauffer Remi وكذا على مجموعة من أعداد جريدة المجاهد، سنحاول في هذه المقالة التطرق إلى أهم المحاور التي عالجه المؤلف وكذا الاجابة على الأسئلة التالية:

1- من حقوق الانسان سواء كان مدني أو عسكري الكشف الطبي والاسعاف والعلاج فهل امتلكت الثورة جهاز صحي؟ وكيف كانت معالمه؟

2- أثرت السياسة الجهنمية الفرنسية على حياة المدنيين بالمناطق الحدودية

ففروا إلى المغرب وتونس أين عاشوا معاناة حقيقية؟ كيف عالجت الثورة هذه الأزمة الإنسانية وهل نجحت في ذلك؟

3- ما هو موقف الثورة من اتفاقية جنيف للأسرى؟

سنحاول الاجابة على هذه الاشكاليات بالاعتماد على المنهج التاريخي التحليلي وكذا على مجموعة من المصادر منها العام الخامس للثورة لفرانس فانون، مذكرات علي كافي، مذكرات الطاهر الزبيري، ملحمة الجزائر الجديدة لعمار قليل، (voyez nos armes voyez nos medecins) لجمال الدين بن سالم، الأعداد 19، 20، 29 من جريدة المجاهد لسنة 1958، العديدين 36، 55 لسنة 1959، العدد 15940 من جريدة (La dépêche de Constantine) وثيقة أرشيفية من أرشيف قسنطينة، شهادات حية لمجاهدي ولاية أوراس النمامشة محمد العربي براهيم، لسود مسعي، أحمد حفظ الله، حمه هنين. عنوان الكتاب الأعمال الانسانية أثناء حرب التحرير 1954-1962، نسخة مترجمة، هو كتاب من سلسلة المترجمات لمؤلفه فاروق بن عطية، ترجمة كابوية عبد الرحمان، سالم محمد، منشورات دحلب، يقع في 325 صفحة، غلاف ملون باللون الأبيض والأخضر مرسوم عليه هلال ملون بالأحمر، تقديم سعد دحلب، تصدير مصطفى مكاسي. استهل المؤلف الدراسة بتمهيد ثم مقدمة، وقسم موضوعه إلى ثلاثة محاور عنونها كالاتي بوادر الحرب، النشاط الانساني للثورة الجزائرية، النشاط الخارجي لجبهة التحرير الوطني ثم اختتمت الدراسة بخلاصة، وذيلت بمجموعة ملاحق وببيليوغرافية والتي في مجملها مراجع باللغة الأجنبية لجزائريين وأجانب.

تكلم في المحور الأول الموسوم ببوادر الحرب عن تكون جيش التحرير

الوطني من قداماء المحاربين الذين شاركوا في حرب فرنسا¹، كما تكون من المطاردين من السلطات الاستعمارية²، تركزت الثورة في الجبال والمناطق الريفية ولقد ألحقت العمليات العسكرية التي قام بها المجاهدون خسائر فادحة بالمصالح الاستعمارية، وكان رد فعل السلطات الفرنسية بالتكثيف من النشاط العسكري، قنبلة القرى والمداشر، حرق الجبال، تهجير السكان، التعذيب، انتهاك الحرمات، وبعد مضي سنة من انطلاق الثورة ازداد عدد المجندين في صفوف جيش التحرير الوطني³.

أولا: الجهاز الصحي للثورة:

ذكر المؤلف أنه منذ سنة 1955 اهتمت الثورة بأعمال الصحة، فكونت لجان صحة عبر كامل التراب الوطني ثم بالمغرب وتونس، وأن كل منطقة نظمت هذا الجهاز حسب مواردها وكان طبيب الثورة وممرضها يعالج المجاهدين الجرحى وكذا المدنيين، وأنه تم استخدام آلات بسيطة جدا وفي ظل غياب الأدوية والوسائل تم أحيانا اللجوء إلى البتر دون مخدر وبمنشار بسيط⁴، ولقد ذكر حمود شايد في مذكراته أن الثورة استفادت من خدمات الأطباء الجزائريين الخواص، أو حتى العاملون بالمستشفيات الاستعمارية⁵، في حين

1 - فاروق بن عطية، الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير 1954-1962، تر: كابوية عبد الرحمان، سالم محمد، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص 25.

2 - عمار جرمان، من حقائق جهادنا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع (عين مليلة، الجزائر)، 2009، ص 40.

3 - فاروق بن عطية، المرجع السابق، ص ص 25-26.

4 - المرجع نفسه، ص 59.

5 - حمود شايد، دون حقد ولا تعصب صفحات من تاريخ الجزائر المحاربة، الجزائر، منشورات دحلب، ص 297.

ذكر فرانس فانون أن الثورة في إطار إستراتيجية عزل الإدارة الفرنسية منعت الجزائريين من التوجه نحو مكاتبها ومصالحها، وكذا منعت عليهم الاستفادة من خدماتها، فكان لزاما عليها أن تنشئ مصالح صحية بديلة، وعلى ذلك وجهت نداءها إلى الأطباء والمرضين وطلبة الطب للالتحاق بالجمال¹.

من أهم المصالح العسكرية بالحدود الغربية مصلحة وجدة، والتي تكفل إطارها البشري بعلاج جنود جيش التحرير الوطني وكذا بتكوين مرضين، خاصة بعد النقص الذي برز عمليا سنة 1957 نظرا لازدياد عدد الجرحى²، ذكر علي كافي أنه تم تكوين الجندي الصيدلي بولاية الشمال القسنطيني من مهامه جمع الادوية، تخزينها وكذا صرفها³، كما تم إنشاء مصالح صحية بتونس وقد أوكل الجهاز الصحي بها للدكتور محمد الصغير نقاش⁴، وذكر الطبيب بن سالم أن مستشفى سوسة كان يرقد به جنود جيش التحرير الوطني، الذين هم في فترة نقاهة وكان به أزيد من 30 سريرا⁵، وحسب مذكرات الطاهر الزبيري فقد عولج في المستشفى الإيطالي بتونس أثناء إصابته سنة 1958، حيث عكف على علاجه الطبيب فرانس فانون⁶، أشرف على المصالح الصحية

1- فرانس فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2004، ص 152.

2- فاروق بن عطية، المرجع السابق، ص 59.

3- علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي الى القائد العسكري 1946-1962، دار القصبية، الجزائر، 2011، ص 206.

4- فاروق بن عطية: المرجع السابق، ص 60.

5 - Ben Salem Djamel Eddine : **voyez nos armes voyez nos médecins**, ENL, Alger, 1985, p p 18-19.

6- الطاهر الزبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929-1962، منشورات ENAP، الجزائر، 2008، ص 205.

بالمغرب الدكتور تيجاني هدام، ذكر المؤلف الدعم الذي قدمه الأطباء الجزائريين أو حتى المغاربة بالمغرب وأن ودادية الجزائريين هناك قد تبرعت ماليا واقتنت الأدوية وأنه من المشاكل العويصة فرض الرقابة على صرف الأدوية والمعدات الطبية .

كما وظف المؤلف الرواية الشفوية في دراسته، من خلال اعتماده على استجواب الطبيب ماكاسي مصطفى أحد مسؤولي المصالح الصحية بالمغرب، والذي ذكر أن هناك بعض الأطباء الأجانب التحقوا بالثورة، وأن المصالح الصحية دعمها المدنيون، كما دعمتها بعض الدول كتونس والمغرب، ومثال على ذلك تزويد السكان المغاربة للطبيب سعيد عبد الدايم، وهو جراح أسنان بالمستلزمات الطبية وأن الطبيب بوشاقور مسؤول مركز لاراش قد خصص يومين في الأسبوع لعلاج المغاربة، كما ذكر أنه تم دعم بعض المغاربة المعوزين ببعض التموين، الذي كان يمنح للاجئين الجزائريين بالمغرب، فضلا عن المركز الصحي الجزائري بالرباط، والذي كان يقدم خدمات طبية للمدنيين، بالإضافة إلى المصالح المتنقلة عبر المزارع .

كما اعتمد المؤلف على الشهادة الحية للممرض أحمد من الولاية الرابعة، المنطقة الاولى، الناحية الثالثة (بئر غبالو، تابلاط، عين بسام) وهو من مواليد 1940 له شهادة في الصيدلة من مدرسة خاصة، عين في ماي 1960 كممرض في نواحي ريفاي، ذكر هذا الممرض أنه من خلال اتصالاته بممرض ناحية زغارة المدعو غانم الجبالي، تكون في الاجراءات المستعجلة وذكر أن من بين الأدوية المستعملة لديهم داکان، مارکور کروم، مضادات حيوية، الأدوية ضد التعفن، الكالسيوم، حقن B 12 والمهدئات.

حُفرت مستشفيات الثورة تحت الأرض، وكل مستشفى به فوهة للتهوية،

ويتسع إلى 10 مرضى، ذكر هذا الممرض علاجه لأحد المجاهدين لمدة 7 أشهر نتيجة حالته الصعبة جدا وجروحه الغائرة إلى درجة تعفنها بالديدان وأنه فقد إحدى عينيه وبعد الاستقلال أعتبر معطوبا %100¹.

ثانيا: الهلال الأحمر الجزائري:

ربط المؤلف بين ازدياد الآلة القمعية الفرنسية وبين لجوء الجزائريين إلى تونس والمغرب²، يذكر المجاهد أحمد حفظ الله من الولاية الأولى أن كشف السلطات الفرنسية لأمر العائلات التي نشط أبنائها في جمع وتدبير التموين للثورة، أدى إلى فرار تلك العائلات من نار الجيش الفرنسي³ ومثال على ذلك هروب عائلة عبد المجيد هنين والذي كان بيته مركزا للمجاهدين بعد مهاجمة وحدات الجيش الفرنسي له في خريف 1957 لاجئة إلى فريانة بتونس⁴، وساءت أوضاع هؤلاء الذين فروا بحياتهم تاركين ديارهم وممتلكاتهم لذلك ارتأت الثورة تأسيس الهلال الأحمر الجزائري لإيصال قضيتهم للرأي العام الدولي وبالتالي الحصول على إمدادات ومساعدات دولية.

ولقد اتصل السيد شنقريحة (سي عبد القادر) بالدكتور بن سماين والذي بدوره استعان بالصيدلي مراد عبد الله في إعداد مشاريع قوانين كما حرروا تقرير عنوانه "منظمة الهلال الأحمر الجزائري"، وإرسال هذه المدونات إلى قيادة الولاية الخامسة في منتصف أكتوبر 1956 وقد صادقت لجنة التنسيق والتنفيذ

1- فاروق بن عطية: المرجع السابق، ص ص 60-64.

2- المرجع نفسه، ص 64.

3- شهادة أحمد حفظ الله، مقابلة شخصية بتاريخ 16 مارس 2015 بمنظمة المجاهدين لولاية تبسة.

4- شهادة حمه هنين، مقابلة شخصية بتاريخ 23 ديسمبر 2014، بمقر جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة بتبسة.

يوم 11/12/1956 على إنشاء الهلال الأحمر الجزائري والذي تنص لوائحه على:

1- انعدام رئاسة شرفية.

2- تكوين اللجنة يقتصر على الجزائريين فقط.

3- استقالة هذه اللجنة عند استرجاع السيادة الوطنية.

4- أن تكون هذه اللجنة عمومية وقد صودق على اللجنة المعنية في طنجة يوم 29/12/1956 برئاسة بوكلي حسين.

تم إيداع قوانين الهلال الأحمر بطنجة يوم 8 جانفي 1957 كما أعلنت الاذاعة والصحافة المكتوبة عن نشأته.

وبمجرد تأسيس الهلال الأحمر وجه نداء إلى الخارج لطلب المساعدات، وسرعان ما كللت هذه المساعي بالنجاح كما اتصلت اللجنة العالمية للصليب الأحمر بالهلال الأحمر الجزائري لبحث قضية الاعتراف به فعليا، تم تغيير مقر الهلال الأحمر إلى تونس، وأجرى أولى جلساته التشيينية في 25/09/1957، وقد تشكل مكتب الهلال من:

الرئيس: الأستاذ بوكلي حسن عمر

نائب الرئيس الأول: المحامي بن بأحمد مكلف بمندوبية الهلال الأحمر

في الشرق الأوسط

نائب الرئيس الثاني: بوقرموح مولود

الأمين العام: الدكتور ماكاسي مصطفى

أمين النائب الأول: الدكتور أوهيبي جلول

أمين المال: بلول أكلي

أمين المال النائب الأول: ميدون قندوز محمد

أمين المال النائب الثاني: براشمي مفتاح جيلالي

الأعضاء المساعدون: الدكتور بن تامي جيلالي، الدكتور هدام عبد السلام، الدكتور عبد الوهاب بشير، عباس التركي، المحامي فتوي بن يخلف حبيب، أسعد إيساد، بن حاجي زوييدة، السيدة شنتوف، الدكتور هدام تيجاني¹.

ثالثا: اللاجئون الجزائريون في المغرب وتونس:

لشدة القمع الفرنسي للجزائريين بدأت قوافل اللاجئين ترحل إلى الحدود الغربية والشرقية منذ 1955، 1956، بلغ عدد اللاجئين سنة 1956 أربعين ألف ليصل في خريف 1957 مئة ألف بسبب العمليات العسكرية والمناطق المحرمة²، تذكر الصحافة الاستعمارية أنه في شهر ماي 1957 تمكن ألفان من القاطنين بالحدود الشرقية من الفرار من متابعة الإدارة الفرنسية والدخول إلى الأراضي التونسية وقد شكل هذا موضوعا دسما للإعلام، ولقد انطلقت طائرة الصحفيين الأجانب يوم 28 ماي 1957 برعاية سكرتير الدولة الفرنسية، تمركزت بسوق العربة لمتابعة هؤلاء الفارين¹.

وارتفع عدد الفارين في خريف 1958 إلى 180 ألف نساء ورجالا شيوخا وأطفالا فروا من قراهم وأريافهم القريبة من الحدود إلى كل من تونس والمغرب، أولى الأعداد اللاجئة للمغرب فرت في مارس 1956 إثر هجوم جيش التحرير الوطني على مركز صابنة وغنمه للأسلحة والذخيرة، لحقتها دفعة أعداد من المدنيين اللادين بأرواحهم على إثر تمشيط وحدات الجيش الفرنسي لموقع بني سنوس جنوب شرق وجدة في ضواحي قرية بني زيداز،

1- فاروق بن عطية: المرجع السابق، ص ص 65-66.

2- المرجع نفسه، ص 71.

ولقد استقبلت الحكومة المغربية هؤلاء الفارين، كما عمل السكان على دعمهم². بسبب تزايد فرار الجزائريين إلى تونس والمغرب، هذان البلدان حديثا الاستقلال، والذي استتفز الاستعمار الفرنسي مختلف أنواع ثرواتهم، كانوا بالكاد يحاولان استيعاب مشاكلهما الداخلية، لذلك عاش اللاجئون مأساة حقيقية البرد والحر والجوع والأمراض، ولقد بلغت هذه المعاناة إلى الدول عبر الهلال الأحمر الجزائري، مما أدى إلى حصول اللاجئين على إعانات مختلفة، تأسست عدة لجان محلية للمساعدة وطلب الاغاثة وسعى الدكتور بن تامي، ممثل الهلال الأحمر في جنيف بمساعدة أصدقاء الجزائر إلى حث المنظمات الإنسانية على تقديم المدد للاجئين الجزائريين .

عانى اللاجئون المجاعة والأمراض ورغم ذلك ظلوا محافظين على أنفتهم وكبريائهم ولقد دعى الهلال الاحمر الجزائري الصحافة العالمية للاطلاع على الاوضاع المزرية والتي بدورها لفتت انتباه العالم مما أدى ببعض المنظمات الانسانية إلى توفير بعض المساعدات، ولقد أثبت الهلال الاحمر الجزائري وجوده في كل مكان وانتهز كل الفرص لإيصال معاناة الجزائريين³.

وحسب تقرير لجهة التحرير الوطني لصيف 1957 فإن عدد اللاجئين قدر في وجدة بـ 6386، بوبكر 17053 أحفير 16400، سعيدة 2652، برغنت 2583، فيقيق وبوعرفة 2277، بركان 2583، ليصل المجموع إلى 49974 وارتفع بعد سنة إلى 60000 لاجئ، وبما أنه لم يتم إجراء إحصائيات جادة في كامل المغرب لذلك احتمال الوصول الرقم إلى 70000 و 80000، ولقد تدخلت رئيسة المكتب المركزي للتعاون المغربي بالتعاون مع وزارة الصحة

2- فاروق بن عطية، المرجع السابق، ص ص 71-73.

3- المرجع نفسه.

المغربية وسلطات وجدة لدى المدير العام للصليب الأحمر للحصول على الإغاثات¹، وعموما فإنه لا يمكن الوصول إلى أرقام دقيقة بسبب استمرار حركة لجوئهم طوال سنوات الثورة، وهناك مجموعات لم تقم بالمراكز والملاجئ، فضلا عن حالات الوفيات².

وكانت تونس أولى المستقبلين للاجئين نظرا للاستراتيجية العسكرية التي اعتمدها فرنسا في المناطق الشرقية، لاسيما في مرسط وتبسة بسبب قوة النشاط العسكري لجيش التحرير الوطني، وازدادت أعدادهم سنة 1957 بعد إقامة خط الموت سد موريس، وتحويل المساحة من 30 إلى 50 كلم منطقة محرمة، وسجلت الاحصائيات أن عددهم بلغ 100.000 نسمة في أكتوبر 1957 وارتفع بعد سنة بالضبط إلى 130 ألف لاجئ، منتشرين عبر الحدود وبالمناطق الداخلية، اعترفت السلطات التونسية بوجود 80 ألف لاجئ وهذا ما خلق صعوبات تتعلق بتوزيع المساعدات التي كانت تقدم حسب العدد المعترف به من طرفها ومن طرف الهلال الأحمر التونسي³، هناك بعض المصادر التي ذكرت أهم ملاجئ اللاجئين بتونس منها ملجأ جلما، ملجأ غابة عين الدالية⁴، وكذا ملجأ عين خمودة⁵، وارتبطت زيادة اللاجئين بامتداد رقعة القتال وسياسة فرنسا في مواجهة ذلك وهذه الزيادة أدت الى تأزم أوضاع اللاجئين خاصة سنة 1958 و1959، وإذا كان لاجئوا المناطق الشرقية والغربية انتشروا عبر

1- المرجع نفسه، ص 74.

2- جريدة المجاهد، "مأساة اللاجئين فضيحة الإنسانية"، عدد55، 16 نوفمبر 1959، ص 10.

3- فاروق بن عطية، المرجع السابق، ص 75.

4- جريدة المجاهد، عدد55، المصدر السابق، ص 08.

5- جريدة المجاهد، "اللاجئون في عين خمودة يفضحون فرنسا أمام الرأي العام العالمي"، عدد 20، 15

مارس 1958، ص 08.

الحدود فإن القادمون من مدينة الجزائر استقروا بالعاصمة التونسية، وبما أن التونسيين وحدهم المكلفين بتوزيع المساعدات فإنهم عجزوا عن توزيع عقلائي لصالح اللاجئين عبر نقاط توزيعهم، لذلك طلب الهلال الأحمر الجزائري من الصليب الأحمر مد يد العون للهلال الأحمر التونسي لتسهيل توزيع الامدادات. ولتدارك النقائص أنشئت لجننتين خاصتين مقر الأولى بتونس العاصمة ومقر الثانية بوجدة تخضع كل منهما لمندوب لجنة التنسيق والتنفيذ المكلف باللاجئين، تتشكل كل لجنة من خمسة أعضاء: طبيب عضو من الهلال الأحمر الجزائري، تقني مكلف بالإحصاء وبتنظيم المساعدات، عضو مكلف بالعلاقات والتبرعات، عضو مكلف بالمسائل الثقافية، ومرشد.

ذكر المؤلف أن المجهودات التي قام بها الهلال الأحمر الجزائري واتصالاته مع البلدان الشقيقة والصديقة، أجبرت الصليب الأحمر على اتخاذ موقف، فوجه في النهاية عدة نداءات بالاشتراك مع رابطة جمعيات الصليب الأحمر، في ديسمبر 1957 ومارس 1958 لصالح اللاجئين الجزائريين في تونس والمغرب، استجاب للنداء 42 بلد وبلغت قيمة المساعدات 7.227.723 فرنك سويسري¹.

استعمل الهلال الأحمر الجزائري كل الوسائل لإبلاغ معاناة اللاجئين الجزائريين، ومثال ذلك إرساله وفد إلى ألمانيا الشرقية في سبتمبر 1957 حيث اتصل بالصليب الأحمر الألماني، فوجه نداء إلى جمعيات أوروبا الشرقية، كما حصل الهلال الأحمر الجزائري على مشاركته في نيودلهي وقد نسق مع الهلال الأحمر التونسي والهلال الأحمر المغربي.

1- فاروق بن عطية: المرجع السابق، ص ص 76-77، ص 79.

تم توجيه نداء للعالم بطلب الاغاثات وبالتنسيق بين الهلال الأحمر الجزائري ونظيره المغربي والتونسي ورابطة جمعيات الصليب الأحمر وديوان المحافظة العليا للأمم المتحدة للاجئين، لقي النداء استجابة وأرسلت التبرعات العينية والنقدية من مختلف الدول بواسطة رابطة الصليب الأحمر والأهلة الحمراء الى اللاجئين الجزائريين.

وضع المؤلف جدولا حصر فيه المساعدات المالية التي قدمت سنتي 1958، 1959 من الولايات المتحدة الامريكية، كندا، السويد، سويسرا، العراق، مع تحليل لبعض الأرقام وأشار إلى أن هناك تحيز فالإمدادات الممنوحة للمجر في ظرف 6 أشهر أضعاف ما تحصلت عليه الجزائر خلال أربع سنوات. أرسلت بعض الدول القمح الى اللاجئين سنة 1959 منها الولايات المتحدة الامريكية، التي كانت ترسل 2700 طن شهريا² ولقد علقت جريدة المجاهد على المساعدات المقدمة سنة 1958 بقولها: "كان بودنا أن تمسك أمريكا عن تمويل الحرب الجزائرية وتغذيتها بالذخيرة الحربية وبالطائرات حتى لا يكون الجزائريون مضطرين إلى مهاجرة ديارهم وأراضيهم ومحتاجين إلى قمحها وجبنها ولبنها المصبر"³.

للإشارة فإنه بعد مؤتمر نيودلهي وتدخل اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وصلت إمدادات مختلفة نقدية وعينية إلى اللاجئين⁴، لم يتطرق المؤلف إلى مساهمة اللاجئين في الثورة، وبالمقابل هناك مصادر تثبت هذا الامر فيذكر المجاهد عمار قليل أن شباب اللاجئين شكلوا مصدرا لدعم الثورة

2- المرجع نفسه، ص ص 81-82، ص 87.

3- جريدة المجاهد، "صف الشهر السياسي"، العدد 29، 17 سبتمبر 1958، ص 02.

4- فاروق بن عطية، المرجع السابق، ص 87.

بالرجال من خلال تجنيدهم في صفوفها¹، بالإضافة إلى نشاطهم في نقل المعلومات والسلاح، ومن هؤلاء نذكر أحمد بن التومي²، وقدر قواسمية³. تطرق المؤلف إلى أسرى الحرب وإلى اتفاقية جنيف، كما ذكر أن جبهة التحرير الوطني عملت على إجبار فرنسا على احترام بنود هذه الاتفاقية، وأن فرنسا بذلت كل الجهود لإفشال العلاقات بين الهلال الأحمر الجزائري واللجنة الدولية للصليب الأحمر، وأنها كانت تمنع مندوبي هذه اللجنة من زيارة الأسرى متذرة بأنهم أُسروا في تونس.

وكانت جريدة المجاهد قد نشرت في ماي 1958 مقالة قائلة فيها ليكن في علم الرأي العام الفرنسي أنه منذ غد كلما يصعد جزائري للمقصلة يعدم أسير فرنسي، كما صرحت لجنة التنسيق والتنفيذ أنها تؤجل كل الإعدامات اللاحقة بشرط المعاملة بالمثل ولعل هذا النداء بالإضافة إلى سعي اللجنة الدولية للصليب الأحمر قد كان له أثر إيجابي لأن الإعدامات توقفت من جوان 1958 إلى أكتوبر 1959.

وكان تحرير الثورة للأسرى في عدة مرات 20 أكتوبر 1958، 3 ديسمبر 1958 و 20 فيفري 1959 قد أعطى لها الصبغة الإنسانية، بالمقابل كان توقيف إعدام الأسرى الجزائريين مؤقت لأن فرنسا ما فتئت أن عادت إلى تشغيل المقصلة منذ أكتوبر 1959، وأدى ذلك إلى استفزاز الثورة والتي بدورها احترمت حكم الإعدام الذي أصدرته المحكمة العسكرية فقامت بإعدام الجنديين الفرنسيين Legall و Castero، ثم إعدامات أخرى تطبيقاً لمبدأ المعاملة بالمثل

1- عمار قليل، "ملحمة الجزائر الجديدة"، ج 03، دار العثمانية، الجزائر، 2013، ص 33.

2- أحمد حفظ الله، المصدر السابق.

3- شهادة لسود مسعي، مقابلة شخصية بتاريخ، 2015/04/25، ببينة بتبسة.

لذلك حذرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر الحكومة المؤقتة لاختراقها لنصوص اتفاقية جنيف. كما تطرق المؤلف إلى إطلاق سراح الأسرى للطرفين بعد اتفاقيات إيفيان ووقف إطلاق النار في 19 مارس 1962، ووضع جدولين وضح فيهما جنود الليف الأجنبي الذين أطلقت الثورة سراحهم في تونس والمغرب.

عمل المؤلف على تحليل تقارير لجنة الصليب الأحمر الدولي لسنة 1960 فيما يخص معسكرات الاعتقال، ومراكز العبور والفرار والسجون، تطرق إلى السجون وعدد السجناء ومراكز الاعتقال في فرنسا منها مركز مورملان، مركز لارزاك وعن السجون بفرنسا وظروف الحبس فيها والتي كانت تفتقر إلى أدنى الشروط⁴.

تطرق المؤلف إلى مراكز التجميع، والتي حشد فيها آلاف المدنيين بعد تهجيرهم من ديارهم وأراضيهم وكانت هذه المراكز ملحقة بالمراكز العسكرية وقد بلغ عدد الذين تم حشدهم مليون سنة 1959 وتقريبا مليونين سنة 1962، وكانت أولى التجميعات في منطقة الأوراس باعتبارها مهد الثورة فهجر السكان وتم دفعهم إلى المحتشدات وتحويل أراضيهم إلى مناطق محرمة يحترق فيها كل شيء تدب فيه الحركة¹، وصفت بعض المصادر أن المحتشد مكان يتم تسيجه بالأسلاك الشائكة، تنصب به خيم السكان التي يجلبونها معهم، وقد تمنح لهم من طرف الجيش الفرنسي، يكون بمحاذاة المصالح الإدارية المتخصصة أو مركز أو مخيم للجيش الفرنسي، يعد ضابط لاصاص قوائم

4- فاروق بن عطية، المرجع السابق، ص ص 98-101، ص ص 105-106، ص ص 122 -

.125

1- المرجع نفسه: ص 128.

إحصائية للعائلات وأسماء وتعداد أفرادها وعن طريق هذه الإحصائيات تعلم السلطات الاستعمارية بالعائلات التي التحق أبناؤها بصفوف الثورة²، كان الفرد بالمحتشد إذا أراد التنقل أو الخروج وجب عليه استصدار ترخيص بذلك يبين موضوع خروجه ومدته واتجاهه، وإذا لم يعد بمجرد انتهاء مدة هذا الترخيص يتم التعليم عليه في قائمة الأشخاص غير الملتزمين، ومثال ذلك منح السيد حرشي سليمان ترخيص بالخروج من محتشد الجرف يوم 24 جوان 1957، ومدة هذا الترخيص هي يوم واحد فقط والتأشير عليه يوم 24 جوان بأنه لم يلتحق، كانت الإقامة بالمحتشد جبرية وكل من حاول الفرار يتعرض إلى وابل من الرصاص دون سابق إنذار مهما كانت صفته، ومثال على ذلك إطلاق النار على أحد المدنيين الذين تم حشدهم بمركز الجرف يوم 21 جوان 1957 لما حاول الفرار³ ولقد ذكر المؤلف شهادة القسيس جاك بومونت في 04 أكتوبر 1959 والتي أشار فيها إلى أن الجزائريون يعيشون دون أغطية، وأنهم عانوا سوء التغذية مما أدى إلى ارتفاع نسبة الوفيات، لاسيما في صف الأطفال، وأنه لانعدام الغذاء أصبح الجزائريون، يتناولون الحشائش وأن هذه الوضعية أدت بمندوبي العديد من الدول الصديقة والشقيقة للجزائر إلى التدخل لدى اللجنة الدولية للصليب الأحمر في 26 ماي 1959 أثناء الجمعية العالمية الثالثة عشر للصحة.

كما ذكر المؤلف أنه تقريبا تم توزيع مليوني من المدنيين في أفي محتشد وفيما يخص عمالة وهران كانت توزع حوالي 100 طن من الأغذية كل شهر في تلمسان وتيارت وسعيدة وأنكرمان ووهران وفرندة وسيدي بلعباس

2- شهادة محمد العربي براهمي، مقابلة شخصية بتاريخ 30 ماي 2015، ببنته بالشرعية.

3 - A.W.C: Préfecture de Constantine (centre de liaison) bulletin N 177, information du 25 au 26 juin 1957

ومنذ التوقيع على وقف إطلاق النار عينت اللجنة الدولية للصليب الأحمر مندوبيها لمواصلة نشاطها لصالح السكان المجمعين وتمثلت مهمتهم في تقديم الاحتياجات الحالية مع توقع الاحتياجات المقبلة التي قد تتجم عن عودة المجمعين إلى منازلهم ولقد أطلعت الولايات المتحدة الأمريكية اللجنة الدولية للصليب الأحمر عن استعدادها لتقديم مساعدات لا بأس بها من دقيق وأرز وشعير ولوبيا، وحليب مسحوق وزيت وسكر، ولقد قدمت منظمة CIMADE الخيرية مساعدات معتبرة حيث كانت توزع أكثر من 500 طن شهريا من الأغذية¹.

كما تطرق المؤلف إلى أوضاع التعليم والطلبة الجزائريين أثناء الفترة الاستعمارية، وكذا بعد اندلاع الثورة، بشيء من التركيز على الطلبة الجزائريين الذين يزاولون دراستهم خارج الجزائر وتصريح الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1958/12/5 في جلستها العامة، بأن الفترة المحصورة من جوان 1959 إلى جوان 1960 تعتبر السنة العالمية للاجئين، وانطلاقا من هذا التصريح طلبت الاتحادات الوطنية للطلبة المجتمعين في ليما (البيرو) بمناسبة المؤتمر الدولي الثامن للطلبة، بتخصيص مساعدات هذه السنة لحل مشاكل الطلبة اللاجئين المجربيين والجزائريين على الخصوص، وقد ذكر رئيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين آيت شعلال أنه هناك 364 طالب جزائري لاجئ يدرس بالمغرب و 1000 طالب لاجئ جزائري يدرس بتونس، وبلغ عدد طلبة اللغة الفرنسية 65 يستفيد منهم فقط أربعة من المنحة، في حين هناك 420 طالب بالشرق الأوسط و 240 في مصر و 80 في سوريا، و 100 في العراق،

مع استفادة سوى الثلث منهم من المنحة من البلد المضيف، وموازة مع التبرعات بالمنح كانت هناك تبرعات بالأغذية والملابس والأدوية².

كما تطرق المؤلف إلى وضع أطفال اللاجئين الجزائريين بالحدود الشرقية والغربية وظروفهم القاسية البرد والمرض والجوع، وذكر المساعدات التي قدمتها رابطة جمعية الصليب الأحمر في تونس والجمعية السويدية بارمان في المغرب وأن المساعدات الدولية تم الحصول عليها من السنوات 1957 إلى 1959، كما وضع جدولاً موضوعه إحصاء الأطفال اللاجئين لشرق المغرب وغير المتمدرسين³.

أما في المحور الثالث الموسوم بالنشاط الخارجي لجهة التحرير الوطني تطرق فيه المؤلف إلى تكوين الهلال الأحمر الجزائري ونشاطه في الخارج وعن حرص الثورة على احترام اتفاقيات جنيف، واختراق فرنسا بنود هذه الاتفاقيات من خلال إعدامها المستمر للأسرى الجزائريين، ولذلك كتبت جريدة libération أن الصليب الأحمر الدولي يوجه النداءات إلى فرنسا عبثاً⁴.

كما تكلم عن دبلوماسية جبهة التحرير الوطني ونجاحها في إطلاع العالم عما يجري في الجزائر وعن سياسة فرنسا القمعية وعدالة القضية الجزائرية، وتطرق إلى التضامن المغاربي والعربي وبقية دول العالم الثالث من خلال ذكره للمؤتمر المنعقد بيوغسلافيا في 18 جويلية 1956 بين عبد الناصر ونهرو وتيتو، موضوعه التنديد بالاستعمار الفرنسي في الجزائر والاعتراف بالثورة الجزائرية.

2- المرجع نفسه، ص ص 133-134.

3- المرجع نفسه، ص 136، ص 138.

4- المرجع نفسه، ص 146.

كما تكلم المؤلف في هذا المحور عن فشل مفاوضات 29 جوان 1960 وعلى نية ديغول في الحصول على انتصار عسكري وكذا على استفتاء 8 جانفي 1961، وعلى تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة برئاسة بن يوسف بن خدة وعلى دعوة الأمم المتحدة في 21 ديسمبر 1961 فرنسا والجزائر إلى استئناف المفاوضات¹.

كما تطرق في إطار امتداد وتوسيع الثورة إلى قصف ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري 1958²، وما تبعه من إرهاب وقمع بشمال تبسة وجنوبها³، ولقد أساءت هذه الواقعة لسمعة فرنسا الدولية، وذكر المؤلف محاصرة الحكومة التونسية للجنود الفرنسيين بقاعدة بنزرت ومنعهم من التنقل، بالمقابل تقدمت فرنسا بشكوى يوم 15 فيفري 1958 لمجلس الأمن موضوعها دعم تونس للنوار الجزائريين، ولقد نقلت الصحيفة التونسية Action في عددها الصادر يوم 24 فيفري 1958 موقف تونس حرفيا كالآتي: "سنساعد الجزائريين ماديا ومعنويا بكل الوسائل التي في وسعنا لأن مصيرنا مشترك..."⁴.

ذيل المؤلف دراسته بمجموعة ملاحق منها:

نص ندوة صحفية منعقدة في 1956/05/26، نداء الى جنود السوقية العسكرية، محاضرة لأحد مسؤولي جبهة التحرير الوطني، تصريح الوفد الجزائري بالقاهرة بتاريخ 9 جوان 1956، رسالة فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا جويلية 1956، بنود من اتفاقية جنيف الخاصة بمعاملة مسجونين

1- المرجع نفسه، ص ص 154 - 155، ص 157.

2- المرجع نفسه، ص 159.

3- جريدة المجاهد، ع 20، المصدر السابق، ص ص 6 - 7.

4- فاروق بن عطية، المرجع السابق، ص ص 159-160.

الحرب، وثائق تخص الهلال الأحمر الجزائري واللجنة الدولية للصليب الأحمر.

- تفتقر هذه الدراسة إلى أسلوب المتخصص في التاريخ.
- انعدام ضبط المصطلحات على سبيل المثال لا على سبيل الحصر استعمال عبارة حرب الجزائر بدل ثورة الجزائر، وكذا عبارة الاعمال الارهابية بدل هجومات أول نوفمبر.
- نسخة الكتاب نسخة مترجمة، لكن ما يلاحظ على الترجمة أنها ضعيفة وركيكة الاسلوب.
- غياب الترتيب الكرونولوجي للأحداث، وكذا عدم احترام الترتيب المنهجي في وضع بعض فروع المحاور نذكر على سبيل المثال التطرق إلى الهلال الاحمر الجزائري قبل التطرق إلى قضية اللاجئين.
- غالبا غياب توثيق المعلومات والتهميش في نهاية الصفحة.

خاتمة:

قدمت هذه الدراسة معلومات عن الصحة الثورية عند انطلاق الثورة والتي ساهم فيها الأطباء الجزائريون العاملون بالمستشفيات الفرنسية أو حتى الخواص وكذا الممرضون وتطور هذا القطاع بعد ذلك لمدى تأثيره على استمرارية الثورة، وإنشاء وحدات صحية بالقواعد الخلفية بالمغرب وتونس تسهر على إسعاف الجرحى من جيش التحرير الوطني وكذا اللاجئين المرضى فضلا على تأسيس مدارس لتكوين الممرضين.

كما قدمت لنا هذه الدراسة نظرة عن أحوال اللاجئين بتونس والمغرب ظروفهم ومعاناتهم، أسباب لجوئهم وتفهم أوضاعهم وتأسيس قيادة الثورة للهلال الأحمر الجزائري لإيصال معاناة هذه الفئة إلى الرأي العام الدولي احترام

الثورة لمعاهدة جنيف المتعلقة بأسرى الحرب وهذا لأبعادها الانسانية، لكن فرنسا لم تحترمها واستمرت في عنجهيتها وغطرستها وأعدمت في الكثير من المناسبات الأسرى وهذا ما أجبر الثورة إلى معاملتها بالمثل.

عمل الهلال الأحمر الجزائري إلى إظهار الوجه الحقيقي لفرنسا دوليا وخرقها للمواثيق الانسانية وسعى جاهدا إلى جبرها على احترام هذه العهود الدولية.

تعتبر المحتشدات من أخطر الأساليب التي واجهها الجزائريون من خلال تهجيرهم من مناطقهم وحرمانهم من ممتلكاتهم وحشرهم في هذه المراكز التي تتعدم فيها أبسط إمكانيات العيش ولقد استخدمت فرنسا هذا الإجراء لعزل الثورة عن الشعب وتصفيتها.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- الأرشيف:

1- A.W.C: Préfecture de Constantine (centre de liaison) bulletin N 177, information du 25 au 26 juin 1957

ب- الجرائد:

بالعربية:

1- جريدة المجاهد: طور جديد في حرب الإبادة، العدد 19، 01 مارس 1958.

2- جريدة المجاهد: اللاجئون في عين خمودة يفضحون فرنسا أمام الرأي العام العالمي، عدد 20، 15 مارس 1958.

3- جريدة المجاهد: نصف الشهر السياسي، العدد 29، 17 سبتمبر 1958.

4- جريدة المجاهد: اللاجئون هل يفكر فيهم أحد، العدد 36، 06 فيفري 1959.

5- جريدة المجاهد مأساة اللاجئين فضيحة الانسانية، عدد 55، 16 نوفمبر 1959.

بالفرنسية:

1- la dépêche de Constantine: vaste opération de verrouillage à la frontière Algéro tunisienne, n° 15940, 29 mai 1957.

ت- الشهادات الحية:

1- شهادة براهيم محمد العربي، مقابلة شخصية بتاريخ 30 ماي 2015، ببينه بالسرعة.

- 2- شهادة حفظ الله أحمد، مقابلة شخصية بتاريخ 16 مارس 2015 بمنظمة المجاهدين لولاية تبسة.
- 3- شهادة مسعي لسود، مقابلة شخصية بتاريخ، 25 أبريل 2015، ببيته بتبسة.
- 4- شهادة هنين حمه، مقابلة شخصية بتاريخ 23 ديسمبر 2014، بمقر جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة بتبسة.

ث-الكتب:

بالعربية:

- 1-بن عطية فاروق، الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير 1954-1962، تر: كابوية عبد الرحمان، سالم محمد، منشورات دحلب، الجزائر، 2010.
- 2-جرمان عمار، من حقائق جهادنا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع (عين مليلة، الجزائر)، 2009.
- 3-الزبيرى الطاهر، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929-1962، منشورات ENAP ، الجزائر، 2008.
- 4-شايد حمود، دون حقد ولا تعصب صفحات من تاريخ الجزائر المحاربة، الجزائر، منشورات دحلب.
- 5-فانون فرانس، العام الخامس للثورة الجزائرية، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2004.
- 6-قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، ج 03، دار العثمانية، الجزائر، 2013.
- 7-كافي علي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصبة، الجزائر، 2011.

بالفرنسية:

- 1- Ben Salem Djamel Eddine : **voyez nos armes voyez nos médecins**, ENL, Alger, 1985.

الحرب النفسية في منطقة شرشال وعين الدفلى دراسة من خلال وثائق الأرشيف 1955-1961م

The Psychological War in the Areas of Cherchel and Ain Defla A Study through Archival Documents 1955-1961.

كهد / عيسى حمري

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

a.hamri@univ-dbkm.dz

الملخص:

حظي موضوع الحرب النفسية باهتمام كبير من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية التي استلهمها قادتها من خلال تجربتهم في الهند الصينية، وأخذت عدة تسميات منها التهدئة أو إعادة الأمن، وتزامن هذا العمل مع العمليات الفرنسية في إعادة التهدئة للمناطق الثائرة، وخلق شبكات اجتماعية ومساعدات اقتصادية ونشر مكثف للحركى من أجل ضرب الثورة في منطقتي شرشال وعين الدفلى، ومحاولة استمالة الشعب الجزائري إلى جانب فرنسا. وقد قدّمت فرنسا الكثير من المشاريع لهذا الغرض مثل عملية بيلوت التي جاء بها جون سرفيي إلا أن جبهة التحرير والشعب الجزائري تقطّنا لهذه الاستراتيجية الاستعمارية الرامية إلى فصل الشعب عن ثورته، وبالتالي فإنّ التنظيم الثوري القوي في القرى والمداشر قد تمكّن من إفشال السياسة الاستعمارية في هذا المجال.

الملخص باللغة الاجنبية:

The subject of psychological warfare received great attention from the French colonial authorities, which their leaders were inspired by their experience in Indochina. This war took several names, including pacification or restoration of security. This work coincided with French operations in the pacification of the rebellious areas, creating social networks and economic aids, and intensively deploying the Harka to hit the revolution, in addition to trying to coax the Algerian people alongside France. France has submitted many projects for this purpose, such as the

process of pilote, which John Servie came with, but the Liberation Front and the Algerian people discerned this colonial strategy that aims to separate people from their revolution. Thus, the strong revolutionary organization in the villages and the rural areas has succeeded in thwarting the colonial policy in this area.

مقدمة:

راهن الفرنسيون على الحرب النفسية كأسلوب موازي مع نشاط الجيش الفرنسي من خلال العمليات التمشيطية، تبدو للثورة عمليا أقل قابلية للتبرير من نظرة سوسولوجية، منها إلى نظرة نفسية تحليلية، حيث تم تكوين تنظيمات موازية لجهة التحرير الوطني فهي تنتهج نفس أسلوبها إذ تسعى هذه المصالح البسيكولوجية جاهدة على وضع ظرف خاص، حيث تشكل بدورها صورة موازية لما هو معهود لدى السكان لتأخذهم في غفلة من جهة وسداجة من جهة أخرى، للتلاعب بعقول الجزائريين في غفلة لكي تحقق مأرب كولونيالية، من أجل فرض نمط معين من الوجود قد تراهن عليه فرنسا لاحقا، وجاءت فكرة الثورات المضادة من أجل ضرب التنظيم السياسي والعسكري للثورة وجر الشعب إلى اتخاذ موقف مضاد لثورته الوطنية.

1 - الحرب النفسية في المنطقة:

يعود اهتمام السلطات الفرنسية بموضوع الحرب النفسية والدعائية وأهميتها إلى التجربة من الحرب الفرنسية في الهند الصينية، وسميت بالتهدة أو إعادة الأمن وارتبط العمل العسكري بوجود استكمال بعمل نفسي دعائي، بتحسين العلاقات مع الأهالي المسلمين وخلق جو من الثقة المتبادلة لتطبيق الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، التي كانت تنوي الحكومة الفرنسية تطبيقها، بهدف إضعاف وتحطيم معنويات الجزائريين من خلال التشكيك في قوة الثورة وقيمة رجالها والعمل على تجريد المجاهدين من كل

الخصال، وحسب استنتاج إحدى الدراسات فإن من ينجح في كسب الشعب إلى جانبه يربح الحرب¹.

تمت الاستعانة بالحركة للقيام بتعليم السكان وتوعيتهم بواسطة التجمعات الشعبية أو بواسطة الاتصالات الخاصة واختيار الأشخاص الذين يظهرون الطاعة لخدمة فرنسا، ووضعوا كمسؤولي دواوير أو شيخ قبائل أو تكوين فرق عسكرية للدفاع الذاتي وذلك كله لمواجهة تغلغل الثورة في الأوساط الشعبية.² كانت عقيدة المكتب الخامس تقوم على ضرورة وضع إستراتيجية الهجوم والهجوم المضاد، فعليها يتوقف مستقبل فرنسا والحضارة الغربية، إضافة إلى تطبيق الإجراءات اللازمة بالتهدئة لخوض الحرب الثورية ومحاربة العدو بأساليبه نفسها، والتواجد في وسط الشعب المغربي به³.

أدت النتائج الهزيلة المسجلة عقب عمليات التمشيط العسكرية الواسعة التي كان يشنها الجيش الفرنسي في أكثر من مكان إلى دفع قيادته إلى التفكير مليا في جدوى مثل هذه العمليات، فالبنية لهذه القيادة لم تنتج هذه العملية التي جعلت همها البحث عن الثوار، الأمر الذي استغرق الأعداد لها أشهر طويلة، وسخرت لأجلها إمكانيات مادية وبشرية هامة، وقد سجل في أكثر من مرة انسحاب الجيش الفرنسي، ليعود جيش التحرير بين السكان للاستراحة والمؤونة والاستعلام عودة تصاحبها انبعاث في نشاط خلايا تنظيمية للثورة في المنطقة.

1 - الغالي غربي، "الحرب النفسية الفرنسية خلال الثورة الجزائرية"، حولية المؤرخ، ع11، 12، 2011، صص 225-228.

2 - المرجع نفسه، ص229.

3 - أحمد شقرون، "المكتب الخامس أو نظرية السمكة"، المصادر، ع. 6، 2005، ص60.

وضع السيد جون سرفيهيه (jean SERVIER) العامل بالولاية العامة تصور لهذه العملية في تقرير يتألف من 8 صفحات، أصبحت تعرف باسمه ودعمه ضابط العملية بيلوت، يتصور جون سرفيهيه بأن "تهدئة الجزائر لا يمكن بلوغها إلا بانخراط السكان ورجوعهم إلى جانب فرنسا، ولذا فإن هذه التهدئة لا تعتمد إلا بقسط قليل على العمليات العسكرية التي بدون الدعم الشعبي، ستبقى نتائجها مؤقتة ونسبية، ذلك أن استعادة عدد معين من الأسلحة هو عديم الأهمية إذا كانت إرادة السكان تساهم في إخفاء كميات أكبر منها، كما أن القضاء على عدد معين من الخارجين عن القانون هو عديم الأهمية إذا كان السكان يقدمون من يخلفهم"¹.

إن مفهوم الحروب المضاد للثورة يدخل ضمن إطار الحرب النفسية فقد تم استخدامها في حرب الهند الصينية وبلاد تطبيقها في الجزائر على مستوى واسع ليتم سريعا تنظيم وحدات تتشكل من جزائريين يؤطّروهم ضباط فرنسيون أو يراقبهم عملاء المصالح الخاصة السرية، أما الحركى وجماعات الدفاع الذاتى وجماعات حفظ الأمن والحماية الريفية والقومية، يعتبرون عناصر مجندة إضافيا في الجيش الفرنسي². من خلالها أرادت وضع الشعب في نظرة كاريكاتورية بالكامل لمشروع الثورة، خاصة وأن أي ثورة مسلحة يحتضنها الشعب بتلقائية، لذا تجد رواد الحرب الحروب المضادة للثورة لإبطال من شرعيتها الشعبية إذ يقول "إن الخطوة الأولى في تجنيد السكان يجب أن تقوم

1- محمد بن داره، الحرب النفسية الفرنسية ورد فعل الثورة الجزائرية (1955-1960) دراسة في أنشطة الحرب النفسية للمكتب الخامس للجيش الفرنسي في المنطقة العسكرية الفرنسية العاشرة، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2007، ص253.

2- محمد تقيّة، الثورة الجزائرية، المصدر، الرمز، المأل، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبّة للنشر، الجزائر 2010، ص420.

على إبطال مفعول التنظيم الثوري وتأثيره على الشعب"¹.

ويقترح جون سرفيه كوسيلة لتحقيق عودة السكان إلى فرنسا اختيار وتحديد منطقة معينة، ولتكن إحدى العمالات على سبل مثال، لتتخذ بمثابة أرضية لتطبيق تجربة نموذجية رائدة يتم تعميمها لاحقاً، فيما يشبه بقعة الزيت إلى كل ربوع الجزائر بهذه المنطقة يتم حشد وتركيز قوات عسكرية كبيرة وإمكانيات نفسية هامة توظف لتطهير المنطقة وتحقيق معالجة لها على السطح والعمق، وذلك من خلال تطبيق عمليات واسعة ومنسقة في أن واحد تشمل شن عمليات بوليسية وأمنية بالمراكز المدنية لتفكيك التنظيم السري للثورة وتوقيف عناصره، وشن عمليات عسكرية واسعة للقضاء على وحدات جيش التحرير وتفريقها وشن عمليات نفسية مركزة على السكان لتحقيق عودتهم إلى فرنسا، تتولى مصلحة خاصة مدعومة بخيرة العناصر التابعة للإدارة المدنية والقسمات الإدارية المختصة لاصاص².

كانت تستخدم كل الوسائل الشائعة في الحروب المضادة للثورة فعمدت على تكثيف مساعيها للتغلغل في أوساط السكان، بغية بث البلبلة وإحداث التنافر وفرض المزيد بين السكان والثورة وإفشاء نزعة التقاتل بين الإخوة، فقد أحكمت السيطرة على السكان وفرضت عليهم رقابة صارمة تحت تسيير الجيش الفرنسي بالتعاون مع فرق المصالح الخاصة، وعمل كل من النقيب ليجي والنقيب هانتيك في تنظيم فرق للحركى في بني بودوان، على غرار النقيب هو في حركة كوبيس في زدين.

1 - المرجع نفسه، ص404.

2- محمد بن داره، مرجع سابق، ص254.

تم إنشاء فرق من المقاتلين الجزائريين من الحركى بتوجيه من جون سرفيه عالم الأجناس وهي تشبه مجموعات الدفاع عن النفس، وهي تشكيلة من الحركى وظفت في إطار الإشراف والرقابة والدعم، عمل الجيش الفرنسي على فرض التهدة من خلال انتهاجه تشكيلات مؤقتة تنتهي بانتهاء الحرب، وجاءت مصالح الحرب النفسية لتعمل عملتها فيما يخص التلاعب بعقول الجزائريين وجرهم للتعامل مع فرنسا.¹

وبحكم أنه وضع التصور لعملية بيلوت I فقد تم تعيينه كمنتدب بدرجة مستشار سياسي في ميدان النشاط النفسي لدى السلطات المكلفة بقيادة هذه العملية بمنطقة الشلف، وتم إنشاء فرقة للحركى مستقلين في ذلك الصراعات القبلية، مثل تجربة حركة أولاد بومعد فكانت مبادرته هذه والنتائج التي حققها في ميدان محاربة الثورة وراء دفع قيادة الجيش الفرنسي إلى تعميم العمل بها وتشكيل فرق مماثلة للحركى، بمعدل فرقة لكل قطاع فرعي عسكري، وكان جوهر هذه العملية في تكتيكها هو تفكيك تنظيم الخصم و استبداله بتنظيم موال يحل مكانه وهو ما يعرف في إطار الحرب النفسية بالتنظيمات الموازية².

تبين لجون سرفي بأن جيش التحرير يستمد قوته وطاقته وتمويله من الشعب كما يعيش الحوت في الماء، وتجدر الإشارة إلى جون سرفيه الدارس والخبير بعقلية الأهالي الجزائريين ونفسيتهم حيث عمل باحثا ملحق بالمركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي (CNRS) وأقام مدة بمنطقة الأوراس والقبائل لإعداد أطروحة حول البربر من سكان المنطقتين وكان يتقن العربية والقبائلية

1 - Soray NAHAL, LE PROBLEME HARKI DANS LA FRANCE CONTEMPORANE, MASTER II, UNIVERSITE MONTESQUIE BORDEAUX IV, Année universitaire 2007-2008, p36, 37, 42.

2- محمد بن داره، مرجع سابق، ص255.

والشاوية.

تشمل منطقة عمليات العملية بيلوت 1 كل عمالة الشلف بالإضافة إلى الجانب الغربي لعمالة الجزائر أي منطقة الشلف الممتدة شمال سهل الشلف إلى حوار عدلية Adelia بتحديد آخر كل المنطقة الواقعة ما بين خطي شرشال - مليانة شرقا وتنس- الشلف وغربا مع امتدادات إلى الشرق والغرب ومن البحر شمالا إلى جبال الونشريس جنوبا، وهو ما يمثل مساحة تقدر بـ 14000 كلم² وبمجموع واحد وخمسين دوارا يقطنها مائتي ألف نسمة يضاف إليهم ثمانون و مائة ألف نسمة بالمراكز الحضرية، هذه الرقعة تقابل في التقسيم الثوري ثلاث مناطق من الولاية الرابعة بالإضافة إلى منطقة رابعة من الولاية الخامسة، تقع إلى الغرب من الخط تنس- الشلف¹.

تم اختيار عمالة الشلف وبالتنسيق مع المصالح العسكرية الفرنسية في المنطقة من أجل توفير منطقة خصبة، تكون بوابة حيوية بين الجزائر العاصمة إلى وهران، خاصة مع تواجد سكان منطقة بني بودوان الذي هو تحت سلطة الباشاغا بوعلام، التي تلاؤم الإجراءات المزمع إجرائها في إطار تطبيق عملية بيلوت، خاصة وأن طبيعة المكان قبلي ريفي مما يشكل عبئ على الإدارة الفرنسية، ومن هذا المنطلق تم التفكير جليا في اختيار منطقة زكار - الظهرة. تم اختيار هذه المنطقة بضغط من السلطات العسكرية التي استبعدت منطقة سطيف وبهذه المنطقة جرى اختيار عدد من الدواوير لتتخذ كقواعد انطلاق لانتشار العملية في شكل بقعة زيت، وهو اختيار تحكمت فيه عدة اعتبارات منها الموقع الجغرافي للدوار، بحيث يكون سهل الوصول إليه و الانطلاق منه إلى غيره وبعيد على نشاط الثورة فيه وهي الشروط التي تتوفر

1- محمد بن داره، مرجع سابق، ص 257.

في دوار بني بودوان شمال الكريمة الشلف ودوار بومعد بالقرب من مليانة، في حين كانت دواوير كل من: باقدورة زحوميز بالقرب من تنس ودواوير زاتمية شمال العمامرة وأقبال بالقرب من شرشال، وكانت دواوير أسلي وقربوسة وبني وزان وجزء من دوار تفلوت تتطور نحو إعلان الالتحاق بفرنسا، أما بالنسبة لدواوير تيركانين وزدين فكانا يمثلان حالة خاصة بفعل تواجد حركات مناوئة للثورة، فوقع الاختيار على كل من دواوير باقدورة وحوميز وزاتمية وبومعد لتكون قواعد انطلاق لهذه العملية، حدد تاريخ لانطلاق العملية في بداية فيفري 1957، وهي فترة غير مواتية بالنظر إلى الظروف المنافية التي تسود هذه المنطقة، فالفترة تشهد تساقط أمطار غزيرة كما أن طبيعة الجيولوجية لهذه المنطقة تحيل الأرض إلى وحل سائل يعرقل ويشل حركة المواصلات إضافة إلى تساقط الثلوج بالنسبة للمستويات التي يزيد ارتفاعها على 800م، بعد جمع المعلومات الكافية حول النشاط الثوري لجبهة وجيش التحرير الوطنيين في جميع الميادين السياسية والعسكرية والاجتماعية وعناصر الدعم والتموين.¹

ركزت مصلحة العمل السيكولوجي (حلت في فيفري 1960) كل مجهوداتها في تلك الآونة على استقطاب السكان بغرض تجنيدهم ضمن فرق الحركي ومجموعات الدفاع الذاتي، نذكر منها بهذا الصدد على سبيل المثال جون سرفيي وهو باحث في علم السلالات وعمل على تطبيق ممارسات دنيئة، فراح يشكل وحدات للحركي بدوار بومعاد وأولاد بوعشرة والتلاخيخ القاطنة بجبال زكار.² يبدو جليا أن الهدف من وراء هذه العملية هي القضاء على

1- محمد بن داره، مرجع سابق، ص257.

2 - محمد تقية، حرب التحرير في الولاية الرابعة، ترجمة بشير بولفراق، دار القصة، الجزائر، 2012، ص128.

وحدات جيش التحرير الوطني، وتفكيك التنظيم السياسي والعسكري، والغزو النفسي للسكان.

2 - النشاط النفسي في قطاع شرشال:

عمل ثلاث ضباط فرنسيين على تسيير دواوير شمال مليانة بالتنسيق مع قطاع شرشال، واستطاع هؤلاء الضباط تسيير ستة مسؤولين جزائريين في قطاع فرعي على الشكل التالي:

- مسؤول واحد في دوار الغورين فرقة تيداف.

- مسؤولين في دوار أغبال فرقة بني ناظور (لودا لوز).

- مسؤولين في دوار زاتيمما فرقة تازروت.

- مسؤول واحد في دوار بني بوميلك فرقة عدوية.

هؤلاء المسؤولين الستة مستغلين من طرف:

الملازم بون PONS قائد لاصاص ل مارسو (بني مناصر) بالنسبة للمسؤول السياسي للغورين.

المساعد الأول بيراردي BERARDI قائد لاصاص للغوراية بالنسبة للمسؤولين الإثنين في أغبال، والمسؤولين الإثنين في زاتيمما.

النقيب أسمات ASSEMAT قائد الكتيبة RI، 1/22° بالنسبة للمسؤول السياسي لبني بوميلك.

عمل هؤلاء على تكوين مسؤولين سياسيين موالين لفرنسا يشبه كثيرا التنظيم الثوري لجبهة التحرير، كانت مهمتهم تشويه صورة جبهة وجيش التحرير واستغلال أي خطأ يصدر منهم في ترويج أكاذيب والعمل على إعاقة انتشار الفكر الثوري في المنطقة. هؤلاء المتحكمون الثلاث ينبغي عليهم أن يكون لديهم ملف حول كل مسؤول سياسي ومسؤولين عن نشاطاتهم، المهمات المنجزة

النتائج المحققة وغيرها، المطبوعات الخاصة موجّهة لتكوين هذا الملف تكون موجّهة فيما بعد للجانب البسيكولوجي. مهمة المسؤولين السياسيين تكون على النحو التالي:

إنشاء خلية سياسية على مستوى الدوار ومتابعة التطور العادي للأعضاء الأكثر من خمسة. تربية فيما بعد سياسيا للسكان مقابل تحطيم عناصر جبهة التحرير. يبدو أن المصالح الفرنسية عمدت على خلق تنظيم سياسي على مستوى الدوار، يشبه كثيرا التنظيم التي تنتهجه جبهة التحرير الوطني (لجنة الثلاث)، كما يتوفر على مسؤول سياسي عسكري ومجلس يعمل على إحلال الإدارة الفرنسية على مستوى الدوار، وبذلك ضرب التنظيم الثوري ويعمل على مساعدة السكان بدعم من فرنسا في توفير حاجيات السكان. عمليا: الأخذ بعين الاعتبار المستوى الثقافي للمسؤولين السياسيين المشار إليهم سابقا في الوضعية التالية:

الغورين: المسؤول السياسي عاد إلى دواره بمهمة موكلة له من طرف الضابط الفرنسي، هذا المسؤول السياسي قدم عرض حال عن الوضعية غير المساعدة في دواره، الأمر الذي جعل الضابط الفرنسي يتخوف من هذه الوضعية، ولمواجهة هذه الأخيرة يجب عليه أن يعطيه مهمة دقيقة لمأ الخوف من جهة ومن جهة أخرى جعله يثق في نفسه، وقد منح سلاح يدوي (مسدس آلي 7.65)، وراتب شهري بأجر قاعدي 50000 فرنك مع إمكانية حصوله على منح إضافية مقابل الخدمات المقدمة، ويلزم دون تأخر في حل الخلية السياسية عندما يكمل مهمته¹.

1 - SHAT, 1H1217/d1, BUREAU D'ACTION PSYCHOLOGIQUE, RESPONSABLES POLITIQUES, le Lieutenant GROS, cherchell, le 20 Juin 1957, 2p.

أغبال: المسؤولين السياسيين في لودا لوز التحقوا بالحركى في لود الوز بمجرد عودتهم، بالإضافة إلى مهامهم كحركى أعطيت لهم مهام الاتصال المنتظم مع المتحكم الفرنسي بتقديم المعلومات، ويجب عليهم غلق وحدة واحدة سياسية داخل نفس حركى الدوار، يتم تسليحهم مقابل مهام الحركى بالإضافة إلى منح إضافية كمكافأة على خدماتهم الاستثنائية المقدمة.

زاتهما: واحد من الإثنين المسؤولين السياسيين (ب. م) يعتبر كمسؤول رقم واحد بعد المهمة الأولى الاختيارية حيث قدم عرض حال، سيكون مكلف بمهمة خاصة موجهة لاختياره ويبدأ في تنظيم خليته السياسية، يحصل على سلاح يدوي (مسدس ألي 7.65)، كما يحصل على أجرة شهرية بأجر قاعدي 30000 فرنك شهريا مع إمكانية الحصول على منح إضافية، أما المسؤول الثاني (ب.ع) لوحظ على أنه ليس لديه صفة تنظيم خلية سياسية فعالة ولكن يمكن استغلاله أكثر من الناحية الدعائية، لم يتلقى أي مهمة خلال عودته إلى بيته، وإدعى بأنه توفي إلى غاية إنشاء مركز عسكري في تازروت، أصبح فيما بعد عضوا في الوحدة الإضافية التي ألحقت بالمجموعة، استعمل كدعائي أثناء تحركات المجموعة حيث كان خطيبا مفوها، سلح في أوقات خاصة في الانتظار يتلقى أجرة ب 30000 فرنك شهريا.

بني بوميلك: لوحظ أن المسؤول السياسي لهذا الدوار جبان وغير جريء حيث تلقى مهمات استعلاماتي للدوار، حيث تعرض للخطر عدة مرات من خلال أداء مهامه إذ وجه خليته بحذر شديد، يتلقى أجرة شهرية ب 30000 فرنك مع إمكانية الحصول على منح إضافية¹.

1 -SHAT, 1H1217/d1, BUREAU D'ACTION PSYCHOLOGIQUE, RESPONSABLES POLITIQUES, le Lieutenant GROS, chercell, le 20 Juin 1957, 2p.

عمل الجيش الفرنسي على ربط علاقات جيدة ومتينة مع السكان وتم التركيز على منطقة تنس - شرشال، وكان يرافق الفريق ملازم وعريف متخصص في الحرب النفسية، كانت مهمتهم أساسا هي ربط علاقات مع السكان، إضافة إلى الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة بقيادة أربع أشخاص غالبيتهم مسلمين جزائريين يقدمون مساعدات للسكان، وهي في الغالب محدودة تتمثل في علب قليلة من الحليب للأطفال ويتولى توزيعها شيوخ القرية أو الدشرة، وصاحب هذه العملية توزيع المنشورات التي ما من شأنها التأثير على السكان وجرهم لصالح فرنسا، يشرف على العملية ملازم فرنسي يجيد العربية ويعمل على تشييد المدارس وبناء السكنات.

3- النشاط النفسي في قطاع دوبييري (عين الدفلى):

من جهتها المصالح التقنية شددت على إنشاء ممثلياتها في مقر القطاع، وتكييف حدودها مع حدود المقاطعة، أما الجيش وفي إطار مهمته السلمية، وجه تدريجيا ملحقات نحو المناطق الجبلية في الشمال والجنوب إذ تمكن من وضع 31 قاعدة مكلفة بحماية الأشخاص المدنيين في سبتمبر 1961¹.

إضافة إلى مهمات الجيش فيما يخص الإطار العسكري قام هذا الأخير بعدة نشاطات مختلفة في مجال التربية والصحة والمجتمع والبناء، ويعمل الجيش تارة بتعميق عمل الإدارة وتارة وفي المناطق التي لا يوجد بها تمثيل دائم في الإدارة، حيث أن معظم الإنجازات الاجتماعية والاقتصادية تكون نتيجة التعاون بين ضباط القواعد العسكرية وقادة المكاتب الإدارية الخاصة وعمال

المصالح التقنية، كل هؤلاء تجدهم يقدمون الدعم المادي والمعارف الإدارية والتقنية والجيش يقدم الحماية ووسائل النقل والآلات الضخمة.

أ- مهمة التهئة للوحدات في القطاع:

في إطار المهام المحددة، فإن وحدات القطاع بالإضافة إلى المهام العسكرية المنوطة بها تشارك بطريقة فعالة بالتنسيق مع السلطات المدنية (الإدارية - الاجتماعية - الاقتصادية) المرتبطة بالحياة اليومية في المقاطعة الإدارية، أما الحماية الجسدية للسكان تبقى من الأولويات الضرورية، التعاون الدائم في جميع الميادين لها هدف التعهد الكامل والدائم للشعب في صراعه من أجل:

- فرض الهدوء التام للأمن وبسرعة.
- ضمان السلم الفرنسي في المستقبل.
- ترجم هذا فيما بعد بما يعرف بالتهئة.¹

المهام:

أولاً: ديموغرافيا: كانت تقوم بمجموعة من المهام منها:

- تقديم العون للبلديات وللضباط قادة المكاتب الإدارية الخاصة من أجل إجراء عملية الإحصاء والمراقبة.
- التحقيق من حركة السكان خاصة عند هجرة العمال الموسمين في متيجة.
- ضمان الإدارة المدنية في الريف من طرف السلطات العسكرية حيث تضمن هذه الأخيرة تواجدها في التجمعات السكانية والمحتشدات.²

ثانياً: إدارة وتنظيم السكان: ويتجلى ذلك فيما يلي:

1- SHAT, 1H2750/d2, MISSION DE PACIFICATION DES UNITES DU SECTEUR, DUPERRE, p11.

2- SHAT, 1H2750/d2, Démographie du SECTEUR, DUPERRE.

- الاتصال الدائم في جو من الثقة المتبادلة بين أعضاء المجالس البلدية والمكاتب الإدارية الخاصة ومختلف الإدارات.
- إحصاء المشاكل التي يمكن أن تحدث.
- تقديم المساعدة ومحاولة إيجاد الحلول للمشاكل.
- التعاون العسكري الفعال خاصة في المساعدات المقدمة لتنظيم السكان، ففي سنة 1957 تم إنشاء 33 مركز عسكري يلعب دور مركز (الإشعاع)، موجودة أحيانا في القرى الريفية والجبال، تتمثل مهمتها في المعرفة، والإعلام، والتعليم، والتنظيم، عن طريق مساعدة السكان من أجل اتخاذ موقف موالي للتوجه الفرنسي.¹

ثالثا: اقتصاد

- ضرورة معرفة اقتصاد المنطقة من فلاحية وغابات ومياه وأشغال عمومية.
- المساهمة والمشاركة في الإدارة مع أعضاء اللجان المختلطة لتجسيد برنامج DEL.
- تقديم كل العون المتطابق لتنفيذ هذه البرامج في جميع النواحي حيث الإدارة غير متواجدة (الريف)، خصوصا الأمن، النقل، العمال المتخصصون، الآلات.²

رابعا: شؤون اجتماعية وصحية

- 1 - الشؤون الاجتماعية: تقدم على شكل نماذج متنوعة، المشاكل ليست هي نفسها التي تمس سكان القرى الريفية المنتشرون في السهول وفي الجبال.

1- SHAT, 1H2750/d2, Administration- Organisation, SECTEUR, DUPERRE.

2- SHAT, 1H2750/d2, Economie, SECTEUR, DUPERRE.

الجيش له في هذا المضمار مشكل تقديم التوجيهات والمساعدة في ظروف جيدة للسكان، بالنظر إلى الهياكل التقليدية نوعا ما مهترئة نحو مجتمع من الأهالي، أمي غير مثقف لذا بذل الجيش مجهود كبير "مجهودنا كان خصوصا لإنقاذ المتخلفين وليس من أجل مساعدات بسيطة، ولكن بتحقيق تطور للسكان".

2- الشؤون الصحية: التكفل عن طريق أطباء مدنيين للصحة في القرى والسهول (البلديات الخمس الكاملة الصلاحيات) يوجد فيها تغطية في كل مكان، أما بالنسبة (ثمانى بلديات جديدة) يتكفل بتغطيتها أطباء عسكريون، في هذا الإطار حيث يوجد التجمعات السكانية في الجبال أو في التلال يتم زيارتهم وإنقاذهم وعلاجهم عن طريق 11 طبيب عسكري وممرضات من الجيش، أما المعدل الشهري للفحوصات 4300 مرة، بالإضافة إلى حالات مستعجلة، مستشفيات، النقل بالإضافة إلى إسعافات أولية عن طريق فرق ERSI، لفائدة النساء وخاصة الأطفال¹.

خامسا الشبيبة:

الهياكل الإدارية لم تكن إلى غاية 1957، أما انتشارها فهو بطيء في البلديات الجديدة في إطار تكملة الجهود للمصالح المختصة بالإضافة إلى التعليم الوطني في المساعدة لتحقيق التطور البشري الذي هو واحد من اهتمامات الشبيبة، حيث قدم الجيش عدة مساعدات فعالة للمصالح من أجل وضع الشباب لتسطير حياتهم وللسير قدما فيما يلي:

- إنشاء المدارس.
- إنشاء المرافق الرياضية.

- إنشاء مراكز الشباب.
- وضع تحت التصرف ضباط إداريون لتسيير المراكز.
- وضع تحت التصرف مدربين في مراكز الشباب والمراكز الرياضية.
- إنشاء برامج رياضية.
- توجيه الشباب نحو مراكز التكوين المهني والمراكز الاجتماعية وغيرها¹.

إضافة إلى التعليم يقوم بدوره تعليمًا لأطفال المتخلفين القادمين من الجبال تعليمًا قاعديًا فيما يخص التربية المدنية والرياضية، وأخذهم إلى اكتشاف قيم المجتمع في العالم المتحضر في دائرة الصداقة والنشاط الخلاق الضروري.

سادسًا: النساء

يتم توجيههم من أجل تأهيلهم للوعي الكبير لشابة مسلمة، وتم ربط تطور المرأة بالفرق المتخصصة (فرق طبية- اجتماعية متنقلة) EMSI، اللواتي هن تحت مسؤولية قادة الأحياء وهم مكلفون خصوصًا بما يلي:

- الاتصال.
 - معرفة وإعلام.
 - إنشاء نوادي نسائية.
 - تعليم وتربية في المجال الصحي المنزلي والتقليدي.
- تضمن الفرق الطبية- الاجتماعية المتنقلة هذه المهمة خاصة للنساء الموجودون في الريف والقرى الريفية تحت إشراف لجنة التضامن النسوي بدعم ومساندة من المكاتب الإدارية الخاصة.

تم تسجيل خمس نوادي نسائية تنشط عن طريق أعضاء لجنة التضامن النسوي في القرى الريفية وفي السهول، إضافة إلى 13 نادي نسوي تنشطه أعضاء من الفرق الطبية- الاجتماعية المتنقلة تعمل في الريف والاتصال مضمون بطريقة دائمة مع السكان (نساء) المنتشرون في البادية¹.

سابعاً: قداماء العسكريين

تشكل هذه المجموعة كل من قداماء المحاربين، ومعطوبي الحرب، وأرامل، ملحقين بمختلف الفرق لقداماء المحاربين للمقاطعة الإدارية و"دار العسكري"، المعروفين من السلطات العسكرية حيث يرسلون إدارياً للـ AC مدعوون للمشاركة دورياً في التظاهرات العسكرية، في حالات عديدة لا يغيبون عن هذه التظاهرات للمشاركة مع رفقاتهم الناشطون (العاملون دورياً)، أما عدد المحاربين في المقاطعة يقدر بـ 1100 تقريباً².

ثامناً: الدفاع الذاتي

في إطار عملية التهيئة يوجد قادة الأحياء الذين يشاركون في تكوين فرق الدفاع الذاتي:

- التجنيد والتدريب.
- وضع تحت تصرف الدعم المعنوي والمادي
- تنشيط في إطار عملهم
- توجيه والمراقبة.

هذه الفرق الإضافية تعمل بالاتصال الدائم مع الجيش ومهمتهم تأطير السكان المسلمين من أجل إعلامهم، وتعليمهم وتنظيمهم ومشاركتهم الخاصة

1- SHAT, 1H2750/d2, Femmes,SECTEUR, DUPERRE.

2- SHAT, 1H2750/d2,Anciens Militaires,SECTEUR, DUPERRE.

في الدفاع عن ممتلكاتهم،" هذه العناصر تمثل بالنسبة لقادة الأحياء عامل مهم يجب مساعدته بطريقة فعالة لتحقيق تعهد السكان ومتابعتهم في بناء الجزائر الجديدة"¹.

نتائج الحرب النفسية:

على ضوء النجاحات المحققة في العملية بيلوت¹، تقرر باكرا، ومثل ما هو مسطر في التصور الأساسي لهذه العملية، تعميمها ومدّها إلى مناطق أخرى لتمتد نتائجها وأثارها فيما يشبه بقعة الزيت وتعم كل ربوع الجزائر، وتم التحضير لها بعملية تحضيرية تدريبية بقطاع الظهرة شمال منطقة الشلف، انطلقت بداية من شهر جوان وامتدت إلى شهر أوت.

وفي الأخير نخلص إلى أن تلك النظريات والأساليب الإجرامية الميدانية لم تتجح،" وإنما يمكن الرهان بالنسبة لأخصائنا في كسب السكان إلى جانبهم. أما الذين اتبعوا أساليب القمع من رعب وقتل من أجل إخضاع الجزائريين فذلك اعتقاد خاطئ يقوم على فكرة أن جبهة التحرير ترهب السكان الذين لا يتبعونهم إلا خوفا من الانتقام، إلا أن هؤلاء لا يريدون فتح أعينهم بشجاعة خشية التأكد من أن هؤلاء السكان يرون في الجبهة حاملة راية طموح الشعب نحو الحرية والاستقلال الوطني، مع أنه يحدث أحيانا لمنظري الحرب المضادة للثورة أن يتبنوا الحقيقة المرة من أن كل الجزائريين هم فلاة يجب إبادتهم دون تمييز لما يرون أنفسهم مرغمين على تبرير مجازرهم". مما جعلهم يمارسون التعذيب كعنصر هام في الحرب النفسية طبق بكل وحشية وهذا ما ينم في كونه نتاج لنوع من العقلية على أساس أن كل عربي يمثل متمردا بالقوة وأن كل فلاح

يخفي قاتل من جيش التحرير أو جبهة التحرير¹.

الخاتمة:

حاولت فرنسا من خلال هذه التشكيلات جر الشعب الجزائري في المنطقة بتوريطه في قضية تجعل منه يسير عكس التيار وضد الثورة، حيث عملت على تهجير السكان والفلاحين من بيوتهم في الأرياف، والانتقام الدموي ضد كل من لا يخضع لهذه الأوامر، إضافة إلى إنشاء مناطق محاصرة تنصب على حدودها مراكز عسكرية إضافة إلى المصالح الادارية المختصة والمصالح الادارية الحضارية أين يكمل العمل العسكري العمل النفسي الدعائي، باستعمال شتى وسائل الدعاية والتلقين القسري وغسل المخ، مما جعل الجزائر منطقة حقل تجارب لمنظري الحرب المضادة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا الأرشيف الفرنسي:

SHAT, 1H1217/d1, BUREAU D'ACTION PSYCHOLOGIQUE, RESPONSABLES POLITIQUES, le Lieutenant GROS, cherchell, le 20 Juin 1957.

SHAT, 1H2750/d2, bilan de l'action en SECTEUR de DUPERRE.

SHAT, 1H2750/d2, MISSION DE PACIFICATION DES UNITES DU SECTEUR, DUPERRE, p11.

SHAT, 1H2750/d2, Démographie du SECTEUR, DUPERRE.

SHAT, 1H2750/d2, Administration- Organisation, SECTEUR, DUPERRE.

SHAT, 1H2750/d2, Economie, SECTEUR, DUPERRE.

SHAT, 1H2750/d2, Questions Sociales et Sanitaires, SECTEUR, DUPERRE.

SHAT, 1H2750/d2, Jeunesse, SECTEUR, DUPERRE.

1- وزارة المجاهدين، أعمال الملتقى الوطني حول إستراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة، البلدية

24،25 أبريل 2005، منشورات وزارة المجاهدين الجزائر، 2007، ص404.

SHAT, 1H2750/d2, Anciens Militaires, SECTEUR, DUPERRE.

SHAT, 1H2750/d2, Auto - Défences, SECTEUR, DUPERRE.

ثانيا المصادر والمراجع:

محمد تقية، الثورة الجزائرية، المصدر، الرمز، المأل، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر، الجزائر 2010.

محمد تقية، حرب التحرير في الولاية الرابعة، ترجمة بشير بولفراق، دار القصة، الجزائر، 2012

وزارة المجاهدين، أعمال الملتقى الوطني حول إستراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة، البلدية 24، 25 أفريل 2005، منشورات وزارة المجاهدين الجزائر، 2007.

الغالي غربي، "الحرب النفسية الفرنسية خلال الثورة الجزائرية"، حولية المؤرخ، ع11، 12، 2011.

أحمد شقرون، "المكتب الخامس أو نظرية السمكة"، المصادر ع6، 2005.

محمد بن داره، الحرب النفسية الفرنسية ورد فعل الثورة الجزائرية (1960-1955) دراسة في أنشطة الحرب النفسية للمكتب الخامس للجيش الفرنسي في المنطقة العسكرية الفرنسية العاشرة، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2007.

الفرنسية:

Soray NAHAL, LE PROBLEME HARKI DANS LA FRANCE CONTEMPORANE, MASTER II, UNIVERSITE MONTESQUIE BORDEAUX IV, Année universitaire 2007-2008.

صورة مؤتمر الصومام في مذكرات لخضر بن طبال

Pictures in the conference somam in the memoirs of lakhdar ibn tobal memoirs interns

كهد ط د / سعاد بلبكوش

جامعة قسنطينة 02

Souad.belbekkouche@univ-constantine2.dz

المخلص:

إن الدارس لتاريخ الجزائر يجد أمامه مصادر تاريخية متعددة تختلف باختلاف المادة التاريخية التي تتضمنها، وطريقة تسجيلها للأحداث، وكذا تعاملنا معها، ومن بين هذه المصادر نجد المذكرات الشخصية التي تعد مصدرا هاما، حيث زادت وتيرة كتابتها خاصة بعد الحصول على الاستقلال سنة 1962. وفي ظل الصعوبات التي يواجهها الباحث في كتابة تاريخ الجزائر، خاصة فيما يتعلق بالحصول على وثائق أرشيفية، ولهذا لجأ بعض قادة الثورة إلى كتابة مذكراتهم بأسلوبهم الخاص، وبطبيعة الحال تختلف حسب وزن ومكانة صاحبها، ويعتبر "بن طبال" من بين رموز الثورة الذين كتبوا مذكراتهم، والتي جمع فيها بين السيرة الذاتية والوقائع التاريخية، وجاءت مذكراته بعد صمت طويل دام حوالي 36 سنة لتخرج إلى الواجهة، ولكنه أثار فيها بعض التساؤلات والغموض عن كثير من الأحداث، والتي من بينها مؤتمر الصومام الذي انعقد في أوت 1956، وكان بن طبال من الذين حضروا اجتماعاته بصفة استثنائية.

Abstract:

There are many historical sources and they differ in the multiplicity and variation of the historical material contained into them, and the way they record the events as well as deal with them. Among the historical sources the oral novels ones " personal memoirs, which are considered news on the researcher to interrogate and read them by using a scientific method, for this The latter is important in writing history as it lifts the curtain on some historical facts. According to the Algerians history in the French colonial period of 1830-1962,"personal memoirs", are one

of the important historical sources that emerged during that period, but the frequency these writings increased especially after independence in 1962, in light of the difficulties faced by the researcher in the history of Algeria in Obtaining the Algerian Archive Beyond the Sea (France), some of the symbols of the revolution resorted to writing their memoirs, each with its own style, and its own way. Memoirs whose importance varied according to the status of the author, and the degree of proximity or distance from the events he wrote. is considered among the leaders of the revolution who wrote their personal memoirs. In which he combined biography and historical facts, his memoirs came after decades of silence, It lasted 36 years. but nonetheless removed some ambiguity about some of the events - particularly the history of the Algerian Revolution, which among them the conference somam held in August 1956, was bentobale Exceptionally, who attended his meetings.

المقدمة:

يعتبر "لخضر بن طبال" من بين رموز الثورة الجزائرية، وأيضاً قائد ميداني تولى عدة مسؤوليات منذ بداية الثورة التحريرية، لينتهي به الأمر قائداً للولاية الثانية (الشمال القسنطيني) بعد استشهاد "زيغود يوسف"، غير أن تأزم الوضع الداخلي بعد معركة الجزائر جعل قادة الثورة يستقرون في الخارج بداية من سنة 1957، وكان بن طبال من بين النواة القيادية لجبهة التحرير الوطني إلى غاية الاستقلال، فهذه الشخصية الغامضة ستعرف بعض النور، خاصة بعد الإفراج عن مذكراته الشخصية التي جمع تعطي للباحثين مجموعة من الحقائق التاريخية التي شهدها.

كان بن طبال من بين القادة الذين حضروا جلسات مؤتمر الصومام، مما أثار تساؤلات كثيرة عن تمثيل المنطقة الثانية بقائدين، خاصة مع وجود تناقضات كثيرة لدى العديد من الشهادات، فم هي الإضافات التي قدمتها مذكرات لخضر بن طبال فيما يخص الحقيقة التاريخية الخاصة بمؤتمر الصومام؟ وكيف تطرق بن طبال إلى هذا الحدث؟ وما مدى تطابقه مع ما

جاء في باقي المصادر التاريخية؟

1- التعريف بشخصية لخضر بن طبال:

هو أحد المنظرين للثورة الجزائرية، ولد في مدينة ميله سنة 1923¹ من أسرة متواضعة ريفية فقيرة، عمل والده في مجال البناء ثم خبازا²، تعلم بالمدرسة الابتدائية في ميله القديمة وتحصل على الشهادة ثم انتقل إلى قسنطينة لإكمال دراسته الثانوية باللغة الفرنسية، وكانت بداية اتصالاته مع حزب الشعب الجزائري تعود إلى سنة 1937 لكنها فشلت³، وبالتالي كان انضمامه إلى حزب الشعب الجزائري PPA خلال ح ع 2⁴، ثم انخرط في المنظمة الخاصة التي كانت تمثل الجناح العسكري لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وبعد اكتشافها تمكن من الفرار من الاعتقال وسافر مع "مسعود بلعقون" إلى الأوراس سنة 1950 برفقة عدة مناضلين آخرين مثل زيغود و "بن عودة"⁵ وعاش حوالي 26 شهرا هناك⁶.

استقر "بن طبال" في بني بوسليمان التابع لدوار كيمل، ثم عاد إلى ميله سنة 1951 مع "بن عودة"⁷، حضر اجتماع 22 التاريخي الذي كان يهدف إلى إيجاد حل للخلاف الذي عرفته حركة الانتصار للحريات

1 عبد الله مقلاتي، "العقيد لخضر بن طوبال ودوره في قيادة الثورة الجزائرية"، مجلة أفكار وآفاق، المجلد 15، العدد 27 ص 173.

2 Lakhder bentobbal : **mémoires de l' intérieur**, éd Daho Djerbal, Chihab éditions, Alger, 2021, p19.

3 ibid , p 37, 40.

4 تعقيب ابن طوبال، الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1981، ج3، ص 26.

5 Lakhder bentobbal: op cit, p p p 105,111,118,119.

6 تعقيب بن طبال: المصدر السابق، ص 27، 28.

7 Lakhder bentobbal: op cit, p 120, 139.

الديموقراطية¹، ونشط برفقة كل من "ديدوش مراد" و"زيغود يوسف" في الشمال القسنطيني من خلال الإشراف على التحضيرات الأولى للثورة، وعلى أساس هذا فقد عيّن مسؤولاً على ناحية ميلة والميلية²، وللإشارة فإن "ابن طوبال قد استطاع تكوين فوج في ميلة يتكون من حوالي 18 شخص³، وها ما يتوافق أيضاً مع ما ورد في مذكرات "بن طبال".

شارك "بن طبال" في التخطيط والتنفيذ لهجمات 20 أوت 1955 لفك الحصار على الأوراس⁴، وحضر جلسات مؤتمر الصومام بصفة استثنائية مع قائد المنطقة "زيغود" الذي انعقد في منطقة القبائل⁵، ثم عيّن قائداً للشمال القسنطيني بعد استشهاد "زيغود" برتبة عقيد، وفي سنة 1957 خرج إلى تونس بعد عمليات القمع والحصار بعد معركة الجزائر⁶، وكان من بين الذين حضروا مؤتمر القاهرة 1957⁷، ممّا كرس لظهور القيادة العسكرية، والتي كان "بن طبال" جزءاً منها⁸، ثم تولى منصب وزارة الداخلية في الحكومة المؤقتة سنة

1 مقابلة مع المجاهد عزالدين بن مبارك بمنزله بقسنطينة، يوم 4 فيفري 2020، على الساعة 9:00.

2Lakhder bentobbal: op cit, p190

3 مقابلة شفوية مع المجاهد عزالدين بن مبارك بمنزله بالمنظر الجميل، يوم 4 فيفري 2020، على الساعة 9:00.

4 تعقيب ابن طوبال: المصدر السابق، ص ص 232، 235.

5 علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 2014، ص ص 129، 128.

6 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1979، ص 464.

7 سعد دحلب، المهمة المنجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، 1986 ص 67.

8 محمد عباس، ثوار عظماء، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005. ص 128.

1958¹، كما شارك في اجتماع العقء العشر 1959²، وفي مفاوضات الاستقلال أيضا.

2- ظروف مؤتم الصومام وأهم نتائجه:

2-1- ظروف انعقاد مؤتم الصومام:

نتيجة للتطورات الحاصلة سنة 1955 والتي شهدتها الثورة التحريرية من اعتقالات مثل "رابح بيطاط" و"مصطفى بن بولعيد" واستشهاد مثل "ديدوش مراد"، فقد بدأ التفكير في تنظيم الوضع وفق الظروف الداخلية والخارجية الجديدة³.

وتعود أول الاتصالات بين قادة المناطق لتنظيم هذا اللقاء تعود إلى مطلع سنة 1956، من أجل فك العزلة فيما بينهم⁴، وبالفعل تم عقد المؤتم بعد اتصالات بين قادة المنطقة الرابعة والمنطقة الثانية بقيادة "زيغود يوسف"، نظرا لإحساس القادة بضرورة تنظيمها وهيكلتها، لأن القادة التاريخيون اتفقوا على تفجير الثورة ثم التنظيم⁵، إضافة إلى مجموعة من التطورات العسكرية

1 محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون، تر: علي الخش، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1965، ص 107.

2 محمد شوب، اجتماع العقء العشر من 11 اوت إلى 16 ديسمبر 1959 ظروفه، أسبابه وانعكاساته على مسار الثورة، رسالة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص الثورة التحريرية 1954-1962، اشراف بوعلام بلقاسمي، جامعة وهران، 2009-2010، ص 53.

3 النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 54 (نداء أول نوفمبر، مؤتم الصومام، مؤتم طرابلس)، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، ص 15، ينظر أيضا: تيزي ميلود: مواقف قادة الثورة من مؤتم الصومام، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سيدي بلعباس، الجزائر، 2013، ص 62.

4 شهادة أوعمران لمحمد عباس، يومية الشعب، العدد 6473، الجزائر، 1984/8/20، ص 5.

5 عبد المالك بوعريوة، العلاقات بين الولايات التاريخية للثورة التحريرية (1962-1954)، رسالة لنيل شهادة ماجيستر في التاريخ المعاصر، إشراف شاوشي حباشي، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005-2006، ص 63.

والسياسية التي عرفتها الثورة التحريرية، ومن بينها هجومات أوت 1955 التي أعطت دفعا للثورة الجزائرية، دون أن ننسى الحاجة الملحة إلى إنشاء قيادة مركزية تتكفل بإصدار القرارات الهامة المتعلقة بمستقبل البلاد وضمان استمرار الثورة¹، وفي ظل هذه الظروف نجحت اتصالات سنتي 1955-1956 بعقد هذا اللقاء²، وفي هذا الصدد يذهب المجاهد "عمار قليل" إلى أنه تم تكليف مختلف المناطق بدراسة الإمكانيات المتوفرة لعقد المؤتمر، غير أن معظمها اعتذر عن ذلك نظرا للمسؤولية الكبيرة³، واستقر الاختيار في النهاية على منطقة القبائل⁴.

لقد كان للنواة القيادية الجديدة بالعاصمة منذ 1955 بقيادة "عبان" دور كبير في إعداد أرضية الصومام، خاصة بعد اقناعه للمركزيين بالانضمام للثورة⁵، وفي هذا الصدد يقول يحيى بوعزيز "بدأ الإعداد لهذا المؤتمر التاريخي كل من "كريم" و"عبان" و"بن مهدي" و"بن خدة" و"سعد دحلب" الذين كثرت لقاءاتهم في مدينة الجزائر، وتعاون معهم كل من "محمد البجاوي" و"عمار أوزقان" و"سنتوف" في إعداد الخطوط العامة التي ستطرح في هذا المؤتمر"⁶،

1 شهادة علي محساس لمحمد عباس، جريدة الشعب، العدد 6661، الجزائر، 26/مارس/1985، ص 12، ينظر أحسن بومالي: إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص 334.

2 اقترحت المنطقة الثانية بعقد المؤتمر ببني صالح بسوق أهراس أو منطقة بو الزعرور بأعالي شبه جزيرة القل أي قرب سكيكدة، ينظر أيضا: عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، الدار العثمانية للنشر، الجزائر، 2013، ص 384، ينظر أيضا: علي كافي: المصدر السابق، ص 98، 99.

3 عمار قليل: المصدر السابق، ص 384.

4 المصدر نفسه، ص 385.

5 Mohamed lebdjaoui : vérité sur la révolution algérienne, Gualimard, paris, p32.

6 باشرت منطقة القبائل بالتحضيرات عن طريق "عامبروش" الذي كلف بتوفير الأمن في قلعة بني عباس غير أن هروب البغلة التي تحمل وثائق المؤتمر قد كادت أن تؤدي إلى تداعيات خطيرة على الثورة، فاقترح

خاصة في ظل غياب المنسق "محمد بوضياف"، غير أن "بن مهدي" وجد الدعم من "عبان"¹، اللذان يتقاطع تكوينهما وثقافتهما.

والجدير بالذكر أن العديد من الشهادات تتفق على زيارة وفد من الأوراس يتكون من خمس وسبعين مجاهدا بقيادة "عمر بن بولعيد" إلى منطقة القبائل من أجل المشاركة في التحضير واختيار المكان وهذا على أساس الاتصالات التي بدأت في مارس 1956 بين "كريم" و"مصطفى بن بولعيد"²، غير أن "عمر" لم يبقى للمؤتمر، ولكنه أكد التزام المنطقة الأولى بتطبيق قرارات المؤتمر³، بالرغم من أن البعض يذهب إلى أن "سفر" عمر بن بولعيد مرتبطة بالدعاية ومحاولة كسب ثقة القادة من أجل خلافة أخيه، خاصة في ظل الصراعات الجديدة في أوراس النمامشة⁴.

2-2- أهم قرارات مؤتمر الصومام:

لقد انعقد مؤتمر الصومام في إيفري على الضفة الشرقية لمؤتمر الصومام والتي حضره مجموعة من القادة، حيث مثل المنطقة الثانية كل من "زيغود" ونائبه "بن طوبال" ومعه أربعة عناصر بقيت خارج الاجتماع (كافي،

"عميروش" على "كريم بلقاسم" منطقة إفري أوزلاقن، ينظر: يحيى بوعزيز: الثورة في الولاية الثالثة 1954-1962، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2004، ص 73، ينظر أيضا: شوقي عبد الكريم: دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية 1954، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 110.

1 حميد عبد القادر، عبان رمضان، مرافعة من أجل الحقيقة، منشورات الشهاب، الجزائر، 2003، ص 24.

2 عمار قليل، المصدر السابق، ص 385.

3 علي كافي، المصدر السابق، ص 102.

4 Gilbert meynier : **histoire intérieur du FLN,1954-1962** préface de mohamed harbi, casbah éditions, alger , 2003, p 392.

حسين رويبح، مزهودي، بن عودة)، أما المنطقة الثالثة مثلها "كريم بلقاسم" ومعه (محمدي السعيد، قاسي، اعميروش)، أما المنطقة الرابعة فقد مثلها "أوعمران" برفقة كل من "الصادق دهيلس"، "بوقرة"¹، في حين مثل المنطقة الخامسة "بن مهدي"².

أما المنطقة الأولى فقد غابت عنه لأسباب تعود إلى استشهاد قائدها "بن بولعيد"، في حين أكد ضباطها بأنها تلقت رسالة بريد، فيها دعوة للأوراس إلى حضور مؤتمر الصومام، غير أنهم لما وصلوا وجدوا المؤتمر قد انتهت أشغالهم³.

تشير بعض الدراسات إلى أن تعيين "علي ملاح" بعد مؤتمر الصومام قد لاقى انتقادات عديدة، لأنه من منطقة القبائل و لم يتولى أية مسؤوليات قبل هذا، وهناك من يعتقد أنه عين من أجل ضرب سلطة "زيان عاشور" الذي كانت له علاقات مع كثير من المناضلين، وخاصة مع المصاليين⁴.

ولا بدّ من الإشارة إلى نقطة مهمة وهو أنه حسب التقسيم السياسي والعسكري الذي أقرته مجموعة الستة فإن القاعدة ناحية سوق أهراس كانت

1 شاوش حباسي، "مؤتمر الصومام، آراء ومواقف"، مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، علمية نصف سنوية، العدد 4، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص 15.

2 غير أن شهادة "عبد الحفيظ بوالصوف" ل"علي كافي" أن "بن مهدي" لم يأت بوثائق خاصة بمنطقة الغرب، ورغم مشاركته باسمها، إلا أنه لم يجتمع بأي عضو ولم يتم تبليغهم بالأمر، ينظر: علي كافي: المصدر السابق، ص 101.

3 مصطفى مراردة ابن النوي، مذكرات الرائد مصطفى بن مراردة ابن النوي، شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، إعداد: مسعود فلوسي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 61.

4 شاوش حباسي: المرجع السابق، ص 18.

تابعة للمنطقة الثانية، فهي الأخرى قد عرفت عدة صراعات داخلية حول القيادة، مما تعذر حضور قادتها ولكنها بقيت تابعة للمنطقة الثانية¹.

استطاع مؤتمر الصومام من رسم استراتيجية مستقبلية، وتكوين قيادة جماعية لتوحيد الشعب ضد الاستعمار، من بينها إقرار مبدأ القيادة الجماعية، إضافة إلى إعادة هيكلة جيش التحرير الوطني وتوحيد قياداته وتشكيلته، أما أهم القرارات كان إنشاء مؤسسات قيادية جديدة للثورة مثل: المجلس الوطني للثورة CNRA التي خولت له صلاحيات المفاوضات وإيقاف القتل، إضافة إلى لجنة التنسيق والتنفيذ CCE²، وإنشاء الولاية السادسة (الصحراء) وأسندت مهامها إلى العقيد "علي ملاح"³، كما تحددت العلاقة بين جبهة وجيش التحرير الوطنيين على أساس أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج⁴.

3-آراء بعض المصادر حول مؤتمر الصومام:

3-1-الآراء المعارضة لقرارات الصومام:

يعد مؤتمر الصومام من المواضيع الحساسة التي أثارت الأقسام، بسبب اختلاف المواقف بين الفاعلين، وصعوبة الحصول على الأدلة وتناقض التصريحات بينهم، والحقيقة أن المصادر التاريخية حول مسألة مؤتمر الصومام تحمل آراء شخصية أكثر منها تاريخية، مما جعلها محل انتقاد بين اعتبره

1 علي كافي: المصدر السابق، ص 102.

2 ملنقى كتابة تاريخ الثورة مابين 1959-1962 الخاص بالولاية الثالثة، 23 و 24 أبريل 1987، نيزي وزو، ص ص 4، 9.

3 تقارير الولاية السادسة التاريخية، المجلد 1 (تقرير الملتقى الجهوي الثاني لكتاب تاريخ الثورة نوفمبر 1954 للولاية السادسة بسكر 5-6 فيفري 1985، ص 12.

4 محمد حربي، الجزائر 1954-1962 جبهة التحرير الوطني الاسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، ط ع1، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1983، ص 154.

منعرجا هاما للثورة، وبين انحراف عن مبادئ أول نوفمبر 1954. بالنسبة لابن بلة فقد كان من السابقين إلى معارضة قراراته معتبرا إياه انحرافا عن مبادئ نوفمبر لأنه حذف المرجعية الدينية للشعب، حيث ورد في ميثاق الصومام "بناء دولة جزائرية وديموقراطية واجتماعية دون الإشارة إلى هوية الشعب المسلمة"¹، وفي ظل هذه الرؤية فإن اجتماع الصومام تحول إلى محطة للصراع الفكري والعائدي والثقافي، ومحرك للتنافس على الزعامة. أما "محمد خيضر" فلم يعارض انعقاد المؤتمر وتنظيمه من طرف القيادة الجديدة، غير أنه كان حريصا على المحافظة على أهمية ومكانة قيادة الخارج باعتبارهم ممثلين حقيقيين ولهم الشرعية الثورية، خاصة وأنهم فوضوا من طرف لجنة الستة قبل الثورة².

في حين اعتبر "أحمد محساس" بأن المؤتمر غير شرعي، وأن قيادة الثورة الحقيقية هم الذين أعلنوا الانتفاضة ضد الاستعمار الفرنسي³، لكن بعض الدراسات تعيد هذا الخلاف إلى فترة سابقة لثورة أول نوفمبر أي خلال فترة العمل السياسي⁴، أي أثناء ذلك الصراع الداخلي الذي عرفته حركة الانتصار للحريات الديموقراطية، وكان السبب يتمحور حول قيادة الحزب، وهذا ما نلاحظه في ذلك الاتفاق بين لجنة الستة قبيل اندلاع الثورة حول مبدأ اللامركزية، وتأجيل فكرة مركزة الثورة إلى غاية استكمال الظروف المناسبة، غير أن

1 أحمد منصور، "الرئيس أحمد بن بلة يكشف أسرار الثورة الجزائرية"، حصة شاهد على العصر، قناة الجزيرة، أبو ظبي، 2002.

2 Mohamed lebdjaoui: op cit, p 140 .

3 Mohamed Harbi: le F.L.N, op cit, p 608

4 صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2010، ص 31.

الملاحظ أن مؤتمر الصومام قد استعجل ذلك¹ بفضل القيادة الجديدة التي ظهرت بالعاصمة سنة 1955 التي لم تكن تؤمن بالعمل العسكري بل بالعمل السياسي، وأعطت لنفسها الحق في توزيع المسؤوليات².

والجدير بالذكر بأن بعض الكتابات أشار إلى أن "عبان" قد صرح بعد نهاية مؤتمر الصومام "إننا نريد إبعاد الثورة عن من أرادوها دولة دينية"³، بالمقابل كان ردّ "بن بلة" أن شرعية الثورة في قيادتها التاريخية... وأن الدخلاء هم من يحاولون إضفاء طابع العلمانية⁴، ويقصد الشخصيات السياسية من مختلف الانتماءات، ولهذا يمكن اعتبار هذا التباين في الانتماء أحد عوامل الاختلاف بينهم⁵، وبناء على ذلك فقد تعددت حجج الرافضين لقرارات الصومام لإعلان عدم مشروعيتها، ممّا أدى إلى زيادة الشرخ⁶ وأهمها:

- ✓ غياب ممثلي الوفد الخارجي وبعض قادة المناطق الداخلية.
- ✓ منح القيادة للسياسيين على حساب العسكريين.
- ✓ عدم وجود قرار ينص على أن الجزائر دولة إسلامية عربية مما يتنافى مع بيان أول نوفمبر.

3-2- الآراء المؤيدة لقرارات الصومام:

-
- 1 تيزي ميلود، المرجع السابق، ص 35.
 - 2 عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 387.
 - 3 حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 64، 65.
 - 4 أحمد منصور، "الرئيس أحمد بن بلة يكشف أسرار الثورة الجزائرية"، حصة شاهد على العصر، قناة الجزيرة، أبو ظبي، 2002.
 - 5 كريم بلقاسم، "أيام حاسمة قبل الثورة"، جريدة المجاهد، 1 نوفمبر 1959، العدد 53، ص 2.
 - 6 لخضر بورقعة، مذكرات لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، دار الأمة، الجزائر، ماي 2000، ص 16.

لا ننسى أن صعوبة الاتصال بين المناطق التاريخية خلال مرحلة الانطلاق (1954-1956)، قد أدت إلى غياب التنسيق وتبادل الآراء بين القيادة المحلية، مما كرس نوعاً من العزلة وتسيير كل منطقة لنفسها بحسب المعطيات المتوفرة.

وفي سنة 1955-1956 بدأت بعض العناصر تربط اتصالاتها للالتحاق بالثورة، ومن بينهم عبان رمضان والمركزيين وفرحات عباس ثم جمعية العلماء، وهذا بطبيعة الحال سوف يؤدي إلى تغيير موازين القوى، مما دفع إلى فتح استنفهام حول دعم "بن مهدي" لهذه الفئة الجديدة بالرغم من أنه من النواة التاريخية الأولى.

فالمناصرين لقرارات الصومام قد حاولوا خلق قضية جديدة داخل الثورة وتتمثل في طرح سؤال: من هو أكثر ثورية من الآخر من خلال القرارات الصادرة في المسيرة الثورية؟ غير أن هذا النسج قد أدى إلى انتقال الخلاف من مسألة الأولويات إلى مسألة الإبعاد والتصفية الجسدية، وفي هذا الصدد يرى المؤرخ "محمد حربي" بأن قرارات مؤتمر الصومام لم تكن وحدها أساس الخلاف، في حين يركز الجميع على مسألة الأولويات كأساس الخلاف¹، وما هو واقع البعد الديني والانتماء الإسلامي كدافع أساسي للصراع²، ومن هذا المنطلق تميزت مواقف قادة الثورة بالانقسام حول قرارات المؤتمر التي أثارت الكثير من الجدل، وأدت إلى اشتعال الخلاف بين الداخل والخارج³.

1 Mohamed Harbi: le F.L.N mirage et réalité des origines a la prise du pouvoir 1945-1962, ed jeune Afrique, paris, 1980, Alger, 1993, p 146.

2 سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، دراسة تحليلية في شارع الحركة الوطنية والثورة المسلحة، الجزائر، 2002، ص 411.

3 Mohamed Harbi: Les archives de la révolution algérienne, ed jeune afrique, paris, 1985, p 162.

والحقيقة أن هذه المواقف المتباينة قد تجسدت بالفعل بعد تغير موازي القوى على مستوى قيادة الثورة خاصة مع اعتماد "عبان رمضان" على مجموعة المركزيين أمثال: "بن يوسف بن خدة"، وفسرت أنه التوجه الإيديولوجي الجديد للثورة، وبداية ظهور بوادر الاتصالات الفرنسية الجزائرية¹ الذي حتم إيجاد أرضية مناسبة لهذا الغرض، بالرغم من ميثاق أول نوفمبر 1954 الذي يدعو كل الفئات الاجتماعية السليمة للانضمام إلى الثورة، غير أن التحاق بعض المصاليين قد أدى إلى شرح كبير في القيادة².

كلف "آيت أحمد" بالدعاية والعلاقات الخارجية³، وفي ظل هذه المهمة كان متواجدا بالولايات المتحدة الأمريكية، ولم يكن على علم بعقد هذا المؤتمر، ويتضح موقفه في دعم لقرارات الصومام، بالرغم من عدم معرفته بتاريخ انعقاد هذا اللقاء، وبرر أن هذه النتائج تتطابق مع تفكير قيادة الخارج، بالرغم من أنه طرح قضية تشكيل حكومة مؤقتة بهدف تجاوز الخلافات⁴، لكن هذه القرارات قد عرفت دعما من "بن مهدي"⁵.

من بين تداعيات المؤتمر ظهور مسألة القيادة من قبل بعض القادة التاريخيين للثورة في الخارج وبعض قادة الداخل، مما أدى إلى تشتت المواقف وظهور المبادرات الفردية لبعض القادة، وكانت كل المؤثرات تشير إلى إمكانية

1 Fethi dib : **Abdnacer et la révolution algérienne**, paris, 1^e harmattan , 1985, p 160.

2 رابح لونيبي، الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين، دار المعرفة، باب الزوار، الجزائر، 2002، ص 26.

3 حسين آيت أحمد، روح الاستقلال، مذكرات مكافح، 1942-1952، تر: سعيد جعفر، دار البرزخ، 2001، ص 762.

4 المصدر نفسه، ص 81.

5 Gilbert meynier: op cit, p201.

عودة الوضع إلى بدايته، بالرغم من محاولات "أحمد بن بلة" مراسلة "عبان رمضان" حول مسألة تمثيل الثورة في الخارج¹.

والملاحظ أن الكفة بدأت تميل إلى اتجاه "بن بلة" و"خضر" و"محساس"، غير أن بعض القادة قد حاولوا تفادي حدوث الخلافات أمثال: "دباغين"، "مهري"، "بن طبال"، هذا الأخير لمح إلى أن كثرة الخلافات قد تؤدي إلى فتنة كبيرة، وفي هذا الصدد قال: "إذا لم نراجع أمورنا فسوف نصفي بعضنا البعض"².

إن تبوء بعض المركزيين أمثال "بن يوسف بن خدة" و"دحلب"، "محمد يزيد" مناصب هامة في لجنة التنسيق والتنفيذ، مما ساهم في تعميق الهوة بينهم وبين القادة التاريخيين، فالمركزيين استغلوا قربهم من "عبان رمضان" الذي طبق سياسة الانفتاح على التيارات السياسية³، ونتيجة لهذه التطورات فقد أدى هذا المؤتمر إلى اشتداد الخلاف بين "بن بلة" و"عبان" و"بن مهدي"، ولهذا اعتقد أعضاء قيادة الخارج أن الثورة ستفقد راديكاليته⁴، إضافة إلى التصور بأن القيادة الجديدة سوف تفضل المفاوضات والتنازل مع العدو الفرنسي لصالح التسوية السياسية على حساب الأهداف التي تدعو إليها الثورة⁵.

وحسب تحليل "فتحي الذيب" لهذا الصراع الداخلي فقد طرح العديد من الشكوك والتساؤلات حوله، حيث أرجع أسباب بعض الاغتيالات التي حدثت

1 Mabrouk belhocine: le courrier Alger –le Caire 1954-1956, éditions casbah, Alger, 2000, p 92.

2 أحمد محساس، الحركة الثورية في الجزائر عن الحرب ع إلى الثورة المسلحة، دار القصة، الجزائر، 2002، ص 221.

3 بن يوسف بن خدة، مذكرات الرئيس، شهادات ومواقف، دار النعمان، ط1، 2004، ص 198.

4 Mohamed bedjaoui : op cit, p 154.

5 محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة (1954-1962)، دار الأمة، الجزائر، 1997، ص 61.

بعد المؤتمر نتيجة قراراته¹، والحقيقة أن المؤيدين لقرارات الصومام كانت من منطلق أغراض شخصية، لأن هدفهم يكمن في إيجاد تموقع على حساب أطراف أخرى²، كما أنها كانت السبب في ميلاد صراع داخلي حول السلطة كاد أن يخرج بنتائج كارثية، غير أن اختطاف طائرة القادة الأربعة في أكتوبر 1956 قد قلّل من حدة التوتر³، لكن الصراع بين قادة الثورة قبل وبعد المؤتمر لم ينحصر في الداخل فقط، بل امتد إلى الخارج، وهذا حسب العديد من الشهادات⁴ واتهام الوفد الخارجي لعبان أنه حاول نشر الايديولوجية اللاتينية وتهميش البعد الإسلامي⁵.

4- مؤتمر الصومام من خلال مذكرات بن طبال:

4-1- ملاحظات أولية قبل بداية المؤتمر:

اعترف بن طبال أن حضورهم لمؤتمر الصومام كان بسبب "بن مهدي الذي يعد بالنسبة لهم الضمان الثوري ولا يتقون في كل من "عبان" و"كريم"، في حين تقاربت آراء قادة الشمال القسنطيني مع "أوعمران" الذي اعتبر أن الأحزاب السياسية التي انضمت إلى الثورة ولا يحق لها السعي وراء المناصب العليا⁶.

1 فتحي الذيب، جمال عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص 248.
2 فالانتشقات قد انفجرت بعد مؤتمر الصومام مما أدت إلى محاولات اغتيال بعض القادة مثل اعطاء أوعمران الأوامر من أجل تصفية محساس (ينظر أرزقي أباسطة: أوعمرني أمرني بقتل محساس، جريدة الخبر، 2011، ص 16).

3 فتحي الذيب، المصدر السابق، ص 41.

4 عثمان سعدي، مذكرات عثمان سعدي بن الحاج، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2000، ص 79.

5 رايح لونيبي: المرجع السابق، ص 276، 278.

كان هدف اجتماع الصومام هو تعيين قيادة وطنية وتنسيق الأعمال بين قادة المناطق التاريخية الخمسة الذين عانوا من العزلة، حيث تحدث معظم القادة عن وضعية مناطقهم خلال مرحلة الانطلاق مثل: منطقة القبائل التي تحدثت عن معاناتها من الحركة المصالية، الوضعية الداخلية الصعبة للمنطقة الخامسة وتأخر الانطلاقة إلى أكتوبر 1955¹.

لقد تعددت الروايات حول مدة أشغال المؤتمر، حيث يشير البعض أنها استغرقت أسبوعا كاملا، نظرا أنه انعقد بسرية تامة حتى على المجاهدين البسطاء الذين حضروا لحراسة اللقاء²، أما حسب المذكرات فإن الاجتماع قد بدأت أشغاله الرسمية بتاريخ 18 أوت وانتهى في 20 أوت، وأن من ترأس المناقشات هو "كريم بلقاسم"³ وليس "بن مهدي" كما تشير إليه معظم الكتابات التاريخية⁴، في حين تناول باختصار أن "عبان" محرر وكاتب محضر المؤتمر وأنه متقارب كثيرا مع "بن مهدي" الذي وافقه في كل نقاط الاجتماع⁵، لكن النقطة الجديدة في المذكرات كانت حول الأجر الذي يتقاضاه قادة منطقة القبائل مقارنة بالمناطق الأخرى، والتي كانت حوالي 200 ألف فرنك، حيث انتقد "بن طبال" حصولها على هذه الأرقام الباهظة على عكس القادة الآخرين والجنود، ويتساءل عن الهدف من جمع هذه الثروات⁶.

1Ibid , p 308.

2 تقرير الملتقى الجهوي الثالث لكتاب التاريخ لولايات الغرب -الولاية الخامسة-مرحلة 1956-1958 المنعقد بولاية سعيدة 1985، طبع محافظة تلمسان، ص 7.

3 Lakhder bentobbal: op cit, p 310.

4 عبد الحفيظ امقران الحسيني، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 ص 52.

5 Lakhder bentobbal: op cit, p 310.

6 Ibid, p 309.

لقد سجلت بعض المناطق غيابها في هذا الاجتماع مثل المنطقة الأولى، وكان السبب يكمن في استشهاد بن بولعيد¹، ممّا نجم عن ذلك سباق نحو السلطة من أجل خلافته¹، فالمجتمعون انتظروا وصول وفد الأوراس، غير أن الوضع الأمني بدأ يتوتر نظرا لتوغلات الجنود الفرنسيين في حوض الصومام، فأحيانا يصلون إلى مسافة 2 أو 3 كيلومترات ثم يبتعدون عنها، والواضح أنهم لم يحددوا بعد مكان الاجتماع، وأمام هذا الوضع تم الاتفاق على عقد الاجتماع فوراً²، مع الإشارة بأن وفد من الأوراس بقيادة "عمر بن بولعيد" قدم قبل بداية جلسات مؤتمر الصومام وحاول تمثيل المنطقة الأولى، لكن الثنائي "عاجل عجول" و"عباس لغرور" عندما سمعا بأمر "عمر" فقد أرسلوا إلى المشرفين على المؤتمر عدم قبول تمثيله، لأنه لا يمثل المنطقة،³ وهذا ما يتوافق مع ما ورد في مذكرات بن طبال .

ويضيف "بن طبال" أن وفد القبائل قد قرر المغادرة إلى الأوراس نتيجة ظهور الاضطرابات، والاتفاق على عودته بعد تسوية الأمر، وبالفعل عاد لكن لم يحدث التقاطع بل انتهى اللقاء قبل وصوله مرة ثانية، أما بالنسبة لقيادة الخارج فقد تم إخبارهم بأن هناك عمليات تمشيط كبيرة قد نظمها الاستعمار بالقرب من سوق أهراس، فلم يتمكنوا من دخول الجزائر، لهذا يشير "بن طبال" بأنهم أرسلوا رسالة ورد فيها أنهم قرروا عدم الدخول إلى الداخل البلاد وأنه يتعين علي المجتمعين البدء في العمل من دونهم⁴.

1 عبد الحفيظ امقران الحسيني، المصدر السابق، ص 52.

2 Lakhder bentobbal: op cit, p 309.

3 الطاهر الزبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين (1962/1929) منشورات ANEP, 2008، ص 163.

4 Lakhder bentobbal: op cit ,p p 311, 312.

4-2 مجريات مؤتمر الصومام كما وردت في المذكرات:

من بين النقاط التي تمت مناقشتها من طرف المجتمعين الوضع الداخلي للمناطق، على سبيل المثال وضح "بن مهدي" كل الصعوبات التي واجهت المنطقة الخامسة وأسباب بداية العمل منذ 1955 الذي يمثل تاريخ وصول الشحنة الأولى من الأسلحة التي أرسلها "أحمد بن بلة"، بالرغم من تقديمه إشارات على تقصير قيادة الخارج في هذه المسألة، وغضبه من "بن بلة" ومصارحته للسلطات المصرية لكل كبيرة وصغيرة تخص الثورة الجزائرية¹، بالتالي عدم التأمل كثيرا في مساعدة قيادة الخارج.

بالرغم من أن الكتابات التاريخية ومنها الكتابات المغربية تشيد بدور "أحمد بن بلة" الكبير في دعم الثورة، ومساهمته في نقل شحنات الأسلحة²، والحقيقة أن هناك صعوبات قد اعترضت القادة في نقلها، مما أدى إلى تأخر الاستقلال إلى غاية سنة 1962، غير أن هذه المسألة من جهة قد أدت إلى الكثير من الخلافات بين قادة الثورة، نظرا لاتهام قادة الخارج بالتقصير، بالرغم من الجهود المبذولة³، وبناء على هذه التطورات كان "بن مهدي" هو أول من طرح مسألة العلاقة الداخلية والخارجية في تقريره، لكن عبان هو الذي اهتم بالمشكلة أيضا، حيث تناول هذا الأخير قضية تصفية المصاليين⁴.

1 Ibid , p 310.

2 عبد الرحمان اليوسفي، أحاديث في ما جرى شذرات من سيرتي كما رويتها لبودرقة 1، إعداد مبارك بودرقة، ط1، دار النشر المغربية، عين السبع، الدار البيضاء، 2018، ص 70.

3 عمر بوداود، أسلحة الحرية، الجزائر حرب التحرير مذكرات وشهادات، ترجمة فخر الدين بلدي، pafar ، 2016، ص ص 87، 97.

4 Lakhder bentobbal: op cit ,p 311.

من بين المسائل التي عرفت مناقشة حادة في مؤتمر الصومام نذكر قضية الليلة الحمراء¹، أو ما تعرف بمسألة الحملة العقابية التي نظمها "أعميروش" ضد أولاد أورابح في وادي الصومام، فكانت نتيجة هذه العملية تكوّن تجمع في سطيف يضم حوالي 1200 مسلح قاموا بحمل السلاح ضد جيش التحرير الوطني، وظلوا معاديين للثورة حتى نهاية الحرب، ولهذا كان المجتمعون يخشون أن تؤدي مثل هذه الممارسة إلى انقسامات داخل الشعب، وقد يصل إلى حرب أهلية² بدلاً من محاربة فرنسا. لقد انتقد "بن طبال" في مذكراته هذه القضية، لأنه في الأصل لا بدّ من الحكم على الخونة أو المتعاونين أو العصابات المسلحة بقرار الإعدام، لكن من خلال إعدام الأفراد المسؤولين فقط، وليس تطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية³.

والملاحظ أن "أعميروش" كان محل دفاع من طرف "كريم بلقاسم" أثناء مناقشة هذه المشكلة، غير أن القادة المجتمعون طلبوا معاقبته لأنه ارتكب خطأ سياسياً خطيراً، بل هناك من اقترح إعفاؤه من مسؤولياته، غير أن "كريم" أعلن مسؤوليته الكاملة عن الليلة الحمراء، باعتباره قد أعطى الأمر إلى جيش التحرير بالمنطقة الثالثة، بالرغم من تسجيلها في جدول الأعمال إلا أنه لم يعاقب⁴.

وحسب وجهة نظر "بن طبال" أن "كريم" لم يعطى الأمر لأعميروش في هذا الإعدام الجماعي، بالرغم أنه ادعى هذه المسؤولية، إلا أن القضية يمكن تصنيفها ضمن الأخطاء السياسية بالمنطقة الثالثة، لأنه خالف التعليمات

1 شوقي عبد الكريم: المرجع السابق، ص 89.

2 Lakhder bentobbal: op cit, p p 312,313.

3 Ibid, p p 314.

4 Ibid, p 314.

الأولى التي أصدرتها لجنة الستة، والتي تتضمن عدم المساس بالشعب، بل على العكس لا بدّ من تعبتهم وكسبهم لصالح الثورة¹.

لقد أثارت بعض قرارات الصومام خلافات عميقة وجدلا واسعا، خاصة حول أولوية الداخل على الخارج وألوية السياسي على العسكري²، وفي هذا الصدد أكد "بن طبال" أيضا أن القلق والتوتر بدأ بعد الحديث عن أولوية هذان المبدأين، وظهر تناقض كبير في الآراء حولهما، وبالنسبة إلى "بن مهدي" و"عبان"، فإن المدني هو الذي يقود الثورة، في حين أن "زيغود" و"بن طبال" يرون أن تفوق السياسي على الجيش يعني أن الثورة في حد ذاتها أصبحت سياسية، فالشخص الذي يرتدي اللباس العسكري كان من قبل سياسياً، وبالتالي حددنا موقفنا أننا لم نقبل فكرة أن المدني يوجه الثورة، وأن الجندي يبقى خارج السياسة³.

والواضح أن المؤتمرين لم يجيبوا بوضوح عن هذه المسألة الحساسة⁴، لكن تم الاتفاق على عدم التركيز على مسألة الشخص العسكري أو المدني، وأنه سيتم اختيار الأشخاص المؤهلين للقيادة فقط على رأس الثورة⁵، أما فيما يخص مسألة أسبقية الداخل على الخارج، فكان من أجل إصدار الأوامر من الداخل⁶، وفي هذا الشأن يشير "بن طبال" أن هذا المبدأ فقد استغرقت المناقشة وقتاً أطول، والحقيقة لم يكن هناك اختلاف جوهري كبير بين آراء الحضور،

1 Ibid , p 317.

2 الشاذلي بن جديد، مذكرات ملامح حياة 1929-1979، الجزء الأول، دار القصة للنشر، ص 88.

3 Lakhder bentobbal: op cit ,p p 317, 318.

4 محمد حربي، المصدر السابق، ص 155.

5 Lakhder bentobbal : op cit ,p 318.

6 محمد زروال، إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية -الولاية الأولى أنموذجاً، ط خ من وزارة المجاهدين،

المطبعة الرسمية البستاتين، الجزائر، 2007، ص 33.

بل حصل إجماع على أن الثورة يجب أن يتم قيادتها من الداخل¹، غير أنه سوف تظهر بعض المشاكل وراء هذا المبدأ.

والجدير بالذكر أنه خلال هذا اللقاء بدأت شكوك من قادة الشمال القسنطيني حول وجود مشاكل بين "عبان" و"بن مهدي" من ناحية، وبين "أحمد بن بلة" و"محمد خيضر" و"بوضياف" من ناحية أخرى²، فالتمييز بين السياسي والعسكري في جوهره، ما هو إلا صراع بين فئتين متناقضتين الأول مثله "عبان" البرجوازي البيروقراطي الذي طرح فكرة مركزة الثورة في الداخل، أما الاتجاه الثاني فمثله العسكريون الذي تدعمهم الطبقات الريفية³، وهنا يمكن القول أن حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية لم يسبق لها أن دربت المناضلين للقيادة مستقبلا، فقد علمتهم الانضباط واحترام السلطة الأخلاقية للقائد "مصالي الحاج"، إذ أنها لم تتصور حينها أن المناضلين يمكن أن ينحرفوا عن الخط، لكنهم نجحوا بالفعل وأصبحوا منافسين للقادة السياسيين السابقين⁴.

إن تشكيلة لجنة التنسيق والتنفيذ قد تم تقديمها من طرف "بن مهدي"، ثم اقترح "عبان" تغيير اسم "عيسات ايدير" الذي من الممكن أن يكون تحت قبضة الاستعمار الفرنسي، فعوض بسعد دحلب، ونظرا للثقة الكبيرة بين مهدي فقد تمت الموافقة من أغلب المجتمعين⁵، ولم يعارض المجتمعون في هذا الاجتماع على تشكيلة المجلس الوطني للثورة، حيث اتفق الجميع على تنصيب لجنة التنسيق والتنفيذ بالجزائر العاصمة، ولم يلق هذا أي اعتراض⁶،

1 Lakhder bentobbal : op cit ,p 318.

2 Ibid , p 318.

3 محمد حربي: المصدر السابق، ص 158.

4 Lakhder bentobbal: op cit ,p 319.

5 ibid ,p 319.

6 Ibid, p 320.

لأن "بن مهدي" قد أصرّ على دخول التشكيلات السياسية إلى المجلس، من منطلق ضمان الوحدة الوطنية، ومن جهته رفض "بن طبال" عدة أسماء. وفي ظل هذا الوضع حاول "زيغود" تهدئة "بن طبال" مؤكداً أنه لا بدّ من التعايش مع المستجدات الجديدة، حتى يتم تجنب وقوع أي مشادات قد تتسبب في رحيل وفد الشمال القسنطيني، فالقائمة الأولى رُفضت ثم أعيدت صياغتها واقتُرحت تشكيلة مرة أخرى، غير أنه تم رفضها من طرف "أوعمران" أيضاً¹، غير أن عناد هذا الأخير في رفضه للقوائم المقترحة، قد انتهى به الأمر إلى الاستسلام، وربما تحت ضغوطات كل من عبان وكريم التي مورست عليه خارج الاجتماعات، ممّا جعل مجموعة قسنطينة وحدها منفردة في مواقفها. ومن بين ما تم الاتفاق عليه أيضاً تنظيم القضاء الثوري لضمان محاكمات عادلة²، ومنها مسألة الإعدام لشخصيات ذات طابع وطني، ولا ينبغي بأي حال من الأحوال الحكم على بعض الشخصيات وإدانتهم من قبل الولايات، دون العودة إلى لجنة التنسيق والتنفيذ باعتبارها قيادة مركزية³.

لكن الأمر المطروح الذي في نظرنا يحتاج إلى توضيح هو اقتراح "عبان" على قادة الشمال القسنطيني أن يتم تعيين مزهودي قائداً للولاية الثانية، وهذا ما تم رفضه لأنه لم يكن من المنظمين الأوائل، بل كان تواجهه قبل مؤتمر الصومام بثلاثة أشهر فقط، بالرغم من هذا فقد تم فرضه من طرف "عبان" كعضو في مجلس الولاية نظراً لجهوده في حشد العلماء إلى الثورة⁴.

1 Lakhder bentobbal: op cit , p322.

2 منى صالح: نظام القضاء أثناء الثورة التحريرية (1954-1962) الولاية الأولى أتمونجا، مكتبة عراس للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2015، ص 29.

3 Lakhder bentobbal : op cit,p 322.

4 Ibid,p322.

وقبل الختام قدم "بن مهدي" التقرير السياسي إلى المجتمعين، حيث شاركه "عبان" بوجه عام بأرائه، والذي تمحور حول مستقبل الجزائر والوضع على الصعيدين الداخلي والخارجي، كما أشار إلى الرأي العام الفرنسي والاتصالات التي أجريت مع حكومة الاحتلال، ولمح "بن مهدي" إلى احتمال اللقاء قريبا في سنة 1957 في شارع الجزائر من أجل الاحتفال بالنصر¹.

وقبل المغادرة وبعد السماع بوفد "عمر بن بولعيد" الذي حاول تمثيل شقيقه "مصطفى" أنهم في نواحي سطيف، إلا أن "زيغود" و"بن طبال" أكدا للمجتمعين أنه استشهد، ممّا يعني أن الرسالة التي يحملها مزورة، وعلى أساس هذه الأخبار عقد القادة اجتماعا استثنائيا حول هذه المسألة، وتم تعيين "زيغود يوسف" لحل النزاع في الأوراس، ومزهودي لجمع رؤساء النمامشة، ثم كان عليهما الاثنان أن يجتمعا لتوحيد الأطراف المتصارعة وتأسيس مجلس الولاية².

خاتمة:

نستنتج من خلال ما سبق أن مذكرات "بن طبال" تعد مصدر مهم في كتابة تاريخ الشمال القسنطيني، خاصة "ميلة" في مرحلة ما قبل الثورة سواء تعلق الأمر بالحركة الوطنية وإعادة بناء الحركة بعد الحرب العالمية الثانية، كما نقل الوضع العام الذي شهدته ميلة في تلك الفترة.

لا تختلف مذكرات "بن طبال" عن غيرها من المذكرات التي سجلها قادة الثورة، لكن الجديد فيها أنه اعتمد على الأسلوب التحليلي أكثر من سرد الأحداث التاريخية، أما بخصوص تناوله لمؤتمر الصومام فقد أشار إلى عدة

1 Ibid, p 325.

2 Ibid, p 330.

نقاط لم يتم تناولها في مصادر أخرى مثل: ترأس "كريم بلقاسم" لجلسات المؤتمر، ومسألة رواتب بعض قادة القبائل، ووجود بعض الإشارات للنقاط الخلافية حول مؤتمر الصومام في المناقشة، والنقطة الأهم أن "بن مهدي" هو وراء العديد من النقاط في المؤتمر وقد وافقه "عبان" عليها.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر باللغة العربية:

الشهادات:

- مقابلة مع المجاهد عزالدين بن مبارك بمنزله بالمنظر الجميل، يوم 4 فيفري 2020، على الساعة 9:00.
- شهادة أوعمران لمحمد عباس، يومية الشعب، العدد 6473، الجزائر، 1984/8/20.
- شهادة علي محساس لمحمد عباس، جريدة الشعب، العدد 6661، الجزائر، 26/مارس، 1985.
- شهادة أحمد بن بلة في حصة شاهد على العصر، قناة الجزيرة، أبو ظبي، 2002.
- شهادة لخضر بن طبال: الطريق إلى نوفمبر كما يروها المجاهدون، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1981، ج3.

-المذكرات الشخصية:

- bentobbal lakhder : mémoires de l' intérieur , éd Daho djerbal chihab éditions, 2021
- ابن النوي مصطفى مرادة: مذكرات الرائد مصطفى بن مرادة ابن النوي، شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، إعداد مسعود فلوسي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
- آيت أحمد حسين: روح الاستقلال، مذكرات مكافح، 1942-1952، تر: سعيد جعفر، دار البرزخ، 2001.
- بن جديد الشاذلي: مذكرات ملامح حياة 1929-1979، الجزء الأول، دار القصبية للنشر.
- بن خدة يوسف: مذكرات الرئيس، شهادات ومواقف، دار النعمان، ط1، 2004.
- بوداود عمر: أسلحة الحرية، الجزائر حرب التحرير مذكرات وشهادات، ترجمة فخر الدين بلدي، pafar ، 2016.
- بورقعة لخضر: مذكرات لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، دار الأمة، الجزائر، ماي 2000.
- الحسيني عبد الحفيظ أمقران : مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 .
- الزبير الطاهر : مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين (1929/1962) منشورات ANEP، 2008.
- سعدي عثمان: مذكرات عثمان سعدي بن الحاج، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2000.

- كافي علي: مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 2014.

- اليوسفي عبد الرحمان: أحاديث فيما جرى شذرات من سيرتي كما رويتها لبودرقة 1، إعداد مبارك بودرقة، ط1، دار النشر المغربية، عين السبع، الدار البيضاء، 2018.

أ-الكتب:

-الإبراهيمي محمد البشير: في قلب المعركة (1962-1954)، دار الأمة، الجزائر، 1997.

- بجاوي محمد: الثورة الجزائرية والقانون، تر: علي الخش، دار البيضة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1965

- حربي محمد: الجزائر 1954-1962 جبهة التحرير الوطني الاسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، ط ع1، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1983.

- دحلب سعد: المهمة المنجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، 1986.

- الذيب فتحي: جمال عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984.

- الشيخ سليمان: الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، دراسة تحليلية في شارع الحركة الوطنية والثورة المسلحة، الجزائر، 2002

- قليل عمار: ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، الدار العثمانية للنشر، الجزائر، 2013.

- محساس أحمد: الحركة الثورية في الجزائر عن الحرب ع إلى الثورة المسلحة، دار القصة، الجزائر، 2002.

المصادر باللغة الفرنسية:

-Belhocine mabrouk: le courrier Alger –le Caire 1954-1956, éditions casbah, Alger , 2000.

-Dib Fethi : Abdnacer et la révolution algérienne , paris, l' harmattan , 1985

-Harbi mohamed : les archives de la révolution algérienne , ed jeune afrique, paris, 1985

-Harbi mohamed :le F.L.N mirage et réalité ,des origines a la prise du pouvoir 1945-1962, ed jeune Afrique , paris, 1980, alger , 1993

-Lebdjaoui mohamed : vérité sur le révolution algérienne,Gualimard, paris.

-Meynier Gilbert: histoire intérieur du FLN,1954-1962 préface de mohamed harbi, casbah éditions, alger , 2003.

المراجع:

- بلحاج صالح: تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2010.

- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1979.

- بوعزيز يحيى: الثورة في الولاية الثالثة 1954-1962، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2004.

- بومالي أحسن: إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

- حميد عبد القادر: عبان رمضان، مرافعة من أجل الحقيقة، منشورات الشهاب، الجزائر، 2003.

- زروال محمد: إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية -الولاية الاولى نموذجا، ط خ من وزارة المجاهدين، المطبعة الرسمية البستاتين، الجزائر، 2007.

- شوقي عبد الكريم: دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية 1954، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

- صالحى منى: نظام القضاء أثناء الثورة التحريرية (1954-1962) الولاية الأولى أنموذجا، مكتبة عراس للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2015.

- عباس محمد: ثوار عظام، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

- لونيسي رايح: الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين، دار المعرفة، باب الزوار، الجزائر، 2002.

- ميلود تيزي: مواقف قادة الثورة من مؤتمر الصومام، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سيدي بلعباس، الجزائر، 2013.

- النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 54(نداء أول نوفمبر، مؤتمر الصومام، مؤتمر طرابلس)، تصدير عبد العزيز بوتفليقة.

المجلات:

-أبأسطة أرزقي: أوعمرني أمرني بقتل محساس، جريدة الخبر، 2011.

- حباسي شاوش: مؤتمر الصومام، آراء ومواقف، مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، علمية نصف سنوية، العدد 4، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003-2004.

-كريم بلقاسم: أيام حاسمة قبل الثورة، جريدة المجاهد، 1 نوفمبر 1959، العدد 53.

- مقالاتي عبد الله: العقيد لخضر بن طوبال ودوره في قيادة الثورة الجزائرية، مجلة أفكار وآفاق، المجلد 15، العدد 27.

الرسائل الجامعية:

- بوعروية عبد المالك: العلاقات بين الولايات التاريخية للثورة التحريرية (1954-1962)، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر، اشراف شاوشي حباشي، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005-2006.

- شيوب محمد: اجتماع العقده العشر من 11 اوت الى 16 ديسمبر 1959 ظروفه، أسبابه وانعكاساته على مسار الثورة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص الثورة التحريرية 1954-1962، إشراف بوعلام بلقاسمي، جامعة وهران، 2009-2010.

التقارير:

- تقرير الملتقى الجهوي الثالث لكتاب التاريخ لولايات الغرب -الولاية الخامسة-مرحلة 1956-1958 المنعقد بولاية سعيدة 1985، طبع محافظة تلمسان.
- ملتقى كتابة تاريخ الثورة ما بين 1959-1962 الخاص بالولاية الثالثة، 23 و 24 أبريل 1987، تيزي وزو.
- تقارير الولاية السادسة التاريخية، المجلد 1 (تقرير الملتقى الجهوي الثاني لكتاب تاريخ الثورة نوفمبر 1954 للولاية السادسة بسكرة 5-6 فيفري 1985).

الثورة الجزائرية في جريدة المقاومة الجزائرية (1956 – 1957) The Algerian Revolution in the Algerian Resistance newspaper (1956-1957)

كحط د/شارف مريم

جامعة تلمسان

charefmeriem3@gmail.com

الملخص:

أدركت الثورة الجزائرية منذ اندلاعها بأنّ الإعلام يعدّ أحد الوسائل الرئيسية في مواجهة الاستعمار إلى جانب قوّة السلاح، وبناء على هذه الأهمية جاء توظيف مختلف وسائل الإعلام والدعاية في هذه المسيرة النضالية، سواء منها التقليدية كالصحف والبرامج الناطقة باسم جبهة التحرير الوطني والبيانات، أو الجديدة مثل الإذاعة والسينما والمسرح وغيرها. ونظرا لدور الصحافة كوسيلة إعلامية مؤثرة ومسيطرة على عقول الشعوب، وتوجّهاتهم وآرائهم، عملت إدارة جبهة التحرير الوطني على إصدار صحيفتين ناطقتين باسم جبهة التحرير الوطني، فكانت جريدة المقاومة الجزائرية، هي أوّل جريدة وطنية ناطقة باسمها عبر كامل ربوع الوطن الجزائري، إن على مستوى الداخل، أي عبر الولايات العسكرية التاريخية، أو على مستوى فعاليات النشاط السياسي في الخارج وما ارتبط به من تدويل للقضية الوطنية.

Abstract:

Since its outbreak, the Algerian revolution has realized that the media is one of the main means of confronting colonialism besides the force of arms, and based on this importance came the employment of various media and propaganda in this struggle, whether traditional ones such as newspapers and programs speaking on behalf of the National Liberation Front and statements, or new ones such as radio Cinema, theater, etc. In view of the role of the press as an influential media and controlling the minds of peoples, their orientations and opinions, the National Liberation Front administration worked to issue two newspapers speaking in the name of the National Liberation Front. That is, through the historical military states, or at the level of political activity activities abroad, and the internationalization associated with it for the national cause.

مقدمة:

تتعدّد مصادر كتابة التاريخ الوطني، وتعتبر الصحافة مصدراً للتاريخ، فهي سجل يوميّ لتطوّر دينامية المجتمعات بحكم متابعتها اليومية للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية، حيث أن كتابة التاريخ لم تعد كلاسيكية قائمة على سرد الأحداث الكبرى، بل تحاول التأريخ للمجتمع في شموليته، كما أن تقنية التركيب التاريخي عبر "تبويب التاريخ" وفق مواضيع، ليست بالتقنية الجديدة، بل هي نسخٌ للتبويب المعمول به في الصحف.

إنّ الصحافة الوطنية قد عرفت ميلادها منذ القرن التاسع عشر، وارتبطت ارتباطاً مباشراً بالاستعمار الفرنسي للجزائر، إلا أنها لم تعرف وجودها كصحافة وطنية بأفلام جزائرية إلا مع نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، لتظهر لاحقاً على شكل صحافة حزبية، لها توجّهها السياسي خلال فترة الحركة الوطنية الجزائرية. ومع ميلاد الثورة التحريرية في فاتح نوفمبر 1954، أدمجت أغلب الصحف الوطنية في جريدة واحدة، اعتبرت لسان حال الثورة والثوريين، حملت في بدايتها اسم المقاومة الجزائرية ثم لاحقاً المجاهد، وقد لعبت هاتان الجريدتان دوراً كبيراً في التأريخ لمرحلة هامة وحاسمة من التاريخ الوطني، ألا وهي الكفاح المسلّح، هذا الأخير وإن كان من الفترات التي لاقت إقبالا واسعا على التدوين والكتابة من لدن الدارسين والباحثين، إلا أن جوانب أخرى عديدة ما تزال مبهمّة لدى كثير منهم.

هدف الدراسة: هدف الدراسة يكمن في نقطتين رئيسيتين:

- بيان دور صحافة الثورة الجزائرية كونها صحافة وطنية شاملة وعامة، في رصد مجريات الثورة، وأحداثها الكبرى داخلياً وخارجياً.
- رصد أحداث الثورة السياسية والعسكرية من خلال الأعداد والمقالات المنشورة

في جريدة المقاومة الجزائرية.

إشكالية الدراسة: تتمثل الإشكالية العامة للدراسة في معرفة مدى تغطية جريدة المقاومة الجزائرية لنشاطات الثورة التحريرية داخليا خارجيا.

إطار الدراسة: يمتد هذا البحث من الناحية الكرونولوجية من 1956 إلى 1957، وهي مرحلة برغم قصرها إلا أنها ثرية وامتزاحة بالأحداث السياسية، لأنها تعدّ مرحلة انتقالية للثورة، من مرحلة اللاشمولية واللاتنظيم، إلى مرحلة الشمولية والتنظيم، وهذا ما يجعل أعداد ومقالات جريدة المقاومة الجزائرية ذا قيمة كبيرة بالنسبة لتاريخ الثورة خلال فترة صدورها.

منهج الدراسة: إنّ المنهج المتّبع في الدراسة هو المنهج التاريخي الوصفي، وهو ما اعتمدهنا في وصف الجريدة ورصد محتواها وتطورها التاريخي، وفي وصف أغلب المقالات والعناوين الصحفية، على أنّ المنهج الإحصائي طغى على المنهج السابق أثناء عمليّة جرد وإحصاء مجمل المقالات التي تحدثت عن العمليات الحربية، كما صنّفنا عناوين المقالات المتواجدة في الجريدة على أساس موضوعاتي.

1- جريدة المقاومة الجزائرية (RÉSISTANCE ALGÉRIENNE) (1957-1955)

هي لسان حال جبهة التحرير الوطني الجزائر، ظهرت فيها ثلاث طبعات مختلفة المحتوى، منذ 1955، توقفت عن الصدور بعد أن دخلت مقرّرات مؤتمر الصومام المنعقد يوم 20 أوت 1956 حيّز التنفيذ، صدر آخر عدد منها بتاريخ جويلية 1957¹.

1 - فضيل دليو، تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة (1830-2013)، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص116.

صدرت الجريدة في ثلاث طبعات مختلفة في كل من فرنسا وتونس والمغرب، وكانت الطبعات الثلاث تتسرب سرًا إلى داخل الجزائر عن طريق المناضلين، ولم يكن هناك تنسيق في العمل بين الطبعات الثلاث.

أ - الطبعة الأولى: (من 22 نوفمبر 1955 وحتى مطلع 1956) (الطبعة أ) كانت تصدر باللغة الفرنسية، صدرت في فرنسا وطبعت بسويسرا، ظهر منها 3 أعداد فقط، وكان يفودها المناضل صالح الونشي¹، توقفت قبل صدور الطبعتين الثانية والثالثة².

ب - الطبعة الثانية: (الطبعة ب) (من 5 جويلية 1956، وحتى 20 جويلية 1957)

صدرت بالمغرب باللغتين (ورقتان بالعربية ومثلهما بالفرنسية)³، وبقيادة محمد بوضياف، الذي جمع حوله فريقًا متكوّنًا تواليًا من علي هارون⁴، حسين

1 - صالح الونشي (-1990) ولد بمنطقة القبائل، وهو من قدامى المناضلين، بدأ يتدرّج في المناصب السياسية منذ أن كان مسؤولًا بالكشافة الإسلامية، والتحق بجبهة التحرير الوطني سنة 1955، وتم تعيينه بإدارة فيدرالية فرنسا، اعتقل سنة 1957، وأفرج عنه بعد الاستقلال.

(Achour cheurfi, dictionnaire encyclopédique de l'algerie, culture, politique, société, histoire, personnalités, événements, édition A.N.E.P, Alger, 2010, p 1011).

2 - فضيل دليو، المرجع السابق، ص116.

3 - ابتداء من العدد 11 من الطبعة (ب)، أصبح عدد الصفحات يتراوح ما بين 6 إلى 8 صفحات بالعربية ومثلها بالفرنسية.

4 - علي هارون (1927 -): أو محمد علي هارون، سياسي ومحامي جزائري، مناضل سابق في صفوف جبهة التحرير، ولد بالجزائر العاصمة، التحق بالدراسة الابتدائية والثانوية بالجزائر، ثم انتقل بعدها إلى فرنسا لمتابعة الدراسات العليا، أين حصل على ليسانس في الحقوق، وحصل على شهادة لمزاولة المحاماة ولاحقًا شهادة دكتوراه فرنسا سنة 1958، وما بين 1960 و1962 أصبح عضوًا في المجلس الوطني للثورة، وبعد الاستقلال عارض ترشيح أحمد بن بلة ودستوره، ما اضطره إلى ترك الحياة السياسية والانشغال بوظيفة المحامي في المحكمة العليا، وبعد استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد، واغتيال محمد

بوزاهر¹، زهير إحدادن²، وغيرهم، ظهر منها 36 عددا³.

ج - الطبعة الثالثة: (من 1 نوفمبر 1956 وحتى 15 جويلية 1956)
(الطبعة ج)

صدرت بهذا التاريخ باللغة العربية، أمّا باللغة الفرنسية فصدرت في 21 ديسمبر 1956⁴، طبعت في تونس من قبل فريق متكوّن من عبد الرزاق شنتوف، محمد الميّلّي، عبد الله شريط، الأمين بشيشي، عيسى مسعودي، عبد

بوضياف، عُيّن كعضو في المجلس الأعلى للدولة، لتسيير شؤون البلاد أثناء العشرية السوداء التي عصفت بالبلاد.

(Achour cheurfi, op.cit, p580)

1 - حسين بوزاهر (1935 -): كاتب وصحفي جزائري، ولد يوم 5 جانفي 1935 في ليانة ولاية بسكرة، في أسرة مثقفة، وهناك زاول دراسته، واستكمل دراسته العليا في الآداب في بوردو، عُيّن مسؤولا عن فدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا (1960-1962)، كما اشتغل في هيئة التحرير لجريدة المقاومة الجزائرية والمجاهد لاحقا (1957-1962)، وبعد الاستقلال عاد إلى الجزائر، وتخصّص في قطاع المحروقات، له العديد من المؤلفات في مجال الأدب والفنّ - (Achour chereufi, op.cit, pp 329).

2 - زهير إحدادن (1929 -) صحفي ومؤرخ جزائري، ولد في 17 جويلية 1929، في سيدي عيش بجاية، درس في جامعة الجزائر، اشتغل كسكرتير مساعد في رابطة الطلبة المسلمين الشمال الإفريقي (AEMAN) ما بين (1952-1953)، ناضل في حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية ثم في جبهة التحرير لاحقا حيث عمل في قسم المعلوماتية في لجنة التنسيق والتنفيذ ثم في الحكومة المؤقتة، كان عضوا فاعلا في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGMEMA) منذ سنة 1956، وأستاذا في جامعة الجزائر منذ 1957، بعد الاستقلال عمل كمناضل في حركة الأمة منذ 1990، وفي 2001 فتح دار للطباعة والنشر تسمى التراث، وهو من الأعضاء 9 في سلطة ضبط السمعي البصري التي أعلنها الوزير الأول سلال منذ جوان 2016، وله العديد من المؤلفات في مجال الإعلام والصحافة والتاريخ.

(Achour cheurfi, op.cit, p617).

3 - المقاومة الجزائرية، الطبعة (ب).

4- نفسه، الطبعة (ج).

الرحمان شيبان، محمد صالح صديق وفرانز فانون، وغيرهم¹، وبعد عقد مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956، تقرّر إنشاء جريدة ناطقة باسم جبهة التحرير الوطني، إن على مستوى الداخل أو الخارج، ليحلّ محلّ جريدة "المقاومة الجزائرية" لإصدارهما وإدماجهما في جريدة "المجاهد"، على أنّ المقاومة الجزائرية لم تتوقف فعليا عن الصدور حتى تاريخ 20 جويلية 1957، نتيجة ظروف العمل السريّ وضعف التنسيق².

2- الثورة الجزائرية في مقالات المقاومة الجزائرية (1956 - 1957):

عالجت جريدة المقاومة الجزائرية بنسختها³ العديد من المواضيع الهامة، إبّان فترة صدورها بما في ذلك النشاط الثوري داخليا وخارجيا، والسياسة الاستعمارية، والدعم الخارجي للثورة، وغيرها.

2- 1 - النداءات والتصريحات والبلاغات:

تناولت جريدة المقاومة الجزائرية بطبعتيها (ب) و (ج) العديد من المقالات التي تتضمن في فحواها النداءات التي كانت تصدرها قيادة جبهة التحرير إلى أجهزتها⁴، أو إلى الشعب الجزائري⁵، أو من بعض تنظيماتها الشعبية إلى الرأي العام العالمي والفرنسي⁶، مستخدمة في ذلك لهجة الحشد

1- مجموعة مؤلفين، الإعلام ومهامه أثناء الثورة، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 375.

2 - فضيل دليو، المرجع السابق، ص 117.

3- اقتصر بحثنا على الطبعتين "ب" و "ج" لأن الإطار الزمني للدراسة فرض علينا ذلك (1956-1957) والطبعة "أ" صدرت قبل ذلك (1955).

4 - المقاومة، العدد 5، ص 3، العدد 6، ص 2، ص 3، الطبعة (ب).

5 - نفسه، العدد 1، 5 جويلية 1956، ص ص 1-2، الطبعة (ب).

6 - نفسه، العدد 26، 1 إلى 10 أبريل 1957، ص ص 1-2، الطبعة (ب).

والتعبئة للالتفاف حول الثورة، وكافة أجهزتها المختلفة، كما ظهر ذلك جلياً في النداء الموجّه إلى الجزائريين لمقاطعة المدارس الفرنسية لتوحيد الكلمة تحت راية جبهة التحرير الوطني¹.

أمّا عن التصريحات، فأغلبها كانت متزامنة مع مجمل الأحداث الطارئة على الثورة، نذكر من ذلك مثلاً تصريح الجبهة إثر اختطاف القادة الخمس الجزائريين²، وتصريح محمد يزيد حول الاتصالات الرسمية التي جرت بين مندوبي رئيس الوزراء الفرنسي "غي موليه" وزعماء الثورة³.

يظهر جلياً من خلال أغلب تلك التصريحات، أنها كانت موجّهة إلى الرأي العام العالمي والوطني من جهة، ولإعلام المواطن الجزائري والعالم بالتطوّرات السياسية الملازمة للنشاط الثوري. أما عن البلاغات، فعادة ما كانت تصدر من جهة رسمية تابعة للثورة، أو داعمة لها على المستوى الوطني أو العالمي، فمثلاً نجد بلاغا صادرا عن لجنة التنسيق والتنفيذ حول الجرم المرتكب في حقّ الشهيد العربي بن مهيدي⁴، وبلاغا آخر من الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين⁵، وفي نفس السياق نجد بلاغا آخر من جمعية الطلبة المغاربة⁶.

ما يؤخذ على هذه البلاغات، أنّ الغاية من نشرها هو فضح السياسة الاستعمارية المسلطة على الثورة الجزائرية وعلى الشعب الجزائري من المدنيين

1 - نفسه، العدد 8، 20 سبتمبر 1956، ص2، الطبعة (ب).

2- نفسه، العدد 11، 1 أبريل 1957، ص12، الطبعة (ج).

3- نفسه، العدد 13، 20 نوفمبر 1956، ص6، الطبعة (ب).

4- المقاومة، العدد 9، 18 مارس 1957، ص12، الطبعة (ج).

5- نفسه، العدد 29-30، 1 إلى 20 ماي 1957، ص2، الطبعة (ب).

6- نفسه، ص نفسها.

وغير المدنيين، وضد دعايتها المغرضة الرامية إلى تشويه الحقائق وتزييف الحوادث.

2 - 2 - نشاطات الثورة:

أ - داخليا: كثيرا ما اقترن النشاط الثوري الداخلي في "المقاومة" بنسختها بالجانب العسكري أكثر من السياسي، فعن الجانب العسكري، تناولت أعداد الجريدة مختلف المعارك الحربية والعمليات العسكرية، حيث خصّص لأغلب أعدادها صفحة بأكملها عن مجمل العمليات الحربية والعسكرية ونشاط جيش التحرير الوطني في الأيام الماضية وفي كامل ولايات الوطن¹، وذلك تحت عنوان: "يوميات الجزائر"²، أو "يوميات الكفاح الجزائري"³، أو "الثورة تسير"، "أنباء الواجهة"، "هذه ثورتنا"⁴.

1- خصّصت المقاومة الجزائرية في طبعتها الثانية، وفي مجمل أعدادها صفحة بأكملها عن العمليات الحربية لعمالة وهران لوحدها.

2- المقاومة، العدد 6، ص ص 2-3، العدد 7، 10 سبتمبر 1956، ص 2، ص 4، العدد 8، ص 4، العدد 9، 1 أكتوبر 1956، ص 2، العدد 10، 11 أكتوبر 1956، ص 1، ص 3، الطبعة (ب).

3- نفسه، العدد 4، ص 1، ص 3، العدد 13، ص 3، ص 5، العدد 15، 10 ديسمبر 1956، ص 4، ص 6، العدد 17، جانفي 1957، ص 3، ص 4، العدد 18، 16 جانفي، 1957، ص ص 2-3، العدد

19، 20 جانفي 1957، ص ص 4-5، العدد 20، 1 إلى 10 فبراير 1957، ص ص 4-5، العدد 21-22، 11 إلى 28 فبراير 1957، ص ص 4-5، العدد 23، 1 إلى 10 مارس 1957، ص 4، العدد

26، ص 6، العدد 27، 11 إلى 20 ابريل 1957، ص 6، العدد 28، 21 إلى 30 ابريل 1957، ص 6، العدد 29-30، ص ص 4-5، 10 نوفمبر 1956، ص ص 5-6، الطبعة (ب).

RÉSISTANCE ALGÉRIENNE, n° 31, 20-31 mai 1957, P7, n° 32, 1-10 juin 1957, P10, n° 33, 10-20 juin 1957, P8, n° 34, 5 juillet 1957, P8, n° 35, 5-13

juillet 1957, P6, n° 36, 13-20 juillet 1957, P6, n° 5, P 3, Edition (b).

4- المقاومة، العدد 2، 15 نوفمبر 1956، ص 05، العدد 3، 3 ديسمبر 1956، ص 10، العدد 4، 24 ديسمبر 1956، ص 2، العدد 5، 12 جانفي 1957، ص 15، العدد 9، ص 02، العدد 10، 25 مارس

كما تناولت في مواطن أخرى تفاصيل معارك حربية لوحدها، مثل المقال المعنون بـ "معركة تكفرت"¹، ومقال آخر حول "معركة بوشقوف"²، وعن عمليات عسكرية مثل المقال الموسوم: "كمين صحب اللوزة"³، كما أوردت مقالات عن معسكرات لتدريس جيش التحرير الوطني⁴، ومقالا آخر عن "كفاح الشعب الجزائري وصبره"⁵. كما بينت الجريدة في مقالات أخرى، الخطّ العسكريّ الذي تنتهجه الثورة من خلال مقال نُشر على جزأين بعنوان: "خمسون يوما مع الثوار"⁶.

أمّا عن الجانب السياسي، فقد اقتصر على المقالات الداعية إلى معاداة فرنسا ومقاطعتها، ورفض الانتخابات التي جاء بها "غي موليه" ورفض شعاراته المزعومة الداعية إلى تحقيق السلم⁷، كما عالجت في مقال آخر سياسة جبهة التحرير في إحباط المناورات الاستعمارية⁸.

ومن بين أهمّ الأحداث السياسية والتي حظيت بتغطية صحفية من قبل الجريدة هو إضراب الثمانية أيّام (28 يناير - 4 فبراير 1957)، كونه الحدث

1957، ص11، العدد 12، 8 أبريل 1957، ص2، العدد 14، 6 ماي 1957، ص2، ص11، الطبعة (ج).

1- المقاومة، العددين 29-30، ص ص 1-2، الطبعة (ب).

2- نفسه، العدد 3، ص11، الطبعة (ج).

3- نفسه، العدد 9، ص 1 ص4، الطبعة (ب).

4- نفسه، العدد 12، ص2، الطبعة (ب).

5- نفسه، العدد بين 21-22، ص2، ص7، الطبعة (ب).

6- نفسه، العدد 5، ص7، ص9، العدد 6، 28 جانفي 1957، ص6، ص8، الطبعة (ج).

7 - نفسه، العدد 11، ص3، الطبعة (ج).

8 - نفسه، العدد 14، ص 3، الطبعة (ج).

السياسي الأبرز مَدّة صدور الجريدة في تاريخ الثورة¹.

إن النشاط الثوري الداخلي سواء أكان العسكري أو السياسي، قد حظي بتغطية عامّة من قبل أغلب أعداد جريدة المقاومة، فعلى الرغم من ضعف التنسيق بين نسختيها، إلا أنها أعطت صورة شبه مكتملة عن الوضع في الجزائر، كما أن الأسلوب المعتمد كان قائماً على نمط الإحصاء سيما ما يتعلّق بالعمليات الحربية والعسكرية، بالإضافة إلى الأسلوب التحفيزي التحرري الرامي إلى رفع معنويات المجاهدين والشعب الجزائري على حدّ سواء.

ب - خارجياً: إن قيادة الثورة التحريرية، عمدت منذ انطلاقتها على تدويل القضية الوطنية، معتمدة في ذلك على نشاط وفدها الخارجي، وعلى أجهزتها المختلفة، وكذا نشاطها الدبلوماسي السياسي، ولعلّ هذا ما اقتصر عليه النشاط الثوري الخارجي في البداية، وهذا أيضاً ما اقتصرت عليه مقالات الجريدة، حيث تناولت مختلف التصريحات والبرقيات والمراسلات الموجهة إما إلى هيئة الأمم المتحدة²، أو المعسكر الاشتراكي³، الداعم لحركات التحرر وقتئذ، أو إلى زعماء هذه الحركات في دول العالم الثالث⁴، طالبة منهم الدعم والتأييد لنصرة القضية الوطنية.

كما ناقشت الجريدة في إحدى مقالاتها المؤتمر الاشتراكي الآسيوي الثاني الداعم للقضية الجزائرية⁵، وفي مقال آخر تطوّرات القضية الوطنية في

1 - نفسه، العدد 17، ص6، الطبعة (ب)، العدد 7، 16 فبراير 1957، ص3، ص11، الطبعة (ج).
 2 - المقاومة، العدد 18، ص6، العدد 29-30، ص3، الطبعة (ب)، العدد 3، ص76، الطبعة (ج).
 3 - نفسه، العدد 12، ص1، ص6، الطبعة (ب).
 4 - 36، P2، P3، RÉSISTANCE ALGÉRIENNE، العدد 19، ص ص 1-2، الطبعة (ب).
 5 - المقاومة، العدد 16، 20 ديسمبر 1956، ص3، الطبعة (ب).

الميدان الدولي¹. تناولت الجريدة من جانب آخر، مساعي قيادة جبهة التحرير الوطني في هيئة الأمم المتحدة لتسجيل القضية الوطنية في جدول أعمالها²، كما تضمّنت بعض مقالاتها ردًا على مزاعم فرنسا حول الثورة الجزائرية، والقضية الوطنية بشكل عام³، على المستوى الدولي.

2 - 3 - الدعم المحلي والخارجي للثورة:

تعتبر الثورة الجزائرية من حركات التحرر العالمية التي ظهرت في دول العالم الثالث طيلة أربعينات وخمسينيات القرن الماضي، وعلى غرار سائر حركات التحرر، سعت الثورة التحريرية بقيادتها إلى الحصول على الدعم والتأييد، إن على مستوى دول العالم الثالث، بما في ذلك البلاد العربية، والدول الآفروآسيوية، أو على مستوى العالم أجمع، فظهر هذا الدعم السياسي في أعداد كثيرة لجريدة المقاومة الجزائرية، سواء الدعم الوطني الشعبي، أو الدعم العربي، أو العالمي.

وفي هذا السياق، أوردت الجريدة عدّة مقالات تبين مدى تضامن الشعب وتلاحمه مع الثورة، ومن أبرز المقالات نجد مقالا بعنوان: "وحدة الكلمة في الشعب الجزائري"⁴، يختصر صور التضامن الشعبي مع الثورة، ومقال آخر بعنوان: "رجال البادية في حركة الثورة"⁵، كما تناولت الصحيفة في مقالات أخرى دور المرأة الجزائرية في الكفاح وتعاونها وتكاتفها جنبًا إلى جنب مع

1 - نفسه، العدد 21-22، ص1، ص7، الطبعة (ب).

2 - نفسه، العدد 13، ص ص1-2، العدد 18، ص6، الطبعة (ب).

3 - نفسه، العدد 16، ص2، العدد 29-30، ص3، الطبعة (ب).

4 - المقاومة، العدد5، ص2، الطبعة (ج).

5 - نفسه، العدد 17، ص5، الطبعة (ب).

المجاهدين الجزائريين¹.

أمّا على مستوى البلاد العربية، فقد تناولت الجريدة دعمها وتأييدها بشيء من التفصيل، خاصةً دول المغرب العربي وذلك من خلال المقالات: "تضامن الشمال الإفريقي حقيقة ملموسة"²، "تونس بجانبنا"³، وأيضاً "الجزائر مشكلة المغرب العربي الأولى"⁴، وفي مقال آخر بينت الجريدة صورة من صور تضامن الشعب التونسي الشقيق بعنوان: "الأمة التونسية تحتضن اللاجئين الجزائريين"⁵.

وبعبارتي: "تأييد الشعوب العربية وتضامنها" و"الجزائر قوية بشقيقاتها العربية"⁶، وضحت الجريدة صورة من صور مناصرة الدول العربية للقضية الوطنية. أمّا على المستوى العالمي، وخاصةً دول العالم الثالث، بينت الجريدة التأييد الكبير الذي تلاقيه الثورة الجزائرية في كلّ من أمريكا اللاتينية⁷، وجاكرتا⁸، وبلاد المجر والهند⁹، وأندونيسيا¹⁰، وقبرص¹¹، والدول الآفروآسيوية بشكل عام.

1 - نفسه، العدد 28، ص4، الطبعة (ب)، العدد6، ص5، الطبعة (ج).

2 - نفسه، العدد15، ص1، ص3، الطبعة (ب).

RÉSISTANCE ALGÉRIENNE, n° 34, P14, édition (b).3-

4 - المقاومة، العدد 12، ص3، الطبعة (ج).

5 - نفسه، العدد16، 3 جوان 1957، ص12، الطبعة (ج).

6 - نفسه، العدد 20، ص ص 1-2، الطبعة (ب)، العدد 15، 20 ماي 1957، ص12، الطبعة (ج).

7 - نفسه، العدد15، ص6، الطبعة (ب).

8 - نفسه، العدد16، ص3، الطبعة (ب).

9 - نفسه، العدد 12، ص ص 1-2، الطبعة (ب).

10 - نفسه، العدد20، ص2، الطبعة (ب).

11 - نفسه، العدد 13، 22 أبريل 1957، الطبعة (ج).

ولم يقتصر هذا التأييد والدعم على العالم الثالث فقط، بل امتد إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ومما يؤكد ذلك عنوان المقال في المقاومة: "مسلموا الولايات المتحدة الأمريكية يعلنون تضامنهم الفعال مع جيش التحرير الجزائري"¹، كما ناقشت الجريدة مذكرة حول الإعانة الخارجية للجزائر²، وكذلك آراء الألمان عن حرب الجزائر³، بالإضافة إلى مقالات أخرى تتحدث عن تضامن النقابات العمالية العالمية مع عمال الجزائر وثورتهم المجيدة⁴.

من القضايا الهامة التي تطرقت إليها الجريدة هو قضية التعذيب التي انتهجتها فرنسا في حق الشعب والثورة معا، حيث نشرت نماذج من تضامن العالم مع الثورة من جهة، واستنكاره لسياسة المستعمر القائمة على الوحشية والهمجية والإبادة من جهة ثانية⁵.

كما يبدو من بعض المقالات الأخرى أن الثورة الجزائرية كان قد وصل صداها إلى العالم الخارجي، فنذكر مقالا يتحدث عن تغطية الصحافة العربية لإضراب الثمانية أيام⁶، ولعلّ نجاح تدويل القضية الوطنية هو الذي ساهم بشكل كبير في حصول الجزائر على الدعم والتأييد من دول العالم.

2 - 4 - التنظيمات الشعبية في الثورة:

إنّ من بين المقرّرات التنظيمية لمؤتمر الصومام، هو تنظيم وتعبئة

1 - المقاومة، العدد 29-30، ص6، الطبعة (ب).

2 - نفسه، العدد 19، ص1، ص3، الطبعة (ب).

3 - RÉSISTANCE ALGÉRIENNE, n°36, PP 3-4, édition (b)

4- المقاومة، العدد 9، ص9، الطبعة (ج)، العدد 16، ص1، ص4، الطبعة (ب).

5 - نفسه، العدد 6، ص3، العدد 12، ص5، الطبعة (ج)، RÉSISTANCE ALGÉRIENNE, n°35, P5, édition (b)

6 - نفسه، العدد 7، ص8، الطبعة (ج).

الجماهير في منظمات تسير وفق مبادئ وقوانين جبهة التحرير الوطني، وخدمة للثورة، وسداً للطريق أمام فرنسا التي قد تلجأ إلى استعمال هذه الوسائل لضرب الثورة، حيث لعب الشهيد عبان رمضان دوراً مميزاً في بعث وتشكيل هذه المنظمات التي أدت دورها بشكل فعال تجاه الثورة¹.

وأمام هذه الأهمية التي اتسمت بها هذه المنظمات عملت جريدة المقاومة الجزائرية على تغطية أنشطتها المناصرة والمؤيدة للنشاط الثوري.

أ - الاتحاد العام للعمال الجزائريين: شكل العمال الجزائريون في 24 فبراير 1956، الاتحاد العام للعمال الجزائريين²، وذلك لمواجهة الحركة النقابية الفرنسية³.

وعن هذا النشاط تناولت صحيفة المقاومة الجزائرية النشاط النقابي الوطني والتنظيم العمالي الجماهيري في كثير من الأعداد، كما بيّنت في أغلب مقالاتها⁴ الكفاح النقابي للعمال الجزائريين من أجل إسماع صوتهم للخارج، ودعم القضية الوطنية⁵.

ب - الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين: أما الاتحاد العام للطلبة

1 - محمد العربي الزبيري وآخرون، كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية (1962-1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 59.

2 - جهاد عقل، الذكرى الخمسين لتأسيس الاتحاد العام لعمال الجزائر، مركز أبحاث ودراسات، الشبكة العالمية للمعلومات، ص 43.

3 - Messaoud Maadad, *guerre d'Algérie*, Ed, ENAL, Alger, 1992, P79

4 - المقاومة، العدد3، ص1، ص3، العدد16، ص2.

5- نفسه، العدد1، 1نوفمبر 1956، ص2، العدد2، 15 نوفمبر 1956، ص ص 8-9، العدد3، ص9، العدد4، ص9، العدد5، ص14، العدد6، ص9، العدد8، ص13، العدد10، ص8، العدد12، ص9، العدد14، ص9، العدد18، 1جويلية 1957، ص9، العدد19، 15 جويلية 1957، ص5، الطبعة (ج).

المسلمين الجزائريين الذي تأسس في شهر جويلية 1955¹، والذي يمثل الشباب والمتقفين، فقد حظي بتغطية لنشاطاته في جريدة المقاومة الجزائرية، فبعبارتي "نشاط الاتحاد الهام للطلبة المسلمين الجزائريين"² و"كفاح الطلبة الجزائريين"³، لخصّت الجريدة نضال هذا التنظيم، وتأييده المطلق للقضية الوطنية.

ج - الاتحاد العام للتجار الجزائريين: وأمّا الاتحاد العام للتجار الجزائريين، والذي تأسس في 20 سبتمبر 1956⁴، فقد بينت الجريدة في مقالين لها، نشاطه السياسي المناهض للمستعمر وسياسته الإجرامية ضد الأرض والإنسان، فكان المقال الأول عبارة عن خطاب ألقاه الأمين العام للاتحاد العام للتجار الجزائريين⁵، في حين تناول المقال الثاني بياناً مرسلًا من الاتحاد العام للتجار الجزائريين حول تدابير الاستعمار ضد الإضراب⁶.

كما بينت في مقال آخر السياسة الاستعمارية المطبقة على التجار الجزائريين أيام الإضراب الوطني المقرّر في 28 يناير 1957، بعنوان توضيحية للتجار الجزائريين⁷، إنّ هذه المنظمات الجماهيرية لعبت الدور الأكبر في دعم الثورة مادياً ومعنوياً، حيث كانت الخزان الذي يمدّها بالرجال والمال، ويقوم بالدعاية لها داخلياً وخارجياً في مواجهة الدعاية الفرنسية.

1 - محمد العربي الزبييري وآخرون، المرجع السابق، ص60.

2 - المقاومة، العدد13، ص01، العدد 17، ص07، الطبعة (ب).

3 - نفسه، العدد11، ص05، الطبعة (ب).

4 - Mohammed Teguija, l'Algérie en guerre, ed, OPU- Algérie, Sd, P140.

5 - المقاومة، العدد16، ص04، الطبعة (ب).

6 - نفسه، العدد20، ص05، الطبعة (ب).

7 - نفسه، العددين 21-22، ص02، الطبعة (ب).

2- 5 - أجهزة الثورة وأبرز إنجازاتها:

إنّ توسّع الثورة وانتشارها وتنظيمها مكنّها من تحقيق عدّة أهداف ومساعي، دفعت ببكرة الكفاح إلى الأمام، وهو ما أسهب بشكل كبير في ازدياد حاجتها إلى أجهزة أكثر فاعلية، إن على المستوى السياسي أو العسكري أو الإعلامي.

أ - أجهزة الثورة: إنّ التطوّر الكبير الذي عرفته الثورة الجزائرية، سيما بعد عقد مؤتمر الصومام، قد ساهم في زيادة الرقعة الجغرافية للنشاط العسكري لها من جهة، وفي زيادة الكمّ الجماهيري الملائم معها من جهة ثانية، كما أن تفنّن السلطات الاستعمارية في تطبيق سياساتها المتنوّعة بين سياسية واقتصادية وإغرائية، وعسكرية قمعية ودبلوماسية مناورة، دفع بقيادة الثورة إلى ابتكار أجهزة فاعلة، تعمل جنبا إلى جنب مع النشاط السياسي والعسكري للثورة.

فكانت إذاعة الجزائر الحرّة المكافحة التي حظيت بخطاب التدشين تم نشره في الجريدة¹، كما نشر في مقال آخر بلاغ عن إنشاء هيئة الهلال الأحمر الجزائري²، وتناولت الصحيفة كذلك الذكرى الأولى لصدور الجريدة ذاتها³. كما سردت بشيء من الاستفاضة أهم المقرّرات العسكرية والسياسية التي خرج بها مؤتمر الصومام 20 أوت 1956، وأهم الأجهزة السياسية والعسكرية الواجب ابتكارها لدعم نشاط جبهة وجيش التحرير الوطنيين⁴.

ب - إنجازات الثورة: نشرت المقاومة عدة مقالات تشرح سياسة جبهة التحرير الوطني وأهدافها ومساعيها التي أضحت جزءا من الواقع، من ذلك

1 - نفسه، العدد17، ص01، ص04، الطبعة (ب).

2 - نفسه، العدد18، ص06، الطبعة (ب).

3 - RÉSISTANCE ALGÉRIENNE , n°34, P02, édition (b).

4 - المقاومة، العدد2، ص6، ص8، الطبعة (ج).

مثلا نذكر سلسلة المقالات التي نشرت في أعداد متتابعة بعنوان: "عن دستور الثورة... أهدافنا تتحقق" أو "...هذه المبادئ تقود ثورتنا إلى النصر النهائي"¹، ويظهر من خلال الفكرة العامة لهذه المقالات بأن الثورة الجزائرية أصبحت واقعا ملموسا، من خلال أجهزتها العسكرية، وتخطيطاتها الحربية، وعملياتها التكتيكية، وهذا ما جعل السلطات الاستعمارية في مأزق حقيقي.

والأمر ذاته نجده في مقال بعنوان: "معلم فرنسي يتحدث عن إقامته بين المجاهدين في الشمال القسنطيني" حين نجد صاحب المقال يشرح دور هجومات الشمال القسنطيني في إعادة بعث الثورة الجزائرية من جديد، كما استنكر بشدة سياسة فرنسا غير الحكيمة تجاه الوضع بالجزائر²، كما خصص مقال يهم النظام العسكري والسياسي للجبهة، سيما ما يتعلق بتنظيم الجيش ورتبه وتقسيماته، وكذا الخط السياسي الذي تسير عليه قيادة جبهة التحرير الوطني³.

ج - الثورة الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة: تابعت "المقاومة الجزائرية" القضية الجزائرية أمام هيئة الأمم المتحدة طيلة سنوات 1955، 1956 و1957، حيث أكدت في مقال بعنوان: "حلول الدورة السنوية لهيئة الأمم المتحدة" ضرورة تدخّل هيئة الأمم المتحدة في الشأن الجزائري الفرنسي: "... ولا بدّ لجمعية الأمم المتحدة أن تطرح القضية الجزائرية على بساط البحث وتستوعبها، كما يتحمّم عليها أن تتحمّل مسؤولياتها لتعلن حلاً دستوريا"⁴

1 - نفسه، العدد15، ص03، العدد16، 3 جوان 1957، ص03، العدد18، ص05، الطبعة (ج).

2 - نفسه، العدد12، ص ص 10-11، الطبعة (ج).

3 - نفسه، العدد18، ص08، الطبعة (ج).

4 - المقاومة، العدد 08، ص01، ص03، الطبعة (ب).

من جانب ثاني، بينت في مقال آخر طلبها لإدراج القضية الوطنية لدى هيئة الأمم من قبل الكتلة الأفروآسيوية منذ جويلية 1955¹.

من جانب ثالث، ناقشت "المقاومة" خطابي كلّ من تونس والمغرب الشقيقتين في الدورة الـ 11 لهيئة الأمم المتحدة²، وفي نفس السياق لم تقصّر جبهة التحرير من جانبها في إرسال عدّة مذكرات إلى هيئة الأمم عن الحالة المزرية واللإنسانية التي يعاني منها الشعب الجزائري في ظلّ السيطرة الاستعمارية³.

د - **الموقف الفرنسي من الثورة**: ممّا لا شك فيه أن الموقف الفرنسي من الثورة هو موقف سلبيّ لا هوادة فيه، إلا أنّه مع استمرار الثورة وشموليتها من جهة، وإخفاق أغلب السياسات الاستعمارية من جهة ثانية، ظهرت لدى الساحة السياسية الفرنسية بصفة عامّة والجيش الفرنسي بصفة خاصّة بعض الحركات المعارضة للإدارة الاستعمارية.

وفي هذا الصّدّد نجد صحيفة المقاومة تعطينا صورا من هذا الرّفص، وعدم القبول بالسياسة الاستعمارية، من ذلك مثلا مقال يتحدث عن إنشاء منظمة تعرف باسم "منظمة مقاومة إفريقيا الفرنسية" في العاصمة، المناهضة لسياسة لاكوست⁴. ضف إلى ذلك حركة الاحتجاجات التي ما لبثت أن تزايدت بين الأوساط الفرنسية، حيث ذكر صاحب المقال في "المقاومة" جملة من الاحتجاجات: "... فهذا بيار هنري سيمون يؤلف كتابه ضدّ التعذيب، ويقارن

1 - نفسه، العدد 11، ص 07، الطبعة (ب).

2 - نفسه، العدد 3، ص ص 6-7، الطبعة (ج).

3 - نفسه، العدد 8، ص 12، الطبعة (ج).

4 - نفسه، العدد 15، ص 1، ص 3، الطبعة (ب).

سياسة حكومة بلاده بسياسة هتلر، ويتساءل هل هذا الأخير لم يمت بعد، وهذا شربير الصحفي الذي يشاهد حرب الجزائر، ورأى بعينه سير بلاده السيء، وهذا الم. كابيتان يوقف دروسا احتجاجا على قتل علي بومنجل، وهذا الجنرال بولاديبار يتضامن مع الصحفي شربير، وهذا عميد كلية الحقوق بالجزائر، وفرونسوا مورياك، وعدة صحافيين آخرين، وكلاهم يقومون في مجالسهم ويشيرون إلى سياسة بلادهم في الجزائر، متهمين إياها بالخزي والعار...¹.

كما بينت المقاومة في مقالين لها شهادات الليف الأجنبي المنخرط في الجيش الفرنسي يقرّ فيها بالمعاملات اللإنسانية التي تفتقرها سلطات الاحتلال في حقهم وفي حق الشعب الجزائري، ويبين عناصر الليف الأجنبي الدواعي الرئيسية التي دفعتهم إلى الفرار من الجيش الفرنسي إلى جيش التحرير الوطني² ومن المواقف الفرنسية المؤيدة للثورة والمستكرة لسياسة المستعمر، مواقف الأحرار الفرنسيين، حيث ظهر من خلال الجريدة موقفهم المناوئ لسياسة بلادهم والتي اعتبروها ليست تشويها لسمعة فرنسا فحسب، بل لسمعة أوروبا بأجمعها³.

وعلى العموم فإن الجريدة على الرغم من ضعف التنسيق وغياب التنظيم إلا أنها استطاعت أن تؤدي دورها وقتئذ، وأن تعطينا صورة شبه مكتملة عن النشاط الثوري بشكل عام طيلة فترة صدورها.

1 - نفسه، العدد 27، ص4، الطبعة (ب).

2 - RÉSISTANCE ALGÉRIENNE, n°32, P02، المقاومة، العدد8، ص03، الطبعة (ب)، 2، édition (b).

3 - نفسه، العدد11، ص2، الطبعة (ب)، العدد10، ص10، العدد11، ص ص 4-5، الطبعة (ج).

2- 6 - السياسة الاستعمارية الفرنسية:

نقّدت السلطات الاستعمارية الفرنسية المدنية والعسكرية إبان الاحتلال عامة، والثورة التحريرية خاصة مخططا إجراميا لإبادة الجزائريين، وعمدت إلى استخدام كلّ الإجراءات الممكنة والمتوفرة لديها، ولم تكتف في سياستها القمعية والعقابية أي أحد، بل وسعتها لتشمل من دون تمييز المدنيين العزل¹، وارتكبت فرنسا على إثرها مئات المجازر الجماعية، وحالات التقتيل الفردي والعشوائي. وفي هذا الإطار، أوردت المقاومة الجزائرية العديد من صور التقتيل الجماعي والتتكيل والإبادة التي يفترفها المستعمر في حق الشعب والأرض معا، والتي تكشف عن وحشية الاستعمار وجرائمه. ومن المقالات التي تعكس ذلك، مقال بعنوان "نشر السلام هو الإبادة والوحشية"، الذي يشرح فيه مضامين سياسة الأرض المحروقة التي أقرّها وأعلنها روبيير لاكوست وجواسيسه². وفي نفس السياق، تستطرد المقاومة في مقال آخر، لتشرح السياسة اللاكوستية كأبلغ تعبير في الأوساط الجزائرية بعنوان "روبير لاكوست المنظم الأول للإرهاب المضادّ في الجزائر"³. وبعنوان "الجنود الفرنسيون الجبناء يفضلون الفتك بالعزل والنساء والأطفال على لقاء المجاهدين الجزائريين" لخصت الجريدة المعاملات اللإنسانية التي يسلّطها الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري الأعزل، متخطيا ذلك كلّ الحدود والقيود⁴.

وبصفة عامة، لا يكاد يخلو عدد من أعداد جريدة المقاومة من وجه

1- عبد الحميد عمراتي، النخبة الفرنسية والثورة الجزائرية، مطبعة دار الشهاب، باتنة، د.ت، ص124.

2- المقاومة، العدد6، ص ص1-2، الطبعة (ب).

3- نفسه، العدد9، ص3، الطبعة (ب).

4- المقاومة، العددين 29-30، ص7، الطبعة (ب).

من أوجه الجرائم الاستعمارية والفتك الجماعي بالشعب الجزائري، حيث عبر عن ذلك بعدة عناوين: "المشاهد الإجرامية الخاصة بفرنسا"¹، "مأساة اللاجئين الجزائريين"²، "إبادة جماعية"³، "فضائح الاستعمار الفرنسي بالجزائر"⁴، "صور ناطقة عن سياسة التهدة اللاكوسنتية"⁵، "حقائق وتعاليق عن القمع والتعذيب بالجزائر"⁶، "وحوش الاستعمار تنشر التهدة"⁷، "ونتائج حرب التهدة في وادي الصومام بالولاية الثالثة"⁸، وغيرها.

من جانب آخر عرضت الجريدة نماذج من هذه الإبادات والمجازر في بعض مناطق من أرض الوطن في القليعة⁹، ومنطقة ملوزة¹⁰، وما يسببه من أثر نفسي واستتكار عالمي للوحشية الاستعمارية. كما تناولت الجريدة موضوع ردّ الفعل الاستعماري تجاه التنظيمات الشعبية الجزائرية المناصرة للنشاط الثوري، بما في ذلك الاتحاد العام للعمال الجزائريين¹¹، والاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين¹²، خاصة أيام الإضراب الوطني في يناير 1957م¹³.

1- RÉSISTANCE ALGÉRIENNE , n°33, P5, édition (b).

2- Ibid, n°34, P03.

3- Ibid, n°35, P02.

4 - المقاومة، العدد8، ص4، ص6، الطبعة (ج).

5 - نفسه، العدد 10، ص ص 4-5، الطبعة (ج).

6 - نفسه، العدد11، ص ص 4-5، الطبعة (ج).

7 - نفسه، العدد 14، ص13، الطبعة (ج).

8 - نفسه، ص ص 14-15.

9 - نفسه، العدد23، ص05، الطبعة (ب).

10 - RÉSISTANCE ALGÉRIENNE, n°35, P02, نفسه، العدد17، ص04، الطبعة (ج)، 10، édition (b) .

11 - نفسه، العدد 15، ص02، العددين 21-22، ص6، الطبعة (ب).

12 - RÉSISTANCE ALGÉRIENNE, n°36 , P5, édition (b).

13 - المقاومة، العددين 21-22، ص ص 6-7، الطبعة (ب).

ومن جانب آخر، ناقشت الجريدة قضية الاغتيالات التي ارتكبتها جنود الاستعمار تجاه شخصيات يمثلون قيادة جبهة التحرير الوطني إثر إلقاء القبض عليهم وتعذيبهم، والتكيل بجثثهم بعد إعدامهم، وهذا على غرار علي بومنجل الذي تم إلقاء القبض عليه منذ فبراير 1957¹، وجميلة بوحيرد وجميلة بوعزة²، وقد تعلقت هذه الأحداث بالنشاط العسكري للسلطات الاستعمارية، أما باقي السياسات الأخرى، فقد خصّصت المقاومة الجزائرية عددا من المقالات التي تشرح طبيعة هذه السياسات ومضامينها وفحواها.

ففي المجال الاقتصادي تناولت الجريدة عددا من السياسات التي ترمي إلى الاحتفاظ بالجزائر كجزء من الإمبراطورية الفرنسية، ومن هذه السياسات إنشاء السوق الأوروبية المشتركة في مارس 1957 حيث اعتبرتها المقاومة جزءا من المكيدة الاستعمارية التي تهدف إلى فتح سوق الاستثمار في الجزائر أمام الأوروبيين³. كما بينت الجريدة كذلك سياسة فرنسا في الصحراء الجزائرية، وذلك منذ اكتشاف البترول عام 1956، حيث عبّرت عن ذلك بمقال بعنوان "إذا كانت الجزائر ليست فرنسا فإنّ الصحراء فرنسية من المنظور الفرنسي"⁴. أما من الجانب الاجتماعي، فقد لخصت الجريدة سياسة المستعمر في ذلك بمقال بعنوان: "سياسة الاستعمار الاجتماعية، الفقر والمرضى والجهالة"⁵، حيث بينت سياسة المستعمر القائمة على السلب والنهب، ممّا أدّى إلى انتشار الفقر والبطالة والتجهيل بين أوساط الجزائريين.

1 - المقاومة، العدد 11، ص 06، الطبعة (ج).

2 - RÉSISTANCE ALGÉRIENNE, n° 36, P4, édition (b).

3- المقاومة، العدد 23، ص ص 1-2، الطبعة (ب).

4 - نفسه، العدد 8، ص 11، الطبعة (ج).

5 - نفسه، العدد 29-30، ص 08، الطبعة (ب).

ومن السياسات التي لجأ إليها المستعمر الفرنسي هي تلك الأساليب الإغرائية الرامية إلى استمالة بعض الخونة من الجزائريين، وإظهارهم أمام هيئة الأمم المتحدة والرأي العام العالمي على أساس أنهم جزائريون راغبون في الوجود الفرنسي وحضارة فرنسا وأفكارها في أرض الجزائر. وفي هذا الموضوع، نشرت المقاومة مقالا بعنوان "إعدام علي شكّال"، هذا الأخير الذي استخدم كورقة رابحة لفرنسا أمام هيئة الأمم المتحدة، باعتباره من الجزائريين الذين يمثلون صفة "الجزائري المسلم"¹ على حد تعبير الجريدة.

ومن السياسات الاستعمارية كذلك، لفت انتباه الرأي العام العالمي، بما في ذلك هيئة الأمم إلى وجود خلاف كبير حزبي جبهة التحرير والحركة الميصلية المناوئة للثورة، حيث عبّرت "المقاومة" عن هذه السياسة بمقال آخر بعنوان: "لعبتهم الأخيرة ميصالي"²، فالإدارة الاستعمارية بذلك كانت تسعى إلى خلق الهوة بين الشعب الجزائري وجبهة التحرير الوطني، وذلك بسحب صفة الممثل الشرعي والوحيد للشعب، مدعية وجود خلاف بين الوطنيين على من يترزّم حركة المقاومة.

بالإضافة إلى كل هذه السياسات المطبقة والمجرّبة من قبل سلطات الاحتلال وغيرها التي تمّ التعرّض لها في الجريدة، لم تغفل هذه الأخيرة نماذج من وحشية المستعمر منذ دخولها إلى أرض الجزائر عام 1830م، وقد نشرت في ذلك عددا من المقالات: "الاستعمار يعيد نفسه"³، "تطورات شخصيات

1 - المقاومة، العدد 16، ص07، الطبعة (ج)

2 - نفسه، العدد15، ص ص1-2، الطبعة (ب).

3 - نفسه، العدد11، ص6، ص10، الطبعة (ب).

وأفكار استعمارية"¹، "بينو الوزير الفرنسي أمام حقائق التاريخ والواقع"²، "كيف حاولوا فرنسا الجزائر"³، "بعد 127 عاما الوحشية الفرنسية لم تتغير"⁴. وقد كانت "المقاومة الجزائرية" تؤكد في كل مقال من هذه المقالات، أن الشعب الجزائري قد اعتاد على كلّ تلك الإجراءات والسياسات التعسفية واللاإنسانية المطبقة عليه، وأنّ ذلك لم يكن وليد الفاتح نوفمبر 1954، بل منذ 1830، وأنّ فرنسا مهما طبقت ومهما ستطبق، فإنها لن تجعل الشعب الجزائري بقيادة جبهة التحرير الوطني يحيد عن هدفه الأساس، وهو الحصول على الاستقلال.

خاتمة:

بعد العرض والتحليل لمختلف عناصر الموضوع خلصنا إلى النقاط

التالية:

- نستنتج أنّ الصحافة المكتوبة، تحوّلت منذ بدايتها في الجزائر من وسيلة لفرض السيطرة الاستعمارية، إلى وسيلة للدفاع عن حقوق الأهالي الجزائريين من قبل بعض المتعاطفين من المعمّرين، إلى وسيلة يستخدمها هؤلاء الأهالي للمطالبة بحقوقهم المدنية والسياسية، إلى سلاح تستخدمه أحزاب الحركة الوطنية للتعبير عن أفكار وتوجّهات أصحابها حول مستقبل الجزائر في ظلّ الاستعمار الفرنسي، لتكون في نهاية مسيرة النضال الوطني أحد أهم

1 - نفسه، العدد 13، ص 1، ص 7، الطبعة (ب).

2 - نفسه، العدد 7، ص 2، ص 12، الطبعة (ج).

3 - نفسه، العدد 12، ص 04، الطبعة (ج).

4 - نفسه، العدد 18، ص 04، الطبعة (ج).

أجهزة الدعاية للثورة الجزائرية والتعريف بشرعيتها لدى المحافل الدولية، والمطالبة بالاستقلال.

- يبدو أنّ صحافة الثورة الجزائرية قد لاقت صعوبات كثيرة في بداياتها، ذلك ما ظهر جلياً في جريدة المقاومة الجزائرية التي اختلفت في محتواها بين طبعاتها الثلاث.

- نستنتج كذلك أنّ محتوى جريدة المقاومة الجزائرية، تحكّم فيه العامل الجغرافي ومكان صدور الجريدة، حيث كان تركيزها على الجهة الغربية واضحا في مقالاتها ضمن طبعتها الثانية التي كانت تطبع وتصدر في المغرب، على عكس ما نشرته الجريدة في طبعتها الثالثة التي كانت تطبع وتصدر في تونس. انطلاقا من ذلك كلّه، يمكن للدارسين والباحثين إظهار جوانب أخرى، ومواضيع جديدة من خلال إعادة دراسة وتحليل المقالات التي تضمنتها صحافة الثورة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1 - المقاومة الجزائرية، من العدد 1 إلى العدد 36، 5 جويلية 1956 إلى 13 - 20 جويلية 1957، الطبعة (ب).

2 - المقاومة الجزائرية، من العدد 1 إلى العدد 19، 1 نوفمبر 1956 إلى 15 جويلية 1957، الطبعة (ج).

3 - RÉSISTANCE ALGÉRIENNE, N 1- N 36, 5 juillet 1956 -13-20 juillet 1957, Edition (b.)

المراجع:

1 - دليو فضيل، تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة (1830-2013)، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

2 - الزبيري محمد العربي وآخرون، كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية (1962-1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

- 3 - عقل جهاد، الذكرى الخمسين لتأسيس الاتحاد العام لعمال الجزائر، مركز أبحاث ودراسات، الشبكة العالمية للمعلومات.
- 4 - عمراتي عبد الحميد، النخبة الفرنسية والثورة الجزائرية، مطبعة دار الشهاب، باتنة، د.ت.
- 5 - مجموعة مؤلفين، الإعلام ومهامه أثناء الثورة، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، 2005.
- 6 -Cheurfi Achour, dictionnaire encyclopédique de l'algerie, culture, politique, société, histoire, personnalités, événements, édition A.N.E.P, Alger, 2010.
- 7 -Maadad Messaoud, guerre d'Algérie, Ed, ENAL, Alger, 1992 .
- 8 -Tegua Mohammed, l'Algérie en guerre, ed, OPU- Algérie, Sd.

الثورة الجزائرية ومشروع بناء الفرد المجتمعي من خلال

كتابات مالك بن نبي

د/ كريمة زيتون

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

Karima.zitoune@univ-msila.dz

المخلص:

تُحاول من خلال هذه الورقة، تلمّس أثر ثورة التحرير الجزائرية في كتابات المفكر مالك بن نبي، ويُندرجُ اهتمامنا بهذا الموضوع بالذات ضمن رغبتنا الملحة في طَرُق مثل هكذا موضوعات التي تتناول الجانب الفكري لتاريخ الثورة، وتطرح عدّة قضايا؛ تُخصّ فلسفة الثورة، وآليات بناء الفرد ضمن كيان مجتمع مُرصّص لا مُكَدّس، وعليه، وبعد اطلّاعنا على الكتابات الفكرية والحضارية (المختلفة) لمالك بن نبي، إزّئنا إلى الوقوف عند أبرز المسائل التي عالجهما، والتي تنطوي ضمن موضوعنا، لِعرض تقديم طروحاته النظرية حول الظاهرة الثورة في الجزائر، ورؤيته الاستشراقية لكل حَدَث.

مقدمة:

حَظِيَتْ ثورة التحرير الجزائرية باهتمامات المفكرين والمؤرّخين، المحليين منهم والأجانب، وانصبت أغلب دراساتهم حول مُجرياتِها، وأحداثِها العسكرية والسياسية، وباعتبار أنّ مُعظم الثورات المعاصرة، قامت على الأفكار، وانتشرت بفعل السّلاح؛ فإنّ رهان انتصارها منوط لا محالة بقوة تجسيد الأفكار على أرض الواقع، وتحويلها إلى قوّة خلاقية، دافعة للنشاط المُسلّح، وضمن هذا السياق تمحّورت أغلب أفكار ورؤى المُفكر الجزائري مالك بن نبي، حول الظاهرة الثورية، وعملية اطرادها واستمرارها، ودورها في إعادة بناء الإنسان، وتغييره في جوهره وأفكاره.

ومن هذا المنطلق، وتواصلًا مع كتابات جيل ثورة التحرير، سنرصدُ من خلال تأليف مالك بن نبي أهمّ القضايا الثورية التي تناولها، وطريقة تحليله لها، وكذا مواقفها منها، وعليه حقٌّ أن نتساءل: كيف صوّر لنا مالك بن نبي الثورة الجزائرية في كتاباته؟ وما هو موقفه إزاء أحداثها؟

01. مالك بن نبي والثورة الجزائرية

أولى المفكر الجزائري مالك بن نبي¹ عنايةً فائقةً لقضايا عصره، ووجهَ جِدَّةٍ قلمه لتلك التي تخصُّ الفرد وبيئته بوجه الخصوص، باعتبار أن الإنسان هو محور الحياة، وديئنها في كلِّ زمانٍ ومكان وبه تنشأ الحضارات وينشطُ التاريخ، وبمنظرةٍ ثاقبةٍ إلى ما دونه من أفكار في عالم كُتبه؛ نجدُه صاحب رسالةٍ وطنيةٍ وحضاريةٍ، وهذا من خلال قضايا وموضوعات ثورية عالجا بمنظورٍ تحليلي واجتماعي أراد منها تشخيص الداء لاقتراح الفرضيات وإيجاد الحلول، وبالتالي تفادي الإبهام في كلِّ قضية مُنتبسةٍ بمحوثٍ عن مجرياتها.

وقبل أن يُعالج مالك بن نبي آية قضية؛ فإنه يتقصّى أسبابها وتعلّاتها، يتحسّس ماضيها لمعرفة مآلات مستقبلها، ويستحضر كافة الدلائل ليُحوصل الأحداث في نتائج تصوّرية دقيقة، وهذا ما بدا واضحًا حينما عالج

1 مالك بن نبي: مفكر جزائري، وُلد بقسنطينة بتاريخ 01 جانفي 1905م، دخل المدرسة القرآنية لأول مرة في تبسة حيث يعيش والديه اللذين وجدا صعوبة في إيجاد المال اللازم لتعليمه، وبعد أربع سنوات قضاها في المدرسة المذكورة، التحق بالمدرسة الفرنسية، ومكث هناك حتى عام 1918، وهو العام الذي أنهى فيه دراسته الإعدادية مما أتاح له الوصول إلى المرحلة الثانوية، لم يتمكن من اللحاق بمعهد اللغات الشرقية الذي اختاره عام 1930م، لكنه فيما بعد اختار الدراسة في مجال الكهرباء، وتخرّج مهندساً كهربائياً، له عدّة مؤلفات في غير مجال تخصصه العلمي، توفّي المفكر الكبير في 31 أكتوبر 1973 (أنظر المزيد في: Achour CHeurfi, La Classe Politique Algérienne, Casbah Edition, Alger, 2001, p 93-94).

موضوع الثورة الجزائرية من جوانب عدّة، وأحصى كلّ صغيرة وكبيرة متعلّقة بها؛ فأشار إلى طبيعة الاستعمار الذي كان سببا في اشتعالها، ثمّ تحدّث عن ماهيتها وشروط قيامها، وكيف يجب أن تكون حتى تُعبّد الطريق نحو بناء آمن للمستقبل، وفيما يلي استعراض لأهمّ القضايا التي تدور في فلك الثورة وفق قراءات مالك بن نبي:

1.1: المُستعمر والمستعمر والقابلية للاستعمار

أدلى مالك بن نبي دلوّه بشأن البلدان التي عرفت الظاهرة الاستعمارية، وبيّن أسباب ذلك عن طريق تقديم تفسيرات مختلفة الأوجه والرؤوس، حيث و"على خلاف الكثيرين من الذين يُلقون باللّاتمة على الاستعمار وحده، وتحمله مسؤولية ما يحدث في المستعمرات من تجاوزات وانتهاك للحُرّمات وتبخيس للذات المستعمرة، وسعي منه حيونة المستعمر وتشويهه، نجد مالك بن نبي يُلقي باللّوم كلّ اللّوم على المستعمر أكثر من الاستعمار الذي تسبّب في إيصال الإنسانية إلى أخطّ المستويات، لأنّه كما يرى أنّ الاستعمار هو من إنتاج المستعمر نفسه بسبب تلك القابلية للاستعمار التي تُعشّش بداخله، لكنه في المقابل لا يُنكر دور الاستعمار وخبثه وتسببه في مأساة أبناء المستعمرات وإيصالهم إلى ما هم عليه من الانحطاط والتخلف"¹؛ فنجدّه يقول: "فالاستعمار إذن؛ ليس هو السبب الأول الذي نحمل عليه عجز الناس وخمولهم في مختلف بلاد الإسلام، ولكي نُصدّر حكماً صادقاً في هذا المجال ينبغي أن نتقصّى الحركة الاستعمارية من أصولها، لا أن نقف أمام حاضرها؛ أيّ إنّ علينا أن ننظر إليها بوصفنا علماء اجتماع لا بوصفنا

1 عبد العزيز شعبان، "تمثّلات الاتّجاه ما بعد الاستعماري في كتابات مالك بن نبي وفرانز فانون"، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، مجلّد 09، العدد 05، الجزائر، 2005، ص 1054.

رجال سياسة، وسندرك حينئذ أن الاستعمار يدخل في حياة الشعب والمُستعمر بصفته عاملاً مُناقضاً يُعينه على التغلب على قابليته له، حتى إن هذه القابلية التي يقوم على أساسها الاستعمار، تتقلب إلى رفض لذاتها في ضمير المستعمر، فيحاولُ جهده التخلّص منها، وليس تاريخ العالم الإسلامي منذ أكثر من نصف قرن، سوى النمو التاريخي لهذا التناقض، الذي أدخله الاستعمار على الأوضاع التي تخلّقت في ظلّها القابلية واتّسمت بها¹، وفي بحر هذا السياق نجد أن مالك بن نبي قد سجّل بعض النقاط الايجابية للاستعمار الذي يرى فيها مُحزراً للطاقات الخامدة والمدفونة إذ يذكّر: "فهناك إذن جانب إيجابي للاستعمار، حين يُحرّر الطاقات التي طال عليها زمن الجمود، على الرغم من أنه يعدُّ من جانب آخر عاملاً سلبياً، حيث يتّجه إلى تحطيم هذه الطاقات، بتطبيقه قانون (المُعامل الاستعماري)، ولدنيا في هذا الصدد واقع ذو دلالة؛ فإنّ التاريخ لم يُسجّل مطلقاً استمرار الواقع الاستعماري، إذ إنّ قوى الإنسان الجهورية تتغلب أخيراً على جميع ضروب التناقض، وليس معنى هذا أن المستعمر يفدُ إلى المستعمرات (ليُحرّكها)، وإنما يجيء ليشلّها، كما يشلّ العنكبوت ضحية وقعت في شباكه، ولكنّه في نهاية الأمر يُغيّر ظروف حياة المُستعمر من جذورها، فيُساعدُه في ذلك على تغيير نفسه"².

وتبعاً لذلك، فإنّ مالك بن نبي انطلق من مسلمات يقينية ليبيّن القصور الفكري الذي كانت عليه المجتمعات العربية على وجه الخصوص، وحاول تطبيق العلة التي أصابتها في صميم حضاراتها، وكلّما تطرّق إلى ذلك أورد

1 مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، ط01، دار الفكر، دمشق، 1986م، ص 94.

2 المرجع نفسه، ص 94.

أمثلةً عن بشاعة الفعل الاستعماري في حقها، ومن ذلك قوله: "والحق أنّ سهم الاستعمار ماحق، إذ هو يسحق بصورة منهجية كلّ فكرة وكل جهد عقلي..."¹، لكن في الوقت نفسه، نجدّه يحثُّ على ضرورة تحرُّر الشعوب المكلومة من "القابلية للاستعمار" حتى تتخلَّص بدورها من الاستعمار؛ فحسبه "أنّه من الواجب عند دراسة وضع بلد مستعمر، ألاّ نغفل النظر إلى هاتين الفكرتين المتلازمتين، وإن كانتا في الحقيقة متمايزتين: الاستعمار والقابلية للاستعمار"²، وبالتالي ثمة "نتيجة منطقية وعلمية تفرض نفسها، هي: أنّه لكي نتحرَّر من (إثر) هو الاستعمار، يجبُ أن نتحرَّر أولاً من (سببه) وهو القابلية للاستعمار"³، وعليه فإنّ "المستعمر يمكنه أن يتحرَّر من قابليته في الوقت الذي يستخدم فيه نكاهه وجهده لتذليل العقبات وتخطّي العوائق وتحطيم القيود"⁴.

2.1: الثورة

• التغيير أساس الثورة

تناول مالك بن نبي الثورة كمفهوم نقدي، وفسّر لنا ماهيتها على ضوء قراءات واعية أصدَرَ أحكامها من واقعٍ معاشٍ أولاً، وتصوّرٍ مُفترِنٍ بقرائن شاهدة ثانياً، ليستجلي في كتاباته الأبعاد الحقيقية لثورة ما، وينهض بعبء تنوير الذهنيات، وإرشاد الأفراد إلى سلوكٍ منهجٍ قويم؛ يضمنُ له سلامة فكره وتفكيره في الحياة؛ فهو المُشير في كتاباته إلى أنّ: الثورة مبادئٌ وأخلاق، وثبةٌ نحو التغيير وتوجُّهٌ نحو البناء؛ بناءً النفس أولاً ثم المجتمع والوطن، وبعد ذلك

1 مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 92.

2 المرجع نفسه، ص 94.

3 المرجع نفسه، ص 95.

4 المرجع نفسه، ص 117.

صناعة الحضارة، وفي ذلك قوله: "إنّ ثورة ما، هي في جوهرها عملية تغيير"¹، وهذا التغيير إنّ لم يُغيّر الإنسان تغييرا كاملا من داخله، فهو ليس بتغيير "على أية حال، فالثورة لا تستطيع الوصول إلى أهدافها، إذا هي لم تُغيّر الإنسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته"²، كما أشار مالك بن نبي أيضا إلى أنّ الثورة التي تُفْلح في تحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع لكتّنها لم تتمكّن في الوقت نفسه من تعليم تلك الأفراد كيف تبني نفسها بنفسها وتعي كرامتها، ليست بثورة حقيقية "إنّ ثورة تقوم، لا تكون ثورة حقيقية لمجرّد ما تجتهد في نشر العدالة بين طبقات الشعب، إذا هي لم تُعلّمه كيف يستعيد شخصيته، وتلقّنه معنى كرامته"³.

• الثورة مبادئ وأخلاق ووضوح

علاوة على ذلك، اشترط مالك بن نبي أن تكون الثورة ذات قدر عالٍ من المبادئ والأخلاق "إنّ لكلّ ثورةٍ منهجاً يتضمّن المبادئ التي تسير عليها، كما يتضمّن فحوى القرارات التي ستمليها عليها ظروف الطريق"⁴، وإلى جانب ترسانة المبادئ الصلبة التي لا تحيد عنها أيّ ثورة هادفة، لا بدّ من قاعدة أخلاقية تُمتنّ الخطّ الثابت لها في عملية البناء والتغيير وإعادة تكوين الإنسان "إنّ ثورة ما، لن تستطيع تغيير الإنسان إنّ لم تكن لها قاعدة أخلاقية قويّة"⁵. ولأنّ الوضوح أساس فهم الأشياء، فقد نبّه مالك بن نبي إلى ضرورة أن تسير الثورة في الوضوح، حتى لا تحيد عن منهجها المرسوم حول التغيير

1 مالك بن نبي، بين الرّشاد والتهيه، ط02، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1988، ص 49.

2 المرجع نفسه، ص 53.

3 مالك بن نبي، بين الرّشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 25.

4 المرجع نفسه، ص 16.

5 المرجع نفسه، ص 25.

وإعادة التأسيس، "ينبغي على الثورة لتفادي الإبهام، أن ترسم خطأ واضحا حول موضوع التغيير حتى لا تُبقي مجالاً للخطأ، أما إذا أسلمت الأمور إلى الغموض والضباب، فإن أي انحراف سيكون مُتوقَّعاً، وسوف تظلُّ الثورة مُعرَّضة لأن تتزك مكانها . دون أن تعلم . لشبه ثورة، تستبدل بالكيف الكم، وبالتغيير الجذري الضروري شبه التغيير"¹، وفي السياق ذاته حذر من عواقب وقوع الثورة في أخطائها، أو خشيَّتها والتوجُّس منها؛ فيقول: "فالثورة التي تقف في منتصف الطريق خلال انجاز مهاماتها أو تخشى إصلاح أخطائها فإنها تنتحر... فالثورة حين تخشى أخطاءها ليست بثورة، وإذا هي اكتشفت خطأ من أخطائها ثم التفتت عنه فالأمر أدهى وأمر"²، وهنا ذكر مالك بن نبي قول "ماركس" حول الفكرة، والذي قال: "يجب دائما أن نكشف الفضيحة عندما نكتشفها حتى لا تلتهمنا"³.

• الثورة لا تقوم على الارتجال

يرى مالك بن نبي أن "الثورة لا ترتجل، إنها اطراد طويل، يحتوي ما قبل الثورة، والثورة نفسها، وما بعدها، والمراحل الثلاث هذه لا تجتمع فيه بمجرد إضافة زمنية، بل تمثل فيه نموًا عضويًا وتطورًا تاريخيًا مستمرًا، وإذا حدث أي خلل في هذا النمو وفي هذا التطور، فقد تكون النتيجة زهيدة تُخيبُ الآمال"⁴، وقد ساند J.Revel فكرة مالك بن نبي بالقول: "لا تقوم الثورة من الارتجال... إنَّ الرّوح الثوريّة الحقيقية تسير وفق خطة جاهزة مكتشفة، أو تنتهج

1 مالك بن نبي، بين الرّشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 50.

2 المرجع نفسه، ص 1828.

3 المرجع نفسه، ص 18.

4 مرجع نفسه، ص 14.

طريق الاكتشاف المُتَحَضَّر حيث يكون التطبيق دقيقاً على الدوام وعلى درجة عالية من الكفاءة الفنيّة، وليس أبداً تقريبياً¹، وفي البلاد الإسلاميّة قد يولّد التطوّر الثوري منذ يومه الأول على شكل ثورة مضادّة مقتنعة أُطْلِقَت في الوقت المناسب² وهذا ما حدّثَ مع ثورة التحريريّة الجزائريّة، التي كان الفاتح من تشرين الثاني من عام 1954م موعداً لاندلاعها، وإعلان نهضة البناء، والتأسيس للمستقبل، لأن "ساعة الصفر التي يكون فيها كلّ أمر مُهيأً للبعث والتجدّد، لا تدقُّ كلّ يوم"³.

• الثورة تعتمد على الرّوح والعقيدة

إنّ الثورة . يقول بن نبي . التي تريد أن تصنع شيئاً في التاريخ، يجب عليها أن تصنّع نفسها أولاً⁴، ثمّ إنّ الثورة التي لا تُحرّكها هزّة تكاد تكون شطحةً صوفية فليست بثورة⁵، لكن ما الدافع إلى انفجار الثورات وتأهّب شعوبها بكلّ رباطة جأش؟ صحيح أنّ "المعجزات الكبرى في التاريخ مرتبطة دائماً بالأفكار الدافعة"⁶، لكن من المُستبعد جداً أن تهتزّ أسرع الثورة دون وجود عقيدة قويّة لدى الشعوب الرافضة للضيّم، ولهذا نجد مالك بن نبي يقول: "الثورة ليست كإحدى الحروب تدور رحاها مع العدد والعتاد، بل إنّها تعتمد على الرّوح

1 ملك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة وأحمد شعبو، ط01، دار الفكر، دمشق، 1988، ص 122.

2 يُنظر: مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع نفسه، ص 122.

3 مالك بن نبي، بين الرّشاد والنتية، مرجع سابق، ص 114.

4 المرجع نفسه، ص 128.

5 المرجع نفسه، ص 51.

6 مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 48.

والعقيدة"¹، وقد أوردَ هنا أمثلة عن الثورة الإسلامية.

وبالنسبة للشعب الجزائري، فقد كان الإسلام الحصن الذي فُتِلت تحت أسواره جميع المحاولات التي استهدفت سلب شخصيته على مدى قرن من الزمان، كما كان الحافز الأيديولوجي الرئيسي الذي دعمَّ جهده البطولي خلال الثورة²، وإذا كُنَّا نجد اليوم شيئاً يُدَوِّي في جوانب النفس الإسلامية، فيردُّها قادرة على تغيير ذاتها، والتخلِّي عن جمودها، فلن يكون هذا الشيء سوى الإسلام³؛ الإسلام المُتحرِّك في عقولنا، وسلوكنا، والمنبعث في صورة إسلام اجتماعي⁴. إننا لو اعتبرنا الإسلام من جهة التاريخ المجردة، لرأيناه ثورة كبيرة غيرت كلَّ البناءات السياسية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية في المجتمع الجاهلي، إننا نراها في أصعب الظروف قد غيرت كل شيء، حتى أسماء معتقها، فكانت النمو الثوري في أدق ما في هذه الكلمة من معنى⁵، وعليه قبل أن يكون أحد أسس وركائز ثورة التحرير الجزائرية، كان المقوم الأول للشعب الجزائري وعقيدته الأزلية التي لا يقبلُ فيها مُساومة، والتاريخ يذكر لنا في كلِّ مرّة أجمل صور كفاح هذا الشعب وذوده عن عقيدته من أيّ انسلاخ أو ذوبان، "وما فرَضَ الاستعمار رقابته على الحياة الدينية، إلا لعلمه بأنَّ

1 مالك بن نبي، بين الرِّشاد والنتية، مرجع سابق، ص 15.

2 يُنظر: مالك بن نبي، بين الرِّشاد والنتية، مرجع نفسه، ص 86.

3 مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 116؛ لكن هذه القوة الباعثة لم تقلت من تهجم الاستعمار، حيث فرضَ عليها أنواع القيود وأشكال الرقابات، حتى أصبح ميسوراً اليوم عندنا أن نفتح نادياً للميسر أو مقهى، أكثر من أن نفتح مكتباً لتحفيظ القرآن (هذا خلال عصر الاحتلال الفرنسي للجزائر) (أنظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع نفسه، ص 116)

4 مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1986، ص 90.

5 مالك بن نبي، بين الرِّشاد والنتية، مرجع سابق، ص 15.

الدين وحده هو الوسيلة النهائية لتصحيح أخلاق الشعب، الذي فقد في غمار أزمة تاريخه كل هم أخلاقي¹، وكذا لمعرفته أيضاً أن: "الحضارة لا تنبعث إلا بالعقيدة الدينية"².

02. مالك بن نبي والإنسان

إن حاجتنا الأولى هي الإنسان الجديد، الإنسان المتحضر، الإنسان الذي يعود إلى التاريخ الذي خرجت منه حضارتنا منذ عهد بعيد³، هذا هو الهدف الذي وضعه مالك بن نبي نصب عينيه، ووضعت ثورة التحرير الجزائرية ضمن مشاريعها الفكرية التي تبنتها نصوصها وأدبياتها المختلفة، لقد كان تغيير الإنسان الجزائري في سلوكه وتفكيره ومنهجه أحد أهم أسمى الأهداف التي زاحمت هدف تحقيق الاستقلال منذ اندلاع ثورة التحرير. إن الواقع يُثبت لنا بأن الشعب الجزائري كان يعيش في بلاد سدّ فيها المستقبل أمامه، حيث كان الفرد يولد والتشاؤم يملأ أعماقه وروحه، لأنه كان يفقد الدوافع الوجودية الباعثة التي تُتيح للإنسان أن يُكرس نفسه للحياة أو الموت من أجل شيء معين⁴، ففي مرحلة سبقت عهد استعمار الجزائر. يقول بن نبي. اكتفى الإنسان بمجرد الحياة الخاملة، وأختلق له، لكي يغالط نفسه بالنسبة إلى وضعه البائس، ضروباً من التعلّات الصوفية الكاذبة كان يُقيّمها مقام الدوافع المُعلّلة⁵، لقد ألقى بن نبي بالملامة على النزعة المربطية التي. حسبته. صرفت الشعب الجزائري عن

1 مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 116.

2 مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 50.

3 مالك بن نبي، تأملات، ط01، دار الفكر، دمشق، 1989، ص 193.

4 مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ط 01، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1991، ص 33.

5 مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مرجع سابق، ص 33.

ماضيه وحاضره ومستقبله، ثم واصل الاستعمار من خطورة هذه الوضعية، واستغلّها، حتى جعل من الإنسان مجرد شيءٍ من أشياءه¹.

ففي حقبة الاحتلال الفرنسي، "هذه الحقبة الطويلة من الزمن كان على الإنسان أن يحنقر نفسه وأن يتحلّى بألقاب (أنديجين)... كي يتناغم مع وضعٍ استعماريّ لا شفقة فيه... فأينما حلّ الاستعمار كان يُلَوِّثُ الإنسان، حتى أصبح تصفيته من رواسب الاستعمار، أهمّ عملٍ ثوريّ في الثورة"²، ولهذا كانت ثورة التحرير عاملَ تغيير، ومُحاوَلَة استِرداكٍ لأخطاءٍ ماضية، ذاتية وموضوعية، (شحذت في النهاية إرادة شعب يرمي إلى التحرر مهما كلفه الثمن، من ارتهانه النقيط الوطأة للتخلف، ويعتزم في كلمة واحدة، أن ينضوي إلى الحضارة)³، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ مالك بن نبي يرى بأنّه (فقط بعد الحرب العالمية الأولى، استطاع الشعب الجزائري أن يخرج من مرحلة ما قبل التاريخ المتّفكّة مع ما بعد عهد الموحّدين، لكي يدخل إلى عالم القرن العشرين)⁴، وأنّ غشاوة الأوشاب التي سادت ما بعد الموحّدين قد بدأت في الانفراط والتّفكّت تحت تأثير الجهد الأخلاقي والسياسي المزدوج للحركة الإصلاحية والحركة الوطنية اللّتين ظهرتتا في هذه الفترة بالذات، وساهمتا في تحرير الوعي الجزائري، وردّه إلى جادّة التاريخ⁵، ومن ثمة تغيير نفسه تغييرا يستطيع من

1 المرجع نفسه، ص 33.

2 مالك بن نبي، بين الرّشاد والّتيه، مرجع سابق، ص 52.

3 ينظر: مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مرجع سابق، ص 63.

4 المرجع نفسه، ص 34.

5 ينظر: مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مرجع نفسه، ص 34؛ وقد اعتبر مالك بن نبي أنّ تاريخ النهضة الجزائرية، بدأ في هذه اللحظة بالذات، مع تزايد الضغط الاستعماري الذي كان يرمي إلى استبقاء الطاقات المُستبْقطة تحت رقابته (ينظر: المرجع نفسه، ص 34)

خلاله تغيير ما حوِّله "وإنّها لشرعة السّماء: غير نفسك، تُغيّر التاريخ"¹، أو بالأحرى: "إنّه لقانون سام!... غير نفسك فأنت تُغيّر التاريخ"²، وعلى هدي هذه الكلمة بدأ الإصلاح الجزائري من النفس هادفاً في جوهره تغيير الإنسان؛ فبعث فيه روحاً وثأباً، أشرقت معها بوادر النهضة الكبرى، وكان الانطلاق الرّائع للضمير الشعبي . يذكر بن نبي . فيما قبل عام 1936م في أنسجامه واطراده، وحماسه هو ملّحة الفكر الإصلاحية التي توجّه المؤتمر الإسلامي المنعقد في ذلك العام³.

كما زادت ثورة التحرير الجزائرية من لهيب الحماسة لدى جماهيرها، حيث لبّى الشعب النداء الذي كان ينتظر صداه بشغف ثوري، وكلّه عزمٌ على تحقيق إنسانيّته واستقلاله، بعدما كابد ويلات الظلم والغطرسة، ووصل به الضغط الاستعماري إلى خط النهاية، والحقيقة أنّه: "حينما يتجاوز مجتمع درجة التحمّل، فالثورة هي (المفجّر) الأكثر دلالة في وضع النار على البارود؛ لتحرك عجلة المجتمع نحو قدره..."⁴، ويبدو أنّ كلّ الظروف القاهرة قد مرّت على حياة الفرد الجزائري، الأمر الذي جعله يكّدس أوجاعه، ويستجمع اللحظات التعيسة التي صمّمها الاحتلال، لينهض ويقاوم " إنّ شعبا من الشعوب لا

1 مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 32.

2 مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 100.

3 مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 32؛ ويذكر مالك بن نبي في كتابه هذا أنّ الأمة الجزائرية كانت تقدّم تضحياتها لبناء المدارس والمساجد من أجل البعث الفكري، والبعث الرّوحي اللّذين هما عماد كلّ حضارة في سيرها الحثيث، ولكم هو شاق القيام بهذه التضحيات في بلاد فقيرة، غير أنّ الشعب الذي آمن بالفكرة، كان عزاؤه في جُهد الشاق أنّه سوف يحظى بالعاقبة الحميدة، لقد كان يعيش في جوّ من الحماس يُتيح له أن يصنع المعجزات الاجتماعية، من تغيير العوائد والأفكار، والاتّجاهات والأشياء (أنظر: المرجع نفسه، ص 3433)

4 مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 119.

يكتب تاريخه فقط (بالرّعد والصواعق) كما يقول (نيتشه)، فإذا لا بدّ من طوفان وقيام كوارث من كلّ نوع لتستيقظ الضمائر وتنشط الجوارح، فإنّ ثمن الصفحة سيكون باهضاً جداً¹، لقد صمّم الشعب الجزائري على المقاومة حتى الاستشهاد، ولم توقّفه عن اطراده قوّة الاحتلال ولا تكنولوجيايهم المؤظفة ضدّ الإنسانية؛ فهو . أي الشعب . ذا عقيدة صلبة وفطرة سويّة لا تدفع به إلّا نحو فعل الخير ونبذ الظلم " منذ الأزل . يقول روسي . لدينا الحجّة بأنّ التكنولوجيا لا تستطيع قهر مقاومة الدّرة الإنسانية، فمنذا الذي يشكّ في هذه الحقيقة؟ وهو يرى ما يرى من مناضلي الفيتنام ومجاهدي الجزائر، ومقاومي أنجولا، والمقاتلين في كلّ مكان من أجل قضية عادلة؟"²، وعليه "لا يمكننا أن نفهم معنى فاتح تشرين الثاني (نوفمبر) 1954 بصفته بعثاً وتحريراً للإنسان إذا غابت عن أذهاننا عملية التلوّث، التي عاناها الإنسان الجزائري طيلة قرن ونصف"³، وبفضل هذه الثورة . يقول بن نبي . تمّ بعث المجتمع الجزائري من جديد كمجتمع، وبفضلها كذلك أقام الأفراد . وأعني بهم الشعب . صلاتهم الاجتماعية لخدمة القضية الوطنية، إمّا في نطاق المقاومة المدنية التي بلغت حدّ الرّوعة، وإمّا ضدّ النشاط المسلّح الذي بلغ ذروة البطولة⁴.

إنّ الظروفَ الكثيرة والمختلفة هي التي تُغيّر الإنسان، وتردّه إلى كائن فعّال ضمن الدائرة الاجتماعية التي تنبض عروقها بالتاريخ، وقد أورد مالك بن نبي ذلك عندما كتب حول بناء الفرد ما يلي: " ونحن في بناء الفرد ينبغي أن

1 مالك بن نبي، بين الرّشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 112.

2 المرجع سابق، ص 140.

3 المرجع سابق، ص 52.

4 يُنظر: مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مرجع سابق، ص 114.

نلاحظ أمراً لعلّه من تحصيل الحاصل، فإنّ الإنسان لا يتغيّر بوصفه كائناً حياً في حدود التاريخ؛ وإنّما يتغيّر بوصفه كائناً اجتماعياً تُغيّره الظروف، فإنّ التاريخ يعجز أن يُغيّر شعرة واحدة في الإنسان، ولكنّه يستطيع أن يزيد أو يُنقص من ميزاته الاجتماعية وفعالياته من ناحية المنطق العملي...¹، فالظروف إذن، خاصّة منها السّلبية هي التي تقود إلى الثورة التي بدورها ستصنع الفارق الكبير بين "شعب استأنف سيره في الطريق، وإدارة أجنبية كانت تعمل على إعاقة هذا السّير، باستبقائها لضباب الاستعمار والقابلية للاستعمار ومُحافظتها عليه"²، وبصورة مجمّلة يمكن القول على لسان مالك بن نبي أنّ "المجتمع عندما يجدُ نفسه أمام محنة حاسمة من محن تاريخه لا يستطيع التفوّق عليها بواسطة العمل الذي يتمّ تصوّره ضمن المعايير المعتادة، فإنّه يكون مُرغماً آنئذ على قلب هذه المعايير، وعلى إعطاء (العمل) تعريفاً ثورياً، وعندما يتعيّن على المرء القفز على الهاوية، يكونُ مرغماً على تمديد طاقته الكليّة للقيام بوثبة؛ وعندئذ يصبح العمل كلّ طاقة الشعب المحتشدة في نشاطه المشترك لاجتياز محنة حاسمة، وفي مثل هذه الفترات لا تتمثّل المسألة في العمل من أجل مجرد العيش، ولكن من أجل البقاء"³.

إنّ مهمّة ثورة التحرير في بعث الإنسان الجزائري وتغييره، كانت عمليّة دقيقة جدّاً، حيث كان عليها أن تعتمد على المفاهيم القويّة والواضحة لشرح وسائلها وأهدافها، إذا ما هي أرادت أن تسيّر طبقاً للقانون الاجتماعي الذي تُشير إليه الآية الكريمة {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}

1 مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مرجع سابق، ص 26.

2 المرجع نفسه، ص 34.

3 المرجع سابق، ص 105.

{الرّعد:13/12}¹.

• أثر الكلمات في تغيير الفرد الجزائري خلال الثورة

حدّد الدكتور "خالدي"، بطريقة موفّقة، أهمية الكلمات من حيث مدلولها الثوري، وتأثيرها النفسي، حيث قال: "إنّ الكلمات تُعَيّن مواقفَ أيديولوجية مُحدّدة"²، وخلال ثورة التحرير الجزائرية ساهمت الكلمات إلى حدّ كبير في تغيير الفرد، وخلق الحماسة المتوهّجة لديه "فبمجرّد أن كان الجزائري يُلقَّب (بالمجاهد)، كان وكأنّما ألغى من ذهن الآخرين صورة (الأنديجين) الحقير حتى قبل أن يُطلق أول رصاصة في الجبل... فبمجرّد ما يُلقَّب (بالمجاهد)، كان في طفرة واحدة، يُصبح البطل الواعي المُدرِك لعظمة تحديّه للقوى الهائلة التي أمامه"³.

فالكلمة يُطلقها إنسان، تستطيع أن تكون عاملا من العوامل الاجتماعية، حين تُثير عواصف في النفوس تُغيّر الأوضاع العالمية⁴، ولهذا فلا غرابة إذن في أنّ الذين كانوا في فرنسا يعرفون عن العامل الجزائري صورةً هزيلةً، يكتشفون له بصورة مفاجئة صورة تفرّض التقدير والاحترام عندما اندلعت الثورة⁵ من جهة أخرى، إذا تغيّرت الكلمات بطريقة عكسية أو غيّرت في اتجاه آخر، فإنّ أثرها في بعث الإنسان سيتأثّر قطعاً؛ فمثلا إذا تنازل الثوار عن لقب (المجاهد) فسرعان ما سوف يظهر في سلوكهم الانحراف، الذي كان يعترفهم

1 ينظر: مالك بن نبي، بين الرّشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 54.

2 المرجع نفسه، ص 53.

3 المرجع نفسه، ص 53.52.

4 مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 22.

5 مالك بن نبي، بين الرّشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 52.

عندما كانوا في الخدمة العسكرية في جيش الاستعمار¹، وعليه فإنّ التغيير هنا لا يعترى فحسب (لغة) الثورة بل إنّه سيُصيبُ (روحها) وربما يُغيّر الموقف الثوري نفسه، وبالتالي يجبُ على الثورة أن تُحافظ على صفاء (لُغتها)، حتى تُحافظَ على قُدْرَتِها على تغيير الإنسان، وقد أصاب مالك بن نبي حينما قال بأنّ: "الكلمة لمن روح القدس"².

• المرأة والثورة الجزائرية

أولى مالك بن نبي أهمية كبيرة للمرأة الجزائرية، وأبرز دورها فيها؛ داعياً إلى تغييرها، وإخراجها من أسوار الجمود والتعفن لكي لا تتزكّ مجالاً للاحتلال بتكسيروها وقتل روح البناء الذي خُلقت من أجل السموّ به، حيث أكد من خلال كتاباته أنّه: "لا بُدّ إذن أن نطرح منذ الآن مشكلة (إنباتها) حتى لا نغرس جذورها أينما وكيفما كان"³.

ومن أجل بناء أصلح للحركة النسائية، فقد أكد بن نبي على ضرورة الانتباه إلى البيئة التي تحتوي المرأة الجزائرية، وأنّ تسنلهم من نظيراتها المكافحات خلال الثورة ما سيُعيئها على تكوين نفسها، وتغيير حالها، والاستثمار في مجتمعها الذي تُشكّل قوامه وديننه؛ فالثورة . يقول بن نبي . "قد نقشت على لوحة التاريخ وجوه نساءٍ كثيرات من اللاتي عشنّ ومئنّ في سبيل الواجب والشرف، ك(فضيلة سعدان) التي حصدها، ذات يوم، في أحد شوارع قسنطينة رشاشة، ولكن بعد أن أذاقت الجنرال (ماسو) الخزي والمرارة فترة طويلة من الثورة... فالثورة قد دفعت الحركة النسائية إلى الأمام، لكنّها ما تزال حركة

1 مرجع نفسه، ص 53.

2 مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1984، ص 111.

3 مالك بن نبي، بين الرّشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 65.

فتية، لها من الشباب حيويته وإقدامه، لكن شبابها قد يُعَوِّقُها إذا أهملنا شأنها ولم نُراقب نباتها كما ينبغي¹.

إذن أراد بن نبي أن يكون منبث الحركة النسائية من جذور التربة التي أنجبت نساءً صنعن التاريخ بمجاهدن وبطولاتهن، حتى لا يتلوثن بلوثة الغير الذي لا يريد لها سوى التبعية، وقد شرح لنا مالك بن نبي ذلك في قوله: "فهناك أسمدة تُعين على إنبات النبات الطيب، وهناك مزابل لا ينبث فيها إلاّ النبات العفن... على حركتنا النسائية أن تختار إذن لغرس جذورها، تلك التربة النقية الطاهرة التي أنبثت (سمية ولالة فاطمة نسومر وفضيلة سعدان)، وعندما أقول هذا، لا أرى في اختياري قضية ذوق وإنما ضرورة اجتماعية ملحة، لأنّ الخطأ يتسرّب دائماً إلى الحركات النسائية حينما تتشأ كيفما كان منشؤها على أنّها حركات مطالبة، أو بالأحرى مرافعة ضدّ المجتمع ثم يأتي من يأتي ليؤيّدها في ذلك"².

كما دعا مالك بن نبي إلى ضرورة أن تُطَبَّعَ حركتنا النسائية بطابعنا، وحرّ في الوقت نفسه من مغبة أن تبني نفسها وفق مقاس تأتي أفكاره من الخارج "ينبغي أن تطبع حركتنا النسائية بطابعنا، لا بطابع ما يصنع في الخارج"³، وفي بناء المجتمع وترصيص أسسه وتدعيمها، أكد بن نبي على أهمية أن يدعم أخيها الرجل هذا البناء، وأن يُشاركها كلّ فعلٍ هادفٍ، فالمرأة كما جاء في كتاباته: "ليست كائناتنا يعيش وحده ويطرَح مشكلاته على هامش المجتمع، إنّها أحدُ قُطبيّه وقُطبه الآخر الرجل، ولا ينبغي أن نتصوّر قطبا

1 المرجع نفسه، ص 65.

2 مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، مرجع سابق، ص 66.65.

3 المرجع نفسه، ص 66.

ينفصل عن الآخر، ولو حدث هذا بفرض لا يتصوره العقل، فالمجتمع نفسه يتبخر¹.

وفي سياق ذو صلة بأهمية الدور الاجتماعي للمرأة، أكد مالك بن نبي بأنها . أي المرأة . تتسجم مع كلّ الفواعل السياسية والفكرية في البلاد، حيث تمتلك من المؤهلات ما يجعلها تبذل في أيّ وظيفة، وقد وضّح لنا مالك بن نبي ذلك في قوله: "وربّما جاز لنا القول، على قدر خبرتنا وما شاهدناه في الحياة الإدارية، أنّ المرأة الجزائرية تتسجم منذ الخطوة الأولى مع وظيفة الدولة، لأنّها لا تعاني في ذاتها عقدة (الاستقلال) الفردي، التي تجعل (الخضوع) لمقتضيات الوظيفة أمرا صعباً، وتُضيفُ هنا أننا من الناحية الفنية، لا نرى كفاءتها تُنقصُ من شيء"²، وبما أنّ "كلّ تفكير في مشكل الإنسان هو تفكير في مشكل الحضارة"³، فإنّ مالك بن نبي يرى بأنّ التفكير بمشكلة المرأة، لهو بالأساس تفكير بالمستقبل، وشعورٌ بهاجسه.

03. تقييم كتابات مالك بن نبي حول الثورة الجزائرية:

بعد اطلاعنا على كتابات مالك بن نبي، وجدنا بأنّه قد أفرد فيها مساحات معتبرة، لتقديم قراءات ورؤى حول الثورة الجزائرية، وكلّها تفسيرات موضوعية بالنظر إلى الحلول التي يُقدّمها في كلّ مرّة لتفادي الأخطاء، والتركيز على الأهداف. لكن من جهة أخرى هناك من يرى بأنّ اهتمام مالك بن نبي بالثورة ضئيل جدّاً، بالمقارنة مع القضايا الحضارية الكبرى التي طرّقها،

1 المرجع نفسه، ص 66.

2 المرجع السابق، ص 47.

3 الحاج ربّاني، "الذاتية وإشكالية التغيير الحضاري في فكر مالك بن نبي"، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد

وتناولها بشيء من التعمق؛ فمثلا نجد الأستاذ الباحث "رابح لونيبي" الذي شبّه مالك بن نبي بـ **بابن خلدون العصر** يقول: "...فهو لم يهتم بالقضية الجزائرية منذ بدايات كتاباته، وإن تطرّق إليها ففي إطار أمثلة قريبة منه، لأنّه يضعها في إطار ما يُسمّيه **مشكلة حضارية** تخصّ الحضارة الإسلامية كلّها"¹، في حين نجد أحد الباحثين يفتد ذلك ويقول: " بن نبي يهتمّ بالجزائر والثورة الجزائرية...وما يجب ذكره والتركيز عليه، أنّ بن نبي لم يكتب يوماً ضدّ الجزائر، ولم يكتب ضدّ الثورة الجزائرية، وإن كتب مُنتقداً سلوكات قادة الثورة، وسلوكات بعض الأشخاص بمختلف توجّهاتهم، ويمكن للقارئ المُتنبّع أن ينتقده في هذا الجانب، فالجميع يخضع للنقد دون استثناء، سواء قادة الثورة الجزائرية، أو الجمعية، أو مالك بن نبي"².

لقد اهتمّ مالك بن نبي كثيرا بقضية البناء وصناعة الحضارة والاستثمار في الإنسان، ولا أحد يُنازعنا القول إذا ما سلّمنا بذلك، استنادا إلى ما تبنته صفحات كتاباته طبعاً، لكننا لا نُنكر اللهجة الشديدة التي كان يُوجّه فيها خطاباته الفكرية؛ فهو ليس بالمُتساهل مع الأخطاء التي تنتج من الإنسان ذاته³، كما أنّه، ونتيجة تشخيصه لواقع الثورة الدقيق، لم يُصفّق للنخبة الثورية

1 رابح لونيبي، مالك بن نبي ودوره في الثورة الجزائرية، مقال منشور على الموقع: binbadis.net، تمتّ الزيارة بتاريخ: 2022/01/16، على الساعة: 14:02.

2 معمر جبار، مالك بن نبي...لماذا يحقد عليه رابح لونيبي، مقال منشور على موقع الحوار: www.elhiwar.dz بتاريخ 21 يوليو 2016، تمتّ الزيارة بتاريخ: 2022/01/16م على الساعة 13:23.

3 يُشير مالك بن نبي هنا إلى الظاهرة الاستعمارية، وحسبه أنّ "الاستعمار ليس من عبث السياسيين، ولا من أفعالهم بل هو من النفس ذاتها، التي تقبل ذلّ الاستعمار، والتي تُمكنُ له في أرضها" (أنظر: مالك بن نبي، تأملات، مرجع سابق، ص 31)

التي كانت تقاوم في ميدان السياسة، بل فهم أيديولوجيتها، وأيقن مقصدها، فأبان ما خفي من أسرارها¹، زد على ذلك فقد تحدّث بن نبي عن كثير من القضايا، وتناولها من باب الموضوعية؛ كالسياسة والأيدولوجية، وما إلى ذلك، وكان كثيرا ما يربطها بالأخلاق²؛ فهو يرى بأنّ "السياسة تستطيع المراوغة، والمداهنة، لكن الثورة تفرض عليها أخلاقياتها أن تمضي إلى آخر الطريق"³، وهنا يمكننا أن نفهم أفكار بن نبي التي يريد من خلالها توجيه رسائل تنبيهية وتوجيهية للأمة كي تستفيق من سباتها، وأن تُعرّف من معين المبادئ السامية ما يجعلها أسوة لدى الأمم الأخرى.

إنّ مالك بن نبي كان ذو تفكير عالمي، نتيجة نبوغه العلمي، ونضجه الفكري، ورغم أنّه أشهر قلمه لانتقاد بعض الأخطاء التي تعرفها كلّ الثورات، إلّا أنّه أبان صراحة عن نيّته في بناء أمة سويّة لا تُعفّدها أغلاطها، أمة تستفيد من النقد وتتقبّله كبطانة تغيير، لا تلك التي تريد من يمدحها، ويُبطنّ أخطاءها، فتبقى خامدةً حيث منبتّها.

1 يرى بن نبي في هذا الصّدّد بأنّ "النخبة الثورية خلال الثورة الجزائرية لا تتمحور أيديولوجيا حول الفكرة الثورية، وإنّما حول أصنام أُصقّت بها بعض الصّحافة هذه الفكرة، وهذا يعني أنّنا لم نُشَفّ بعد من هذا المرض، وينبغي القول بأنّه في مستوى النخبة لم يكن هذا المرض نقياً كما هو عند الشعب، فنخبتنا المتفوّقة على استعداد لأن تأكل في سائر المعالف، يا للأسف! ليس أقبح من الجهل حينما يتزيّا بزّي العلم وينبيري للكلام، فالجهل محدود، وجاهل الشعب نظيف: إنّه كجُرْح ظاهر يُمكن علاجه، أمّا جهل العالم: فهو غير قابل للشفاء لأنّه أخزق، مرء، أصمّ، مغرور" (أنظر: مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 101)

2 يرى مالك بن نبي أنّ "السياسة من دون أخلاق ما هي إلّا خرابُ الأمة" (أنظر: مالك بن نبي، بين الرّشاد والنتيه، مرجع سابق، ص 80)، وبالتالي لا بدّ لها أن تكون: أخلاقية، جمالية، علمية، لكي يكون لها معنى في مسيرة التاريخ (ينظر: بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 135)

3 مالك بن نبي، بين الرّشاد والنتيه، مرجع سابق، ص 28.

خاتمة:

في نهاية ورقة هذه المداخلة، يمكن القول بأن الثورة التحريرية الجزائرية، وبكلّ دقائق تفاصيلها، قد نالت قسطاً لا بأس به في كتابات المفكر الجزائري مالك بن نبي، الذي وبأسلوبٍ نقدي تناول موضوعها، بعيداً عن التملُّق والنرجسية، وحاول استناداً إلى معطيات منطقية أن يُقدِّم للقارئ ما يمكن أن يُقدِّمه أي باحث لطلبته، أو أيّ عالمٍ لأُمَّته.

. إنّ الاستفادة العلمية من كتابات مالك بن نبي، تكمن في الأسلوب العلمي الذي اعتمده في شرح بعض القضايا، بعيداً عن الحشو وإعادة تدوير الأفكار المُستهلكة ذي قبل.

. إنّ الفصول التي تحدّث فيها مالك بن نبي عن الثورة، تُبيِّن لنا مدى هاجسه من مستقبل الأمة الجزائرية، ولهذا نراه شديد اللّهجة في تعامله مع بعض قضايا الثورة، هذه الأخيرة التي يعتبر نفسه جزء منها.

. يتمتّع مالك بن نبي بحاسة نقدية حادة، ما جعله يُقدِّم قراءات قابلة للتصويب، وبالتالي فمعظم كتاباته تنظيرية، استشرافية ذات أبعاد، وهذا الأمر تلمّسناه في حديثه عن ثورة التحرير الجزائرية.

. حاول بن نبي أن يُقدِّم بعضاً من أفكاره لصالح الثورة كبقية نظرائه من المفكرين والباحثين، مبيّناً وطنيته فيها في كلّ مرّة، وبالتالي فقد سحّر قلمه وفكره لخدمة قضايا غيره، دون التفكير في الاستفادة من اختصاصه الذي أفنى فيه عمره؛ فهو القائل: "وجدت أمتي تحتاجني مفكراً بأفضل من أن تحتاجني مهندساً"¹، وبالفعل كان مهندساً للفكر، ومُستنهضاً له.

1 صلاح الدين مبارك حدّاد، "مذكرات مالك بن نبي بين فنّ السيرة الذاتية ونضج الفكر الحضاري"، مجلة

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب

- بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، ط01، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1986.
 - بن نبي مالك، بين الرشاد والتهيه، ط 02، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1988.
 - بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركو وأحمد شعبو، ط 01، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1988.
 - بن نبي مالك، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1986.
 - بن نبي مالك، تأملات، ط 01، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1989.
 - بن نبي مالك، القضايا الكبرى، ط 01، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1991.
 - بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1984.
- Achour CHeurfi, *La Classe Politique Algérienne*, Casbah Edition, Alge .

ثانياً: المقالات

- حدّاد صلاح الدين، "مذكّرات مالك بن نبي بين فنّ السيرة الذاتية ونضج الفكر الحضاري"، مجلة المعيار، مجلد 25، العدد 53، الجزائر، 2021.
- شعبان عبد العزيز، "تمثّلات الاتجاه ما بعد الاستعماري في كتابات مالك بن نبي وفرانز فانون"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 09، العدد 05، الجزائر، 2005.
- ربّاني الحاج، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد 07، العدد 01، الجزائر، ص 134.133

ثالثاً: المواقع الالكترونية

- جبار معمر، "مالك بن نبي... لماذا يحقد عليه رايح لونييسي"، مقال منشور على موقع الحوار: www.elhiwar.dz بتاريخ 21 يوليو 2016، تمت الزيارة بتاريخ: 2022/01/16م على الساعة 13:23
- لونييسي رايح، "مالك بن نبي ودوره في الثورة الجزائرية"، مقال منشور على الموقع: binbadis.net، تمت الزيارة بتاريخ: 2022/01/16، على الساعة: 14:02

المذكرات الشخصية في الخطاب التاريخي للثورة الجزائرية "دراسة تاريخية نقدية لمذكرات محمد حربي"

Personal notes in the historical discourse of the
Algerian revolution "A critical historical study of
Mohamed Harbi's memoirs"

كط د/ يونس تامة

جامعة باتنة 01

younes.tamma@univ-batna.dz

الملخص:

يندرج هذا المقال ضمن الحديث عن الكتابات الصادرة حول تاريخ الثورة التحريرية، من خلال المذكرات الشخصية لفاعلين أو أفراد اختلفت مواقفهم، إما قادة سياسيين أو شخصيات عسكرية ثقيلة في تاريخ الثورة التحريرية، أو من أفراد كان لهم تأثير عن قرب أو بعد على مسرح الأحداث الوطنية، فشعور الإنسان بذاته والاهتمام بما يدور حوله من أحداث، والتي ساهم في صناعتها وعاش وقائعها، هو شعور إيجابي يدعوه إلى الفخر، ويجعله يسعى دوماً إلى التغني بماضيه وأمجاده والتذكير به في المناسبات، واستغلاله لشتى الأغراض التي تعود عليه وعلى موروثه التاريخي والحضاري بالمنافع المادية والمعنوية. وانطلاقاً من ذلك تعتمد هذه الدراسة مرحلة الثورة التحريرية 1954-1962م، كمرحلة تكاثر فيها القادة والفاعلون السياسيون والمناضلون والثوار وغيرهم، والذين عمدوا إلى تسطير المذكرات الشخصية والإدلاء بشهاداتهم الشخصية حول معاصرتهم للأحداث، وفي هذا الإطار نشير إلى أهمية هذه المذكرات في سرد أحداث الثورة برواية عميقة وبشواهد حية، مع العلم أن الكثير من الحقائق تبقى كامنة في الصدور وتتحرج من البوح بالحقيقة لأسباب موضوعية أو ذاتية، وفي هذا السياق سنحاول القيام بعملية نقدية لمذكرات المؤرخ الجزائري محمد حربي، من خلال إبراز مدى تأثير شخصيته وانتائه الأيديولوجي والثقافي على خطابه التاريخي وقراءاته التاريخية للوقائع والأحداث.

Abstract:

This article falls within the discussion of the writings issued on the history of the liberation revolution, through the personal memoirs of actors or individuals of different positions, either political leaders or heavy military figures in the history of the liberation revolution, or from individuals who had an influence, closely or after, on the scene of national events, A person's sense of himself and concern for the events that revolve around him, which he contributed to making and living their facts, is a positive feeling that invites him to be proud, and makes him always strive to sing praises to his past and his glories and be reminded of him on occasions, and to exploit it for various purposes that accrue to him and his historical and civilizational heritage with material and moral benefits. Based on that, this study adopts the stage of the editorial revolution 1954-1962 +, as a stage in which leaders, political actors, militants, revolutionaries and others proliferated, who proceeded to write personal notes and give their personal testimonies about their contemporaneous events. Deep and living evidence, knowing that many facts remain latent in the chest and embarrassed from revealing the truth for objective or subjective reasons, and in this context we will try to carry out a critical process for the memoirs of the Algerian historian Mohamed Harbi, by highlighting the extent to which his personality and ideological and cultural affiliation affected his historical discourse and historical readings. of facts and events.

مقدمة:

إن الخوض في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر بشكل عام وبالأخص في المذكرات الشخصية للأفراد والفاعلين في تاريخ الثورة الجزائرية، لظاهرة اجتماعية تستحق الاهتمام الجاد من طرف الباحثين والدارسين بصدد حفظ الذاكرة الوطنية، خاصة مع غزو الكتابات الفرنسية الساحة الأكاديمية الجزائرية، فهذا النوع من الكتابات رغم أنه يعاب عليه في الكثير من الأحيان بكونه تمجيذا بدائيا للذات، إلا أنّ المذكرات التاريخية طالما لعبت دورا كبيرا في معرفة تاريخ أي دولة ومسار رجالها، لهذا فالوسط الثوري الجزائري لم يكن في منأى عن هذه الإشكالية، وقد حرص عدد من رجال الثورة التحريرية المباركة، سواء الذين

قضوا نحبهم أو الذين لزالوا على قيد الحياة، على تدوين مساهمهم ومسار رفاقهم في الدرب طوال أيام التحرير ضدّ المستعمر الفرنسي الذي عمل على طمس كل معالمنا وحضارتنا وتاريخنا بشتى الوسائل والسبل، وقد أخذنا المؤرخ الجزائري محمد حربي كأحد النماذج، على اعتبار أنه الأكثر إنتاجاً حول الثورة الجزائرية ومسار الحركة الوطنية حسب علمنا، وأحد أبرز المؤرخين الذي كتب على الأقل جزءاً من مذكراته شملت الفترة 1945-1962م، ومن المعلوم أن السير الذاتية للمؤرخين هي من الأدوات الرئيسية في عملية النقد العلمي للبحث التاريخي، وبدورها تحتاج إلى تمحيص ونقد علمي. ولعلّ الإشكال المطروح في هذه الدراسة هو: ما الإضافة التي يمكن أن تقدمها مذكرات محمد حربي في الخطاب التاريخي للثورة الجزائرية؟ وما هي جوانب القصور فيها؟ وإجابة على هذه الإشكالية سجّلنا التساؤلات التالية:

ما هي القيمة التاريخية للسير الذاتية في الخطاب التاريخي عند

الجزائريين؟

ما هي أبرز العوامل المؤثرة في تكوين شخصية محمد حربي ومساره

النضالي وقراءته للأحداث؟

ثم إلى أي مدى يبرز دور هذه المذكرات في تفكيك وتفسير الخطاب

التاريخي للثورة الجزائرية؟

ولمعالجة الإشكالية المطروحة أعلاه قمنا بتقسيم البحث إلى ثلاثة

عناصر أساسية ثم خاتمة مع توحيد الصياغة المتبعة فيه اعتماداً على التحليل

المبسط مع الجمع بين عدة مناهج، المنهج التاريخي بحكم عرض الظروف

التي عالجتها هاته المذكرات والسياق الذي جاءت فيه، وتوضيح مدى الاستفادة

الباحثين منها، حيث زامت الفترة الممتدة ما بين 1945-1962م من تاريخ

الجزائر المعاصر، إلى جانب المنهج المقارن والذي اعتمده لمقارنة الوقائع التاريخية على ضوء ما ذكر في مصادر أخرى، من خلال رصد نقاط قوتها وضعفها وأثر ذلك في إعطاء شواهد حية لمعالم الثورة الجزائرية، قصد الخروج بنتائج مضبوطة ومحددة تلقي الأضواء على الأحداث التي وقعت في تلك الفترة. إن تتبعنا لدور المذكرات الشخصية للمؤرخ الجزائري "محمد حربي" في تحليل وقائع الثورة التحريرية من زاوية أنه لم يكن مناضلا وسياسيا فقط، بل مؤرخا كذلك، ليس بهدف سرد الأحداث التي صدرت في تلك الفترة، وإنما هو محاولة لرصد إسهاماتها في التأريخ لأحداث الثورة وسبر غورها واستلها معانيها وعرض مآثرها، مع التنبيه على عدم خلوها من التأثيرات الجانبية التي قد تساهم في تغييب حلقات مهمة لبناء الحادثة التاريخية.

1- القيمة التاريخية للمذكرات الشخصية في الخطاب التاريخي عند الجزائريين:

إن الحديث عن تاريخ وقيمة المذكرات في الخطاب التاريخي عند الجزائريين، يتعلق بالظروف والمتغيرات الداخلية والخارجية التي عاشها المجتمع الجزائري عبر العصور.

1.1. مدى إدلاء الجزائريين بشهاداتهم:

حسب علمنا إذا تتبعنا تاريخ هذا الفن من الكتابة التاريخية، فإن الجزائر قد عرفته منذ القدم، بالحديث عن مذكرات أوغسطين¹ وصولا إلى أواخر عمر

1 ولد سانت أوغسطين 354 و توفي 430م، لاهوتي وفيلسوف كاثوليكي، من أبرز مفكري النصرانية في عهدها الأولى، اعتنق النصرانية علم 386م ودافع عن الكنيسة دفاعا قويا، وأشهر آثاره سيرة حياته الذاتية، وعنوانها "اعترافات" (Confessiones) كتبها حوالي عام 400م. ينظر إلى: منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، إعداد رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، د س، ص 76.

الدولة الجزائرية الحديثة، بصدر مذكرات الشريف الزهار أواخر العهد العثماني¹، ليتواصل بعد ذلك هذا النوع من الكتابات، مع أحمد توفيق المدني، أحمد باي، وحمدان خوجة وبوضربة²، بالإضافة إلى كتابه المرأة³، ثم كُتِبَ الشيخ محمد بن عاشور وغيرهم تصف الحياة السياسية والفكرية للغزو الفرنسي، وعند اندلاع الثورة التحريرية (1962-1954م)، لم تسمح الظروف والوضع الثقافي لدى صنّاعها والمشاركين في حوادثها السياسية والعسكرية، بتسجيلها في حينها المناسب إلى حين توفر الظروف المناسبة بعد الاستقلال⁴، وخاصة بعد التحولات السياسية والاجتماعية التي عرفتها الجزائر، بعد وفاة الرئيس هواري بومدين ووصول الشاذلي بن جديد ببروز التعددية السياسية، ورغم وجود عدد متواضع من الكتابات في هذا المجال، إلا أن طبيعة الجزائري عبر تاريخه بشكل عام قليل الكتابة والتدوين فيما يخص هذا النوع من المذكرات والشهادات المكتوبة، مثلما أشار إلى هذه الظاهرة الدكتور أبو القاسم سعد الله في مؤلفه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر⁵.

-
- 1 ينظر إلى: أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1754-1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- 2 محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.
- 3 حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
- 4 علي غنابزية، "القيمة التاريخية للمذكرات الشخصية في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية"، مجلد 17، ع01، (الجزائر)، نوفمبر 2019، ص 126.
- 5 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص ص 44-45.

بقيت ظاهرة ضعف التدوين والإدلاء بالشهادات الحية سائدة لدى الجزائريين، حتى بالنسبة لتاريخ الثورة المسلحة، ويتطلب ذلك من الباحث في هذا التاريخ الانتقال بنفسه إلى صنّاع هذه الأحداث ومحاولة استنطاقهم، مع الإشارة إلى وجود بعض الكتابات هنا وهناك¹، وبالأخص السنوات الأخيرة بعد توفر جو من الحريات منذ عام 1988م، كما أشرنا سابقا وبرز الثقل التاريخي للثورة التحريرية على الصراع السياسي الذي عرفته البلاد².

يلاحظ الباحث في تاريخ الثورة الجزائرية أن أغلب الشهادات التي ظهرت قبل 1988م، كانت على يد معارضين للنظام السائد آنذاك، سواء كان بن بلة أو بومدين، وبشكل أقل الشاذلي بن جديد، ويعود ذلك إلى أن هؤلاء المعارضين أرادوا ضرب النظام القائم وتصفية حساباتهم معه بواسطة الكتابة حول تاريخ الثورة التحريرية³.

وقد ظهرت فيما بعد العديد من المذكرات والشهادات، أغلبها عن محاكمات مباشرة وغير مباشرة للعناصر التي حكمت الجزائر منذ عام 1962م، وبخاصة منهم الرئيس هواري بومدين، أخص بالذكر كتابات محمد بجاوي،

1 رابح لونيسي، تفكيك الخطاب التاريخي حول الثورة الجزائرية، دار المعرفة، الجزائر، 2012، ص 108.

2 وبالتحديد بعد القرار الهام الذي صدر عن الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد الرامي لتنظيم سلسلة من الندوات والملتقيات عبر ولايات الوطن، من تنشيط مجاهدين ومؤرخين بهدف تحصيل مادة تساهم مستقبلا في كتابة تاريخ الثورة وكمرحلة أولية للحفاظ عليه، غير أن هذه الملتقيات التي نشطت على مدار سنوات لم تقدم مادة جديرة بالتحصيل في ظل رفض بعض الأسماء المشاركة فيها، كما رفضت بعض عائلات من رحلوا أن يساوموا على ما تركه الراحلون. ينظر إلى: حياة سرتاح: "المذكرات والكتابات الثورية.. أكثر من نصف قرن من الوجود بين تعطيل عائلات الفاعلين وإحجام أصحابها"، في: الفجر، على الرابط: djzaires.com/alfadjr/286883، على الساعة 10:58، اطلع عليه يوم 2022/01/14.

3 حياة سرتاح، المرجع نفسه.

وفرحات عباس، ولخضر بورقعة، ومحمد بوضياف في صحيفة الجريدة لسان حال حزب الثورة الاشتراكية الذي يتزعمه، كما أن البعض من المعلومات التي أوردها "إيف كوريير Yves Courrière" في كتابه الضخم المعنون بـ "حرب الجزائر"¹، كان مصدرها كل من كريم بلقاسم وعمر أوعمران².

2.2. المذكرات الشخصية الجزائرية والثورة الجزائرية:

توضح الذاكرة المدوّنة في غالبية الكتب التي تسلّط الضوء على موضوع "كتابة تاريخ ثورة التحرير المباركة"، أن هذا النوع من الكتابات تأخّر وجوده في الجزائر سواء ما تعلق بكتابة تاريخ الثورة أو تاريخ الحركة الوطنية، ويرجع هؤلاء أسباب هذا التأخير أو ما وصفوه بـ"التعطيل"، إلى عهد الرئيس الراحل الهواري بومدين³، الذي يقول عدد من المؤرخين بأنه "عطّل كتابة الثورة"، وعمل على تأجيل عدد هام من المذكرات والشهادات التي كان يعتزم في عهده بعض رجال الثورة والمجاهدين أن يدونوه، بل وصل الأمر تجاه بعض الشخصيات أن منعت من إصدار هذه الكتابات، في الوقت الذي كانت الذاكرة الفرنسية حريصة على تدوين أحداث حربها ضدّ الجزائريين من وجهة نظرهم أمثال "إيف كوريير"⁴ و"كلود بادي Claude Badi" وغيرهم، فالشخصيات التي كانت تدعم

1 Yves Courrière: la guerre d'algerie, 4tomes, éd Fayard, Paris, 1969 et 1970 et 1971.

- Les fils de la toussaint, 1969.
- Le temps des leopards, 1969.
- L'heure des colonels, 1970.
- Les feux du désespoir, 1971.

2 لونييسي، المرجع السابق، ص 109.

3 نفسه، ص ص 108-109.

4 Yves Courrière: la guerre d'algerie, 4tomes, éd Fayard, Paris, 1969 et 1970 et 1971.

الثورة التحريرية الجزائرية من الضفة الأخرى عملت على التطرق إلى رجال الثورة الجزائرية وتأثر الجزائريين بنضالهم، وتأثير ذلك على مسار الجزائر بعد الاستقلال. أما المؤرخون الذين انحازوا للمستعمر من الفرنسيين والأوروبيين عموما، فقد كانت كتاباتهم بعيدة عن الحقيقة وشاهد خائن للثورة ولأبطالها¹. يقول الباحث في التاريخ وأستاذ علم الاجتماع بجامعة الجزائر، مصطفى ماضي، بخصوص هذه الإشكالية "أن المذكرات المتعلقة بالثورة عرفت في عهد الرئيس الراحل بومدين انتشارا كبيرا ولكن غالبية هذه الأعمال لم تصدر في الجزائر بل في فرنسا". واعتبر المتحدث أن أولى المذكرات التي صدرت في الجزائر كانت مذكرات الراحل الرائد لخضر بورقعة²، وبالرغم من القضايا التي سلط عليها الكتاب الضوء من قضايا كانت إلى وقت قريب تصنف في خانة "المسكوت عنها"، إلا أنها أتاحت بعد ذلك الفرصة أمام قادة الثورة في الحديث عن تجربة الكفاح المسلح خاصة في عهد الشاذلي بن جديد، الذي يتفق غالبية المؤرخين على أن عهده كان فرصة لرواج هذا النوع من الكتابات. وقال في هذا الصدد مصطفى ماضي، كما أشرنا سابقا أن "الجزائر في عهد الشاذلي بن جديد بدأت تعرف انفتاحا وقرته حرية التعبير التي جاء بها الشاذلي مقارنة بما كانت عليه في عهد بومدين"³.

لا نكاد نجد عناصر من النظام السائد أو مقربين منه قد كتبوا شهاداتهم ومذكراتهم قبل عام 1988م، باستثناء العقيد أحمد بن شريف⁴،

1 حياة سرتاح، المرجع السابق.

2 مذكرات الراحل سي لخضر بورقعة، شاهدة على اغتيال الثورة، تحرير: الصادق بخوش، ط2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

3 لونيسي، المرجع السابق، صص 109-110.

4 Ahmed Bencherif: L'aurore des mechtas: quelques épisodes de la guerre d'algerie, éd S.N.E.D, Alger, 1969.

ويمكن لنا ذكر ياسف سعدي الذي كتب عن معركة الجزائر، والذي تحول كتابه إلى فيلم، وقد ابتعد ياسف سعدي نوعا ما عن العمل السياسي فيما بعد. أما بعد عام 1988م، فقد ظهرت العديد من المذكرات والشهادات من توجهات وأطراف شتى، ودلّى كل واحد بدلوه، إما لأنه أراد أن يستخدم النقل التاريخي في الصراع السياسي القائم آنذاك أو أراد تصفية حسابات، كما أن البعض منهم قد رغب فعلا في الإدلاء بشهادته وجعلها في خدمة المؤرخين، في حين رغب آخرون منهم أيضا في إبراز دورهم أثناء الثورة¹.

2- الظروف والعوامل المؤثرة في تكوين المسار النضالي لمحمد حربي وقراءاته التاريخية:

بغية تطوير منهج البحث التاريخي وجعله أكثر موضوعية، يتوجب أن يرفق كل بحث في تاريخ السير الذاتية والمذكرات الشخصية، بمعلومات وافية عن صاحب البحث، والظروف المحيطة بعمله.

1.2. شخصيته وانتماءاته الأيديولوجية:

ولد المناضل والمؤرخ الجزائري محمد حربي بن إبراهيم بن صالح وعائشة بنت السعيد كافي في 16 جوان 1933م، بدائرة الحروش ولاية سكيكدة، ينتمي إلى عائلتين من كبار العائلات المتميزة بنفوذها الاجتماعي والديني، التحق محمد حربي بالمدرسة الابتدائية الفرنسية بمسقط رأسه، كما تلقى تعليما قرآنيا لمدة قصيرة، وبعد نجاحه انتقل لسكيكدة لمواصلة تعليمه بإعدادية لوتشبانى، وهناك انخرط محمد حربي في النشاط السياسي داخل الكشافة الإسلامية، لينضم رسميا سنة 1950م لحزب حركة الانتصار للحريات

نقلا عن: لونيبي، المرجع السابق، ص 109.

1 المرجع نفسه.

الديمقراطية¹، وبعد رسوبه في شهادة البكالوريا شعبة الفلسفة سنة 1952م أرسله والده ابراهيم لباريس لمواصلة تعليمه وهناك أصبح مسؤولاً عن الفرع الجامعي لجمعية طلبة مسلمي شمال إفريقيا، إثر الأزمة التي عصفت بحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1953م، اختار محمد حربي الانضمام للجنة المركزية، بحكم أنها تتماشى مع أفكاره، وبعد تفجير الثورة الجزائرية تقلد حربي العديد من المهام منها مسؤول لجنة الصحافة والإعلام داخل اتحادية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، ومدير الديوان المدني لكريم بلقاسم ووزير القوات المسلحة، كما تقلد عدة مناصب داخل وزارة الخارجية في تشكيلة الحكومة المؤقتة الثانية حيث أصبح ممثلاً لجبهة التحرير الوطني في مؤتمر منظمة تضامن شعوب إفريقيا وآسيا، ومؤتمر مدريد للسلام ورئيس لبعثة الحكومة المؤقتة في غينيا 1960_1961م ومشاركاً في مؤتمر حركة عدم الانحياز سنة 1961م وعضو خبير في مفاوضات إيفيان الأولى في 20 ماي 1961م إضافة إلى مشاركته في صياغة ميثاق طرابلس 1962م².

وخلال تعليمه بالمدرسة الأهلية بإعدادية دومنيك لوتشياني بسكيدة سنة 1945م³، نشير إلى أن محمد حربي قد قرأ العديد من المؤلفات من بينها

للتفاصيل أكثر حول طفولة محمد حربي وتنشئته الاجتماعية راجع المقابلة رقم 1 و2 في ملخص متاح 1
Mohammed Harbi: Mémoires filmés, Éditions Syllepse, Paris, 2021, p.p. 7-8.
على الساعة، <https://www.youtube.com/watch?v=1OxLS4Ypw2U> وعلى الرابط:

14:26، اطلع عليه، 2022/01/15.

2 عادل فرحاني، "قراءة في مذكرات محمد حربي "حياة تحد وصمود" مذكرات سياسية 1945-1962م"، في: *يومية الوسط*، دع، الجزائر، 07 مارس 2021.

3 محمد حربي، *حياة تحد وصمود مذكرات سياسية 1945-1962*، تر: عبد العزيز بوباكير وعلي قسايسة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004، ص.07.

كتابات "جيل فيرن"، "ميشال ستروغروف"، "ألكسندر ديما"، "واركمان وشاتريون"، "بروسبير ميرمي"، ما فتح أمامه الآفاق ووجد فيها وصفا قريبا من عالمه، وحول هذا يضيف محمد حربي: "علمتني المدرسة التساؤل والشك والتميز بين الدين والأخلاق والطاعة والخضوع وبين الفضل والحق، فجعلت مني واعيا مزدوجا بنويوا"، كما كان للنشاط الكشفي هو الآخر دور في تحديد المسار السياسي لمحمد حربي، وفي هذا الصدد يقول: "كانت المدرسة التي أدخلني بها جدي السعيد كافي تستهويني أقل من الكشافة، نظرا لما كانت تنظمه من خرجات في الهواء الطلق وبمناقشاتها... وبها تعلمنا قصيدة شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب، إلى جانب النشيد الذي ألفه مفدي زكريا حول نجم شمال إفريقيا، وقد أخذت على عبد الرحمان حربوش بعض المعطيات عن رواد الإصلاح في القرن التاسع عشر جمال الدين الأفغاني...، وأخذت عليه كذلك بعض المعلومات حول الاختلاف بين الديانات خاصة المسيحية والإسلام، وبالكشافة تعلمت آيات قرآنية وأحاديث، وقد حاولت المشاركة معها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية في مظاهرات 8 ماي 1945م التي نظمها حزب الشعب لكن اعتراض المعلمة شاباص¹ حال دون ذلك"².

وبخصوص العوامل التي جعلته يفتح على عالم الماركسية فيقول

1 وقد كان لمعلمته السيدة شاباص أثر آخر في تكوينه الفكري وقد لخص ذلك في قوله "كانت المعلمة شاباص تجسد في عيني أكثر من أي شخص آخر هذا الدور الذي تلعبه المدرسة الابتدائية، علمتني القراءة وجعلتني أكتشف العديد من الكتب وبفضلها لجأت إلى عالم آخر لا علاقة له بعالمي اليومي، فكنت أراوح بين عالمين مثالي والآخر واقعي، فقد نجحت السيدة شاباص في تحطيم كل الخرافات بطريقة نبيهة جدا وأصبحت أعبر عن أفكاره بحرية والميل والشجاعة لقول الحقيقة والقناعة بأن الطبيعة يمكن تطويعها بالعمل". ينظر إلى: حربي، حياة تحد وصمود... المصدر السابق، ص 25.

2 فرحاني، المرجع السابق، دص.

حربي: "لقد كانت كتابات الأستاذ بير صاوري¹ مدرس التاريخ حول الثورة الصينية بجريدة (اشتراكية أم بربرية) بالثانوية هي من فتحت فكري على الماركسية، إضافة لقراءتي العديد من المؤلفات منها كتاب لينين المعنون بـ "العمل" وكتاب "عصر المنظمين" لجيمس برينهام، وحضوري للمؤتمرات الخاصة بالطلبة الاشتراكيين بليون". وتبادل النقاشات مع الطلبة المتعلقين بالماركسية والذين منحوه كتباً حول الأممية الأولى لجيمس غيوم ومذكرات فيكتور سيرج والثورة المجهولة لفولتين، وبخصوص هذا يقول محمد حربي: "لقد اكتشفت بفضل الطالب دانيال غيران التاريخ الثري للأممية الأولى ودرست نظرية الثورة الدائمة وأطروحات الاشتراكية والبربرية حول الثورة الروسية لسنة 1917م واكتشفت الأدبيات الوافرة لروني لوفافر المعنونة بمنشورات سبارتاكويس"، وخلال تواجده بالمصحة الاستشفائية بباريس أثناء العلاج من داء السل تعمق حربي أكثر في الفكر الماركسي ونهل من مختلف كتابات رواده ومنظريه والتي رسمت توجهه الإيديولوجي للانفتاح على الماركسية².

2.2. منهجه في التاريخ لأحداث الثورة التحريرية:

لمحمد حربي عدد من الكتب حول الحركة الوطنية والثورة التحريرية وهي على التوالي:

- أرشيف الثورة الجزائرية 1954_1962م الصادر بـ 1981م.
- الثورة الجزائرية سنوات المخاض صدر 1994م.
- في جذور جبهة التحرير الوطني صدر 1975م، الأسطورة والواقع صدر

1 مدرس معروف بانتماءاته الأيديولوجية الشيوعية ذات التوجهات التروتسكية الشهيرة. للمزيد ينظر: لونيبي، تفكيك الخطاب...، المرجع السابق، ص 100.

2 فرحاني، نفسه، دص.

- 1980م.
 - جبهة التحرير الوطني تاريخ ووثائق؛ التاريخ الداخلي لجبهة التحرير الوطني بالاشتراك مع المؤرخ الفرنسي جليبير ميني.
 - 1954 الحرب تبدأ في الجزائر صدر 1984م.
 - الجزائر وقدرها صدر 1992م.
 - مذكرات حياة تحدي وصمود 1945-1962م، ج1، صدر 2004م¹.
- إن المتأمل في كتابات محمد حربي حول الثورة الجزائرية وجذورها، على اعتبار أننا سنركز في بحثنا هذا على فترة 1954م-1962م، بوصفه لها بالشعبوية ويغلب عليها العاطفة الدينية والجهالة²، ولا تملك أي روح نقدية، وهي حاقة على كل أوري وكافر، وتتنظر بنفس النظرة لكل جزائري يتبادر منه سلوك يشبه هذا الأخير، كما تكن هذه القاعدة الاجتماعية العداء لأي متقف تخرج من المدرسة الاستعمارية، وهي مستعدة للإمعان في ذبحه وقتله³.
- وللإشارة فإن التوصيف الذي ذكرناه للقاعدة الاجتماعية للثورة من طرف "حربي"، لا يذكره صراحة بل يتماهى في ذلك على حد تعبير "رابح لونيسي"، بشكل يجعل القارئ المحايد لكتبه تتشكل في ذهنه الصفات المذكورة آنفا عن قاعدة الثورة، ولا أدلّ على ذلك ما جاء كتابه الموسوم بـ "جبهة التحرير الوطني

1 نشر حربي الجزء الأول من مذكراته باللغة الفرنسية والتي توقف فيها عند عام 1962م، ويمكن العودة إليها في:

Mohammed Harbi: Une vie debout –mémoire politique 1945-1962, tome1, éditions Casbah, Alger, 2001.

2 محمد حربي، "الوطنية الشعبوية بمدينة سكيكدة"، إنسانيات، ع، الجزائر، 2002، ص 17.

3 رابح لونيسي، "الخطاب التاريخي عند محمد حربي والعوامل المؤثرة فيه"، عصور، الجزائر، ديسمبر

2003/ جوان 2004، ص.227.

بين السراب والواقع"¹. يختفي وراء هذا الازدراء المستتر منهجه في التعامل مع وقائع الثورة التحريرية، ويمكن تبرير هاته المواقف لحربي لانحداره من أسرة غنية استفادت من أراضي، مقابل أن تصبح قبيلته "بني مهناسن" من قبائل المخزن المعروفة بوقوفها إلى جانب السلطة العثمانية في الجزائر ضد القبائل التي لا تدفع الضرائب².

وقد حافظت أسرة محمد حربي على هذا النفوذ المالي أثناء العهد الاستعماري، وتدعم أكثر بالنفوذ الديني لعائلة أمه كافي³. يضيف لونيبي في هذا الشأن: "فمن الطبيعي أن يحتقر ويزدري محمد حربي البسطاء من الناس والفلاحين وعمال الأرض، الذين كانوا يشكلون القاعدة الاجتماعية للثورة الجزائرية، وكيف لا يكون كذلك، وهو كان يرى بأم عينيه وهو طفل صغير كيف كان يعامل جده عينة من هؤلاء البسطاء الذين كانوا خدما له ولأسرته"⁴. لكن حربي أخفى هذا الازدراء وراء طابع ثقافي، أي احتقار المثقف غير المثقف، حيث أشار إلى هذا النوع من الطبقة في طابع ثقافي عندما قال عن المركزيين الذين كانوا يصفون "مصالي الحاج" بـ"بعدم الثقافة والكفاءة بأنه: "لا يمكن لنا إلا أن ننظر إلى وراء هذه الأحكام نظرة طبقية"، لكنه لم ينتبه أن نفس الأمر ينطبق على نظريته إلى القاعدة الاجتماعية للثورة الجزائرية، فالأجدر

1 محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد صالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 1994.

2 لونيبي، تفكيك الخطاب التاريخي...، المرجع السابق، ص 95.

3 أي أسرة علي كافي الذي تولى قيادة الولاية الثانية أي الشمال القسنطيني، بعد بن طوبال الذي أصبح عضوا في مجلس التنسيق والتنفيذ للثورة وأحد الباءات الثلاث.

4 لونيبي، الخطاب التاريخي...، المرجع السابق، ص. 228.

به أن يقوم بنقد علمي لأبحاثه قبل صياغتها النهائية، على أن يأخذ بعين الاعتبار تأثير انتمائه الطبقي على خطابه التاريخي¹.

3- تفكيك الخطاب التاريخي لمحمد حربي من خلال مذكراته الشخصية في الفترة 1954-1962م:

إن شعور الجزائريين بالتأخر في كتابة التاريخ الوطني وبالأخص في كتابة تاريخ الثورة، جعل جميع الجهود تنصب وراء هذا الجانب، على غرار المناضلون وصناع الحدث في كتابة مذكراتهم.

1.3 دور المذكرات السياسية لمحمد حربي في رصد أحداث ووقائع الثورة الجزائرية:

في الحقيقة تعود فترة صدور النسخة الأصلية لمذكرات محمد حربي باللغة الفرنسية والمعنونة بـ "Une Vie debout" Mémoires Politiques : "1945_1962" Tome1 إلى سنة 2001م بفرنسا، في جزأها الأول الذي توقف سنة 1962م، وقد تم إعادة ترجمتها بالجزائر من طرف الأستاذين عبد العزيز بوباكير وعلي قسايسية، حيث أشرفت دار القصة للنشر على طبعها سنة 2004م، تحت عنوان: "حياة تحدّ وصمود: مذكرات سياسية 1945-1962م"². وقد جاءت هذه المذكرات في حدود 440 صفحة مكونة من توطئة و12 فصلا وملاحق عبارة عن وثائق أرشيفية أغلبها وثائق خطية ومرقونة على الآلة الكاتبة ومطبوعة، وفهرس للأعلام والشخصيات، تبرز علاقة حربي بمسؤولي جبهة التحرير الوطني، وعن أسباب صدورها يقول محمد حربي: "من

1 المرجع نفسه.

2 مولود قرين، "محمد حربي في حياة تحدّ وصمود بين نرجسية المناضل وموضوعية المؤرخ"، تاريخ العلوم، ع13، مج 05، الجزائر، جوان، ص 96.

خلال تجربتي أريد أن أفهم الطريقة التي تمت بها معاشة أحداث هامة جعلت الجزائر تنتقل من عالم التقاليد إلى عالم يعيش بطريقة معقدة، بحكم تأثيره بفعل التأثير المرتبط بالاستعمار، وذلك بتوضيح صيرورتها انطلاقا من المعاشة الجماعية والمزوجة بين التاريخ والسياسيولوجيا من أجل الفهم الداخلي للمجتمع¹.

والقارئ لهذه المذكرات يجد نفسه أمام معلومات غزيرة حول محطات مفصلية من تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وما يزيد من قيمة تلك المعلومات أن "حربي" كان فاعلا فيها أو قريبا من فاعليها². يشرح "حربي" في المقدمة خلفيات إنجاز هذه المذكرات قائلا: "لا بد لي من شرح هذا العمل الغريب، فالهدف الذي أصبوا إليه ليس له علاقة بالاعترافات... سأبقى بكل تأكيد في نطاق اختياري التي ستكون محور ممارساتي الفكرية وهي البحث الواضح في حاضر المجتمع الجزائري... لكي أبقى كملاحظ ولكن أيضا كصانع تاريخ بلده." فلم يكن حربي متفرجا ولا محايدا أو بعيدا عن الأحداث، وإنما عاش مثلما ذكر في خضم الأحداث وعاصر مسار الحركة، إذ يقول: "كنت مناضلا وعضوا نشطا في جمعيات وأحزاب... ومارست مسؤوليات في الدولة... ومررت من أروقة السلطة إلى ردهات الزنانات بالسجون وبرد المنفى، فهذا المسار وبعدي عنه فرضا علي حساسية تاريخية كانت لي ولقد اعترفت بذلك..."³.

1 فرحاني، المرجع السابق. د ص.

2 قرين، المرجع السابق، ص 97.

3 مسعود كواتي، تاريخ الجزائر المعاصر وقائع وروى، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،

2012، الجزائر، ص 190.

ولم يرد صاحب المذكرات محمد حربي نقل صور من حياته الخاصة، أو سرد حوادث تاريخية كرونولوجية، بل أراد فهم الأحداث من خلال تجربته، وتطوراتها التي نقلت الجزائر - وقرينته بالجزائر - من عالم تقليدي إلى تطور... إلى جزائر أصحت دولة... حيث عمل على توضيح الصيرورات لا انطلاقاً من واقع شخصي ولكن من واقع اجتماعي، فهو إذن مؤرخ جمع شهادته على عصره، وأراد أن يكون عالم اجتماعي جمع "تاريخ حياة" للوصول إلى الفهم الداخلي للمجتمع. والكتاب كما يقول "محمد حربي" في المقدمة إنجاز يجمع بين ضرورتين: شهادة الانسان ضمن خصوصيته وشهادة اجتماعية، وبالتالي فإنه لا يروي قصة وإنما تاريخاً، لذلك يمكن اعتبار المقدمة حجر زاوية لفهم المذكرات، إضافة إلى كتبه السابقة التي تحتوي على علاقة جدلية، فمؤلفات "حربي" ومذكراته الشخصية تتهل من نبع واحد¹.

بعيدا عن إعادة ذكر الوقائع والأحداث التي عالجتها الفصول، ورغم أن الخطوط العريضة للكتاب قد تبدو ناقصة أو مبتورة، على حد تعبير "كواتي"، إلا أنه يمكن القول أن المؤلف لم يتحدث عن حياته بصورة نرجسية، وإنما كان وفيًا لما جاء في المقدمة، فاستعمل شهادته كوثيقة لكتابة التاريخ، فربط مساره بتاريخ الحركة الوطنية والثورة، كمناضل يعي الأفعال والأقوال والمواقف²، حيث أنه من خوفه من الانجرار خلف الانبهار بالنرجسية طلب "حربي" من أحد أصدقائه الذين يثق فيهم أن يقف له بالمرصاد في هذه المذكرات، حتى تكون مفيدة وبعيدة عن الشخصية بل تعبر أكثر عن الواقع الاجتماعي، ومن ما يبرر

1 نفسه، ص -ص 190-191.

2 مسعود كواتي، "قراءة في كتاب محمد حربي حياة واقفة"، المصادر، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 06، الجزائر، 2002، د ص.

ذلك قوله في مقدمة مذكراته: "لقد حاولت أن أتجاوز عقدة الاعتراف والانبهار النرجسي الذي كان يترصدني في العودة إلى الماضي، بل طلبت من أندري أكون وهو محاور متشدد وصديق أن يسألني وينتقدني وأن يهذب باستمرار قولي"¹.

قدم حربي من خلال مذكراته التناقضات التي عرفتھا الحياة السياسية في الجزائر، تناقضات المجتمع الجزائري وتعقيداته بكل موضوعية، كما يكتشف سبب تراجع الأحزاب ودورها في النضال السياسي والمسلح، ويظهر هذا جليا في الخطاب الذي دار بينه وبين قيادة الأركان، حين حاول الحديث معهم في مفهوم الثورة طويلة المدى وإمكانية صمود الشعب الجزائري فيها، أدى هذا إلى محاولة اغتياله لولا مساعدة "علي كافي" له في غار الدماء².

2.3. تقييم جوانب القصور في مذكرات محمد حربي "حياة تحد وصمود":

- **موقفه من سكان منطقة القبائل:** إن المتأمل لمذكرات "محمد حربي" ليستشف بوضوح الصورة المشوّهة التي يحملها عن سكان منطقة القبائل، ويمكن تفسير ذلك بالفضاء الثقافي واللغوي الذي نشأ فيه منذ الصغر، سواء في المدرسة أم الأسرة ووسائل الإعلام، ولهذا فهو يحمل في غالب الأحيان صورة غير سليمة عن سكان المناطق الأخرى من بلاده الجزائر، دون منطقتة طبعاً، فتأثر تلك الصورة تلقائياً على كتابته وسكانها. وعلينا هنا أن نؤكد أن سكان منطقة القبائل ومزاب والأوراس قد أخذت حصة الأسد من هذا التشويه³.

1 حربي، حياة تحدّ وصمود...، المصدر السابق، ص. 06.

2 شيجي فؤاد، "الكتابة التاريخية عند محمد حربي بين الذاتية والموضوعية من خلال مذكراته"، تاريخ العلوم، ع13، مج05، الجزائر، جوان 2020، ص. 272.

3 نفسه، ص 276.

يلاحظ أنه في الوقت الذي يحاول فيه إبراز انسحاب مجموعة قسنطينة من اجتماع 22 في المدنية، فإنه يحاول أن يرسخ في الأذهان أن كريم بلقاسم وجماعته قد لجأت إلى التمرد العسكري على السلطات الاستعمارية قبل اندلاع الثورة تحت دوافع عائلية. ولا يسعنا القول إن دافعه في ذلك هو الجهوية، فنجد خطابه ملئ بصور غير موضوعية عن أغلب القادة المنحدرين من منطقة القبائل، وقد أخذ كل من كريم بلقاسم ومحمدي السعيد وعميروش آيت حمودة ومسؤولي فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، وعلى رأسهم عمر بوداود حصاة الأسد من النقد. فلم يختلف "حربي" بتاتا عن صورة قريبه وحاميه العقيد "علي كافي" في مذكراته¹، ولعل بعض هذه المواقف نابعة من اختلافه مع بعض هؤلاء القادة مثل "كريم بلقاسم وعمر بوداود"، إلا أننا نعتقد أن الصورة السلبية التي أعطتها أم حربي لابنها حول سكان منطقة القبائل قد ترسخت في لا شعوره، ولم يستطع التخلص منها لنتحول إلى أحكام مسبقة راسخة، ومخيال أثر بشكل أو بآخر على ممارساته ومواقفه².

- **موقفه من جبهة التحرير الوطني:** كان للانتماءات الأيديولوجية "لمحمد حربي" تأثيرا كبيرا على خطابه التاريخي، فهي التي سمحت له باكتشاف ما يسميها: "البرجوازية البيروقراطية" داخل نظام جبهة التحرير الوطني، كما ينظر إلى معاناة مصالي الحاج على يد ما يعتبرها بيروقراطية جبهة التحرير الوطني بنفس نظرته لمعاناة "تروتسكي" من تهمة البيروقراطية الستالينية³. هذا مما

1 علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999.

2 لونيبي، تفكيك الخطاب التاريخي...، المرجع السابق، ص ص 98-99.

3 حسب أدبيات التروتسكيين. في ذلك راجع مقاله المنشور في المجلة الإفريقية:

يفسّر تعاطفه المتستّر مع مصالي الحاج دون المصاليين ونقده اللاذع لممارسات جبهة التحرير الوطني، عندما يشبهها بشكل غير مباشر بالممارسات الستالينية. في حين يحاول إيجاد المبررات الكافية لمختلف مواقف الحزب الشيوعي الجزائري قبل وأثناء الثورة، فبالرغم من أن هذا الحزب هو حزبا ستالينيا معاد للثروتسكيين، إلا أن الانتماء إلى نفس العائلة الأيديولوجية فرضت عليه ذلك الانحياز الصارخ إلى جانب هذا الحزب الشيوعي على حد تعبير لونيبي¹.

- **موقفه من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:** يلاحظ القارئ لخطاب "حربي" التاريخي مدى تحامله على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مركزا على المواقف التي يعتبرها سلبية عكس ما يقوم به مع مواقف الحزب الشيوعي، وبلغ انحيازه إلى درجة القول أن العلماء هم آخر من التحق بالثورة دون أن يلتفت إلى العديد من أفراد قاعدتها الذين التحقوا بها قبل جمعية العلماء بعدة شهور، في الوقت الذي يركز فيه على بضعة أفراد من الشيوعيين، قوله عنهم بأنهم التحقوا بالثورة في الأوراس، والأكثر من ذلك عندما يذكر مغالطة كبيرة وهي أن العلماء لم يدعوا للاستقلال، في حين الشيوعيين لم يكونوا ضده².

والراجع أن الأحكام التي يطلقها على جمعية العلماء فهي راجعة إلى تأثير انتماءاته الثقافية واللغوية، فهو لا يتقن اللغة العربية الشيء الذي يمنعه من العودة إلى خطب الجمعية مباشرة وهو ما يبين موقفه اتجاهها³.

نقل Du M.T.L.D. au F.L.N. , in Révolution Africaine, n°40,02 novembre 1963.

عن، - لونيبي، تفكيك الخطاب...، نفسه، ص 101.

1 قرين، المرجع السابق، ص 100. وكذلك، لونيبي، الخطاب التاريخي عند محمد حربي...، المرجع السابق، ص 232.

2 لونيبي، الخطاب التاريخي عند محمد حربي...، نفسه، ص 232.

3 شحي، المرجع السابق، ص 276.

حاول حربي في مذكراته ألا يتحدث كثيرا عن أزمة صائفة 1962م¹، وأحاط موقفه منها بنوع من الغموض، وأنه كان مع بن بلة لكنه ضد هوارى بومدين، إلا أنه في الحقيقة كان معهم لعدة أسباب ومنها أنه لا يمكن أن يقف إلى جانب كريم بلقاسم لأنه من منطقة القبائل، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن حربي كان انتهازيا مثل أغلب المثقفين حتى ولو حاول تبرير مواقفه بأيديولوجيته والبرامج التي تخدم الكادحين، مثل قوله إنه التحق ببن بلة بعد لإصداره قانون الإصلاح الزراعي عام 1963م².

خاتمة:

من خلال سرد وتحليل المذكرات السياسية لمحمد "حربي" نخلص إلى تسجيل النقاط التالية:

- إن القارئ لمذكرات "حربي" يجد نفسه أم معلومات غزيرة حول محطات مفصلية من تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وما يزيد قيمة تلك المعلومات أنه كان فاعلا فيها، ولكن قراءتها يجب أن تكون حذرة على اعتبار أنه ليس مناضلا أو سياسيا فقط، وإنما مؤرخا كذلك.

- إن ما يمكن الإشارة إليه بعد قراءة هذه المذكرات مصالحة "محمد حربي" مع نفسه وأفكاره، فهو يحلل الوقائع التي عايشها من رؤية اجتماعية تتطلق من النظرية الماركسية في الصراع الطبقي والبيروقراطية والعادات

1 في سياق التعرف على جوانب القصور بمذكرات محمد حربي يمكن الاطلاع على المقال المنشور لإيفان جافرين:

Ivan Jaffrin, «Harbi Mohammed, Une vie debout. Mémoires politiques, tome 1, 1945-1962», Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, Paris, 2005, p. 341-347.

2 لونيبي، الخطاب التاريخي عند محمد حربي...، نفسه، ص 225.

والأخلاق والممارسة الميدانية الثورية، فهو على الرغم من ذلك يعترف بمحدوديتها وعدم صلاحيتها على الواقع الجزائري.

- يستنتج الباحث، أن كاتب التاريخ هو الذي يمتلك الثقافة الواسعة، والمَلَكة النقدية، وهو الذي يستطيع أن يتعرف على أوجه القوة والضعف في أي مصدر من مصادر التاريخ.

- حاجة المؤرخ والدارس للتاريخ الوطني عامة، وتاريخ الثورة بالخصوص، الاعتماد على "علم الرجال" أو المعروف بمبدأ "الجرح والتعديل"، الذي استعان به المحدثون في تعاملهم مع الأحاديث.

- ضرورة استعمال المنهج الأكاديمي بجرّها على محك النقد والتمحيص، وهو ما يجب تطبيقه أيضا ليس على الأفراد ومناضلي الثورة الجزائرية فحسب، بل حتى على مذكرات وشهادات الفرنسيين.

قائمة المصادر والمراجع:

-باللغة العربية:

1. البعلبكي منير، معجم أعلام المورد، إعداد رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، د س.
- 2-المدني أحمد توفيق، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1754-1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- 3-الزبيري محمد العربي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجه وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 4-لونيسي رابح، تفكيك الخطاب التاريخي حول الثورة الجزائرية، دار المعرفة، الجزائر، 2012.
- 5- خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
- 6- حربي محمد، حياة تحد وصمود مذكرات سياسية 1945-1962، تر: عبد العزيز بوباكير وعلي قسايسة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004.
- 7- حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد صالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 1994.

- 8- كافي علي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999.
- 9- كواتي مسعود، تاريخ الجزائر المعاصر وقائع ورؤى، دار هومه للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، الجزائر.
- 10- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
- 11- - بورقعة سي لخضر، مذكرات شاهد على اغتيال الثورة، تحرير: الصادق بخوش، ط2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.
- المقالات:
1. لونيبي رباح، "الخطاب التاريخي عند محمد حربي والعوامل المؤثرة فيه"، عصور، الجزائر، جوان 2004.
2. حربي محمد، "الوطنية الشعبية بمدينة سكيكدة"، إنسانيات، ع16، الجزائر، 2002.
3. فرحاني عادل: "قراءة في مذكرات محمد حربي" حياة تحدّ وصمود "مذكرات سياسية 1945-1962م"، يومية الوسط، دع، الجزائر، 07 مارس 2021.
4. قرين مولود، "محمد حربي في حياة تحدّ وصمود بين نرجسية المناضل وموضوعية المؤرخ"، تاريخ العلوم، ع13، مج 05، الجزائر، جوان 2020.
5. غنابزية علي، "القيمة التاريخية للمذكرات الشخصية في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية"، مجلد 17، ع01، الجزائر، نوفمبر 2019.
6. شبيحي فؤاد: "الكتابة التاريخية عند محمد حربي بين الذاتية والموضوعية من خلال مذكراته"، تاريخ العلوم، ع13، مج05، الجزائر، جوان 2020.
7. سرتاح حياة: "المذكرات والكتابات الثورية. أكثر من نصف قرن من الوجود بين تعطيل عائلات الفاعلين وإحجام أصحابها"، الفجر، على الرابط: djazair.com/alfadjr/286883، على الساعة 10:58، اطلع عليه يوم 2022/01/14.
8. كواتي مسعود، "قراءة في كتاب محمد حربي حياة واقفة"، المصادر، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ع06، الجزائر.
- باللغة الفرنسية:

-20 Bencherif Ahmed: L'aurore des mechtas: quelques épisodes de la guerre d'algerie, éd S.N.E.D, Alger, 1969.

-21 Courrière Yves: la guerre d'algerie, 4tomes, éd Fayard, Paris, 1969 et 1970 et 1971 .

- 22Harbi Mohammed: Mémoires filmés, Éditions Syllepse, Paris, 2021, p.p.7-8 .
، على الساعة <https://www.youtube.com/watch?v=1OxLS4Ypw2U> وعلى الرابط:
اطلع عليه 2022/01/15, 14:26
- 23Harbi Mohammed: Une vie debout –mémoire politique 1945-1962, tome1, éditions Casbah, Alger, 2001.
- 24Du M.T.L.D. au F.L.N. , in Révolution Africaine, n°40,02 novembre 1963.
- 25Ivan Jaffrin, «Harbi Mohammed, Une vie debout. Mémoires politiques, tome 1, 1945-1962», Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, Paris, 2005, p. 341-347.

المحور الثاني

الثورة الجزائرية في الكتابات المغاربية والعربية

الثورة الجزائرية في كتابات النخب الليبية المتضامنة معها

أ.د. / عبد الله مقلاتي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

abdalah.meguelati@univ-msila.dz

مقدمة:

لقد بلورة الثورة الجزائرية بقيمتها ومبادئها حركة تضامنية واسعة معها، وان كانت هذه الحركة عابرة للقارات فقد كان إسهام الليبيين ملفتا للنظر، حيث تجند الساسة وقادة الرأي والفاعلون من مختلف المشارب لصنع ملحمة تضامن مع الجزائر فاقت مختلف أصناف النصر والتضامن، وامتدت إلى الأخوة والتلاحم والوحدة في مساندة الثورة الجزائرية، بعضهم حظوا بتكريم الجزائر المستقلة، والبعض منهم ظل مجهولا، ومع مرور السنوات واكتشاف الوثائق تبين أن دعمهم وتضامنهم كان مثاليا، وفي هذه المداخلة سوف نتوقف عند شخصيات بارزة ليبية قدمت صنوفا من الدعم للثورة الجزائرية والتحمت بكفاحها لتتال شرف مشاركة إخوانهم الجزائريين في الجزائر والمغرب العربي.

وكثيرة هي الشخصيات العربية التي سجلت تضامنها الفعال مع الثورة الجزائرية، وقد كان للشخصيات الليبيين حضور متميز في دعم كفاح الشعب الجزائري ماديا ومعنويا، وان البحث في هذا الموضوع يوقفنا على ضروب نادرة من أشكال الدعم والتضامن مع القضية الجزائرية، تعبر عن حجم الاهتمام والرعاية الذي لفته الثورة الجزائرية في مختلف الأوساط الليبية الرسمية والشعبية، فقد تجند الملك إدريس السنوسي ورؤساء حكوماته وكثير من المسؤولين الحكوميين لخدمة الثورة الجزائرية بكل ما أوتوا من قوة وإمكانيات، وأبدى كثير من رجال

السياسة والفكر وقادة الرأي العام والأعيان صورا معبرة من الدعم والتضامن كل في مجاله، وقد تجند الأعيان والموسرين الليبيين لخدمة نشاط الثورة الجزائرية ودعمه، وأشادت قيادة الثورة الجزائرية بمساهمات كل من مصطفى ابن حليم وإبراهيم المشيرقي ومحمود صبحي ويوسف مادي... الخ.

1. مصطفى ابن حليم:

اخترنا أن نبادر بالحديث عن دور رئيس الحكومة الأسبق ابن حليم في التفاعل مع الثورة الجزائرية، وذلك بحكم الدور الفاعل الذي نهض به في دعم الثورة انطلاقا من مسؤولياته كرئيس للحكومة الليبية ثم مستشارا للملك وسفيراً لبلاده بفرنسا، بشخصية ابن حليم، الرجل الذي لمع في السياسة الليبية منذ اختاره الملك ادريس ليكون ثاني رئيس لوزراء ليبيا، وقد استطاع ابن حليم أن يقود حكومة بلاده لأكثر من ثلاث سنوات حاسمة في تاريخ بلاده، كان من مظاهرها الرئيسية تقوية علاقات الود العربية مع مصر وتونس وثوار الجزائر، والسعي لبناء وحدة شمال إفريقيا، وتقييد العلاقات مع القوى الغربية على الرغم من الحاجة الماسة لإعانتها الاقتصادية... الخ.

لم يكن منتظرا من ليبيا بإمكانياتها المحدودة أن تساهم ماديا في دعم الثورة الجزائرية كما أن ليبيا المعزولة عن العالم الخارجي لم يكن موقفها السياسي مفيدا بشكل أكبر للقضية الجزائرية⁽¹⁾، ولكن كان هناك ثمة ما يميز ليبيا، فموقعها الاستراتيجي كهزمة وصل بين الجزائر والمشرق العربي كان يفيد في ربط إمدادات الثورة، واتخاذها معبرا ومخزنا للأسلحة القادمة من مصر

خصوصا.

وعلى الرغم من الضغوط السياسية والعسكرية الأجنبية التي مورست على ليبيا، ومشاكلها الاقتصادية والسياسية الداخلية التي أثرت على استقرارها وتميمتها⁽¹⁾ فإن السلطات الليبية وقفت منذ البداية موقفا داعما للثورة الجزائرية، وذلك بفضل تضامن ليبيا التلقائي ملكا وحكومة وشعبا التلقائي مع الجزائر، والعلاقات التي أرساها ابن بلة مع رئيس الحكومة مصطفى ابن حليم.

وقد تم استقطاب ابن حليم في الوقت المناسب، حيث كان ابن بلة في صيف عام 1954 يباشر اتصالاته السرية مع ابن بوالعيد والمناضلين الليبيين في طرابلس بحثا عن الأسلحة⁽²⁾، وينسق مع المخابرات المصرية لاقتناء الأسلحة وتميرها عبر ليبيا إلى الثوار، وكان لابد من اعتماد أحد المسؤولين الليبيين في تأدية هذه المهمة. ووقع الاختيار على شخص رئيس الحكومة ابن حليم للتكفل بمهمة التغطية على نشاط تهريب الأسلحة عبر ليبيا، وذلك بحكم منصبه وعلاقاته الجيدة مع السلطات المصرية، وقد أوضح الديب أن ابن حليم كان يكن تقديرا واحتراما للقيادة المصرية التي وضعت فيه كل ثقته، وأنه ودون عرض الموقف على الملك الليبي استجاب لمطلب دعم الثورة الجزائرية⁽³⁾، فهل صحيح أن ابن حليم تحمل بمفرده مسؤولية دعم الثورة الجزائرية من دون إشراك أطراف السلطة الليبية خاصة الملك إدريس الأول؟

1 انظر حول الظروف السياسية والاقتصادية لليبيا، مجيد خدوري. المرجع نفسه، ص165 وما بعدها.

2 احمد ابن بلة: مذكرات أحمد بن بلة، ترجمة العفيف الأخضر، ط2، دار الآداب، بيروت، 1979، ص106.

3 فتحي الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص 62.

تؤكد شهادة كل من فتحي الديب (1) واحمد بن بلة (2) على الدور الفعال الذي أسهم به مصطفى ابن حليم مبكرا في دعم الثورة الجزائرية، وتكشف عن طبيعة نشاطه السري في تمرير الأسلحة عبر الأراضي الليبية. ويبدو أن سرية المهمة وحساسيتها والصورة السلبية لشخصية الملك هي التي وقفت وراء إبراز دور ابن حليم دون غيره، لكن ذلك لا يعني أن الموقف اتخذ من قبل ابن حليم دون إشراك الملك ادريس، وهو ما توضحه شهادة ابن حليم، حيث يفيد أنه اطلع الملك بمهمته السرية وسجل تجاوبه مع مطلب دعم الثورة الجزائرية.

ويورد ابن حليم انه وخلال زيارته إلى القاهرة المتزامنة مع موعد اندلاع الثورة الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954 فاتحه الرئيس جمال عبد الناصر في موضوع دعم الثورة الجزائرية، وطلب منه شخصيا التكفل بنقل السلاح والعتاد عبر ليبيا وتسليمه للثوار الجزائريين، وأن رده كان إيجابيا، لكنه أشار إلى بعض العوائق التي قد تواجه المهمة مثل تواجد القوات البريطانية في البلاد وإشرافها على شرطة طرابلس، والرقابة التي تفرضها فرنسا على ليبيا بقواتها واستخباراتها الكثيفة في فران وطرابلس، وقد أوضح للرئيس عبد الناصر ذلك بالقول: "أنت تعرف أن القوات البريطانية منتشرة على طول ليبيا من طبرق إلى غرب طرابلس، والموظفون الإنجليز يسيطرون على مراكز حساسة خصوصا في شرطة ولاية طرابلس وفرنسا لا تزال تحتل جنوب ليبيا (فزان)، ولسفارتها في طرابلس وبنغازي جهاز مخابرات من الطراز الأول يرأسه الكومندان "تيزا" وله أعوان وعيون منتشرة في طول البلاد وعرضها وأنت تعرف أن علاقتنا مع

1 فتحي الديب: المصدر السابق، ص . ص62 . 67.

2 احمد ابن بلة: المصدر السابق، ص 107، واحمد منصور: الرئيس احمد بن بيللا ... يكشف عن أسرار

ثورة الجزائر، كتاب الجزيرة، الدار العربية للعلوم . دار ابن حزم، بيروت، 2007، ص 100 . 102

فرنسا هي الآن في غاية التدهور بعدما أُنذرتناها في مذكرة رسمية وطالبناها بالجلء عن فزان...»⁽¹⁾.

وقد طلب ابن حليم من عبد الناصر إمهاله عدة أسابيع لبحث الموضوع مع الملك والتفاهم حول السبل الكفيلة بإنجاح هذه المهمة الحساسة، وأبدى له ارتياحه لموقف الملك إدريس قبل أن يعرض عليه الموضوع، بحكم معرفته للملك واطلاعه على تضامنه مع القضية الجزائرية، ويضيف ابن حليم أن عبد الناصر قدم له ابن بلة، وأنه عقد معه اجتماعا في الفاتح نوفمبر 1954 درس تفاصيل الموضوع⁽²⁾.

واثر عودته الى ليبيا اجتمع أولا بناظر ديوان الملك البوصيري الشلحي⁽³⁾ لمساعدته في كسب موقف الملك وموقف صهره محمود بوقويطين قائد دفاع برقة، ثم اجتمع بالملك وشرح له تفاصيل الموضوع، ملتصقا منه الموافقة على خطته السرية لتهديب السلاح، وكانت خلاصة جواب الملك كما نقلها ابن حليم مركزة على مسألتين أوضحهما بقوله: "من ناحية لا يمكننا أن نرفض مساعدة ثوار الجزائر في جهادهم، هذا واجب ديني محتّم علينا تلييته ولا يمكننا أن نتردد في القيام به...ومن ناحية أخرى فإنني لا أريد أن أعرض

1 انظر مصطفى ابن حليم: المصدر السابق، ص. 350. 351.

2 مصطفى ابن حليم: المصدر السابق، ص. 350. 351.

3 شخصية بارزة وأسرته من أصول جزائرية، خلف والده ابراهيم الذي كان موضع سر الملك، وتولى بدوره رئاسة ديوان الملك، وهو من اقترح ابن حليم لرئاسة الحكومة، فكان لا بد من إعلامه بهذا الامر ليشركه في تحمل المسؤولية، وقد لعب دورا مهما في خدمة الثورة الجزائرية من موقعه استنادا إلى وثائق بعثة جبهة التحرير الوطني بليبيا وشهادات قادة الثورة الجزائرية، انظر مثلا تقرير رئيس البعثة بطرابلس المؤرخ يوم 27 جويلية 1958 بالأرشيف الوطني الجزائري، بئر خادم ، ANA: Carton N°4 Dossier N°4 "rapport en sujet de l'interview avec le 1er ministre lybéen" -5

استقلال هذا الوطن الذي ضحينا في سبيله بكل عزيز وغال...⁽¹⁾، وقد اجتهد ابن حليم في تهوين مخاوف الملك المشروعة موضحا له أن هذه المهمة ورغم خطورتها . سنتجز في سرية تامة وتنسيق محكم، وتشرف عليها فرق قوات الدفاع التابعة لولايتي برقة وطرابلس، فهي تراقب قوافل الأسلحة التي تنطلق من السلوم عبر برقة في طريقها إلى طرابلس وتسلمها لقادة الثورة الجزائرية في كنف من السرية التامة⁽²⁾.

وبعد نيل موافقة الملك نسق ابن حليم عمله مع احمد بن بلة والمخابرات المصرية، وخطط لإنجاح العملية وإعطائها كامل الصبغة السرية، خاصة وأن الملك حملة شخصيا كامل المسؤولية، وانه تعهد شخصيا في حالة اكتشاف فرنسا للأمر باستقالته من الحكومة وتبرئة ذمة الملك⁽³⁾، ولعل هذا التعهد هو الذي أملى عليه التكتم على موقف الملك وتحمله لمسؤولية دعم الثورة الجزائرية، وبسبب ذلك ساد الاعتقاد لدى فتحي الديب واحمد ابن بلة وغيرهما أنه لو حده يقف وراء قرار دعم الثورة الجزائرية، وهذا ما يفسر إغفال دور الملك والإشادة دائما بجهود ابن حليم، وعلى الرغم من أن هذا الأخير اعترف صراحة بفضل الملك في تكريس الدعم المباشر للثورة الجزائرية إلا أن منتقديه السياسيين حاولوا التقليل من الدور الذي لعبه لصالح الثورة الجزائرية معتبرين أن الملك هو صاحب قرار دعم الجزائر، وهذا ما رده محمد عثمان الصيد بقوله: "لكن الأمر تم بموافقة الملك وبأمر منه، وليس بمبادرة من ابن

1 مصطفى ابن حليم: المصدر نفسه، ص . ص 352 . 353.

2 المصدر نفسه، ص353.

3 المصدر نفسه.

حليم...⁽¹⁾، وهذا الرأي في الحقيقة لا يחדش في شهادة ابن حليم وإنما يشدد على أن قرارا خطيرا مثل هذا لم يكن بمقدور أي رئيس حكومة اتخاذه لأنه من صلاحيات الملك، وأن هذا الأخير أعلن تضامنه مع الثورة الجزائرية وإليه يرجع فضل اتخاذ قرار السماح بمرور الأسلحة للثورة الجزائرية، وعموما يبدو واضحا لنا أن الملك كان مطلعاً على الموقف كما عرضه عليه ابن حليم، وهو الذي فوض رئيس الحكومة بهذه المهمة وطلب منه اتخاذ كل الإجراءات الاحتياطية، وتجنب افتضاح الأمر الذي كان يهدد ليبيا في استقلالها، وإن ابن حليم تحمل جهوداً كبرى في الترتيب لإنجاح المهمة.

2. الهادي إبراهيم المشيرقي

المناضل الليبي الذي خدم الثورة الجزائري بجهده وماله وأحب الجزائر ورجالها وأوصى بأن يدفن مع الشهداء في أديهما. أسطورة في التضامن لا حدود لها، وأنموذج فريد، مهما قلنا عليه لن نوفيّه حقه، ويبقى كتابه من أجل الجزائر ذاكراً حياً تسجل دوره وجهوده في دعم ومساندة الثورة الجزائرية منذ بدايتها وإلى غاية الاستقلال.

ولد المناضل الليبي في طرابلس عام 1908، نشأ في أسرة وجيهة ومحافظة، اشتغل في التجارة وخدم العمل الوطني والتضامن العربي، فعمل في جبهة النضال الوطني من أجل تحرير ليبيا من الاستعمار الإيطالي، ووقف إلى جانب رواد الكفاح الوطني ومنهم بشير السعداوي وأحمد زارم، وأدى دفاعه عن القضية الليبية واهتمامه بالقضايا العربية إلى كسب خبرة واسعة في النضال السياسي والدبلوماسي، وإلى التعرف على السياسة والسياسيين ونسج علاقات

1 محمد عثمان الصيد: محطات من تاريخ ليبيا، مذكرات محمد عثمان الصيد رئيس الحكومة الليبية الأسبق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996. ص 110.

شخصية معهم.

وقد دفعه إيمانه بالقضايا العربية الى التعاون مع الوطنيين الجزائريين، ومنهم مصالي الحاج وفرحات عباس، وأدى تعرفه على بن بلة الى اكتشاف الجزائر المجاهدة، آمن بقضيتها وتجدد لدعمها والانخراط فيها بكل ما أوتي من قوة، والى درجة انه تفرغ لخدمتها يوميا واقترح أن يدخل الى الجزائر ويستشهد من أجل تحريرها (1).

لقد اكتشفه ابن بلة مبكرا، حيث كان يتردد على طرابلس من اجل قضية السلاح وكان يبيت في فندقه المهاري ويتبادل معه حديث الكفاح والتحرر، وكلفه بعدة مهام حيوية في بداية الثورة، وأهمها تشكيل لجنة دعم الجزائر، والتي نهضت منذ عام 1955 بدور مهم في التعريف بالثورة الجزائرية، وجمع التبرعات وتقديم مختلف المساعدات، وعقد الاجتماعات وتنظيم المظاهرات الداعمة للجزائر (2).

لقد تكفل المشيرقي بمهام حساسة في تسليح الثورة، وخاصة تهريب السلاح من الثكنات الأجنبية بليبيا، ونقل السلاح من مصر الى طرابلس، ومنها الى تونس، ودفع ماله الخاص وأموال التبرعات التي يجمعها لشرائه (3).
وفضلا عن جهده الشخصي وجهد رفاقه ومعارفه سخر عائلته لخدمة الجزائر، وخاصة ابنته بهيجة، التي نقلت بكسب تضامن المرأة الليبية مع الجزائر، وأشرفت على تنظيم الاحتفالات والمجالس لجمع التبرعات والتضامن مع الجزائر (4). وقد تعرف على أغلب قادة الثورة وربط علاقات وثيقة معهم،

1 الهادي ابراهيم المشيرقي: قصتي مع ثورة المليون شهيد، دار الأمة، الجزائر، 2000، ص 50. 67.

2 المصدر نفسه، ص 101 وما بعدها.

3 المصدر نفسه، ص 253.

4 الهادي ابراهيم المشيرقي: المصدر السابق، ص 271.

وخاصة وزراء الحكومة المؤقتة ومسؤولو الثورة في ليبيا، والذين عبروا عن إعجابهم بمواقف وشهامة الرجل، ومنهم أوعمران وفرحات عباس، وبوصوف وابن طوبال وكريم، وحسين ايت أحمد وخيضر والشاذلي المكي، ومحمد البشير الابراهيمي، واحمد توفيق المدني، ومحمد الصالح الصديق... الخ⁽¹⁾.

ولكن ارتباط المشيرقي الأكبر كان مع ابن بلة، الذي عايشه عن قرب في بيته وفي فندقه بطرابلس، وحتى بعد اعتقال ابن بلة ظل يتبادل مع الرسائل، ويبلغه بتطورات القضية الجزائرية ويطلععه على كثير من الأسرار⁽²⁾.

وقد حضي المشيرقي بتكريم الجزائر المستقلة، وحرص على تحرير كتابه "قصتي مع ثورة المليون شهيد"، والذي طبع في دار الأمة في الجزائر بمساعدة محمد الصالح الصديق، عام 2000، وطلب من المسؤولين الجزائريين تنفيذ طلبه في أن يدفن في الجزائر في مربع الشهداء بالعالية، توفي يوم 14 أكتوبر 2007 ودفن في مقبرة العالية تنفيذا لوصيته.

3 . يوسف مادي

يوسف سليمان مادي المناضل الليبي المعروف بتضامنه مع الثورة الجزائرية والقضية الفلسطينية، خدم الجزائر بإخلاص وقد دون ذلك في شهادته التي نشرها مركز جهاد الليبيين في كتاب عام 1991⁽³⁾.

ولد بينغازي عام 1922 ونشأ بها، تلقى تعليما ابتدائيا وتحول للتجارة، تعرض لقمع الاحتلال الايطالي وارتبط مبكرا بكفاح الوطنيين الليبيين، حيث

1 المصدر نفسه، ص 257 وما بعدها.

2 المصدر نفسه، ص.442

3 مصطفى حامد رحومة وآخرون: دور يوسف مادي في حركات التحرر العربية، منشورات مركز جهاد الليبيين، ليبيا، 1991.

تعرف في طرابلس التي انتقل للعيش فيها على المناضل محمد الكريكش، وفي دكانه في شارع عمر المختار أسهم في تأسيس حزب المؤتمر الوطني بزعامة بشير السعداوي، والذي كلفه ببعض المهام في مصر، وخاصة تنسيق أعمال الحزب وتهريب الأسلحة عبر قافلته التجارية. ومنذ شبابه آمن بقضية التضامن العربي الإسلامي، منذ عام 1948 بدأ أعماله الخيرية مع فلسطين، حيث رافق المجاهدين الليبيين إلى مصر ومنها إلى فلسطين، ثم رجع بهم يحمل خيبة الهزيمة⁽¹⁾.

ولما اندلعت الثورة الجزائرية استبشر بها خيرا، ومنذ عام 1955 تعاون مع بعض الليبيين لنصرة الجزائر، وبتوجيه ورعاية من ابن بلة بادر بعض الوجهاء والمتقنين بتأسيس لجنة دعم الجزائر، ترأسها محمود صبحي، وكان من أعضائها يوسف مادي وإبراهيم المشيرقي... الخ، بدأت عملها في جمع التبرعات وتوزيع المنشورات وعقد التجمعات والاحتفالات، حيث يذكر أنه كان من المنشطين الفاعلين لمهمة اللجنة التي كانت ناجحة في التعريف بالقضية الجزائرية وجمع الأموال لصالح الثوار الجزائريين، وفي هذا السياق يذكر مادي أنه كان على تواصل مع المسؤولين الجزائريين في ليبيا ومنهم كمال الساكر وبشير القاضي وأحمد بودة الذي جاء عام 1958⁽²⁾.

وفي شهادته تحدث يوسف مادي عن مهمته في بيع الأسلحة الإيطالية الموجودة في ليبيا للمصريين، ودوره في تهريب الوطنيين المغاربة إلى مصر بعد الحرب العالمية الثانية ومنهم الجيب بوقبية، وقد تعرف في القاهرة على ممثل حركة الانتصار الشاذلي المكي الذي قدمه لعبد الكريم الخطابي وأرسى

1 مصطفى حامد رحومة وآخرون: المصدر السابق، ص 20. 39.

2 المصدر السابق، ص 76.

معه علاقة وطيدة. وقد وصف الشادلي المكي بأنه المناضل الجزائري الكبير الذي تربطني بعلاقة دائمة. حيث كان يرسل معه وكذلك الخطابي رسائل الى المناضل عزوز في طرابلس¹.

وأما علاقته بالثورة الجزائرية فكانت بداية الاتصال بابن بلة في طرابلس عام 1955، حيث يذكر أن أول مهمة نهض بها هو تأسيس لجنة دعم الجزائر، والتي كانت تعقد اجتماعات وحفلات لجمع التبرعات، ومما يذكره أن التنافس كان كبيرا بينه وبين رفاقه تجار طرابلس على من يدفع أكثر للثورة الجزائرية، وأحيانا يضطر الواحد منهم ليستلف مالا من أجل أن يكون الأكثر تبرعا في منافسة زميله، وقد بدأ عمله مع المسؤول الأول لمكتب الثورة بشير القاضي، واستمر مع احمد بودة، وكان يتعامل مع مختلف المسؤولين ومنهم كمال الساكر ومحمد الصالح الصديق وعمر حداد، ويذكر أنه كان عضوا في مكتبهم، ويكلفونه دوريا بالعديد من الخدمات، ومنها أنه كان يتولى شؤون مزرعة للجزائريين بنواحي طرابلس كانت قاعدة للتسليح والنقل، يجلب لها احتياجاتها من الأكل والمؤونة، وينقل الأشخاص ويقضي حوائجهم².

ونظرا لحاجة الثورة للسلاح وبتوجيه من مسؤول مكتب ليبيا بشير القاضي كلف بمهمة تهريب الأسلحة عبر قوافله التجارية من مصر الى ليبيا وأحيانا الى غاية الحدود التونسية، وكانت شبكات جبهة التحرير تعتمد على العناصر الليبية والتونسية، وذكر أن ارتباطه بالثورة الجزائرية كان مبكرا عام 1955 رفقة زميله مفتاح الفاخري، حيث تعرفا على بن بلة وبشير القاضي في طرابلس، وتكفلا بتهريب الأسلحة عبر ليبيا الى الحدود التونسية، كما طلب

1 مصطفى حامد رحومة وآخرون: المصدر السابق، ص 72. 75.

2 المصدر نفسه، ص 77.

منهما تهريب الأسلحة والذخيرة من القاعدة الأمريكية "هوليس"، ونجحا في ذلك من خلال إغراء بعض الجنود والعاملين بالمال، ونالا من اجل ذلك أوسمة من القيادة الجزائرية شكرا على جهدهم في تسليح الثورة¹، وهكذا لم تقتصر مهمة مادي على نقل الأسلحة وتخزينها فحسب بل امتدت الى تدبير عمليات شراء الأسلحة داخل ليبيا من المراكز البريطانية والأمريكية بالطرق السرية، وقد أشاد أوعمران بعملية جريئة دبرها بشير القاضي ومعاونيه الليبيين بقاعدة "هوليس" الأمريكية بطرابلس، إذ تمكن بمساعدة عاملين ليبيين من ارتشاء نقيب أمريكي سهل لهم مهمة تهريب كمية من الأسلحة وعندما اكتشف مسؤولو القاعدة اختفاء الأسلحة اتصلوا بالسلطات الليبية التي استوضحت الأمر من أوعمران وردت على الأمريكيين بتجاهل الأمر.

ويتحدث يوسف مادي على مهمة أخرى أداها لمسؤولي الثورة، الذين طلبوا منه بعض تجهيزات الملاحة والذخائر من مطار القاعدة الأمريكية، وتكفل أحد أصدقائه المسمى ميلاد البيب بالمهمة على أكمل وجه، ولكن نهايته كانت مأساوية حيث تدخل الأمريكيون لاغتياله بعد معرفتهم لعملية التهريب⁽²⁾.

وخلال عام 1957 اعتمدت الثورة الجزائرية على قوافل التجار الليبيين لإدخال السلاح عبر الحدود المصرية الليبية، فكان يوسف مادي من المساهمين الفاعلين الى جانب سالم شلبك وآخرين، وقد أشاد أحمد توفيق المدني بجهودهم التي عوجت الطريق البحري الذي اكتشف إثر حادثة أطوس.

كما كان المناضل يشارك في ملحمة نصره الجزائر في ليبيا عبر وقفاتها المتعددة، وخاصة الدعم المادي والتبرعات، المظاهرات والاحتجاج، المقاطعة

1 مصطفى حامد رحومة وآخرون: المصدر السابق، ص 27.

2 المصدر السابق، ص 78 . 62.

الاقتصادية للبضائع الفرنسية، حيث كان محركا رئيسا لحملة النصر في ليبيا وخاصة في طرابلس⁽¹⁾.

ويتحدث مادي عن علاقته الوثيقة مع المسؤولين الجزائريين، ومنهم فرحات عباس، وخاصة هوارى بومدين الذي كان يزوره مرارا في غار الديماو ويتبادل معه أطراف الحديث، وشهد مرة غارة على غار الديماو، كما تعرف على لبيبين في القاعدة مجندين مع الثورة، ومنهم عبد الخالق حوص ومحمد السيني، كما تعرف على مسؤولين آخرين كانوا يترددون على ليبيا، وخاصة خلال اجتماعاتهم بطرابلس، فقد ذكر أنه كانت له فيلا واسعة سخرها لقيادة الثورة من أجل الاستراحة وعقد الاجتماعات. وأما علاقته بمسؤولي الجبهة في طرابلس فكانت أكثر من حميمية، حيث يذكر أنه ومن كثرة تردده على مكتب الجزائر ولجنة التبرعات التي أصبحت هوايته أنسته تجارته⁽²⁾.

ومن المهام التي اشتهر بها يوسف مادي هي تربية أبناء وبنات شهداء الجزائر، فقد ألح على قادة الثورة التكفل باستقدام اليتامى من تونس وإبوائهم في مركز خاص وإعاشتهم على نفقته وتعليمهم من خلال إنشاء مدرسة، وكان عددهم نحو خمسين، ولما استقلت الجزائر عادوا الى وطنهم، وظلت علاقتهم به علاقة أبوية وطيدة⁽³⁾.

لقد أشاد به عضو مكتب جبهة التحرير محمد الصالح الصديق، ومدحه أحمد توفيق المدني على هذه المبادرة الكريمة، وكان المسؤولون الجزائريون عندما يحلون بليبيا يزورونه في الإقامة ويثنون على صنيعه، حيث كان يتكفل

1 مصطفى حامد رحمونة: المصدر السابق، ص 80.

2 المصدر السابق، ص 80.

3 المصدر السابق، ص 89.

بنحو ثلث اليتامى الذين أرسلوا الى ليبيا، وكانت أعدادهم كبيرة بتونس، وممن كان يزوره في المدرسة فرحات عباس وبن طوبال، وعلي منجلي وأوعمران وكريم، ومهري، وسي عثمان، وبودة، وفي إحدى الزيارات خاطبه فرحات عباس قائلاً: بابا يوسف إن شاء الله تستقل الجزائر فأني مكافأة نكافئك بها، فرد عليه: أنا لا أطلب مكافأة هذا اعتبره كواجب الصلاة وثانيا ما يقوم به الليبيون ينبع من طيبة قلوبهم، وان أصرت على المكافأة أطلب منكم خمسين بنتا لتربيتها"⁽¹⁾ وقد بدأت فكرة تربية أبناء الشهداء تراوده منذ عام 1956، رغبة منه في نصرته الجزائر التي يخدمها بكل السبل ومن أجل نيل ثواب الله، طلب بناية من أملاك طرابلس، وأصلحها وجعلها، وشرع في تربية البنين، وعندما زاره فرحات عباس ترجاه أن يرسل له دفعة من البنات، ونال مراده من خلال إرسال 65 بنتا، ونسق مع المسؤولين الليبيين والجزائريين من أجل التكفل الأمثل، وخاصة إعداد ظروف إيوائهم وإعاشتهم وتربيتهم وتعليمهم، كانت تجربة فريدة من نوعها لأن قوانين الثورة لا تسمح بتثقل البنات خارج تونس، وعبرت عن تلاحم الليبيين مع ثورة الجزائر، وجعلت الرجل مضرب الأمثلة في التضامن مع الجزائر وصاحب مكانة لدى الجزائريين يكرمونه كل ما حل بها ⁽²⁾.

وقد خصص مدرسة طرابلس للبنات وسماه باسم جميلة بوحيرد، ثانية للبنين بجنزور، وجابه مادي صعوبات في منح الترخيص من سلطات ولاية طرابلس، ولكنه أصر على تذليل كل الصعاب إلى أن حقق غايته بفضل تعاون محمد بن ساسي، حيث منحت له بناية بجنزور كانت من قبل مدرسة عسكرية للألمان، وذهب إلى إيطاليا لتجهيزها بمختلف الأغراض، كالأسرة والخزائن

1 مصطفى حامد رحمونة: المصدر السابق، ص 81، 83، 94.

2 المصدر السابق، ص 81. 86.

والطاولات، وتلقى مساعدة ودعم قبيلة جنزور في بناء المدرسة، كانت المدرسة تحت مسؤوليته المباشرة وإشراف بعثة الجبهة بلبيبا، وقد سميت باسم القائد عميروش، الذي سمع عن مآثره الكثير، ومنها أنه كان يسعى لجمع بنات وأبناء الشهداء وإرسالهم للحدود التونسية للتعلم، وقد بلغ عددهم 157، وأما مدرسة البنات فسميت باسم جميلة بوحيرد، أنشأها في بناية قرب ملعب طرابلس تابعة لبلدية طرابلس، والتزم بتجهيزها لتكون ملائمة لاستقبال بنات الشهداء، وافتتحت في حفل رسمي حضره المسؤولون الجزائريون والليبيون عام 1958، وتعداد بناتها 65 بنتا، وما يزال يحتفظ بملفات الطلبة من وثائق وصور، ويذكر أنه ظل يتابع أخبارهم، فبعض البنين أكملوا دراستهم في روسيا ويوغزلافيا ويتواصلون معه، وأن البنات تعلمن وتزوجن الآن وأنجبنا أبناء سموهم باسمه شوقا وعرفانا بفضلهم وكرمهم، وهم يرسلونه باستمرار ويطمئنون عليه. معتبرين إياه والدهم الثاني بعد استشهاد آبائهم في ساحة المعركة (1).

وهكذا فقد كان للرجل حظ إنشاء مدرستان من بين الثلاث المتواجدة في ليبيا، وقد أشاد محمد الصالح الصديق بجهود الرجل، ونوه إلى أن مصلحته الخاصة بالشؤون الثقافية كانت تتابع جهوده وتنسق معه من أجل التكفل وتأطير أبناء وبناء الشهداء (2).

الخاتمة:

من خلال ما ذكرناه نخلص إلى ما يلي:

لقد أسهمت ثورة الجزائر في بلورة حركة تضامنية واسعة معها، تجلت خلال سبع سنوات ونصف في ضروب مختلفة من التضامن المادية والمعنوية،

1 المصدر السابق، ص 82.88.

2 محمد الصالح الصديق: دور الشعب الليبي في الثورة الجزائرية، دار هومة، الجزائر، ص 131.132.

حيث تعاطف معها الساسة والعامة، المثقفون وقادة الأحزاب السياسية... الخ، وذلك على اختلاف أطيافهم وجنسياتهم.

إن الكتابات الثلاث التي توقفنا عندها بالبحث والدراسة تبين مدى الاهتمام الليبي بالكتابة عن الثورة الجزائرية، وتحمل في طياتها تاريخا مشرقا ومعطيات جديدة وسرية، ولهذا فهي تمثل مصدر أصيلا لمعرفة بعض خفايا الثورة الجزائرية. ولا شك أن الثورة التحريرية التي وحدت الجزائريين في ميدان المعركة واستقطبت إليها تعاطف وتضامن الأشقاء الليبيين، فقدموا ظروفًا مختلفة من الدعم والمساندة.

لقد استوقفتني كثير من الشخصيات الليبية بمواقفها المثالية، وأنه من واجبنا إعادة الاعتبار لهؤلاء من خلال المبادرات التكريمية، والتي لم يحظى بها الجميع.

جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية للقضاء على الثورة التحريرية
الجزائرية وصداها في صحيفة "العمل" التونسية (1954 - 1958)

**Aspects of the French colonial policy to eliminate the
Algerian liberation revolution and its echo in the Tunisian
newspaper "Al-Amal" (1954 - 1958)**

كهد / قشيش فتيحة

جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة

kechichefatiha@gmail.com

الملخص:

تتناول هذه المداخلة تفاعل وتجاوب صحيفة "العمل" التونسية، وهي الصحيفة الناطقة باسم الحزب الحر الدستوري التونسي مع مختلف المشاريع السياسية الإصلاحية، والمخططات الاقتصادية والثقافية التي اعتمدها السلطات الاستعمارية الفرنسية للقضاء على الثورة التحريرية الجزائرية، خلال المرحلة الممتدة من (1954-1958)، كما تبرز آثار وانعكاسات هذه المخططات على المجتمع الجزائري، وصداها في الصحيفة المذكورة.

Abstract :

This study deals with the reaction and responsiveness of "El-Amal" the Tunisian newspaper issued by the new Tunisian free constitutional party to the different political reform projects.economicand cultural planning s prepared by the colonial french authorities to take down the Algerian revolution ,covering the period (1954-1958). It also shows the repercussions of these plans on the Algerian people and it echoed in the aforementioned newspaper.

مقدّمة:

بعدما تأكدت السلطات الاستعمارية الفرنسية من فشل سياسة القوة والتهريب التي اعتمدها لنسف الثورة الجزائرية والقضاء عليها، وبعدما خاب أملها في كل الإجراءات العسكرية الجهنمية والمخططات الاقتصادية والثقافية

التي سلطتها على الشعب الجزائري لعزله عن هذه الثورة، حاولت الحكومة الفرنسية اللجوء إلى بعض المشاريع الترغيبية ذات الطابع السياسي الاصلاحى لذر الرماد في عيون الجزائريين والتخفيف من غضبهم، مع مراعاة مصلحة المستوطنين الفرنسيين بالدرجة الأولى في هذه المشاريع الاصلاحية.

كان لهذه التطورات وغيرها من الأحداث والوقائع التي عرفتها الثورة التحريرية الجزائرية صدى واسعا في مختلف الصحف العربية والدولية ، لاسيما الصحف المغاربية منها، وفي مقدمتها صحيفة "العمل"¹ التونسية لسان الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد، التي تابعت مجريات وحيثيات هذه التطورات باهتمام منقطع النظير، والتي سناول من خلال هذه المداخلة تسليط الضوء على الصدى الذي أحدثته تطورات ونتائج وانعكاسات بعض جوانب السياسية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر إبان الثورة التحريرية على صفحاتها، لاسيما في الجانب السياسي والاقتصادي والثقافي باعتبار أن الجانب العسكري للثورة التحريرية من خلال هذه الصحيفة قد أخذ حقه من الاهتمام في دراسات أخرى. فماهي أهم المشاريع السياسية والمخططات الاقتصادية والثقافية التي اعتمدها السلطات الاستعمارية الفرنسية لمحاولة احتواء الثورة وعزلها عن الشعب الجزائري؟ وكيف تفاعلت وتجاوبت معها صحيفة "العمل" التونسية؟

1 - صحيفة يومية وطنية، سياسية، جامعة، لسان الحزب الحر الدستوري التونسي، لصاحبها الحبيب بورقيبة، صدر أول أعدادها في غرة جوان 1934،، كانت محل مراقبة شديدة من طرف السلطة الاستعمارية الفرنسية، ونظرا لمواقفها الجريئة في محاولة فضح وتعرية السياسة الاستعمارية الفرنسية بتونس، تعرضت "العمل" للتعطيل من طرف إدارة الحماية الفرنسية في 7 أبريل 1938، ولم تستأنف نشاطها إلا في 25 أكتوبر 1955، حيث واصلت صدورها كصحيفة يومية إلى أن توقفت عن الصدور سنة 1988. أنظر: عمر بن قفصية، أضواء على تاريخ الصحافة التونسية (1870-1860)، د ط، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، د ت ن ص 213.

1- رفض "العمل" التونسية لسياسة الإصلاحات الفرنسية وتشهيرها ببعض المناورات السياسية:

1-1 - إصلاحات جاك سوستال:

أمام تزايد قوة الثورة التحريرية وفشل الحاكم العام على الجزائر روجي ليونار في إخماد نارها، لجأ منداس فرانسس رئيس الحكومة الفرنسية في 25 جانفي 1955 إلى تعيين جاك سوستال¹ حاكما عاما على الجزائر خلفا لروجي ليونار، وذلك نظرا لما كان يتمتع به من خبرة وتجربة في ميدان العمل المسلح، كونه يعتبر من الأوجه البارزة في المقاومة ضد النازية².

كان جاك سوستال يرى بأن الثورة سببها الفقر والبؤس والحرمان الذي يعيشه الجزائريون، وأن القضاء عليها لا يكون إلا بتطبيق بعض الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، فشرع في تنفيذ برنامجه بتوزيع كميات من الحبوب على سكان المناطق الفقيرة³، وتشجيع القطاع الزراعي بعدة اجراءات، سهّلت للمواطنين الحصول على عدد كبير من المساحات الزراعية في إطار ما أطلق عليه بـ "خطة الاصلاح الزراعي في الجزائر"، وما تجدر الاشارة إليه هو أن

1- اسمه الحقيقي بن سوسان من أصول يهودية، بدأ مساره السياسي بانضمامه إلى لجنة المتقنين المناهضين للنازية، عين واليا عاما على الجزائر في حكومة منديس فرانسس سنة 1955، صاحب المشروع الإصلاحية المعروف باسمه، احتفظ بمنصبه كوالي عام على الجزائر في حكومة إدغار فور، وبعد عزله قاد حملة عنيفة كانت وراء سقوط حكومة بورجيس مونري وحكومة فيليكس غيار، بعد وصول ديغول إلى الحكم كُلف سوستال بوزارة الإعلام، ثم الوزارة المنتدبة للصحراء، لكنه أصبح من أشد المعارضين للجنرال ديغول، بعد إعلان هذا الأخير عن مشروع تقرير المصير يوم 16 سبتمبر 1959. أنظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج 3، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، د ت ط، ص ص 315 - 316.

2 - Yves Cuorrier, *la geurre d'Algérie : le temp des léopards*, Alger, Ed: rahma, 1993, p17.

3 - محمد عباس، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص ص 133-134.

هذه الإصلاحات لم تقتصر على الجانب الاقتصادي فحسب، بل مسّت جميع الميادين الاجتماعية والادارية والثقافية، حيث فتح جاك سوستال المجال للجزائريين للالتحاق بالوظائف العمومي وخاصة المناصب العليا التي كانت حكرا على الأوروبيين فقط ، كما اهتم في اصلاحاته بالجانب الثقافي والديني حيث فتح الباب لتعليم اللغة العربية في المدارس النظامية، وسمح ببعض الاستقلالية للدين الاسلامي عن الادارة الفرنسية¹.

لقد برز اهتمام الجريدة موضوع الدراسة وتفاعلها مع مختلف الإصلاحات التي جاءت بها الحكومات الفرنسية المتتالية، ويتجلى ذلك من خلال حرصها الدائم على تتبّع تطورات هذه الإصلاحات، من حيث مناقشة طبيعتها ومضمونها ومحتواها، وتوضيح مواقف الشعب الجزائري إزاءها ومدى استجابته لها، كما ظهرت عناية الجريدة بهذه الإصلاحات في محاولة كشف القناع عنها، وذلك بتسليط الضوء على أهدافها الباطنية الخفية، التي تتنافى والأهداف الظاهرة للعيان.

وفي تناولها للمشروع الإصلاحي الذي جاء به الحاكم العام جاك سوستال، عبرت جريدة "العمل" عن رفضها القاطع لهذا المشروع ، كما أبدت سخريتها منه، مؤكدة على أنه مشروع شكلي غايته التمويه فحسب، لأنه لا يختلف في جوهره ومضمونه عن ما سبقه من المشاريع التي جاءت بعد فوات أوانها، حيث قالت بهذا الخصوص: «... فأرسلت بالنابغة المفكر سوستال على أن يستطيع بذكائه ما لم يستطع الأوائل بعسفهم، فحاول سوستال التمويه

1 - محمد شيبوب ومحمد بن موسى، " سياسة جاك سوستال للقضاء على الثورة التحريرية 1955 - 1956"، حوليات جامعة قلمة للعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، العدد 26 جوان 2019، ص ص 230 - 234.

وابقاء الحال، مع تغيير شكلي، وبدأ الحديث عن المساواة في الحقوق والواجبات بين الفرنسيين والمسلمين، وظنوا المشكل مشكل أخوة ومساواة، وتجاهلوا تعطش الجزائر إلى سيادتها...¹. وتضيف: «...هيهات يا سوستال لقد وقعت اليوم فيما وقع فيه الساسة الفرنسيون سابقا، أولئك الذين لا يؤمنون بالواقع إلا بعد تعفن الحال، وما خبر الهند الصينية ببعيد، حيث وقع تجاهل حق الوطنيين، حتى كانت الكارثة، وكأنه لا بد لفرنسا من تجربة كلها دموع ودماء وإرهاب وتقتيل وقمع، حتى تشعر بضرورة الرجوع إلى صوت العقل والرشد... وأنت اليوم تعرض حلاً بالجزائر تأخر عن أوانه...»².

ثم حاولت الجريدة بعد ذلك أن تسلط الضوء على الأصداء المختلفة لهذا المشروع، وذلك بإبراز المواقف وردود الأفعال التي أثارها بالنسبة للطرفين الجزائري والفرنسي، مشيرة إلى أنه قوبل بالرفض من طرف الجزائريين، كونه لم يأتي بالجديد من جهة ولأن الجزائريين قد شقوا طريق النصر لافتكاك حقوقهم بأيديهم، ولم يعد يعينهم أي مشروع لا يناقش قضية استرجاع حريتهم واستقلالهم من جهة ثانية، حيث قالت الجريدة في هذا الصدد: «... ولن يكون نصيبه سوى الرفض من طرف الوطنيين، بل وسيثير سخرية الكثير من الفرنسيين، الذين ملوا تكرار هاته المسرحيات السخيفة ويخشون من أن تفقد فرنسا سمعتها الدولية، إذا ما استمرت في تعنتها وتجاهلها تيار التحرير الجديد...»³.

أما عن موقف المستوطنين من هذا المشروع، فقد أوضحت الجريدة أنهم رحبوا به لتأكيدهم من عدم تطبيقه من جهة، ولما رأوا فيه من ضمان

1 - "ضجة الاستعمار بالجزائر"، العمل، العدد 90، (05 فيفري 1956)، ص 04.

2- "على هامش خطاب جاك سوستال"، العمل، العدد 731، (17 جانفي 1956)، ص 02.

3 - نفسه.

لمصالحهم، حيث أبقى على الجزائر فرنسية من جهة ثانية، فقالت: «... لم تكد الحكومة الفرنسية الجديدة تعلن عن تعيين الجنرال كاترو كوزير مسؤول بالجزائر مكان الوالي العام سوستال، حتى ثار تائر الاستعمار هناك فتجمع أهله أمام ستوستال وهو آخذ طريق العودة لفرنسا، وأعلنوا له ولمشروعه ولائهم ونادوا كلهم سوستال معنا... جامعين في ذلك بين اسم فرنسا ومصالحها الاستعمارية... لقد تعود هؤلاء المدللون أن يروا كلمتهم هي العليا وكلمة الشعب الجزائري هي السفلى، فأبقوا في الجزائر من رأفهم وأطردوا من عارضهم...»¹.

وفي محاولة منها لتقييم هذا المشروع وتوضيح مصيره، أكدت الجريدة على أن سوستال فشل في مهمته بالجزائر، حيث لم يتمكن من تحقيق ما أسماه **بالتآخي الفرنسي الإسلامي**، كما أشارت إلى أن الأوضاع ازدادت تدهوراً وتعفنناً بالجزائر بعد توليه السلطة، لأن مشاريعه وبرامجه حسبها، لم تتجح سوى في استمالة المعمرين المتطرفين وكسب رضاهم، بينما أثارت سخط وغضب الجزائريين الذين ظلت أوضاعهم على حالها، حيث عبّرت الجريدة عن ذلك بقولها: «...والشعور السائد في جميع الأوساط هو أن سوستال قد فشل في أداء مهمته بالجزائر، إذ أنه وجد نفسه في نهاية المرحلة أقرب إلى بعض العناصر اليمينية الرجعية أكثر قربا منه إلى المعتدلين من الجزائريين المسلمين... إنه لم يتمكن من تحقيق ما يسمى بالنقاهم المسلم الفرنسي، وبالعكس فإن الخصومة زادت حدّة والحالة زادت تعفننا، لا في الميدان العسكري فحسب، ولكن حتى في الميدان السياسي...»².

1 - " ضجة الاستعمار"، مقال سابق، ص 04.

2 - "هل فشل سوستال في مهمته"، العمل، العدد74، (18 جانفي 1956)، ص02.

وهكذا لم يكن البرنامج الإصلاحى الذى جاء به جاك سوستال، إلا مشروعاً إغرائياً لذر الرماد فى العيون وعزل الشعب عن الثورة، لأنه لم يطبق، بل ظل حبراً على ورق، وكان مجرد إصلاحات شكلية، هدفها المحافظة على مصالح المعمرين، بدمج الجزائر فى فرنسا والإبقاء عليها كجزء لا يتجزأ منها. ويسقط حكومة إدغارفور¹ وقيام حكومة غي مولى² على إثر الانتخابات التشريعية التى أجريت فى بداية سنة 1956، عزل جاك سوستال من منصبه، وتم تعيين روبر لاكوست³ كحاكم عام للجزائر خلفاً له⁴.

1-2 - إصلاحات حكومة غي مولى:

واصلت الحكومة الفرنسية الجديدة برئاسة غي مولى والحاكم العام للجزائر روبر لاكوست سياسة الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التى بدأها منداس فرانسس والوالى العام جاك سوستال. فما هو جديد هذه الإصلاحات؟ وما هو موقف الجريدة منها؟

1- سياسى فرنسى، انتخب سنة 1946 نائبا برلمانيا عن الحزب الراديكالى الفرنسى، تسلم بعدها عدة مناصب حكومية منها: وزيرا للمالية فى الفترة الممتدة من (1950 - 1951)، وزيرا للخارجية سنة 1955، عين رئيسا للحكومة الفرنسية سنة 1955، غير أن حكومته سقطت فى ذات السنة التى عين فيها، توفى سنة 1988.

2 - سياسى فرنسى، شغل منصب السكرتير العام للحزب الاشتراكي الفرنسى (1969-1949)، ترأس الحكومة الفرنسية خلال الفترة الممتدة من (1957-1956)، واجه مشكلة السويس سنة 1956، كما فشل فى حل القضية الجزائرية، رغم انتهاجه لعدة إصلاحات سياسية واقتصادية. أنظر: عبد الوهاب الكيالى الموسوعة السياسية، ج 6، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د ت ط، ص ص 478 - 479.

3 - عين واليا عاما على الجزائر سنة 1956 مع قيام حكومة غي مولى، قام بعدة مشاريع سياسية وعسكرية للقضاء على الثورة الجزائرية، منها عملية العصفور الأزرق بالولاية التاريخية الثالثة، التى بدأها من قبله جاك سوستال، عرف بمقولته الشهيرة " لم يبقى للثورة إلا ربع ساعة الأخير ".

4 - عمار بوحوش، التاريخ السياسى للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامى، بيروت، 1997، ص 415.

لم تخرج الإصلاحات السياسية التي جاء بها غي مولي بمعية الوالي العام روبير لاكوست عن إطار الإصلاحات التي تزعمها جاك سوستال في عهد الحكومات السابقة، حيث اعتمدت على القيام ببعض الإصلاحات الصورية في المجال الاقتصادي والاجتماعي كإنجاز بعض المرافق العمومية وتوزيع المواد الغذائية على الجزائريين، ودعم نشاطاتهم الزراعية والصناعية بهدف مكافحة الفقر، وخلق مناصب شغل لهم، للحيلولة دون التحاقهم بصفوف الثورة¹. أما عن جديد هذه الإصلاحات فيمكن في اعتراف حكومة غي مولي بالشخصية الجزائرية، حيث قررت انتهاج سياسة جديدة لحل القضية الجزائرية، تقوم على ثلاث خطوات رئيسية هي:

1- وقف إطلاق النار.

2- إجراء انتخابات في نظام موحد للجزائريين والأوروبيين.

3- إجراء مفاوضات مع النواب المنتخبين حول دستور الجزائر المقبل².

وكما تمت الإشارة إلي ذلك سابقا فإن موضوع هذه الإصلاحات كان من بين القضايا التي تفاعلت معها الجريدة موضوع الدراسة، وتتبعتها باهتمام كبير، فبمجرد ما أعلنت حكومة غي مولي عن قرار تعيين وزير مقيم لفرنسا بالجزائر بدل الحاكم العام، سارعت "العمل" إلى الترحيب بهذا القرار، معتبرة إياه اعترافاً ضمناً بالشخصية الجزائرية، كما عبرت عن تقاؤلها بالمحاور الرئيسية التي تضمنها مشروع الحكومة الجديد، مشيرة إلى أن المشروع يوحى بتغيير إيجابي في نظرة السلطة الفرنسية لمشكلة الجزائر، وأنه سيحظى بالترحيب في أوساط الشعب الجزائري، لأنه توفر على ضمانات تحقق الحرية والاستقلال

1 - بسام العسلي، الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة، دار النفائس، بيروت، 1984، ص49.

2 - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص422.

للجزائر، حيث قالت في أحد المقالات التي خصصتها للتعقيب على بيان أدلى به غي مولي حول سياسة حكومته أمام المجلس الوطني الفرنسي ما يلي: «... وقد عالج غي مولي هذه المشاكل بروح تفهم، كان من المنتظر أن يعالجها بها، ولا يمكن أن نمر بهذا البيان دون أن ننوه بما تضمنه من إعلان العزم على تعيين وزير مقيم عام لفرنسا بالجزائر، بدل الحاكم العام لأول مرة في تاريخ الاستعمار الفرنسي بالقطر الشقيق، وفي ذلك اعتراف ضمني بشخصية الجزائر... وبيان غي مولي مهما تضمن من عناصر مازالت في حاجة إلى توضيح، يدل على أن شيئاً تغير في نظرة الفرنسيين لمشكلة الجزائر، ولاشك أن الخطوة العملية التي تخطوها الحكومة الفرنسية في حل المشكل الجزائري ستلقى صدى في الشعب الجزائري، الذي عرف كيف يكافح، وسيعرف كيف يفاوض، وكيف يؤثر السلم على الحرب، ما وجد في السلم من ضمانات لتحقيق بعث الدولة الجزائرية، وضمان حريتها واستقلالها...»¹.

وقد أوضحت "العمل" فيما تناولته بخصوص هذا المشروع أن هذا الأخير قوبل بالرفض القاطع من طرف كبار المعمرين، الذين كانوا يقفون وراء الحركات الاستعمارية المتطرفة، ويعملون على مقاومة الحكومة الفرنسية وافشال كل محاولة تسعى من خلالها لإيجاد حل للقضية الجزائرية، حيث انتقدت الجريدة هذا الموقف الذي وصفته بالموقف العنيد، وأعلنت عن رفضها له، مؤكدة على أنه لن يفيد إلا في إطالة الصراع الدامي في القطر الجزائري، كما وجهت نداءها للحكومة الفرنسية بضرورة مواصلة مساعيها في حل القضية الجزائرية، بما يضمن للجزائريين حقهم في الحرية والاستقلال، وعدم التفريط في مصالح فرنسا العليا بالرضوخ لمواقف المعمرين العنصريين، فقالت بهذا

الشأن: «... استقبل غي مولي رئيس الحكومة الفرنسية في العاصمة الجزائرية من طرف المستعمرين الفرنسيين استقبالا لا يمكن أن يوصف بأية حال من الأحوال بأنه استقبال ودي، بل هو إلى العداة أقرب منه إلى الترحيب... والواقع أن غي مولي لقي معارضة شديدة فيما أعلنه بالبرلمان الفرنسي بخصوص الجزائر، ولكن لن يفيد العناد الذي تبديه الرجعية الفرنسية لعرقلة السياسة الرشيدة التي تريد الحكومة الفرنسية سلوكها بالقطر الجزائري، إلا في إطالة الصراع الدامي الذي يستمر في القطر الجزائري الشقيق منذ أكثر من سنة... والمهم هو أن تواصل الحكومة الفرنسية مساعيها في حل القضية الجزائرية بما يرضي رغبة الجزائر في الاستقلال، ولا تسمع لصوت الرجعية مهما كان عاليا، ولا تغتر بمنوراتها، مهما كانت تتصف به من طيش أو عنف فإن مصلحة فرنسا إما أن تكون بمراعاة مصلحة الجزائر أو لا تكون...»¹.

أما عن موقف الجزائريين من المشروع، فقد بينت الجريدة أنه لم يلقى صدى واسعاً في أوساطهم، وذلك لإدراكهم حقيقة المشروع وخلفياته من جهة، وتعودهم على قيام السلطات الاستعمارية بتزوير الانتخابات لصالحها من جهة ثانية، كما أشارت إلى أن طبيعة الانتخابات التي دعى إليها غي مولي بانتخاب نواب الجزائر في المجلس الفرنسي تجعل من الجزائريين - إن قبلوا المشروع - يعترفون بإدماج بلادهم في فرنسا، وهذا مالا يتماشى مع أهدافهم في محاولة استعادة الحرية والسيادة الوطنية الكاملة، ثم أشارت إلى أن مقترحات غي مولي في حل المشكلة الجزائرية لم ترق بأى ضمانات تحقق للجزائريين الوعود التي جاء بها، مؤكدة على أن المشروع سوف يكون مصيره الخيبة، إن لم تتخذ بشأنه بعض القرارات الجدية، حيث عبرت عن ذلك بقولها: «... ولو اكتفى

الرئيس بهذه النقط التي قد تصلح لتكون قاعدة لتسوية المشكلة الجزائرية، لأعربنا بدون تحفظ عن أملنا في أن تكون الانتخابات الموعودة فاتحة عهد جديد في العلاقات بين فرنسا والجزائر، وإن كان الكثير من إخواننا الجزائريين ولهم حق، قد يشكون في هذه الانتخابات، لما تعودوه من قيام السلطات الاستعمارية بتشويهها وتزويرها، ولكن الرئيس مولاي وهو يعلن عن عزمه في حل المشكلة الجزائرية بالطرق السلمية، بيّن أنه من ضمن مقترحاته أن تسبق انتخابات المجلس الجزائري انتخابات لاختيار نواب الجزائر في المجلس الوطني الفرنسي، وبهذا الشرط تحل المشكلة الجزائرية... فهل يُقبل الجزائريون على انتخاب نواب لهم في المجلس الفرنسي فيعترفون بذلك بإدماج بلادهم في فرنسا؟
...»¹.

وتضيف قائلة: «...ولعل غي مولاي صادق في قوله من عزمه على إجراء انتخابات حرة، على أنه فاته أن الجزائريين لا يمتلكون أي ضمان لهاته الوعود، خصوصا وقد عاشوا حوادث سطيف إثر الحرب العالمية الثانية، ويكون من البله محاولة إقناعهم بمثل هاته الوعود، التي طالما سمعوا بها في سابق الأيام، وليس من وسيلة لذلك سوى الإقلاع عن تضخيم القوات والتفنن في مطاردتهم، ثم التفاوض مع زعمائهم، وإن أصرت حكومة فرنسا على هذا النوع من الحلول فلسوف يكون نصيبها الخيبة والقطيعة بين الجزائر وفرنسا...»².

وعلى عكس المواقف التي أبدتها إزاء برنامج غي مولاي الإصلاحية بعد الإعلان عنه، من تفاؤل وترحيب - كما هو موضح سابقا- أخذت نظرة الجريدة لهذا المشروع تتغير بعد ذلك، فتعددت المقالات التي راحت فيها "العمل"

1 - "كلمات"، العمل، العدد 99، (17 فيفري 1956)، ص 02.

2 - "تطور الحوادث في شمال إفريقيا"، العمل، العدد 124، (16 مارس 1956)، ص 01.

تقدح هذا المشروع وتنتقده، معبرة عن خيبة أملها فيه وفي صاحبه، الذي لم يكن برنامجه وتصريحاته الملتوية - على حد قولها- إلا بمثابة محاولة لذر الرماد في العيون، كونه استمر في التقهقر والاعتماد على القوة العسكرية، بمضاعفة عدد القوات الفرنسية في الجزائر، وتكثيف حملات القمع والتتكيل وغيرها من الأساليب التي لم تختلف عن سياسة الحكومات السابقة، فقالت في هذا المضمار: «... وكانت النتيجة الحتمية بعد ضياع الفرصة، أن استمر في التقهقر وجنّد الشبان الفرنسيين، وضخم بهم الجيش الفرنسي، وضاعف القمع وتوغل في الحرب، ولم تكن اتصالاته المتكررة المتقطعة بالأحرار الجزائريين وتصريحاته المتعددة الملتوية، إلا بمثابة ذر الرماد في العيون تخفي عجزه على الاخلاص إلى برنامجه الأصلي المتمثل في توقيف القتال...»¹.

واستمرت الجريدة في الاستشهاد ببعض الحجج والبراهين، التي تثبت عدم وجود نية خالصة لدى غي مولي في حل القضية الجزائرية، مشيرة إلى أنه وخلافاً لما كان يدعوا إليه هذا الأخير، في بداية مشوراه من مقترحات لحل المشكل الجزائري، كوجوب الاعتراف بالشخصية الجزائرية، وضرورة إجراء مفاوضات مع المنتخبين الجزائريين، بعد الوقف النهائي لإطلاق النار، أصبح غي مولي يتلاعب بمشاعر الجزائريين، ويحاول استنزاهم ويصرح بأن المشكلة الجزائرية مشكلة معقدة يصعب حلها، كون الجزائر بلد معقد يحوي أكثر من قومية وأكثر من ديانة، إذ يوجد به العرب والأمازيغ والمسلمين والمسيحيين وفي هذه الحالة- حسب زعمه- لا يمكن للجزائر أن تكون لا عربية ولا إسلامية ولا فرنسية².

1 - "حي على العمل"، العمل، العدد 491، (22 ماي 1957)، ص 01.

2 - "ما هذا التناقض يا غي مولي"، العمل، العدد 193، (06 جوان 1956)، ص 01.

وفي ردها على هذه المساومات حاولت "العمل" أن تدافع وبقوة عن ثوابت الشخصية الجزائرية وأصولها العربية والإسلامية، مؤكدة على أن منطق غي مولي في عدم فرض حل بالقوة العسكرية، والانتظار إلى ما بعد القضاء على المقاومة الجزائرية، هو عين القوة العسكرية، وأن الحل الذي سوف يصل إليه الطرفين حسب منطق، سوف يكون مجحفا في حق الطرف المغلوب، فقالت: «... فالجزائر يعرف الجميع أنها بلاد عربية اندمجت بجميع عناصرها منذ عشرات القرون في الأسرة العربية الكبرى، حتى لا يستطيع الجزائري أن يتصور بأنه ليس عربي، بل أنك لو قلت لبعض الجزائريين أنكم لستم عربا لعدوا ذلك طعنا في كرامتهم، وخذشا في كبريائهم، وجرحا لشعورهم، ويعرف الجميع أن الجزائر بلاد من الله عليها بنعمة الإسلام، فارتضته دينا عليه عاشت وعليه تموت... فالجزائر بلاد عربية مسلمة، والجزائر هذه أصبحت بعد 130 سنة من الاستعمار الفرنسي مشكلة معقدة عند غي مولي، فاسمع إليه كيف يتصور الجزائر عندما يقول أنها لا يمكن أن تكون عربية لوجود البربر فيها، ولا إسلامية لوجود مليون فرنسي فيها، ولا مقاطعة فرنسية لوجود ثمانية ملايين مسلم فيها... إذن ما عسى أن تكون الجزائر يا غي مولي؟...»¹.

وتضيف: «... ويلتوي غي مولي في منطق فيقول إننا لا نفرض على الجزائر حلاً بالقوة، ولكنه يصر على ألا يقع التفكير في الحل، إلا بعد القضاء على مقاومة الشعب الجزائري، فما معنى هذا يا غي مولي؟ أليس هذا هو عين فرض الحل بالقوة؟... إن انتظار تحطيم الخصم للتفاهم معه، لا يعني عملياً إلا أن تكون المفاهمة بين غالب منصور ومغلوب مقهور، وبين قوي مدلل بقوته ومنهوك أذله الضعف... وعندئذ يفرض القوي إرادته ويمليها، ولا يسمح

للضعيف المغلوب إلا أن يقتل ويركع... أليس هذا هو عين ما يريده غي مولي، وإن لم يسمى هذا " فرض الحل " فماذا يسمى أيها الناس؟...¹.

وهكذا أخذ موقف الجريدة من الإصلاحات منحى آخر، إذ ما كادت تعبر عن استحسانها للمبادرة الجديدة التي أعلنت عنها حكومة غي مولي بعد توليها السلطة، وتعلق عليها بعض الآمال في حل القضية الجزائرية، حتى أعلنت عن خيبة أملها في هذه الإصلاحات، التي لم تكن تهد في نظرها إلا للتلاعب والمماطلة، وأن الغاية منها كانت دعائية أكثر منها إصلاحية، حيث ظلت حبراً على ورق، ولم تقدم للجزائريين - حسب رأيها- إلا الفتات، وقد قالت في هذا الشأن: «... والحقيقة أن الحكومة الفرنسية تريد أن تجعل من هذا الإصلاح الجديد سلاحاً ذو حدين، فتظهره في مظهر الإصلاح السياسي المحقق لرغبات الوطنيين الأولى وتخدم به صوت المعارضة، الذي إن لم يطالب بمنح الجزائر استقلالها، فهو يطالب على الأقل بالإصلاحات السياسية بعد أن اعترف بأن القضية الجزائرية هي قضية سياسية قبل كل شيء، وبالطبع فإن حكومة غي مولي ستحاول استغلال هذا الإصلاح السوري الهزيل البعيد كل البعد عن الغاية التي يقاوم من أجلها الوطنيون الجزائريون...»².

وهكذا فشلت حكومة غي مولي حسب نظرة الجريدة في إيجاد أي حل للقضية الجزائرية التي أرهقت السلطات الفرنسية عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، فسقطت هذه الحكومة في 21 ماي 1959، ليقوم بورجيس مونري بتشكيل

1 - " ما هذا التناقض يا غي مولي"، مقال سابق، ص 1.

2 - "الوطنيون يرفضون فتات المائدة"، العمل، العدد 351، (09 ديسمبر 1956)، ص 02.

حكومة فرنسية جديدة¹. فما هي الاستراتيجية الجديدة التي انتهجتها هذه الحكومة؟ وكيف تفاعلت معها جريدة " العمل " التونسية؟

1-3- إصلاحات حكومة بورجيس مونري.

كانت سياسة بورجيس مونري استمراراً لسياسة حكومة غي مولي، حيث أبقى على الحاكم العام روبيير لاکوست، وقام بتعيين أندري موريس وزيراً للدفاع، وكانت هذه الشخصيات كلها تؤيد وجهة نظر الأوروبيين، في فكرة اعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي، فتعهدت بعدم التفاوض مع جبهة التحرير الوطني، والقضاء على الثوار الذين يهددون وحدة فرنسا- حسب رأيها - بمحاولة فصل الجزائر عنها، وفي هذا الإطار قام الحاكم العام روبيير لاکوست، بتقديم مشروع برنامج الإصلاح المتتمثل في قانون الإطار la loi cadre².

سارعت الصحيفة موضوع الدراسة في الاعلان عن مواقفها الراضية لهذا المشروع، الذي لم يأتي في نظرها بأي جديد، حيث أبقى على الجزائر تحت نظام العبودية والاستغلال، كما أعطى للمعمرين صلاحيات واسعة للاستمرار في سياسة الهيمنة، حيث عبرت الجريدة عن رفضها لهذا المشروع بقولها: «..إن مضمون الدستور الذي سنحلله فيما يلي ينص على كل شيء حتى لا تقع مفاجأة سيئة للمعمرين، ومتى قرأه الإنسان شعر بأنه ليس بدستور

1 - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 225.

2 - أعلن روبيير لاکوست عن هذا المشروع، بعد فوز حكومة بورجيس مونري بثقة البرلمان يوم 12 جوان 1957، ويتضمن اقتراحات بتغيير نظام الحكم في الجزائر، وإقامة برلمان محلي بها، يعمل في إطار السيادة الفرنسية، لكن هذا المشروع لقي معارضة شديدة من قبل الأوروبيين، الذين اعتبروه محجفا في حقهم، لأنه يمنح المسلمين حق المساواة في التصويت والتمثيل في البرلمان المقترح، وكنتيجة لذلك سقطت حكومة بورجيس مونري في 30 سبتمبر 1957. للمزيد أنظر: عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 426.

ولا وثيقة تصف نظام الجزائر، وإنما هي قائمة الوسائل القانونية والسياسية التي تمكن فرنسيي الجزائر من الاستمرار في سيطرتهم على الجزائر وقائمة ضمانات ممنوحة للمعمرين...»¹.

وفي تحديدها لخلفيات هذا المشروع وأهدافه الحقيقية، أكدت الجريدة أن غرض الحكومة الفرنسية منه لم يكن سوى التمويه، وأنه جاء تحت اعتبارات دولية، لأن هذه الحكومة كانت مقبلة على مناقشة القضية الجزائرية في الجمعية العامة للأمم المتحدة، فأرادت أن تسبق هذا الحدث بتقديم مشروع إيجابي - في ظاهره- تشد به أزر الوفد الفرنسي لدى اللجنة السياسية لهيئة الأمم المتحدة، فقالت في هذا المضمار: «... إن ما يبعث بالحكومة الفرنسية على المصادقة على دستور الجزائر هو أنها ستواجه وضعيتين صعبتين، أولها هي مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة، ففرنسا لا تستطيع أن تسمح لنفسها بمجابهة الأمم المتحدة بدون أن تقدم شيئاً إيجابياً...»². وتضيف في مقال آخر: «... تلك هي مجموعة متناقضات لا تهدف كما نعتها أحد المعلقين الفرنسيين، إلا للتمويه على هيئة الأمم المتحدة أو للقيام بمناورة أمام البرلمان... ومهما يكن من أمر، فإما أن تجزء فرنسا الجزائر رغم إرادة أهلها، وكل عاقل لا يمكن أن ينتظر منهم الكف عن الكفاح، وإما أن يذهب المشروع أدراج الرياح، بمجرد هدوء زوبعة هيئة الأمم المتحدة، وهو الأرجح، لأنه تبين أن المسؤولين الفرنسيين أنفسهم لم يستقر لهم في شأنه قرار...»³.

1 - "سيصادقون على دستور الجزائر دون استشارة الشعب الجزائري"، العمل، العدد 573، (26 أوت 1957)، ص 06.

2 - نفسه، ص 01.

3 - "هل يتلافى مستر دولوس الخطر"، العمل، العدد 583، (08 سبتمبر 1957)، ص 04.

كما حاولت الجريدة في تناولها لهذا المشروع أن تعرج على ردود الأفعال والمواقف المختلفة منه، حيث أشارت إلى أنه رُفض من طرف الجزائريين، الذين لم تقع استشارتهم، ولم يُؤخذ برأيهم فيه، رغم أن إمكانية تحقيقه تتوقف عليهم، أما بالنسبة لموقف الفرنسيين منه، فقد أوضحت الجريدة أنه لم يلقى معارضة منهم، وذلك بسبب تأكدهم من أن المشروع سوف لن يجد طريقه إلى التطبيق، وأنه سيبقى حبرا على أوراق الإدارة الاستعمارية¹.

2 - فضح "العمل" التونسي للسياسة الاقتصادية الاستعمارية:

تعتبر المواضيع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتعلقة بتاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وخاصة مرحلة الثورة التحريرية، من بين المواضيع التي لم يكن لها صدى كبير على صفحات الجريدة موضوع الدراسة، مثلما كان الأمر مع القضايا المتعلقة بالجانب السياسي والعسكري، وذلك بحكم طبيعة المرحلة التي اعتمدت فيها السلطات الاستعمارية على الأساليب العسكرية والسياسية بالدرجة الأولى لمواجهة الثورة. ورغم هذا فإن الصحيفة لم تغفل في بعض أعدادها عن محاولة التطرق إلى بعض السياسات والمخططات الاستعمارية الاقتصادية وآثارها على المجتمع الجزائري إبان مرحلة الثورة التحريرية، فمقالات **جان بول سارتر Jan peul Sarter**² حول هذه المواضيع كانت حاضرة في الجريدة، حيث أولت اهتماما بالغا إلى اقتباسها من مختلف الصحف والمجلات الفرنسية ونقلها إلى قرائها. فإلى أي مدى ساهمت

1 - " سيصادفون على دستور الجزائر"، مقال سابق، ص 06.

2 - فيلسوف وكاتب ومفكر فرنسي، اشتهر بجزارة إنتاجه وكثرة مؤلفاته الأدبية والفلسفية، كما اشتهر بمناهضته للاستعمار، حيث يعتبر من أبرز المثقفين الفرنسيين الذين وقفوا في صف الثورة التحريرية الجزائرية ودافعوا عنها. أنظر: عبد المجيد عمران، جان بول سارتر والثورة الجزائرية، د ت، مكتبة مديولي،

"العمل" في كشف مخططات السياسة الاقتصادية الاستعمارية في الجزائر إبان الثورة التحريرية؟

كان لكتابات جان بول سارتر حول النظام الاقتصادي الاستعماري في الجزائر صدى واسع على صفحات هذه الجريدة، حيث حرصت على تنوير الرأي العام بآرائه وكتاباته حول هذا الموضوع، للوقوف على بعض جوانب السياسة الاقتصادية الاستعمارية إبان الثورة التحريرية، ومحاولة فضحها وكشف النقاب عنها.

ومن هذا المنطلق عكفت على نقل مجموعة من مقالاته الصادرة بمجلة العصور الحديثة، ومن بينها مقال نشرته في عددها الصادر بتاريخ 21 أبريل 1956، جاء تحت عنوان "إفلاس النظم الاستعمارية"، استعرضت فيه مختلف الأساليب والطرق التعسفية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية للاستحواذ على ممتلكات وأراضي الجزائريين، كما عبرت فيه عن رفضها القاطع لهذه السياسة الاستغلالية التي عملت على تكريس المشروع الاستيطاني باستخدام القوة والعنف، حيث قالت موضحة: «... وقد دام ذلك الوضع قرناً كاملاً يلخص أثره تاريخ الجزائر في نمو الأراضي الأجنبية على كاهل المواطنين الجزائريين، حيث تفتك منهم أراضيهم وتسلم للمعمرين، وقد استعملت لذلك جميع الوسائل، وهكذا كانت جميع الغايات تبرر جميع الوسائل على اختلاف أنواعها، فكانت أراضي المتمردين على النظام المفروض قهراً، تصادر وتفتك منهم، وقد علل بيجو هذا قائلاً: يجب أن تكون الأراضي مثمرة ولا يهمننا من الذين يستحذون عليها، وقد سهلت ثورة 1871 تطبيق هذا البرنامج إذ اغتصبت مئات الآلاف من الهكتارات من الجزائريين المغلوب عن أمرهم، كما كانت مشتركة، فحاول الاستعمار تجزئتها حتى تقسم ويسهل شراؤها شيئاً فشيئاً

من طرف المعمرين، ونجاح هذه العملية ليس بصعب، إذ يكفي استمالة أحد الورثة حتى يطالب بالقسمة، فتنشأ خلافات يصاب فيها الورثة بالإفلاس، ويعرضون أراضيهم للبيع فيشتريها المعمرون الفرنسيون بأبخس الأثمان...»¹. وفي ذات المقال وبلغة الأرقام راحت الجريدة تقدم بعض الاحصائيات التي تدل على جشع المستعمر الفرنسي وممارساته الاستغلالية في حق الشعب الجزائري، منذ دخوله إلى الجزائر سنة 1830 إلى غاية سنة 1956 تاريخ صدور المقال، حيث أكدت على أن مساحة الأراضي المنتزعة من الشعب الجزائري خلال هذه الحقبة بلغت ثلاثة عشر مليون وسبعمائة وثلاثة آلاف من الهكتارات، في حين لم تبقى له إلا حوالي سبعة ملايين من الهكتارات، فقالت في هذا الصدد: «... إذا أردت أن تعلم ماهي النتائج التي انجرت عن هذه العملية الاستعمارية، فاعلم أن مساحة أراضي المعمرين كانت تبلغ في سنة 1850 مائة وخمسة عشر ألف من الهكتارات، وصارت تبلغ في سنة 1900 مليونين وستمائة من الهكتارات، وفي سنة 1950 بلغت مليونين وسبعمائة وثلاثة آلاف من الهكتارات، واليوم صار المعمرون الفرنسيون يمتلكون مليونين وسبعمائة وثلاثة آلاف من الهكتارات، وللحكومة الفرنسية إحدى عشر مليون من الهكتارات، وبقيت للمسلمين الجزائريين سبعة ملايين من الهكتارات، وهكذا انتزعت من الجزائريين أراضيهم...»².

ثم حاولت الجريدة بعد ذلك أن تبرز انعكاسات هذه السياسة وتداعياتها على المجتمع الجزائري، الذي أكدت على أنه ضُرب في بنيته الاقتصادية، وتعرض للإذلال والتفكير، إذ أن معظم السكان الجزائريين الذين انتزعت منهم

1 - "إفلاس النظم الاستعمارية 1"، العمل، العدد 155، (21 أبريل 1956)، ص 04.

2 - نفسه، ص 1.

أراضيهم، أصبحوا يعيشون في فقر مدقع ومستوى متدني، مما أدى إلى تفشي الأمراض والمجاعات، وفي مقابل ذلك، تنعم الأقلية الأوروبية بخيرات البلاد، حيث أشارت إلى ذلك بقولها: «... فقد افتكت من المسلمين ماي قرب عن المائة وثلاثة وسبعين ألف من الهكتارات، واستعملت لزراعة العنب، والمعروف أن المسلمين لا يشربون الخمر، وكانوا يزرعون هذه الأراضي التي سرقناها لهم، حبوبا تباع إلى السوق الجزائرية، وهكذا نرى أننا لم ننتزع منهم أراضيهم فحسب، ولكننا عندما نزرع العنب بتلك الأراضي نحرم الجزائريين من قوتهم الوحيد... ومن أجل هذا فإن زراعة الحبوب تتفقر شيئا فشيئا...»¹.

وفي ذات المقال واصلت الجريدة شرحها وتحليلها لمختلف مظاهر الاستغلال والبؤس والحرمان الذي كان يعانيه الجزائريون في ظل النظام الاستعماري، مشيرة إلى أن الأوروبيين هم وحدهم من كانوا يتمتعون بعائدات الانتاج الفلاحي، في حين لا ينال منها الجزائري إلا الفتات، رغم أنه محور العملية الانتاجية، حيث قالت في هذا الشأن: «... إن الانتاج الفلاحي يقدر اليوم على الصور التالية: اثنان وأربعون مليار من الفرنكات بالنسبة للمسلمين، مقابل إثنين وتسعين مليار بالنسبة للأجانب، هكذا يتجلى أن تسعة ملايين من الجزائريين ينتجون ثلث الانتاج العام، وهم لا يستهلكون إلا ذلك الثلث، أما البقية فيقع تصديرها إلى فرنسا، الأمر الذي يجعل الفلاح الجزائري يبذل كل ما لديه في سبيل معاشه، دون سواء من الحاجيات الحيوية الأخرى، فلم يبقى له شيئا لشراء الملابس أو لاكتراء ملجأ أو لاقتناء الحبوب، وهذه حركة شهيرة تعرف بالتفكير التدريجي، الذي جعل من الفلاحة الاستعمارية وباءً يسود البلاد

وينخر قواها نخرًا ويهتك سترها هتكاً...»¹.

وفي مقال آخر نشرته تحت عنوان "الاقتصاد الجزائري" خصصته لتسليط الضوء على إمكانيات الجزائر ومؤهلاتها في هذا المجال، عبّرت الجريدة عن قلقها الكبير إزاء الوضع السائد في الجزائر، والذي يستحوذ فيه المستعمر الدخيل - على حد تعبيرها - على جزء كبير من هذه الإمكانيات، في حين لا يملك المواطن الجزائري إلا خمس ما يملكه المعمر الفرنسي، حيث قالت: «... مليون ونصف من الهكتارات تزرع قمحاً، ومليون ومائة ألف هكتار تزرع شعيراً، وثلاثة مائة وسبعين ألف هكتار تزرع كروماً، ويوجد بالجزائر عشرة ملايين شجرة من الزيتون، وخمسة وأربعون ألف هكتار تزرع خضروات، وأربعة وعشرون ألف تزرع فواكه، وتوجد ثمانية ملايين شجرة من التين، وسبعة ملايين نخلة، أما الغابات تضارع سويسرا بجمال مناظرها، وتشمل ثلاثة ملايين من الهكتارات، إلا أن معظم الأراضي الزراعية ملك للمستعمرين، فالمواطن الجزائري يملك خمس ما يملكه المستعمر الفرنسي والمستعمرون وهم أغلبية مغتصبة يتصرفون في 5/6 من الأراضي الزراعية...»².

وتضيف قائلة: «... أما المعادن فالبلاد ثرية بها، فيوجد الفحم والحديد والنيكل والزنك والرصاص والزئبق والنحاس والكبريت والفوسفات والرخام والبتروال المكتشف حديثاً... وبالجزائر مصانع لصنع الأغذية المحفوظة، ومعاصر الزيتون، وثلاثة مصانع للنسيج ومائة مصنع لصنع الآلات وعربات السكك الحديدية، والمحركات الكهربائية، والملاحظ أن معظم المصانع يستثمرها

1 - نفسه.

2 - "الاقتصاد الجزائري"، العمل، العدد 432، (14 مارس 1957)، ص 02.

المستعمر الدخيل، وبذلك يتصرف هؤلاء الاستعماريون في جميع خيرات البلاد...»¹.

ثم تستطرد الجريدة في الحديث عن مخلفات هذه السياسة الاستعمارية، مشيرة إلى أن الثروة الحيوانية، وهي مصدر من مصادر رزق الكثير من السكان، كانت قد تأثرت هي الأخرى بسياسة نهب الأراضي، وذلك بسبب القضاء على حق الفلاحين الجزائريين في المراعي، مما أدى إلى تراجع واضمحلال قطعان ماشيتهم وأنعامهم، حيث قالت في هذا الشأن: «... هذا وإن تقسيم الأراضي قد تسبب في القضاء على حق الناس في المراعي، واضمحلت أسراب الأنعام والغنم بالشمال، ولم يبق منها إلا القليل بالجنوب، وهكذا فلم يبق منها سنة 1950، إلا أربعة ملايين، بعدما كانت للبلاد قطعان تضم تسعة ملايين...»².

كما حاولت الجريدة أن تكشف النقاب عن الأبعاد الاجتماعية لهذه الممارسات منبهة إلى أن غرض السلطات الاستعمارية في مصادرة أراضي الجزائريين وتجزئتها، ليس خدمة مشروعها الاستيطاني فحسب، بل أن الهدف من وراء ذلك أيضاً هو محاولة القضاء على وحدة المجتمع الجزائري المتماسك، والمستعد للوقوف بصفة جماعية في وجه أي خطر خارجي، لأن القبائل الجزائرية إذا تعرضت لأراضيها للتقسيم والتشتيت، حلّ بها الضعف، وتمكنت الإدارة الاستعمارية من السيطرة عليها و قتل روح المقاومة فيها، حيث قالت الجريدة في هذا المضمار: «...عندما أدخل الاستعماريون قوانين فرنسية على الملكية فقسموها تقسيماً هدموا به هيكل المجتمع الجزائري القديم ولم يعوضوه

1 - نفسه.

2 - «إفلاس النظم الاستعمارية 03»، مقال سابق، ص 04.

بشيء آخر... وقد شجعت الحكومة هذا التهديم لأنه يبيد المقاومة ويعوض القوة الجماعية بأفراد لاحول لهم ولا قوة...»¹.

ومن التدايعات الاجتماعية لهذه الممارسات أيضاً، تشير الجريدة إلى تفاقم مشكل البطالة بالنسبة للسكان الجزائريين، جراء النظام الاستعماري، الذي أتى على مصادر أرزاقهم بنهب أراضيهم وتمليكها للمعمرين، هذا إضافة إلى أنه نظام مكنن- على حد تعبيرها- حلت فيه الآلة محل اليد العاملة، فقضى على كل المنافذ التي من شأنها أن توفر لهم فرص عمل في دائرة اختصاصهم، مما أدى إلى لجوء هؤلاء إلى البحث عن وظائف ثانوية لا تلبى احتياجاتهم، حيث قالت في هذا الصدد: «... ولا يخفى حتماً أن الازدهار الآلي يتسبب في البطالة، إذ تحل الآلة محل اليد العاملة، وهذا الأمر يكون مرغوباً فيه لو كان للأهالي الجزائريين قسط ولو ضئيل من صناعات الآلات، غير أن النظم الاستعمارية الرجعية تُحرم عليهم ذلك تحريماً، فتتفاقم البطالة ويلجأ العمال إلى المدينة ويعملون أياماً في بعض المصالح الثانوية، ثم يلتحقون أفواجاً بصفوف البطالين المحرومين، حتى أن الإحصائيات الرسمية لسنة 1953 كشفت القناع عن الأوبئة الاستعمارية الوخيمة، إذ بينت أن 143000 من العمال لم يشتغلوا إلا تسعين يوماً في السنة، ومعنى ذلك أنهم يعملون يوماً ويتربقون أربعة أيام...»².

وبعد ذلك حاولت الجريدة أن تكشف القناع عن حقوق العمال الجزائريين المهضومة وعن الوضعية المزرية التي يعيشونها في ظل هذا النظام، وهم يكدحون من أجل توفير لقمة العيش لأبنائهم، مناشدة السلطات الفرنسية، بالرأف

1 - نفسه.

2 - نفسه.

على حالهم فتقول: «...نقول لهم أو هل تعلمون أن ثمانين في المائة من هؤلاء المساكين يرسلون القسط الأوفر من أجرتهم إلى عيالهم بالبلاد الجزائرية، كما نذكرهم ويا للفظيعة أن مليوناً ونصف مليون من الأهالي القاطنين بالجزائر يعيشون عالة على أجرة أبناءهم المغتربين الكادحين الباذلين عرق الحياة بالبلاد الأجنبية... وهذه أيضاً من حسنات النظم الاستعمارية، فإن الجزائري يفارق الأهل والخلان سعياً وراء عمل بفرنسا حرمه منه الفرنسيون بوطنه الجزائر...»¹.

وتضيف: «... يكدحون في سبيل القوت بأبخس الأثمان ويشاهدون أشباح الموت ضروباً مختلفة، فإنهم لا يجدون سبيلاً للتمرد، ولا للثورة، ولا طريقاً للمطالبة بحقوقهم على طريق الإضراب الشرعي، فإنهم يخافون استعمال ما أحل لجميع عملة العالم فلا وجود للضمان الاجتماعي، ولا للمنح العائلية، ولا المطابخ العمالية، ولا أحياء الشغيلة، فالحياة عندهم كوخ من تبن وأرغفة يابسة وتين وتمر لا يسمن ولا يغني من جوع، وهذا كله جزاء عمل متواصل شاق لا يقل عن عشر ساعات في اليوم، وهنا قد بلغ للعامل الجزائري الأجر الأدنى الذي بدونه تفقد الحياة...»².

وفي ردها على أطروحة الاستعمار الإيجابي، وإنجازات فرنسا الاستعمارية بالجزائر التي طالما تغنى بها الفرنسيون، كتشييد المدارس وبناء المستشفيات والمطارات وشق الطرقات، حاولت الجريدة التصدي لها من خلال نقلها لما كتبه جان بول سارتر حول الموضوع في مقاله "إفلاس النظم الاستعمارية"، معتبرة إياها خرافات لجأت إليها فرنسا للتغطية على جرائمها

1 - نفسه.

2 - "إفلاس النظم الاستعمارية 04"، العمل، العدد 157، (23 أفريل 1956)، ص 04.

المرتكبة في الجزائر، كما أكدت على أن ما تفتخر فرنسا بإنجازه في الجزائر لم تشيده من أجل الجزائريين، الذين طردتهم إلى الشعاب والصحاري والجبال، وإنما شيدته من أجل المعمرين الفرنسيين، الذين سهرت على راحتهم وتوفير أسباب العيش الرغيد لهم، فقالت بهذا الخصوص: «... يا لهم من طغاة، إنهم ليجدون مفخرة في تعدادهم لمزايا الإدارة الاستعمارية، فيشيدوا بما أنجزته من أعمال جبارة في سبيل الصالح العام، كخط الطرق، وتنمية وسائل الانتاج، وحفر الآبار، وتشبيد المستشفيات، لكننا سوف لن نترك لهم وسيلة للتشدد بهذه الانجازات، إذ لم يقدمها الاستعمار لصالح المستعمر، فلا هو فكر في ذلك، ولا استفاد منها الجزائريون، إذ كل ما أنجز بالجزائر إنما غايته الواحدة الترفيه عن المعمر المدلل... نعم إنها شُيدت حتى تسهل للجزائري سبل الهجرة ومغادرة الأهل، للموت جوعاً وبرداً تحت نهر السين... أما الطرقات فقد أنشأت لتصل بين مدن ومزارع المعمرين، ولم تخط بتاتا لصالح الجزائريين...»¹.

وهكذا كان الموقف الذي تبنته "العمل" من السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر موقفاً رافضاً ومعارضاً لهذه السياسة، فزيادة على ما كتبتة من مقالات في الموضوع، ونظراً لحرصها الشديد على فضح ألعيب ومخططات الاستعمار التي كان لها آثار جد سيئة على المجتمع الجزائري، حرصت "العمل" على نقل واقتباس عديد المقالات الداعمة لرأيها من مجلات وجرائد أخرى على غرار مقالات وكتابات جان بول التي واظبت على نشرها.

3- تنديد "العمل" التونسية بسياسة المسخ الاستعمارية.

هاجمت السياسة الاستعمارية الفرنسية الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، لما رأت فيه من قوة في تحقيق ما تسعى إليه من مسخ للشخصية

الجزائرية، فسارعت إلى تطويق اللغة العربية ومحاربة الإسلام وتشويهه، كما حرصت على عدم نشر الثقافة الفرنسية بين السكان الجزائريين، لما في ذلك من خطر على المشروع الاستعماري. وكنتيجة لذلك تجسدت سياسة تجهيل حقيقة في الجزائر، حيث أُجبر الجزائريون على التخلي عن ثقافتهم الخاصة، وفي الوقت ذاته مُنعوا من الالتحاق بالثقافة الفرنسية¹.

كانت "العمل" إحدى أهم المنابر التي ارتفع صوتها للتنديد بهذه السياسة، حيث جاءت جل مقالاتها ذات العلاقة بهذا الموضوع، معبرة عن غضبها ورفضها لمختلف الأساليب المتبعة من طرف الإدارة الاستعمارية لطمس هوية الشعب الجزائري ومحو معالم شخصيته، حيث نشرت بهذا الخصوص مقالا جاء تحت عنوان "التعليم في الجزائر"، انتقدت فيه السياسة التعليمية الفرنسية المتبعة بالجزائر، مشيرة إلى أنها سياسة تقوم على مبدأ تجهيل الشعب الجزائري، وتجريده من هويته، وذلك بمنعه من تعلم اللغة العربية من جهة، وعدم السماح بانتشار التعليم الفرنسي من جهة ثانية، كما حاولت الجريدة تقديم بعض الإحصائيات حول هذا الموضوع لإثبات وجهة نظرها، فقالت في هذا الشأن: «... حارب الاستعمار التعليم بصفة عامة، وتعليم اللغة العربية بصفة خاصة، فاليوم يوجد 90% من الجزائريين لا يتكلمون العربية الفصحى، لأن فرنسا الاستعمارية قضت خلال القرن الماضي على الكتابات التي كانت تعلم اللغة العربية، فهبط عدد التلاميذ من 150 ألف قبل الاحتلال إلى 30 ألف بعده، وفي سنة 1904 صدر قانون ينص على أن لا يسمح لأي معلم مسلم أن يتولى إدارة مكتب لتعليم اللغة العربية، بدون رخصة يسلمه إياها حاكم المنطقة، كما لا يجوز للمكاتب العربية أن تفتح أبوابها للأولاد

1 - أحمد محساس، الحقائق الاستعمارية والمقاومة، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص ص 26-27.

الذين هم في سن التعليم أثناء ساعات التعليم بالمكتب الفرنسي وذلك بجميع القرى التي تبعد كيلومترا عن المكتب السياسي...»¹.

وفي مقال آخر حاولت الجريدة تسليط الضوء على مختلف الاجراءات التي اعتمدها سلطات الاحتلال لمحاصرة اللغة العربية واستئصال جذورها من المجتمع الجزائري، كغلق المدارس وتحويلها إلى مراكز للجيش الاستعماري، واعتقال المعلمين والتتكيل بهم، فقالت في هذا المضمار: «... وتشريد التلاميذ واعتقال المعلمين... أما المدارس فكانت معرضة لكل اضطهاد وغلق وتعطيل، فلما جاءت الحوادث وبوشرت الحرب ضد الشعب الجزائري، انضم إلى قائمة المدارس المضطهدة كثير منها، ففي المدة الأخيرة اضطهدت مدرسة أفيل يلفو واعتقل معلموها، وأغلقت مدرسة ندرومة ونهب جميع أثاثها مع قدر كبير من المال وجد في خزانتها، ومدرسة معسكر سلبت مفاتيحها وأغلقت... أما المعلمون فإن طائفة كبيرة منهم ماتزال تقاسي آلام السجون والمعتقلات، ومنهم من قاسى آلام التعذيب والتحقير والاهانات...»².

كما حاولت أن تبرز غاية وأهداف الادارة الاستعمارية من وراء هذه السياسة، فأرجعت ذلك إلى رغبة هذه الأخيرة في فصل الجزائريين عن تاريخهم، كونها اعتبرت اللغة العربية من أقوى عوامل ومسببات البعث القومي، ومما قالته- **نقلا عن كتابات جان بول سارتر في هذا الصدد** - ما يلي: «... أما ثقافتنا فما يديننا أن الجزائريين بحاجة إليها، ومهما يكن الأمر فقد حرمانهم منها، وأردنا أن نجعل من إخواننا المسلمين أميين يتخبطون في ظلمات الجهالة، ويا للعار فقد أسفرت الاحصائيات بعد مائة سنة مضت على الوجود الفرنسي،

1 - " التعليم بالجزائر"، العمل، العدد 432، (14 مارس 1957)، ص 02.

2 - "فضائع الاستعمار الفرنسي في الجزائر"، مقال سابق، ص 06.

على أن ثمانين في المائة من الجزائريين جهلة أميون، زد على ذلك أننا لم نحرمهم من لغتنا فحسب ولكننا حجرتنا عليهم استعمال لغتهم القومية، لا لشيء سوى أن المستعمرين يعتقدون أن اللغة العربية هي أقوى مسببات البعث القومي، ولأنهم كانوا مصممين على فصل الجزائريين عن تاريخهم فصلاً تاماً، فمنذ 1830 تعتبر اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية، ولا شك أن الجزائريين مازالوا يتكلمون العربية لكن لا يكتبونها...»¹.

أما الدين الإسلامي فهو الآخر عملت السلطات الاستعمارية على محاربتة بمختلف الوسائل أملاً في محوه من قلوب وكيان الشعب الجزائري وإحلال الدين المسيحي محله، وهي الممارسات التي أثارت سخط الجريدة وغضبها، فلم تتوانى عن نشر مقالات للتشهير بها وكشف القناع عنها، حيث جاء في أحد هذه المقالات أن معظم المساجد في الجزائر تم تدميرها وتم تحويل بعضها إلى مخازن وتكنات للجيش الفرنسي، وبعضها الآخر تم اقتحامه وإبطال الصلاة فيه والعبث بمقدساته، كما تم تخريب معهد عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة، فنقول: «... ولا شك أن أبشع ما توصل إليه العبث والاستهتار هو انتهاك حرمة المساجد وأماكن العبادة، التي أجمعت كل الشرائع السماوية على احترامها، كما منع المصلون من أداء الصلاة بها، وقد وقع ذلك في أماكن كثيرة، منها مسجد قسنطينة الأعظم الذي اقتحم وأخرج منه المصلون، وسيقوا بإمامهم إلى محتشد أمام دار الشرطة المركزية... وقد أهينت الكتب السماوية وديس المصحف ففي كل مسجد مقتحم مصاحف، وفي معهد عبد الحميد بن

باديس بقسنطينة، كسرت الصناديق والخزانات، وبعثرت الكتب والملفات والأوراق...»¹.

وقد حاولت الجريدة أن تسلط الضوء على أبعاد وأهداف هذا القمع الذي طال المؤسسات الدينية، فأوضحت بأن الإدارة الاستعمارية سعت للتضييق على الدين الإسلامي، وحاولت محاربهته ومسخه، لما وجدت فيه من قوة وقدرة على رص صفوف الشعب الجزائري وتوحيد كلمته وتقوية عزيمته، مشيرة إلى بعض الخرافات والشوائب التي عمل الاستعمار الفرنسي على إلصاقها به لتشويهه، واتهامه بما ليس فيه، فقالت: «...ولم تقف الإدارة الاستعمارية عند هذا الحدّ، بل خافت من التجاء الجزائريين إلى الدين، والتفافهم حوله، وتوحيد صفوفهم للمحافظة على ما بقي لهم من قوميتهم، فبادرت إلى افتكاك دين الجزائريين وسلمته لبعض صنائعها من الخونة، وحاولت المحافظة على بعض المعتقدات والعادات السخيفة لاستعمالها في بث التفرقة في صفوف الشعب...»².

خاتمة:

تابعت صحيفة العمل التونسية الأحداث والتطورات التي شهدتها السياسة الاستعمارية الفرنسية للقضاء على الثورة خلال المرحلة الممتدة من (1954 - 1958) بمختلف مظاهرها، حيث تميّزت مواقفها من هذه الأحداث برفضها القاطع من جهة، والعمل على كشفها وفضحها والتنديد أمام الرأي العام من جهة أخرى، حيث انتقدت مختلف المشاريع السياسية الإصلاحية التي

1 - " فظائع الاستعمار الفرنسي في الجزائر"، مقال سابق، ص06.

2 - "إفلاس النظم الاستعمارية 5"، مقال سابق، ص04.

جاءت بها الحكومات الفرنسية المتتالية، ودعت إلى رفضها بسبب عدم جدوى أهدافها، وتأخرها عن أوانها من جهة أخرى، كما حاولت الجريدة فضح مختلف عمليات النهب والسلب والاستيلاء والاستغلال التي تعرضت لها ثروات الجزائريين وممتلكاتهم، ونددت بمختلف سياسات الطمس والتشويه التي طالت لغتهم ودينهم، منبهة إلى ما نجم عن هذا الأمر من انعكاسات خطيرة، هددت هوية المجتمع الجزائري وكادت أن تحطم بنيته.

الطالب 'يحيى بوعزيز' وكتاباته حول الثورة الجزائرية بجريدة
الصباح التونسية

The student « Yahya Bouaziz » and his writings about the
Algerian revolution in the Tunisian newspaper « Elsabah»

ك.أ.د/ كركب عبد الحق

جامعة تيارت

Kerkeb_abdelhak@yahoo.com

المخلص:

يعد 'يحيى بوعزيز' أحد أهم القامات الصحفية البارزة، على غرار عبد الله شريط، زهير احدادن، محمد ناصر، الزبير سيف الإسلام، إبراهيم مزهودي، ومحمد الميلي، عبد المجيد مزيان وآخرون، فهي الشخصية التي تجندت طواعية بكل جوارحها خدمة للأهداف الوطنية والتعريف بالقضية الجزائرية، بتوجه وطني متميز، فكان له الإسهام البارز عبر كتاباته الصحفية ومقالاته، سواء من خلال عرضها لأحداث وتطورات النضال والكفاح الوطني وتعميم الإعلام الثوري، أو نقدها للسياسة الفرنسية، ومواجهتها للدعاية المغرضة، عبر منبر جريدة الصباح التونسية التي تابعت أحداث الثورة بشكل مكثف، وغيرها من المنابر، فكتب 13 مقالا في سنة 1956، و18 مقالا في سنة 1957، وأربعة مقالات (04) في سنة 1962، فأشاد من خلالها بكل فخر ونخوة ببطولات الثورة التحريرية الجزائرية، ورجالاتها طوال عمرها، فنشر المقالات وصارع الاستعمار بالقلم وبالكمة الصادحة المعبرة الممزوجة بحب الوطن، وبالفضائل المشحونة بالإخلاص، والتفاني في الدفاع عن القضية الوطنية، فكان منكبا على تحرير العقول والأفلام، والوقوف في وجه فرنسا التي لا تقهر.

Abstract:

Yahya Bouaziz is regarded as one of the most important journalists among Gharar Abdellah Charit, Zahir Ihaddaden, Mohammed Naser, Zoubir Seif el-Islam, Ibrahim mazhoudi, Mohamed El-Mili, Abdelmadjid Meziane and others. They voluntarily recruited themselves

for the nation's good and to publicize the Algerian case with a distinct national tendency. He conducted a distinguished contribution through his journalistic writings and articles, whet her by presenting the incidents and developments of the national struggle, dissemination of the revolutionary media or criticizing the French policies. He confronted spiteful propaganda through many platforms, such as the Tunisian "el Sabah" newspaper, which tightly followed the events of the revolution, so he wrote 13 articles in 1956, 18 articles in 1957 and four (04) articles in the year 1962, Moreover. He praised the achievements of the Algerian Liberation Revolution, and its men during the struggle. The refore, he published articles and fought colonialism with a pen and a telling word, blended with love for the homeland, with an imperative morality and a dedication to the defence of the national cause. He was fascinated with liberating minds and pens, and standing against the indomitable France.

المقدمة:

من الشخصيات المرموقة ومن أعمدة أساتذة التاريخ في الجامعة الجزائرية غداة الاستقلال، المجاهد والكاتب، والمؤرخ يحيى بوعزيز، هو مرجع في الكتابة التاريخية لأجيال عديدة، ويعدّ من أبرز الأقلام التي دافعت عن القضية الوطنية إبان الثورة التحريرية وبعد الاستقلال.

نحاول في هذه الورقة البحثية استعراض ما كتبه 'يحيى بوعزيز' حينما كان طالبا مناضلا، ونشر العديد من المقالات في الصحف والمجلات التونسية، فكان له الإسهام البارز عبر كتاباته الصحفية عبر منبر جريدة الصباح التونسية.

لما سلف التعرض إليه، وجب علي أن أطرح سؤالاً أساسياً لأميظ اللبس عن كنهى الموضوع، وأستفهم قائلاً: كيف استطاع يحيى بوعزيز أن يساهم بعمله الصحفي في دعم ومساندة القضية الجزائرية خلال عمر الثورة التحريرية؟ بمنهجية متسلسلة سأسلط الضوء بشرح وافر، على صلب الموضوع محل

الدراسة كلما غصت في عرضه، مع توضيحي السلس لمختلف المحطات الرئيسية منه.

أولاً: يحيى بوعزيز في سطور:

ولد يحيى بوعزيز في ظروف عرفت فيها الجزائر صحوة فكرية سياسية واجتماعية وإصلاحية،¹ ولخص الدكتور يحيى بوعزيز على إحدى واجهات كتبه مساره التكويني، وذكر أنه ولد بقرية الجعافرة ببوعريريج في 27 ماي 1929م، الأمر الذي لا يسمح له إلا بتلقي تعليماً أولياً على يد والده الحاج عبد الرحمن، الذي حفظ على يديه القرآن الكريم، وتلقى مبادئ اللغة العربية. وفي سنة 1947م انتقل إلى مدينة عنابة المعروفة بإرثها العلمي والتعليمي، وزاول تعليمه الابتدائي في مدرسة خاصة، إلى غاية 1949م حيث سافر بعدها إلى تونس ودرس بمعهد الزيتونة إلى غاية 1956، لينتقل سنة 1957م إلى القاهرة ويتخصص في دراسة التاريخ بجامعة، ويتحصل بها على شهادة الليسانس سنة 1962م.

ولما حققت الجزائر استقلالها، عاد بوعزيز إلى بلاده في وقت كانت في حاجة إلى أبنائها المثقفين، والحاملين للشهادات والمؤهلات العلمية، فاشتغل بالتدريس، وفي لجنة التأليف المدرسي الوزارية في صيف 1963، وكلف سنة 1969م بوضع كتاب مدرسي في التاريخ الحديث للسنة الأولى من التعليم الثانوي رفقة زميلين له في سلك التفتيش والتعليم. وبالموازاة مع النشاط الوظيفي تابع بوعزيز نشاطه الجامعي حيث تمكن من الحصول على شهادة الدكتوراه الطور الثالث من جامعة الجزائر العاصمة سنة 1976م.

1 - حميد ايت حبوش، "قراءة في الموروث التاريخي للدكتور يحيى بوعزيز"، الحوار المتوسطي، المجلد

نلاحظ أن الدكتور يحيى بوعزيز قد حظي بتكوين عربي إسلامي في الجزائر وتونس ومصر وصقلته في ظروف متميزة، تقاسمتها بلدان شمال إفريقيا، وجعلته يتشبع بالموازة بمعارف سياسية، ويتمرسها، فأضحى في الوقت ذاته رجلا مثقفا تضبطه أخلاق سياسية ايجابية، ويرى مستقبل الجزائر بصيرة وحكمة، تدل عليها أعماله التي تركها للأجيال الجزائرية¹.

ثانيا: أعمال يحيى بوعزيز ونشاطاته العلمية المختلفة:

في هذه المرحلة الحاسمة في تاريخ الجزائر والتي بدأت فترتها من 1 نوفمبر 1954 إلى 5 جويلية 1962، والتي لعب فيها يحيى بوعزيز دورا بالغ الأهمية، إذ ساهم من خلال نشاطاته الفكرية والثقافية بالتعريف المباشر بالقضية الجزائرية، فقام بنشر مختلف المقالات حول الثورة التحريرية²، كما نشر بعض المقالات الثقافية خاصة في جريدة "الصباح التونسية"، وبعدهما ذيع صيته عبر المحررات التي لقيت إعجابا وطلبا صارت كبرى الصحف تتهافت عليه طالبة منه الكتابة في أعمدها، فكان ينشر موضوعات متنوعة على مدار الأسبوع، وكلها تتحدث عن الثورة الجزائرية، وعن مشاكل الطلبة والمجاهدين وغيرهم.

وسال خبره على صفحات مختلف الجرائد نذكر منها: "لواء البرلمان" و"الشعب" و"صوت الطالب الزيتوني"، واستمر عمله في الصحافة التونسية مدة

1 - بن عتو بلبروات، "الاهتمامات التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز"، الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد الأول، 2011، ص 19-29.

2- محمد السعيد قاصري، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1962م)، دار الإرشاد، الجزائر، 2003، ص 557.

سنتين إلى أن سافر إلى القاهرة أواخر خريف العام 1957¹.

تجدر الإشارة إلى أن معظم مقالاته جمعت في كتاب واحد تحت عنوان "أحداث ثورة أول نوفمبر خيبات الوزير المقيم لأكوست"²، شارك مترجما في إضراب الطلبة الجزائريين في 19 ماي 1956، وكان من القائمين على تنظيمه، كما شارك في الاحتفال الذي أقامه طلبة جامع الزيتونة لإحياء للذكرى الرابعة والسبعين لوفاة الأمير عبد القادر في 07 مارس 1957، وقد قام بتأليف كتابه تحت عنوان "بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري"³ أسس رابطة الطلبة الجزائريين بمصر، مع ثلة من زملائه الطلبة الجزائريين نذكر منهم: علي مفتاحي، أبو قاسم سعد الله، وآخرون⁴.

ترك بصماته واضحة نيرة من خلال مشاركته في سلسلة من الندوات والمحاضرات التي قامت بها رابطة الطلبة الجزائريين في القاهرة، وهذه الأنشطة مسخرة لخدمة الثورة في أبعادها الثلاثة: الثقافية والفكرية والإعلامية⁵، كما شارك شفاهة في إذاعة صوت العرب من القاهرة، أين تكلم عن الكفاح الشعب الجزائري، عبر أثيرها قام بالتعريف بالقضية الوطنية ونشرها بين أوساط الطلبة العرب⁶، ضف إلى مختلف مشاركاته في مهرجانات وحفلات للطلبة الجزائريين المتخرجين والوافدين على مصر، وساهم دون أن يدخر جهدا في إحياء الحفل

1- يحيى بوعزيز، رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 133-134.

2- نفسه، ص149.

3- نفسه، ص155.

4- محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص553.

5- حميد ايت حبوش، المرجع السابق، ص227-253.

6- عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954، دار هومة، الجزائر، 2004م، ص75.

الذي أقامته الاتحادية للطلبة العسكريين الحاضرين في القاهرة يوم 10 ديسمبر 1959،¹ وعلى رغم انشغاله بالدراسة وتواجده في ديار الغربية، إلا أنه لم ينس وطنه فدافع عنه وكتب عنه وله، وشجع الطلبة بأن يدافعوا عن وطن سلب بقوة السلاح. ونظرا لفظنته ووطنيته أوكلت له مهمة تحرير مجلة: "الطالب الجزائري" التي كانت تصدر عن الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بالقاهرة، ومن خلالها استطاع أن ينشر العديد من المقالات على صفحاتها.

إن تواجده في تونس في بداية مشواره العلمي ثم انتقاله فيما بعد إلى القاهرة أكسبه خبرة وتجربة كبيرتين مكنته من الاطلاع أكثر على الأوضاع العربية والدولية، وما من شك أن وطنيته وحق أسلوبه في التعامل مع قضايا أمته خولت له من أن يصبح رئيس اللجنة الثقافية ما بين 1956 و 1962.² عطفًا على ما سبق، تميزت مسيرة المؤرخ يحيى بوعزيز بغزارة إنتاجه العلمي في ميدان البحث التاريخي، وبثراء المصادر التي استسقى منها معلوماته، وقد أحصي لهذا المؤرخ أزيد اثنين وأربعين مرجعاً³.

ثالثا: الكتابات الصحفية ليحيى بوعزيز ومضامينها في نصره القضية الوطنية
عاصر الدكتور يحيى بوعزيز التسلط الاستعماري الفرنسي، والمقاومة السياسية الجزائرية المنظمة بمختلف تياراتها، وأدرك أن العدو الأول الجزائريين هو الجهل، فحرص على أن يتعلم ويقاوم بقلمه ليكون أحد الأدوات الهدامة للمشاريع الفرنسية الهادفة إلى تدمير كيان وشخصية الجزائريين المغلوب على

1- محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص 564.

2 - حميد ايت حبوش، المرجع السابق، ص 227-253.

3 - الهوارية بطيب، "منهجية يحيى بوعزيز من خلال كتاباته التاريخية"، الناصرية للبحوث الاجتماعية

والتاريخية، العدد الأول، 2011، ص ص (113-124).

أمرهم وقتذاك، وفي الوقت ذاته ليكون أحد الرجال الصالحين والمخلصين لوطنهم. أما في تونس فقد عايش فترة الاستقلال التونسي في مارس 1956م، وأدرك في مصر، نتائج الاستعمار البريطاني بعد ثورة يوليو 1952م، وما ينتظر البلدان العربية ومنها الجزائر من تحديات حضارية وصراع مرير مع أقطاب عالمية، تحاول استقلال الوطن العربي في حريها الباردة أو صراعها الإيديولوجي.

لقد صقلت هذه الظروف، شخصية الدكتور يحيى بوعزيز، فتبلورت لديه نزعة سياسية ذات مدلول وطني تتمثل في انضمامه إلى جبهة التحرير الوطني كمثل للأغلبية الجزائرية، الداعية إلى الاستقلال التام عن فرنسا وإقامة دولة جزائرية ديمقراطية، والانخراط في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (تأسس الاتحاد للطلبة المسلمين الجزائريين في 20 أوت 1955، ونجح في تنظيم إضراب الطلبة المسلمين الجزائريين والتحاقهم بالثورة المسلحة في 23 ماي 1956، وكانت مجلة الطالب الجزائري هي لسان حال الاتحاد، الذي تم حله في 08 فبراير 1958. وترأسه للجنة الثقافية بتونس، وقد سمح له هذا الانتماء السياسي الذي تصاعد في الجزائر وخارجها إلى الاشتغال في المجال الصحفي بتونس بصفته طالبا مناضلا، ونشر عشرات المقالات في الصحف والمجلات التونسية¹.

فتنوعت مراحل يحيى بوعزيز في نشاطاته الثقافية في كل من تونس القاهرة والجزائر- كما أشرنا إليه سالفًا-، فأصبح عنده تجربة ثرية ما بين العمل

الصحفي والنشاط الطلابي وتأليفه للعديد من الكتب ومشاركته في الملتقيات ومؤتمرات الفكر الإسلامي والحضارات وغيرها من النشاطات الثقافية¹. شارك بالكتابة في الصحافة التونسية طول عامي 1956-1957 خاصة جريدة الصباح المستقلة التي فتحت له أبوابها لنشر المقالات المختلفة حول الثورة ومشاكلها وقضايا الطلبة،² فكانت له بعض المقالات المنشورة في جريدة الصباح تنقلها جريدة "تشرين" السورية التي تقوم بإعادة نشرها من جديد لما فيها من مادة مهمة ومعلومات مكثفة عن حالة الثورة الجزائرية وعمليات التدمير والتخريب والإبادة، وكل السياسات البشعة التي استعملتها فرنسا ضد الجزائريين بصفة خاصة وعلى كل مستعمراتها بصفة عامة، كما تمكن من نشر العديد من المقالات الأخرى في جريدة اللواء والشعب وغيرها من الجرائد التونسية³.

وكان له العديد من المشاركات في الجرائد الجزائرية جريدة الشعب التي تعتبر أكثر الجرائد المهمة بنشر مواضيعه، كما نشرت له جريدة الشروق اليومي والنصر والمساء والجمهورية والحوار وغيرها من الجرائد الأخرى⁴. كانت له كتاباته ومشاركاته ببناء وفعلية في المجالات الجزائرية نذكر منها كتابته في مجلة الثقافة والأصالة الجزائرية للأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، وقد بدأ النشر فيها منذ 1971.

1- يحيى بوعزيز، رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن، ج3، المصدر السابق، ص ص182-183.

2- محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص201.

3- نفسه، ص ص182-183.

4- يحيى بوعزيز، رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن، ج1، المصدر السابق، ص93.

ومن المقالات الأوائل التي نشرت، ومن أهمها كان أول مقال له بعنوان "دور الإخوان الرحمانيين في ثورة 1871" واستمر بنشرها إلى غاية 1980¹، وقد تميزت مواضيع مقالاته بالتنوع ومن خلالها كانت انطلاقاته فأراد التعريف بالثورات الجزائرية وأوضاعها السياسية وكانت مقالاته محل اهتمام من طرف المثقفين داخل البلاد وخارجها، ومعظمها ارتبطت بوثائق حقيقية ورسمية²، كما كانت له مشاركات ونشاطات في الإذاعة العربية التونسية في حصة "صوت العرب" وذلك باقتراح من جبهة التحرير الوطني³، كانت له أيضا مشاركات ثرية في القاهرة عندما كان طالبا بها في حصة « كلمة الجزائر » والتي كانت تبث في إذاعة صوت العرب التي كان يديرها المصري أحمد السعيد⁴.

بث حصص أثرية في الإذاعة المحلية بوهران عن التاريخ المحلي لوهران ولتلمسان وجوانب من تاريخ المرابطين والموحدين، ولم تكن حصص منظمة، ولكن بعد تدشين المقر الجديد سنة 1970 داعية للمشاركات في حصص ذات صلة بالتاريخ المشترك للبلدان المغاربية، وتواصلت هذه الحصة بالبث حتى نقلت إلى الجزائر العاصمة، فاستبدلها بحصة عنوانها "مدن وتاريخ" ثم غير عنوانها إلى "رحاب التاريخ"، قد قدم في هذه الحصص موضوعات كثيرة كلها كانت عن التاريخ وبلدان المغرب العربي، واعتمد في إعدادها على كتبه ومقالاته، وقد لقيت هذه الحصة نجاحا كبيرا وكان يتابعها باستمرار جمهورها الخاص⁵.

1- نفسه، ص97.

2- يحيى بوعزيز، ج1، المصدر السابق، ص93.

3- إبراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر، د.ط، دار هومة، الجزائر، 2010، ص288.

4- عمار هلال، المرجع السابق، ص77.

5- يحيى بوعزيز، رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن، ج2، المصدر السابق، ص101-104.

شارك الرجل في إلقاء حصص بالتلفزة المحلية لمدينة وهران، في إطار الحصص التي كان حزب جبهة التحرير الوطني يقدمها وهي حصة محلية وقصيرة وتوالت بعد ذلك حصصه على شاشة التلفزة بصفة دورية وحسب المناسبات خاصة خلال ندوات وملنقيات ومحاضرات¹.

إن سنة 1956 كانت هي المنعرج بحيث أن نصفها الثاني شهد طغيان الثورة وعمومها جميع مناطق البلاد وبالضرورة وصولها لكل المناطق التي يتواجد بها الجزائريون ومنها تونس إذ شهدت هذه المرحلة سيلا عارما من الكتابات المننددة بالاستعمار والممجددة للثورة والثوار والمنادية بالحرية للشعب الجزائري (بوعزيز. ي. الصباح 04 أوت 1956).

لقد بذل الطالب بوعزيز جهودا للتعريف بالثورة التحريرية في الأوساط التونسية ومن خلال العناوين المدوية التي كان يختارها "ساحات الوغى تحدثني" الصباح 11 أوت 1956)، (مأساة بني معمر تمثل حرب الإبادة الصباح 15 سبتمبر 1956)، (أعمال الوحشية في الجزائر: من أجل حماية خائن". الصباح 06 أكتوبر 1956)، فهذه العناوين تترك أثرا أعمق في النفس البشرية وتجعل المرء يتوقف لقراءة المقال وربما اتخاذ موقف ما لصالح القضية الجزائرية.

لم ينس بوعزيز القضايا العربية الأخرى خاصة قضية العدوان الثلاثي على مصر في أكتوبر 1956 وكتب حولها مقالات قوية اللهجة مننددة بالعدوان خاصة وأن للثورة الجزائرية نصيب من الأسباب الداعية لضرب مصر ("معركة القنال وثورة الشعب الجزائري". الصباح 17 نوفمبر 1956).

كما كان للجانب الإنساني للطلبة الجزائريين في تونس جزء من اهتمام يحيى بوعزيز إذ كتب العديد من المقالات التي تنبه السلطات التونسية

خصوصا إلى الوضعية المزرية التي كان عليها الطلبة الجزائريون لا من حيث المسكن والمأكل والملبس وقد تقطعت بهم السبل حينما انقطع تواصلهم مع أهاليهم في الجزائر ("إلى وزارة المعارف التونسية: المشروع الاجتماعي في الميزان". (الصباح 20 أكتوبر 1956).

في سنة 1957 صعد يحيى بوعزيز كغيره من الجزائريين المقيمين في تونس من لهجته ضد الاحتلال الفرنسي مركزا بالخصوص على الطغمة التي تقود الحرب في الجزائر كروبير لاکوست (**Robert Lacoste**) من خلال مواصلة تعرية الوضع المزري في الجزائر ("بعد ركوع ايدن وموللي: سجد موللي: سجد لاکوست أمام ثورة الجزائر". الصباح 05 جانفي 1957). "الآن يا م. لاکوست". الصباح 12 جانفي 1957)، (في عالم الثورة: أرقام البؤس" الجزائر حثف الاستعمار... الصباح 09 فبراير 1957).

لم يكن الجهاد في نظر يحيى بوعزيز جهادا مسلحا فقط بل ركز كذلك على جهاد الثقافة مع تقدم الثورة وازدياد سنينها من خلال المقالات التي نشرها ("حول قصيد "معركة الشرق والغرب". وهكذا ينبغي الأدب يا شباب الأدب". الصباح 28 ديسمبر 1956)، ("مكافحة الثقافة". الصباح 08 مارس 1957)، ("الأمير عبد القادر". الصباح 09 مارس 1957)، ("مرحبا بعميد الأدب الدكتور طه حسين". الصباح 18 جويلية 1957) وفي نفس الإطار جعل الجمعيات الشبابية والطلابية من محاور الكفاح التحرري ودعاها لأن تلعب دورها في فترة الثورة وبعد الاستقلال ("رسالة الجمعيات". الصباح 20 ديسمبر 1956 و 01-0416-27 جانفي و 06 فبراير 1957).

غاب يحيى بوعزيز عن أجواء الصحافة التونسية منذ خريف 1957 لأنه انتقل إلى القاهرة لتحضير شهادة ليسانس في التاريخ وبقي هناك إلى غاية

1962، وشارك في إذاعة حصص من إذاعة صوت العرب، وتحرير مجلة الطالب الجزائري، لذا سنجده يعاود الكتابة بصحيفة الصباح مرة أخرى مع نهاية الثورة التحريرية مع تناول مواضيع تاريخية لها دلالات عميقة بالنسبة للدولة الخارجة من الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر بالتذكير بالماضي المجيد للجزائر خاصة ما قبل (1830) فكتب عن علاقات الجزائر الدولية وعن تاريخ البحرية باعتبارهما من أهم مظاهر شخصية الجزائر الاعتبارية، ("علاقات الجزائر الدولية قبل 1830". الصباح 05 جويلية 1962.)، (أضواء على تاريخ البحرية والأسطول الجزائرية". الصباح 05 أوت 1962).

لقد حلم يحيى بوعزيز بحياة كريمة ودولة قوية تحمي كل أبنائها الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل تحريرها وقد آن الأوان أن يكافؤوا. يحيى بوعزيز وإن لم يحمل بندقية ويصعد للجبال ليكون جنديا في جيش التحرير يقتل وقد يقتل من أجل تحرير الوطن إلا أنه أدى هذا الواجب بالنضال الإعلامي وبالقلم والكلمة المعبرة، وقد كتب يحيى بوعزيز عدة مقالات صحفية ونشرت في جريدة الصباح التونسية نحصرها كالاتي:¹

❖ "لم تختلف أبدا"، 04 مارس 1956

❖ "هل من مزيد يا م. لاكوست"، 12 جويلية 1956.

❖ إن الثورة الجزائرية قد وضعت النقط على الحروف يا ملاكوست"، 04

أوت 1956.

❖ قضية الجزائر مشكلة العرب يا قوم" 10 أوت 1956

1 - براهيمة بلورزاع، "يحيى بوعزيز وجهاد الكلمة (1956-1962)", مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية

- ❖ ساحات الوعي تحدثني"، 11 أوت 1956.
- ❖ "مأساة بني معمر تمثل حرب الإبادة"، 15 سبتمبر 1956
- ❖ أعمال الوحشية في الجزائر: من أجل حماية خائن"، 06 أكتوبر 1956.
- ❖ إلى وزارة المعارف التونسية: المشروع الاجتماعي في الميزان"، 20 أكتوبر 1956.
- ❖ "الصباح في معارك التحرير": "وصوت الجزائر الحرة"، 27 أكتوبر 1956.
- ❖ "الجواب ما ترى لا ما تسمع يا م. لاکوست"، 30 أكتوبر 1956.
- ❖ معركة القنال وثورّة الشعب الجزائري"، 17 نوفمبر 1956.
- ❖ "حول قصيد معركة الشرق والغرب": وهكذا ينبني الأدب يا شباب الأدب"، 28 ديسمبر 1956.
- ❖ رسالة الجمعيات، 20 ديسمبر 1956 و 01-04-16-27 جانفي و 06 فبراير 1957.
- ❖ "بعد ركوع ايدين ومولي: سجد موللي: سجد لاکوست أمام ثورة الجزائر"، 05 جانفي 1957.
- ❖ "الآن يا م. لاکوست"، 12 جانفي 1957.
- ❖ تقول هذا للتذكير، 01 و 02 فيفري 1957.
- ❖ "في عالم الثورة: أرقام البؤس" الجزائر حتف الاستعمار.."، 09 فبراير 1957.
- ❖ من اعترافات لاکوست: "تحيا الجزائر حرة مستقلة"، 02 مارس 1957.
- "مكافحة الثقافة"، 08 مارس 1957.

- ❖ "الأمير عبد القادر"، 09 مارس 1957
- ❖ "قاهرة" الغرب" منبع عز العرب"، 17 مارس 1957.
- ❖ تحية القاهرة"، 24 ماي 1957.
- ❖ حول ذكرى 05 جويلية: 1830 عيد بأية حال عدت يا عيد"، 11 جويلية 1957
- ❖ "مرحبا بعميد الأدب الدكتور طه حسين"، 18 جويلية 1957.
- ❖ "جيش التحرير في الميدان"، 28 جويلية 1957.
- ❖ "مشكلة الثقافة العربية في الجزائر"، 14- 21 جوان 1962.
- ❖ "علاقات الجزائر الدولية قبل 1830"، 05 جويلية 1962.
- ❖ أضواء على تاريخ البحرية والأسطول الجزائرية"، 05 أوت 1962.

من خلال ما سبق نستخلص أن يحيى بوعزيز نشر مقالاته خاصة في جريدة الصباح التونسية لصاحبها الحبيب شيخ روحه، وبعض هذه المقالات على حلقات وفي أماكن بارزة من الجريدة قد تصل إلى نصف صفحة، نظرا لأهمية ما كان يكتبه الطالب يحيى بوعزيز، كما كان يمضي مقالاته باسمه كاملا وللدور الذي لعبته جريدة الصباح في دعم الثورة الجزائرية وفتحها المجال أمام الثوار ومؤيدي الثوار الجزائريين لنشر الدعاية للثورة التحريرية والتي تكاد تكون جريدة جزائرية في موضوعاتها واتجاهها باعتبارها جريدة حرة ومعارضة في نفس الوقت، وتتابع قضية الجزائر وأحداث الثورة بشكل مكثف ومتواصل، ولذلك يقبل الجزائريون خاصة الطلبة على قراءتها باستمرار.

الخاتمة:

سخر المرحوم المجاهد يحيى بوعزيز روحه وقلمه ولسانه في خدمة الجزائر وتاريخها وناصرها حتى تحقيق المبتغى باسترجاع السيادة الوطنية،

وهو بذلك يضرب أروع الأمثلة وأصدقها في خدمة تاريخ الجزائر، ونشر الحقائق ودحض الشبهات، بالدليل والبرهان التاريخي، حيث ساهم بنشر عدة مقالات عبر الصحف إبان تواجده في تونس بالخصوص جريدة "الصباح" والتي كان ينقل عبرها للقارئ التونسي والعربي جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر غداة الاحتلال، ويقدم تشخيصا واضحا وأخبارا عن تطوّر الكفاح المسلح في الجزائر، إذ كان له حبه الاستقصاء والاستبيان الصريح من الجزائريين اللاجئين في تونس وينقل معاناتهم في حرية الوطن للعودة إليه مستقلا.

وبالتالي قد أسهمت مقالات يحيى بوعزيز الصحفية في خدمة القضية الجزائرية، سواء من خلال عرضها لأحداث وتطورات النضال والكفاح الوطني وتعميم الإعلام الثوري، أو نقدها للسياسة الفرنسية، ومواجهتها للدعاية المغرضة، عبر منبر جريدة الصباح التونسية، وغيرها من المنابر، وبعيد التحرر والاستقلال ودون كلل واصل كتابته الصحفية بغزارة في مجال التاريخ، وإبداء آرائه في قضايا الثقافة والهوية بموضوعية وتجريد.

وفي يوم 7 نوفمبر 2007، بوهران توفي الموسوعة الفكرية عن عمر ناهز 78 سنة، إثر مرض ألزمه الفراش لمدة سنة بعد عمر كرسه للتدريس الجامعي والبحث والكتابة والتأليف في تاريخ الجزائر، رحمه الله وألحقه بالصالحين.

المراجع المستعملة:

- بوعزيز (يحيى)، رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- قاصري (محمد السعيد)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1962م)، د.ط، دار الإرشاد، الجزائر، 2003.
- مياسي (إبراهيم)، قيسات من تاريخ الجزائر، د.ط، دار هومة، الجزائر، 2010.

- هلال (عمار)، نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954، دار هومة، الجزائر، 2004م.
- ايت حبوش(حميد)، "قراءة في الموروث التاريخي للدكتور يحيى بوعزيز"، الحوار المتوسطي، المجلد الخامس، العدد الثاني، 2014.
- بليراوات (بن عتو)، "الاهتمامات التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز"، الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، المجلد الأول، العدد الأول، 2011.
- بطيب (الهورية)، "منهجية يحيى بوعزيز من خلال كتاباته التاريخية"، الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، المجلد الأول، العدد الأول، 2011.
- بلورزاع (براهمة)، "يحيى بوعزيز وجهاد الكلمة (1956-1962)"، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، المجلد الأول، العدد الأول، 2011.

ثورة التحرير الجزائرية الكبرى في الكتب المصرية كتاب فتحي الديب عبد الناصر وثورة الجزائر نموذجا

كأ د/ محمد قويسم

جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة

Kouicem_moh1@yahoo.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح ثورة التحرير الجزائرية الكبرى في الكتب المصرية، التي ألفها المؤرخون والسياسيون والأدباء خلال الثورة 1954-1962، خاصة وأن القضية الجزائرية كانت في صميم الوجدان المصري، منذ استشهاد سي موسى بن الحسن المدني الدرقاوي الديمقراطي المصري مع الشيخ بوزيان في مقاومة واحة الزعاطشة 1848 إلى غاية ثورة أول نوفمبر (تشرين الثاني) 1954، واسترجاع الجزائر لسيادتها 05 تموز يوليو جويلية 1962. وتوصلت هذه الدراسة إلى وجود أكثر من عشر كتب حول الثورة الجزائرية ألفها مصريون وتعتبر من المصادر الهامة في تاريخ ثورة أول نوفمبر، وأن مصر كان لها دور كبير في دعم الثورة الجزائرية إلى درجة أنه كان فقط بأمر من الزعيم الرئيس جمال عبد الناصر في كل الميادين سياسيا وإعلاميا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

مقدمة:

كانت الجزائر أول بلد عربي مسلم يصاب بالاستعمار الأوروبي الحديث بداية بالغزو الفرنسي سنة 1830 الذي نتج عنه إبادة شعب ونهب ثروات وتجويع وتجهيل ما تبقى، مما استدعى ثورة عارمة بعد فشل المقاومة المسلحة فكانت ثورة أول نوفمبر 1954 التي فاجأت الصديق والعدو لأنهم ظنوا أن الجزائر تفرنست ولم تعد عربية مسلمة، فكتب عن ثورة نوفمبر الشقيق والصديق والعدو.

وتجيب هذه الدراسة عن سؤال ماهي الكتب المصرية التي ألفت عن الثورة الجزائرية، أي دون الجرائد والصحف على رأسها الأهرام والجمهورية والأخبار وروزا اليوسف...، والمسرح والشعر، ومنه تهدف الدراسة إلى توضيح هذه الكتب التي ألفتها مصريون عن الثورة الجزائرية، من خلال منهجية تتمثل في الرجوع إلى هذه الكتب بالذات خاصة وأنها من المصادر التي أرخت لثورة التحرير الجزائرية الكبرى.

1. الكتب المصرية عن ثورة التحرير الجزائرية الكبرى (1954-1962):

مصر أكبر بلد عربي كانت مقصد كل أبناء الأمة العربية، في كل الميادين خاصة بعد ثورة 23 يوليو تموز، 1952 بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر الذي دعم حركات التحرر العربي بشكل كبير خاصة الجزائر، لما لها من ثقل في كل الميادين مثل مصر، لذلك أهتم المصريون بكل شرائحهم بالثورة الجزائرية¹ كتبوا عنها عدة كتب (مرتبة حسب سنة الطبع) هي:

١- سعد زغلول فؤاد: عشت مع ثوار الجزائر...!²، طبع 1960، كتبه بعد دخول الجزائر سبتمبر نوفمبر 1956 وحضر عدة معارك في عنابة وفي معسكر، ويعتبر مصدر تاريخي مهم عن الثورة الجزائرية.

٢- شعبان محمد حسين: 90 يوما في الجزائر، تاريخ الثورة الجزائرية في سطور³، طبع 1960، هذا الكتاب أيضا جولة ثلاثة أشهر مع المجاهدين سجل فيها المؤلف أحداث الثورة بالتفصيل، ويعتبر مصدر تاريخي مهم عن الثورة

1 صالح لميش، مصر والثورة الجزائرية 1954-1962، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية 1986.

2 دار العلم للملايين بيروت، لبنان 1960.

3 مطبعة نهضة مصر القاهرة، مصر 1960.

الجزائرية.

٣- إحسان حقي: الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد¹، طبع 1961، ويعتبر مصدر تاريخي مهم عن الثورة الجزائرية.

٤- عبد الرحمن الشرفاوي: مأساة جميلة، أو مأساة جزائرية، مسرحية من الشعر الحر²، جميلة بوحيرد³ فدائية جزائرية خلال ثورة أول نوفمبر، أسرت في مدينة الجزائر سنة 1957 بعد إصابتها برصاصة في الكتف، سجنّت وعذبت وحدد يوم 07 أذار مارس 1958 تاريخ لإعدامها لكن ضغط الرأي العام العالمي أجبر الاستعمار الفرنسي على تغيير حكم الإعدام إلى سجن مؤبد، وأطلق سراحها سنة 1962 بعد استرجاع الجزائر لسيادتها.

٥- صلاح العقاد: الجزائر المعاصرة⁴، طبع 1963، فهو مرجع أكاديمي مهم عن الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى.

٦- عمرو أحمد عمرو، عبد الرؤوف أحمد عمرو: أحمد بن بلة ابن شمال إفريقيا، سلسلة مذاهب وشخصيات⁵، يبدأ الكتاب بصورة للرئيسين أحمد بن بلة

1 بيروت لبنان 1961.

2 دار المعارف القاهرة، 1962.

3 جميلة بوحيرد: مناظرة جزائرية ولدت عام 1935م بالجزائر العاصمة من عائلة وطنية، انضمت إلى جبهة التحرير الوطني عام 1956م قامت بعدة عمليات فدائية، ألقى عليها القبض يوم 9 نيسان أبريل أبريل 1957م، تعرضت لتعذيب وحشي على يد المظليين، حكم عليها بالإعدام في 15 تموز يوليو جويلية 1957م مع "جميلة بوعزة"، تعتبر مواطنة شرف في سوريا والعراق، كانت جميلة موضوع كتابات كثيرة شعراً ونثراً، كرمت في العديد من البلدان العربية بعد الاستقلال، أبت بعد الاستقلال المشاركة في الحياة السياسية في الجزائر، ينظر: فطيمة بوقاسم، جميلة بوحيرد الرمز الثوري في الشعر العربي المعاصر، مذكرة ماجستير في أدب الحركة الوطنية، إشراف: غليسي يوسف، كلية الآداب واللغات جامعة منتوري، قسنطينة الجزائر، السنة الجامعية: 2006/2007، ص ص 72، 75.

4 معهد الدراسات العربية القاهرة مصر 1963.

5 الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، مصر 1963.

وجمال عبد الناصر ثم صورة للرئيس أحمد بن بلة وهو يلقي خطاب تحته عبارة نصها: إن الأسس العقائدية لثورتنا تتلخص في عربيتنا وإسلامنا هذه الحقيقة، فلا إسلام دون عروبة (اللغة العربية) ولا عروبة دون إسلام، وهذا الكتاب أيضا مصدر من مصادر الثورة الجزائرية.

٧- محمود قاسم: الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية¹، يتكون الكتاب من 160 صفحة وهو باحث أكاديمي دكتور كان عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ألفه سنة 1967، فهو مرجع أكاديمي مهم عن الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى.

٨- لطفي الخولي: عن الثورة في الثورة والثورة، حوار مع بومدين²، والكتاب يتكون من 224 صفحة، الحوار الأول كان في أكتوبر سنة 1965، والحوار الثاني كان في ديسمبر 1966 والحوار الثالث كان في أكتوبر سنة 1974 أنهى من تأليفه سنة 1985.

٩- عواطف عبد الرحمن: الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962³، يتكون من ثلاث أبواب وأثنى عشر فصلا في 222 صفحة، المؤلفة باحثة أكاديمية في الجامعات المصرية، وهو مرجع مهم حول الثورة الجزائرية.

١٠- حافظ حمدي، محمود شرقاوي: الجزائر كفاح شعب ومستقبل أمة⁴، وهو مرجع مهم حول الثورة الجزائرية.

1 دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر 1979.

2 منشورات التجمع الجزائري البومديني الإسلامي، دار الهدى للنشر والتوزيع عين مليلة، أم البواقي، الجزائر (د ت).

3 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985.

4 الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة مصر (د ت).

١١- جمعية الأدباء: مع الثورة الجزائرية، القاهرة 1958¹، يتكون من 135 صفحة، مقالات لمصريين وجزائريين وبالنسبة للأدباء المصريين هم: بداية قضية الجزائر للدكتور طه حسين، في الضمير للدكتور لويس عوض، هكذا تعيش باريس في حرب الجزائر لأحمد بهاء الدين، كيف نكافح الاستعمار حتى نمحوه لسلامة موسى، العالم الحر وقضية الجزائر لمرسي سعد الدين، الجزائر والقيم الإنسانية لأنور عبد الملك، النواحي الإنشائية في الثورة الجزائرية لرمسيس يونان، لحظات مع المأساة لرجاء النقاش، أعظم معلمة في عصرنا الحاضر ليوسف إدريس، أتتبا لكم قاتلي لألفرد فرج، الجمهورية العربية المتحدة والجزائر لعبد العاطي جلال، أعداء الجزائر يعترفون بجرمهم لمحمود يوسف وأخيرا طريق الجزائر لمحمود أمين العالم.

١٢- أحمد عبد المعطي حجازي²: ديوان أوراس³، هذا الكتاب أيضا مصدر من مصادر الثورة الجزائرية.

1 تقديم يوسف السباعي مقدمة ومراجعة عبد الرزاق قسوم، عالم الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2007.

2 أحمد عبد المعطي حجازي: شاعر وناقد مصري ولد عام 1935م بالمنوفية، أسهم في العديد من المؤتمرات الأدبية في كثير من العواصم العربية، ويعد من رواد حركة التجديد في الشعر العربي المعاصر، ترجمت مختارات قصائده إلى عدة لغات: الفرنسية والإنجليزي و الإسبانية والروسية والايطالية والألمانية، متحصل على شهادة الدراسات المعمقة في الأدب العربي عام 1969م وجائزة الشعر الإفريقي عام 1996م وغيرها من الشهادات والجوائز، درس في فرنسا وعمل في تحرير جريدة الأهرام المصرية، من دواوينه: أوراس 1959م، دار العودة 1983م، أشجار الاسمنت، 1989، وعدة مؤلفات منها: سارق النار، حديث الثلاثاء ينظر: أحمد عبد المعطي حجازي ويكيبيديا، الرابط.

[/ https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B9%D8%A8](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B9%D8%A8) تاريخ التصفح: 2022/01/22م.

3 دار البيضة العربية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة مصر 1959.

١٣- فتحي الذيب: عبد الناصر وثورة الجزائر¹، يتكون من 740 صفحة، طبع خلال الثمانينات من القرن العشرين لكن أحداثه التي عاشها المؤلف وساهم فيها كانت خلال الثورة وعليه هذا الكتاب أيضا مصدر هام من مصادر الثورة الجزائرية.

2. فتحي الذيب: عبد الناصر وثورة الجزائر نموذجا:

أ- تعريف المؤلف:

فتحي الذيب هو محمد فتحي مبروك إبراهيم الذيب، من مواليد القاهرة سنة 1923، درس في الكلية الحربية والتحق بسلاح المظلات وانظم إلى الضباط الأحرار سنة 1952، أسس إذاعة صوت العرب سنة 1953، كان اللواء فتحي الذيب أحد الذين شاركوا في تأسيس جهاز المخابرات العامة المصرية سنة 1954 وكان مهندس حركات التحرر، كان فتحي الذيب رجل المهام الخاصة للرئيس جمال عبد الناصر وأحد أكبر معاونيه في قضايا الشؤون العربية، كان ضمن ثمانية أختارهم عبد الناصر برئاسة عضو مجلس قيادة الثورة زكريا محي الدين تولوا مهمة إنشاء جهاز المخابرات ومن خلال عمله كلفه عبد الناصر برئاسة دائرة الشؤون العربية في جهاز المخابرات وأوكل إليه خطة لتحرير دول الوطن العربي من الاستعمار وقام الذيب بإنجاز هذه المهمة ومن خلالها أسست إذاعة صوت العرب كأداة إعلامية لثورة يوليو 1952 في معركتها ضد الاستعمار توفي يوم 07 شباط فبراير 2003 بالقاهرة².

1 ط1، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، 1984، ط2، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع القاهرة، مصر 1990.

2 فتحي الذيب: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع القاهرة، 1984، ص8 وما بعدها.

ب . محتوى الكتاب:

المؤلف فتحي الديب العنوان عبد الناصر و ثورة الجزائر، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 1984، تصميم الغلاف مصطفى حسين، الطبعة الثانية 1990، يتكون من 740 صفحة، ألفه صاحبه بطلب من الزعيم الراحل جمال عبد الناصر مند شهر أيار مايو 1961 وفتحي الديب سفير لمصر في سويسرا وكرر ذلك في شهر نيسان أبريل 1970 في اجتماع قصر القبة وبتعريف بحضور العقيد معمر القذافي أمين القومية العربية وبعض إخوته في القيادة، وبسبب المرض بأزمة قلبية و وفاة القائد الزعيم جمال عبد الناصر في سبتمبر 1970 تعطل التأليف ولكن لم أنسى تحقيق الوعد فكان تأليف الكتاب من 12 باب ملخصها كما جاءت في عناوين الأبواب¹.

الباب الأول بعنوان: التوجه إلى الشمال الإفريقي في نطاق خطة التحرر العربي م خلال ثلاثة فصول على التوالي الواقع السياسي لأقطار شمال إفريقيا، ميزاني مسعود يكتسب ثقة ثورة 23 يوليو وخطة التحرير في أولى مراحل تنفيذها اندلاع ثورة الجزائر تناول فيه إنشاء صوت العرب ومكتب المغرب العربي بحضور محمد خيضر وعلال الفاسي وصالح بن يوسف وفي اجتماع يوم 03 نيسان أبريل 1954 حضر شاب يدعى ميزاني مسعود الاسم السري لأحمد بن بلة قائد المنظمة الخاصة (مخ) بخطاب مغاير للحزبيين التقليديين (السياسيين) يطلب السلاح وليس المال واستطاع أن يكسب ثقة ثورة 23 يوليو 1952 بالصراحة والصدق².

1 فتحي الديب، المصدر نفسه، ص220.

2 فتحي الديب، المصدر السابق، ص27:24 ينظر حول المنظمة الخاصة كتاب محمد يوسف: الجزائر في ظل المسيرة النضالية المنظمة الخاصة، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال الجزائر 2002، ص152:91.

كان اللقاء بين بن بيلا وفتحي الديب لقاءين كل مرة لقاء مطول باللغة الفرنسية طرح فيه بن بيلا(بللة) ظروف الجزائر من مجاهدين وسلاح وكان توفير السلاح ثم الثورة أم الثورة ثم السلاح فكان اللجوء للخيار الثاني الثورة وأخذ السلاح من العدو ثم توفير السلاح خاصة حالة المغرب وتونس والاستفادة من عنصر المفاجئة¹. كان العمل في سرية تامة بين ثلاث أشخاص فتحي الديب وبن بيلا وعزت سليمان ثم أخذ رأي البكباشي زكريا محي الدين مدير المخابرات ثم القائد جمال عبد الناصر حيث التأكد من شخصية أحمد بن بلة المؤهل الوحيد وسط كتلة الحزبيين التقليديين الثقة كانت مئة بالمئة لأنه ثوري إخلاص صدق إيمان عزم صلابة لا مثيل له في الوطن العربي².

الخطة الإستراتيجية فتح جبهة في الجزائر وسط الشمال الإفريقي تعتبر ضربة قاضية للاستعمار الفرنسي ومن كان تتبع التحضيرات أول بأول بسرية تامة مع بن بلة الذي عقد اجتماع برن في سويسرا مع مصطفى بن بوالعيد ومراد ديدوش وبلقاسم كريم ومحمد العربي بن المهدي ومحمد بوضياف وراح بيطاط ثم عاد إلى القاهرة يوم 09 تشرين أول أكتوبر 1954 ثم ذهب بن بلة إلى ليبيا لدراسة إمكانية تهريب السلاح ثم العودة إلى القاهرة يوم 22 تشرين أول أكتوبر 1954³.

1 فتحي الديب، المصدر السابق، ص33 ينظر كتاب: التسليح والمواصلات أثناء الثورة التحريرية⁵⁶. منشورات وزارة المجاهدين المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 الجزائر 2001، ص85 وما بعدها حيث لم يذكر عمليات التسليح من مخازن الجيش المصري وأمر من الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله أكثر من عشر سفن وقوافل كثيرة عبر ليبيا وذكر العراق وسوريا وتبرعات السعودية.

2 فتحي الديب، المصدر السابق، ص40-42.

3 فتحي الديب: المصدر السابق، ص42-43، ينظر مولود قاسم بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر، دار البعث قسنطينة 1984، ص17 وما بعدها.

ويقول فتحي الديب: «من المدهش والغريب حقا أن يتوافد على مكتبي ممثلو الأحزاب الجزائرية وجمعية العلماء ليتطوع كل منه بإخطاري بأنهم بدأوا الكفاح متناسين أن أحزابهم كانت أول من قاد حركة المعارضة»¹.

أما في الباب الثاني الذي جاء بعنوان: نضال الثورة من أجل البقاء في ستة أبواب هي على التوالي أسبوع المفاجأة، الإمداد بالسلح من أين... وكيف؟، المخاطرة الأولى، بداية التأمر على الثورة والتصدي له، مغامرة اليخت² دينا³ والثورة تثبت أقدامها من خلال تحميل عبد الناصر المسؤولية والدس الرخيص بين أبناء الشعب العربي بالشمال الإفريقي بين ثورة 23 يوليو وقادتها والشعب

Mohamed harbi, *L'Algérie et son destin croyants ou citoyens*, medias associés alger1994, pp91-130, rabah bitat, "comment nous avons préparé le 1er novembre", *mejelet el naeb*, conseil populaire nationale, alger1979, pp1-16.

1 فتحي الديب، المصدر السابق، ص48.

2 اليخت يعني سفينة نزهة ينظر: جبور عبد النور، عبد النور عواد: *معجم عبد النور الوجيز، عربي - فرنسي*، دار العلم للملايين، ط16، بيروت لبنان 2008، ص588.

3 خديجة بوضياف، عبد القادر جيلالي بلوفة، "دور أحمد بن بلة في تسليح الثورة الجزائرية (ملحمة اليخت دينا نموذجاً)"، *المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية*، المجلد14، العدد02، جامعة سيدي بلعباس الجزائر، ديسمبر2022، ص234-253، جبلي الطاهر، "تسليح الثورة الجزائرية عبر الحدود الغربية خلال الثورة التحريرية (1962-1954)" *مجلة المصادر* العدد25، ص189-242، وينظر: بالي حسن، *ملحمة اليخت دينا، القصة الكاملة لواحدة من عمليات إمداد ثورة التحرير بالسلح*، ترجمة ومراجعة عبد المجيد بوجلة، تالة للنشر الجزائر2013، حمدادو محمد الهادي، *أضواء على حادثة يخت دينا ومركب أتوس*، دار جسور للنشر والتوزيع الجزائر2014.

وحول *الملكة دينا هي الشريفة دينا بنت عبد الحميد بن محمد عبد العزيز بن عون الرفيق*، تخرجت من جامعة كامبريدج وعملت أستاذة في *الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة* هي ملكة الأردن السابقة بصفتها الزوجة الأولى (1957-1955) لملك الأردن *الحسين بن طلال*، وهي والدة ابنته البكر *الأميرة عالية*. الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A7_%D8%A8%D9%86%D8%AA_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D9%8A%D8%AF

العربي في مصر مع محاولة التشكيك في نوايا المصريين والزج الذي لاستند لأي واقع لحركة الإخوان المسلمين في شؤون الكفاح المسلح¹ وسجل فتحي الديب تقشف بن بلة إيجار بيت بجنيهان فيه سرير وطاولة وكروسي وهي الروح الثورية الحقيقية من أجل شعب مطحون².

وفيما يخص الباب الثالث بعنوان: تقدير الموقف الأول بعد بدء الكفاح المسلح من خلال فصل واحد بعنوان الكفاح المسلح في الميزان، وفيه تناول الكفاح في تونس لكن في المغرب رفض محمد الخامس توقيع مراسيم الإصلاحات الفرنسية المزعومة فعزل يوم 19 آب أغسطس أوت 1953 ثم نفي اليوم التالي وفي الجزائر فتحت جبهة وهران مع جبهة مراكش (المغرب) في آب أغسطس أوت 1955 وفتح جبهة التوارق بالجنوب وهذا بعد هجومات الشمال القسنطيني في الداخل³.

والباب الرابع تحت عنوان: الإمداد بالسلح رغم اشتداد الرقابة الفرنسية في ستة فصول على التوالي يخت الأمير يرث يخت الملكة في التهريب، يخت

1 فتحي الديب، المصدر السابق، ص 61-87 وهذا من خلال علاقة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورثيلاني بالإخوان المسلمين والسيطرة على الطلبة لنشر أفكارهم ينظر: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة 1954-1964، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع الجزائر 1994، الفضيل الورثيلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى عين مليلة أم البواقي الجزائر 1992.

2 حول هذه الروح الثورية التي دافع عنها عميروش وعمر شيدوخ العيدوني ينظر: جودي أتومي: العقيد عميروش بين الأسطورة والتاريخ، مطبعة حسناوي الجزائر 2005، عمر شيدوخ العيدوني: مملكة الفلاحة، طبعة جديدة ومنقحة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة أم البواقي الجزائر 2011.

3 فتحي الديب، المصدر السابق، ص 88-115، موسى تواتي، رايح عواد: هجوم 20 أوت 55، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، الجزائر 1992، ومن خلال المنهجية يعتبر عيب منهجي حيث الفصول في الأبواب عبر متوازنة حتى ولو كان هذا الفصل تقيمي كما جاء في عنوانه ينظر أحمد شلبي: كيف تكتب بحثاً أو رسالة دراسة منهجية لكتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه، ط 9 مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1976، ص 141.

انتصار يحقق انتصاره الثاني، أول تشرين أول أكتوبر 1955 مولد وحدة الكفاح الجزائري المراكشي، يخت الحظ السعيد يخاطر من جديد، إحياء جبهة الكفاح بتونس من جديد وصالح بن يوسف يعبئ الشعب للكفاح المسلح من داخل تونس¹.

الباب الخامس بعنوان: 1956 عام الأحداث الجسام في 15 فصلا هي التوالي، ممثلو جيش التحرير للمغرب العربي يجتمعون بالقاهرة لوضع خطة مواجهة هجوم الربيع الفرنسي، تطور عمليات تهريب السلاح، قادة الكفاح بالأقطار الثلاثة يتعاهدون بالقاهرة على مواصلة الكفاح المسلح في وحدة متكاملة لتحقيق استقلال بلادهم، الإمداد بالسلاح ينتظم وصوله للجبهة الشرقية، عبد الناصر يطلب تقدير الموقف الكفاح بشمال إفريقيا في أواخر آذار مارس 1956، جوزين بيجارا يناور في أولى المفاوضات الفرنسية الجزائرية بالقاهرة، بن بلة يجتمع بالسلطان وولي عهده بمدريد، الشركة الشرقية للملاحة والتجارة في المعركة، عبد الناصر يقرر مواصلة مناصرة الكفاح الجزائري مهما كانت التضحيات².

توجيهات عبد الناصر واللقاء الأول بالأمر الحسن ولي عهد مراكش، الاستعمار الفرنسي يكشف عن حقيقة نواياه، الثورة الجزائرية تقع في المحذور،

1 فتحي الديب: المصدر السابق، ص116-140 ينظر حوار مع أحمد بن بلة، ج3، عثمان بخليلي، أحمد حمدي، فضائية الشروق حيث صرح أنه من أول نوفمبر حتى 22 أكتوبر 1956 لم تعطى للجزائر قطعة سلاح واحدة إلا من مصر.

2 فتحي الديب، المصدر السابق، ص166-251 وفي إطار سياسة التخاذل والعمالة للاستعمار ظهرت سياسة لا تكون فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين عبد الناصر لم يكن يقول هذا لا تكون جزائريين أكثر من الجزائريين المتخاذلين والعملاء للاستعمار من المصاليين والشيوخيين لذلك اعتقل بعضهم في القاهرة لكف ضررهم للجزائر مزغنة الشاذلي المكي ينظر: محمد الأمين بلغيث: الجزائر في باندونغ مذكرة الشاذلي المكي إلى المؤتمر، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع جيجل الجزائر 2007.

الشحنان الثامنة والتاسعة تأخذان طريقهما للمناضلين بينما عبد الناصر يؤم قناة السويس¹، مؤتمر 20 آب أغسطس أوت بوادي الصومام بداية مراحل الصرع الداخلي وأخيرا مغامرة أتوس المشؤمة².

الباب السادس بعنوان: اختطاف بن بلة وزملائه- نقطة تحول تاريخي في مسيرة ثورة الجزائر من خلال ثلاثة فصول على التوالي كيف تمت مؤامرة الاختطاف؟، الصدى العاجل لمؤامرة الاختطاف، والكفاح الجزائري في مهب الرياح العاصفة، حيث ذكر فتحي الذيب اختطاف بن بلة وليس بوضياف لأن القيادة المصرية تعرف بن بلة وتثق فيه أكثر كما ذكر المؤلف في بداية الكتاب وهي وجهة نظر مصرية صحيحة وواقعية ومن زاوية رجال سياسة ومخابرات عكس ما ذهب إليه الدكتور محمد العربي الزبييري أطل الله في عمره³.

الباب السابع: الثورة الجزائرية تدخل دائرة الابتزاز (السياسي والمالي الدولي) في ستة فصول هي على التوالي أمريكا تحاول التسلل من خلال الأمير، بورقبيبة يدلي بدلوه في المخطط الأمريكي الفرنسي، المهمة الغربية

1 لم يذكر فتحي الذيب العدوان الثلاثي على مصر 29 تشرين أول أكتوبر 1956 ومشاركة فرنسا فيه إلى جانب بريطانيا والكيان الصهيوني لأن عبد الناصر كان يدعم الثورة الجزائرية بشكل كبير في كل المجالات، وواصل هذا الدعم حتى بعد العدوان، لأن هذا الدعم للجزائر كان التزام قومي، وبالمقابل كثير من الجزائريين لا يذكرون هذا الدعم لأسباب سياسية وحزبية ضيقة ينظر: أمين هويدي: حروب عبد الناصر، ط2، دار الطليعة بيروت لبنان 1979، ص 47-120.

2 فتحي الذيب، المصدر السابق، ص 166-251 في هذه النقطة يورد الدكتور محمد العربي الزبييري أن المهندس اللاسلكي نيكولا كوكا فيسيس كان عميل المخابرات الفرنسية وهو السبب في اكتشاف أمر أتوس ينظر: محمد العربي الزبييري: قراءة في كتاب عبد الناصر وثورة الجزائر، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، ص 90، حمدادو محمد الهادي: أضواء على حادثة يخت دينا ومركب أتوس، دار جسور للنشر والتوزيع الجزائر 2014.

3 فتحي الذيب، المصدر السابق، ص 274-286، ينظر محمد العربي الزبييري، المرجع السابق، ص 93-

والفريدة والملعونة، صفقة السلاح الأولى من الكتلة الشرقية، لإمداد بالسلاح خلال النصف الأول من عام 1957، و عملية السفينة إخوان ايلوكس¹.

الباب الثامن: قيادة الثورة تتخذ من القاهرة مقر القيادة في ستة فصول على التوالي المؤتمر التحضيري لعام 1957 بالقاهرة، انعقاد المؤتمر الوطني للثورة الجزائرية بالقاهرة (أيلول سبتمبر 1957)، ما بعد قرارات المؤتمر الوطني الثاني بالقاهرة محاولات بورقوية وسلطات مراكش إجهاض الثورة عن طريق المفاوضات، الثورة الجزائرية تواجه أول مشكلة خارج حدودها باللجوء الجزائري لتونس ومراكش، إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة وأثره على مسيرة الكفاح الجزائري، ومحاولاتنا (مصر) لتهديب بن بلة وإخوانه من السجن بفرنسا².

الباب التاسع: تشكيل أول حكومة جزائرية من إثني عشر فصلا، على التوالي متى وكيف بدأ التفكير في تشكيل الحكومة، خطة تدمير خط موريس الفرنسي، الحكومة الجزائرية تتآمر على الثورة، انقلاب عسكري ضد الحكومة الجزائرية، قرار بن بلة وزملائه الإضراب عن الطعام لتحريك قضيتهم، عناصر الشر تنجح في الإيقاع بين القاهرة والحكومة الجزائرية، ثورة الريف والأطلس بمراكش، جهاز بوالصوف الإرهابي ومقتل عميرة علاوة، حكومة الجزائر تتراجع في موقفها من القاهرة لماذا؟، تأرجح الوزراء العسكريين ما بين تشكيل وزارة عسكرية أو الإبقاء على الوضع الحالي، مشروع ديغول ووضوح الكفاح

1فتححي الديب، المصدر السابق، ص301-334.

2 فتححي الديب، المصدر السابق، ص334-379.

الجزائري، والثورة الجزائرية في مهب الرياح¹.

الباب العاشر: الجنرال ديغول والثورة الجزائرية وصراع الزمن من اثنتي عشر فصلا على التوالي، المؤتمر القومي الجزائري يعقد بطرابلس بليبيا، الحكومة الجزائرية على مسرح الأحداث، بيان ديغول والمفاوضات، ما بعد المفاوضات ميلون (ميلان)، عبد الناصر يقرر نقلي (أي فتحي الديب) إلى وزارة الخارجية، مفاوضات إيفيان والسفر العاجل لسويسرا، بدء مفاوضات إيفيان، عبد الناصر يطالبني بالإجابة على أسئلة محددة، منظمة الجيش السري الفرنسي، أحداث ما قبل استئناف المفاوضات، ما توصلت إليه المفاوضات ومهمتي بالقاهرة².

الباب الحادي عشر الجزائر على طريق الاستقلال³ من عشرة فصول، الإفراج عن بن بلة ورفاقه والسلطات السويسرية توافق على التعاون، كيف تم تهريب بن بلة ورفاقه من الرباط إلى القاهرة؟؟، بن بلة ورفاقه في القاهرة من

1 فتحي الديب، المصدر السابق، ص379-448، عمر بوضرية: النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سبتمبر 1958-جانفي 1960، دار الحكمة للنشر الجزائر 2010، ص19 وما بعدها Tegui Mohamed, l'Algérie en guerre, office des publications universitaires, Alger 1988, p362.

2 فتحي الديب، المصدر السابق، ص465-540 وينظر: بن خدة يوسف: نهاية حرب التحرير في الجزائر، اتفاقيات إيفيان، تعريب لحسن زغدار، محل العين جبانلي، مراجعة عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1989، رمضان بورعدة: سياسة ديغول والثورة الجزائرية، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر 2008.

3 الاستقلال: مصطلح غير دقيق لأن الجزائر لم تكن يوما جزء من فرنسا وانفصلت عنها، وإنما كانت دولة في التاريخ القديم هي نوميديا من حدود قرطاج(القالة) إلى واد ملوشة (ملوية) وفي التاريخ الوسيط من مرسى الخرز(القالة) إلى واد ملوية إلى ورجلان وسدراته وما ورائهما والى ريغ وسوف وما ورائهما، وفي التاريخ الحديث بنفس الحدود ودولة عظمى تتسابق عليها الدول لإقامة علاقات دبلوماسية معها ينظر: مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر وهيتها الدولية قبل 1830 جزئين، دار البعث قسنطينة الجزائر 1986، مقال للدكتور محمد العربي الزبيري في جريدة الشروق الجزائرية يوم 5 جويلية 2012.

جديد، الموقف في فرنسا وتأثيره على القضية الجزائرية، أحمد بن بلة يسيطر على الموقف بالجزائر، الجنرال ديغول يختارني شخصيا للوساطة في إعادة العلاقات بين مصر وفرنسا، الصراع على السلطة وبداية التآمر على بن بلة، عبد الناصر يستدعيني إلى القاهرة للعمل وزيرا برئاسة الجمهورية، و تكلفني للقيام بالوساطة بين بن بلة وخيضر¹.

الباب الأخير الثاني عشر بومدين يطيح بن بلة ويسيطر على الحكم من فصلين الأول بعنوان أحداث ما قبل انقلاب بومدين والفصل الثاني انقلاب بومدين وكيف تم تنفيذه، حيث تحدث فتحي الديب عن عمل العقيد بومدين على الوصول إلى الرئاسة مند توليه قيادة أركان جيش التحرير، وذكر جوهر الخلاف هو تأسيس بن بلة لقوات الأمن الوطني منافسا للجيش الشعبي الوطني سليل جيش التحرير وهذه هي القطرة التي أفاضت الكأس².

خاتمة:

بحق كانت مصر الشقيقة الكبرى للجزائر وكان الرئيس جمال عبد الناصر الأخ الأكبر كما كان يسميه الرئيس والقائد أحمد بن بلة وهو ما دفع الاستعمار الفرنسي إلى المشاركة في العدوان على مصر يوم 29 أكتوبر 1956، ومازال الأعداء في الداخل والخارج يعملون على إبعاد الجزائر ومصر عن بعضهما البعض خدمة للأهداف الاستدمارية والصهيونية في الوطن العربي خاصة فلسطين أم القضايا العربية.

والكتب التي ألفها الأشقاء في مصر مصادر مهمة في دراسة تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، في مختلف الميادين العسكرية والثقافية

1 فتحي الديب، المصدر السابق، ص 543-628.

2 فتحي الديب، المصدر نفسه، ص 629-634.

والدبلوماسية في مواجهة الفرنسية، خاصة كتاب فتحي الديب الذي يزخر بالمعلومات عن الثورة الجزائرية في كل مراحلها من الاندلاع إلى استرجاع السيادة الوطنية.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- الإبراهيمي محمد البشير: في قلب المعركة 1954-1964 شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع الجزائر 1994.
- أتومي جودي: العقيد عميروش بين الأسطورة والتاريخ، مطبعة حسناوي الجزائر 2005.
- أحمد عمرو عمرو، أحمد عمرو عبد الرؤوف: أحمد بن بلة ابن شمال إفريقيا، سلسلة مذاهب وشخصيات، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، م صر 1963.
- بن بلة أحمد: حوار ج3 قناة الشروق الجزائرية، عثمان بخليلي، أحمد حمدي، قناة الشروق الجزائرية.
- حجازي أحمد عبد المعطي: ديوان أوراس، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة مصر 1959.
- حقي إحسان: الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، بيروت، لبنان 1961.
- حمدي حافظ، شراوي محمود: الجزائر كفاح شعب ومستقبل أمة، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة مصر (د ت).
- بن خدة يوسف: نهاية حرب التحرير في الجزائر، اتفاقيات إيفيان، تعريب لحسن زغدار، محل العين جبائلي، مراجعة عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1989.
- الخولي لطفى: عن الثورة في الثورة والثورة، حوار مع يومدين، منشورات التجمع الجزائري البومديني الإسلامي، دار الهدى للنشر والتوزيع عين مليلة، أم البواقي الجزائر (د ت).
- الديب فتحي: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط2، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، 1990.
- سعد زغلول فؤاد: عشت مع ثوار الجزائر...! دار العلم للملايين بيروت لبنان 1960.
- الشراوي عبد الرحمن: مأساة جميلة، أو مأساة جزائرية، مسرحية من الشعر الحر، دار المعارف القاهرة 1962.
- شعبان محمد حسين: 90 يوما في الجزائر: تاريخ الثورة الجزائرية في سطور، مطبعة نهضة مصر القاهرة مصر 1960.
- العقاد صلاح: الجزائر المعاصرة، معهد الدراسات العربية القاهرة مصر 1963.

- عبد الرحمن عواطف: الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985.
- العيدوني عمر شيدوخ: مملكة الفلاحة، طبعة جديدة ومنقحة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة أم البواقي الجزائر 2011.
- قاسم محمود: الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر 1979.
- هويدي أمين: حروب عبد الناصر، ط2، دار الطليعة بيروت لبنان 1979.
- الورتيلاني الفضيل: الجزائر الثائرة، دار الهدى عين مليلة أم البواقي الجزائر 1992.
- جمعية الأديباء: مع الثورة الجزائرية، القاهرة 1958، تقديم يوسف السباعي مقدمة ومراجعة عبد الرزاق قسوم، عالم الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2007.
- المراجع:**
- بالي حسن: ملحمة اليخت دينا، القصة الكاملة لواحدة من عمليات إمداد ثورة التحرير بالسلاح، ترجمة ومراجعة عبد المجيد بوجلة، ثالة للنشر الجزائر 2013.
- بورعدة رمضان: سياسة ديغول والثورة الجزائرية، رسالة دكتوراه، أشرف عبد الكريم بوالصفا، جامعة منتوري قسنطينة 2008.
- بوضربة عمر: النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سبتمبر 1958-جانفي 1960، دار الحكمة للنشر الجزائر 2010.
- بلغيث محمد الأمين: الجزائر في باندونغ مذكرة الشاذلي المكي إلى المؤتمر، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع جيجل الجزائر 2007.
- تواتي موسى، عواد رابح: هجوم 20 أوت 55، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، الجزائر 1992.
- حمدادو محمد الهادي: أضواء على حادثة يخت دينا ومركب أتوس، دار جسور للنشر والتوزيع الجزائر 2014.
- جبور عبد النور، عبد النور عواد: معجم عبد النور الوجيز، عربي - فرنسي، دار العلم للملايين، ط16، بيروت لبنان 2008.
- الزبييري محمد العربي: قراءة في كتاب عبد الناصر وثورة الجزائر، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.
- نايت بلقاسم مولود قاسم: شخصية الجزائر وهيبتها الدولية قبل 1830 جزئين، دار البعث قسنطينة الجزائر 1986.
- نايت بلقاسم مولود قاسم: ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر، دار البعث قسنطينة 1984.

- لميش صالح: مصر والثورة الجزائرية 1954-1962، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية 1986.

- يوسف محمد: الجزائر في ظل المسيرة النضالية المنظمة الخاصة، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال الجزائر 2002.

-Harbi Mohamed, l'Algérie et son destin croyants ou citoyens, medias associés Alger1994.

-Teguia Mohamed, l'Algérie en guerre, office des publications universitaires, Alger1988.

ثالثا: الدوريات:

- بوضياف خديجة، عبد القادر جيلالي بلوفة، "دور أحمد بن بلة في تسليح الثورة الجزائرية (ملحمة البخت دينا نموذجاً)"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد14، العدد02، جامعة سيدي بلعباس الجزائر، ديسمبر2022، ص234-253.

- جبلي الطاهر، "تسليح الثورة الجزائرية عبر الحدود الغربية خلال الثورة التحريرية (1954-1962)"، مجلة المصادر، العدد25، ص189-242.

- الزبيري محمد العربي، مقال في جريدة الشروق الجزائرية يوم 5جويلية2012

-Bitat, rabah, comment nous avons préparé le 1er novembre, Mejelet el Naeb,counseil populaire nationale,Alger1979.

رابعا: المواقع الالكترونية:

- أحمد عبد المعطي حجازي ويكيبيديا، الرابط.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B9%D8%A8 تاريخ التصفح: 2022/01/22م.

-الملكة دينا، ويكيبيديا، الرابط

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A7_%D8%A8%D9%86%D8%AA_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D9%8A%D8%AF

المحور الثالث

الثورة الجزائرية في الكتابات الفرنسية

الثورة الجزائرية في كتابات المناضل جاك شاربي Jacques Chabry
The Algerian Revolution in the writings of the fighter
Jacques Charby

كهد/ عبد القادر خليفي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

abdelkader.khelifi@univ-msila.dz

الملخص:

يتناول هذا المقال بالدراسة والتحليل، تلك المساهمة النضالية المتميزة التي قدمها الفنان جاك شاربي لصالح الثورة التحريرية الجزائرية، باعتباره أحد رجالات النخبة الفرنسية، ممن تحركت ضمائرهم لمناصرة الكفاح العادل للشعب الجزائري، في مواجهة الكولونيالية وممارساتها الهمجية حيث تحول إلى مناضل جبهوي بالقول والفعل، فانخرط بقوة ضمن شبكة حاملي الحقائق التي قادها المناضل والمفكر فرانسيس جونسون، وسخر نشاطه الفني للتعبير عن مواقفه الراضية لمنطق الحرب الظالمة، وعمل على تجنيد العديد من المناصرين، وبلغ إيمانه بالقضية الجزائرية، إلى حد أنه كان يرغب في التواجد بين صفوف المجاهدين على أرض المعركة.

لقد أظهرت تجربة شاربي، وهو يساند الجزائريين معنويا ولوجيستيا، قبل أن يقاسمهم آلام وعذابات السجن بعاصمة بلده، ويندمج كلية في وسطهم، ومن ثمة يتعرف عليهم بشكل أوضح، إلى أي حد نجحت الثورة التحريرية بمبادئها ومشروعيتها كفاحها، في استقطاب النخب الفرنسية والأوروبية ذات الكعب العالي واختراق جدار الاحتلال من الداخل، وإيصال صوت القضية الوطنية إلى الرأي العام الفرنسي، وإحداث حالة من النقاش والجدل حول حقيقة ما يجري في الضفة الجنوبية للتوسط زمن الحرب وما بعدها.

مقدمة:

لقد أحدثت الثورة التحريرية الجزائرية رجّة هائلة في الكيان المجتمعي الفرنسي، واستطاعت بفضل عدالة قضيتها ومشروعيتها كفاحها من جهة،

وتضحيات أبناء شعبها من جهة مقابلة، أن تتسلل بالتدريج، مستقطبة عقول وقلوب العديد من المثقفين الفرنسيين، بغض النظر عن مشاربهم الأيديولوجية، وقربهم أو بعدهم عن مصادر القرار السياسي في باريس، فقادتهم إلى إبراز مواقف متباينة، وأحيانا متصادمة، حيث تجرّد بعضهم من ثوب المنتورين ودعاة الحرية، وانتصروا لسياسة بلدهم، مناقضين ما تخطه أقلامهم عن مبادئ الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحاول نفر منهم التظاهر بالدفاع عن قيم التعايش، والدعوة إلى الاهتمام بالمشكلة الجزائرية، والاستماع إلى الصوت الجزائري، دون أن يتعدى الأمر إلى تجريم ممارسات قادة الاحتلال، ولم يساير فريق منهم عاطفته الوطنية، وانتصر لضميره ومبادئه، فلم يكتف بانتقاد إستراتيجية الإلغاء والتدمير المنتهجة، بل وقف موقفا مؤيدا بالقول والفعل، مناصرا لقيم الحرية والتحرر التي حملتها الثورة الجزائرية، فكان أن تحول هؤلاء إلى مناضلين جبهويين، ومواطنين جزائريين حقيقيين، حيث قادتهم مواقفهم الإنسانية الراضية للحرب الاستعمارية، إلى مقاسمة الجزائريين صنوف التعذيب والمطاردة، وفقدان جو الحرية، ولعل من تلك الأسماء العديدة التي خلدت في الذاكرة، يستوقفنا: مورييس أودان، وفرانسييس جونسون، وفرانز فانون، وأندري مندوز، وهنري علاق، وبيار شولي، وجاكليين قروج، وجاك شاربي، هذا الأخير الذي سيكون محور المعالجة في هذه الوقفة.

وإن من أهداف هذه الورقة تسليط الضوء على إنتاج هذا المثقف، وإيصاله إلى جمهور القراء والباحثين الجزائريين، ممن لم يتسن لهم بعد معرفته، والوقوف على أهمية وصدى تلك الكتابات التاريخية التي قدّم من خلالها صورة متعددة الأبعاد للكفاح التحرري الجزائري.

فمن هو المناضل جاك شاربي؟ وما هي الدوافع التي جعلته يحتضن

القضية الجزائرية؟ وما حقيقة الدور الذي لعبه ضمن شبكة جونسون؟ وما أهمية كتاباته التي جسدت نضاله لصالح الجزائر؟

1- جاك شاربي: الإنسان والمناضل

ولد جاك شاربي عام 1929م، بإحدى ضواحي سان دوني بالعاصمة الفرنسية باريس، وهو ينتمي لعائلة من الأقدام السوداء، فوالده من مواليد مدينة تلمسان، احترف فن التصوير، ونشط ضمن التيار اليساري، فكان من النقابيين الثوريين، لكنه تعرض للإقصاء من صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي في أواخر عام 1924م، فأسس بمعية بير مونات Pierre Monatte صحيفة " الثورة البروليتارية " ¹ la Révolution Proletarienne في شهر جانفي 1925م²، أما والدته المنحدرة من أصول يهودية، فقد كانت تشتغل في سلك التعليم، ونشطت خلال الحرب العالمية الثانية في صفوف المقاومة الفرنسية السرية، وكانت نهايتها مأساوية، فقد فضلت الانتحار عام 1941م حين أيقنت أنها على وشك الوقوع في قبضة الألمان، ووسط أجواء القبضة النازية على باريس، تمكن والده من تهريبه رفقة شقيقه، حيث رحل بهما إلى مدينة تولوز، وبعد تحرير هذه الأخيرة من القوات الهتلرية، تمكن جاك شاربي التلميذ بوساطة أندري توران André Thorent ، من ولوج عالم المسرح فأضحى ممثلا كوميديا، يعتلي الركح إلى جانب العديد من السماء اللامعة، على غرار دانيال

1 - للاطلاع على نشاطات المناضل الشيوعي والنقابي بيير مونات وأطروحات مجلة " الثورة البروليتارية " ينظر:

- Colette Chambelland, **Pierre Monatte, une autre voix syndicaliste**, Editions de l'Atelier, Paris, 1999.

2 - ماري بيار اولوا، فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصبية

سورانو Daniel Sorano، وجان ماري ريفيير¹ Jean-Marie Rivière، كان هذا الممثل الكوميدي إذن ومنذ نعومة أظافره، يعيش في وسط اجتماعي ميسّر، حدث أول اتصال له بالجزائر خلال عام 1953م، حيث احتك بعدد من الشبان، ممن التفوا حول الأستاذ أندري مندوز، وأطروحاته المناقحة عن حق الشعب الجزائري في التحرر²، وكان من بينهم الطالبة ألين بوفري Aline Bouveret أصيلة الجزائر، التي ستصبح زوجة له فيما بعد، حيث أسهمت بدورها في تعرف شاربي على العديد من الشخصيات النقابية والمسيحية المناضلة، أوربية وجزائرية، على غرار ألكسندر شولي Alexandre Chaulet، وببير شولي³ Pierre Chaulet، وقرينته كلودين شولي Claudine Chaulet، وأن ماري شولي Anne-Marie Chaulet زوجة القيادي صالح الوانشي⁴.

1 - Maitron, CHARBIT Jacques. Pseudonyme : Jacques CHARBY ; François, site : <https://www.maitron-en-ligne.univ-paris1.fr/spip.php?article19443>, consulté le 28/06/2019.

2 - Ibid

3 - بيار شولي (1930-2012م)، من مواليد الجزائر العاصمة، ينتمي إلى عائلة مسيحية كاثوليكية، حاز درجة الدكتوراه في الطب عام 1957م، ناضل في صفوف ج ت و منذ شهر ديسمبر 1954م، حيث تكفل بإيواء مناضلي الجبهة ونقلهم، وتوزيع المنشورات وعلاج المصابين والمرضى، تم توقيفه خلال العمليات القمعية التي أعقبت إضراب الثمانية أيام، حيث أودع سجن سركاجي، بعد طرده من الجزائر، التحق بتونس، حيث شارك في لجنة تحرير جريدة المجاهد في نسختها باللغة الفرنسية، منحت له الجنسية الجزائرية عام 1963م، وظل يمارس مهام مختلفة بالقطاع الصحي الجزائري، تعرض خلال العشرية السوداء للتهديد، مما اضطره إلى مغادرة البلاد عام 1994م صوب جنيف السويسرية. للمزيد حول حياته ينظر: رشيد خطاب، الخاوة والرفاق، ترجمة محمد رضا بوخالفة و نسرين لولي، دار خطاب، د.م، د.ط 2013م، ص ص 185-187.

4 - خالد بوهند، "النخبة الفرنسية المثقفة المناهضة للاستعمار"، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 06، سبتمبر 2013م، ص 57.

في عام 1954، عاد جاك شاربي إلى باريس، وقام بتقمص الدور الرئيسي للفيلم الذي حمل عنوان *J'ai 17 ans*، وكذلك فيلم *Les Oiseaux de Lune* للمخرج مارسيل أيميه *Marcel Aymé*، وقد اكتسح الفن الرابع، فاحتضنه مسرح *l'Atelier*، وأضحى شخصية شهيرة في الملهى الباريسي في سنوات الطفرة، وهكذا صنع حضورا لافتا، فأصبح ناشطا في كل مكان، حيث كتب ولعب بنجاح أدوارا عديدة، وقاد مسارا رائعا على شاشة التلفزيون¹.
لم يكن غارقا في مجال الفن وحسب، بل انخرط مع التنظيمات اليسارية، وقد قام بحملة قوية تثقيفية وترفيهية ضمن الكنفدرالية العامة للعمال *CGT*، وانضم إلى تجمع صغير لاتحاد اليسار الاشتراكي، الذي رأى بأنه واضح في مواقفه المعلنة بشأن قضية الاستعمار أكثر من الحزب الشيوعي الفرنسي *PCF*².

لقد روى جاك شاربي في كتابه "حاملو الأمل" *les Porteurs de l'Espoir*، متحدثا عن المؤثرات التي عززت قناعاته، بضرورة التصدي للظاهرة الكولونيالية وتجلياتها المقيتة، فأشار إلى أن الأديب كاتب ياسين، الذي تعرف على كتاباته أولا، ثم احتك به بشكل مباشر، قد أسهم في فتح عينيه على مساوئ الاستعمار، ولاسيما القمع الاستعماري المصاحب لأحداث ماي

1 -Mohammed Harbi, "Jacques Charby, comédien", site : https://www.lemonde.fr/disparitions/article/2006/01/06/jacques-charby-comedien_728156_3382.html, consulté le 22/10/2018.

2 - Maitron, CHARBIT Jacques. Pseudonyme : Jacques CHARBY ; François, site : <https://www.maitron-en-ligne.univ-paris1.fr/spip.php?article19443>, consulté le 28/06/2019.

1945م¹. وبالفعل، وبعد اندلاع الثورة التحريرية، وتطور أحداثها، التقى برجال من جبهة التحرير الوطني، وبعدد من الأوروبيين المؤيدين، وبصفته منخرطاً في اليسار الجديد، ومشاركاً في جريدة France- Observateur، فقد قام هذا الممثل بتنظيم عروض، وتوزيع منشورات سرية، وإصاق إعلانات ومع ذلك، فقد كان يتألم لهذا الشكل من الدعم، ويعتقد بعدم نجاعته، وعقب أحداث 13 ماي 1958م، كان أحد المعارضين لهذه الحركة التي وصفت بالفاشستية، حيث دعا إلى ضرورة إحلال السلم في الجزائر، والإقرار بحق الجزائريين في استقلالهم².

لقد خاطب شاربي أن ماري شولي، معلناً رغبته القوية في الالتحاق بمعازل المقاومة داخل الجزائر، الأمر الذي جعلها بحسب أحد الكتاب، تصاب بنوبة من الضحك، وهي تتأمل في بنيته الجسمية الضعيفة، مستغربة ذلك الالتماس الغريب المقدم لها في قلب باريس، حيث خاطبته بالقول: "إنك لا تكسب البنية الجسمية المناسبة، غير أن هناك شيء أفضل تفعله، إن فرنسيين يعملون مع جونسون، وسوف أدلك على الاتصال به"³.

فكان أن بادرت بربط الاتصال بينه وبين "فانسان"، وهو الاسم المستعار لفرانسيس جونسون، بواسطة "كاترين"، وهو الاسم السري لكوليت جونسون، وتم تحديد موعد اللقاء في حانة فندق "بون رويال"، على مقربة من دار النشر "غاليمار" Edition Gallimard، وسرعان ما حصل التوافق بين الرجلين،

1 - وكالة الأنباء الجزائرية، "سلام حديث جدا لجاك شاربي"، موقع:

www.djazair.com/aps/322174، تاريخ الاطلاع 2019/03/12م.

2 - هرفي هامون وبارتيك روتمان، حملة الحقايب المقاومة الفرنسية ضد حرب الجزائر، ترجمة كابوية عبد الرحمن وسالم محمد، طبعة خاصة، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص ص 145-146.

3 - المرجع نفسه، ص 146.

ليشرح بعدها في القيام بما طلب منه، واستعان في ذلك برفاقه في المسرح والتلفزيون، وهم زوجته آلين بوفيري، والممثلة سيسيل ماريون وجاك ريسبال، وبول كروشي، وجاك تريبوتا¹.

لم يكن شاربي متخفياً، بل استغل حركة تنقلاته رفقة مجموعته الكوميديّة، وسخّر التزاماته المسرحية والسينمائية في تعزيز شبكة جونسون، وفي هذا الصدد تدعمت الشبكة بفروع في ليون Lyon، وفيل إيربان Villeurbanne، وفي ديجون Dijon، ومرسيليا Marseille، وأثناء تصويره لفيلم برفقة رؤول سانغلا Raoul Sangla وآدو كيرو Ado Kyrou، تمكن من تجنيد العديد من الأعضاء، وهكذا تحول إلى مناضل نشط، قام بأدوار هامة في حركة ما يعرف بحاملي الحقائق، فكان يساعد في نقل الأموال والمنشورات والصحف بواسطة الحقائق الرياضية، كما تكفل بإيواء منتسبي الجبهة لدى معارفه، ومن ذلك، قيامه - بتوجيه من القيادي يوسف حداد² - بتحويل أحد الجرحى إلى منزل سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir³.

1 - ماري بيار اولوا، المرجع السابق، ص ص 127-128.

2 - حمادة حداد (1928 - 2015م)، المدعو يوسف، من مواليد عين مليلة بولاية أم البواقي، التحق بالفضال الوطني ضمن صفوف حزب الشعب عام 1946م، بإقليم قسنطينة، ثم انضم إلى المنظمة الخاصة، وبعد اكتشافها عام 1952م، ظل مطاردا حتى القي عليه القبض في مطلع نوفمبر 1954م، حيث حكم عليه بعام ونصف سجنا قضاها بين سجن سركاجي والبرواقية، بعد إطلاق سراحه، وبتوجيه من القيادي محمد مشاطي، التحق بفدرالية جبهة التحرير بفرنسا، فكان من إدارتها القيادية على المستوى المحلي ومن المهام التي باشرها التكفل بالاتصال المباشر بعناصر شبكة جونسون. ينظر:

- <http://www.ech-chaab.com/ar/الملفات-الأسبوعية/ملفات-خاصة/item/1357>, consulté le 22/08/2020.

3 - Maitron, CHARBIT Jacques. Pseudonyme : Jacques CHARBY ; François, site : <https://www.maitron-en-ligne.univ-paris1.fr/spip.php?article19443>, consulté le 28/06/2019.

تعرض شاربي للاعتقال في 20 فيفري 1960م، بتهمة التعاون مع جبهة التحرير الوطني ضمن نشاط شبكة فرانسيس جونسون، واقتيد بعد التعذيب إلى سجن فران، حيث قضى ما يناهز خمسة أشهر، تقاسم خلالها مع الجزائريين يوميات السجن، وهناك حرر كتابه الهام عن مجريات الحياة داخل أحد الأوكار الموحشة، وقد سماه "الجزائر في السجن"¹ L'Algérie en Prison، ولا شك أن التسمية تحمل مدلولات في غاية الأهمية، وقد نشرت جريدة المجاهد ترجمة لنسخته المخطوطة في عددها رقم 89، الصادر في 13 فيفري 1961م².

بعد المعاناة الصحية الجسدية والنفسية التي رافقت وضعه في السجن، تم نقله إلى مستشفى الطب النفسي في Ville-Évrard، وهناك تمكن من الفرار، حيث توجه إلى بلجيكا، فألمانيا وبعدها إلى إيطاليا لينتهي به المطاف في تونس، وعقب هذا الهروب، حكم عليه غيابيا بعشر سنوات سجنا وكان عليه أن ينتظر قرار العفو الصادر عام 1966م، قبل أن تطأ قدمه الأراضي الفرنسية من جديد، وفي خلال استقراره بتونس، أسهم في عدة نشاطات، حيث ذكر بتواضع: "لقد أنتجت برامج لراديو تونس وقمت ببعض المهمات لصالح الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وتعرفت على قادة جبهة التحرير الوطني، غير أن اللقاء الذي ترك بصماته أكثر على شخصيتي، كان لقائي بالمناضل فرانز فانون، الذي شجعني على الاهتمام بالأطفال اليتامى، بمساعدة الأطباء

1- صدر الكتاب أول مرة عام 1961م عن دار النشر Editions de Minuit، وقد ضم 110 صفحات، وقدم له المناضل الكبير أندري مندوز، وقد أعيد طبع الكتاب عام 2006م بالجزائر من طرف ANEP، وعلى الرغم من قيمته التاريخية فإن قراء العربية لا يزالون محرومين من نسخة مترجمة له.

محمد الصغير نقاش¹ وميشيل مارتيني² Michel Martini.

في 20 فيفري 1960م القي القبض على جاك شاربي رفقة والده في فون رومو Fon Romeu، كما طاولت التوقيفات العديد من الناشطين على غرار جيار ميير، وجانين كاهين وجاكلين كاري، وجون كلود بوبير، وميشلين بوتو، وجاك تريبوتا، ويول كروشي.

ومن حسن حظ الشبكة ويفضل الحواجز الفاصلة بين فروع هيكلتها، فان رئيسها جونسون لم يسقط بين مخالبا البوليس، علما بأن ملفاتها وأوراقها كانت كلها بيده، وهكذا وبعد فترة العمل السري دقت ساعة الشهرة، ذلك أن أخبار الشبكة قد شغلت الصفحات الأولى في جميع الجرائد وقد كانت صحيفة Paris- Presse l'Intransigent صاحبة السبق الصحفي، حيث كتبت في صدر صفحتها الأولى في عددها الصادر بتاريخ 26 فيفري 1960م، تحت عنوان جذاب: حداد حمادة يعترف: "هؤلاء الفرنسيون الذين أوقفتموهم هم أكثر التزاما بجبهة التحرير الوطني مني أنا"³، وبرأي محمد حربي، فإن حرب التحرير الجزائرية، قد قطعت المسيرة الواعدة لشاربي، الذي تحول للدفاع عن قيم الحرية والمساواة التي ترفعها الدولة الفرنسية كشعار، وتدوس عليها حيال

1 - محمد الصغير نقاش (1918-2010م)، أصيل أولاد ميمون بتلمسان، حائز عل درجة الدكتوراه في الطب بجامعة تولوز بفرنسا عام 1949م، مناضل في حزب الشعب، انخرط في الثورة التحريرية مبكرا، تولى الإشراف على تزويد الجبهة بالمعدات وتجهيز مراكز العلاج بالحدود التونسية، أول وزير للصحة في الجزائر المستقلة، كان من المعارضين لانقلاب 19 جوان 1965م مما كلفه السجن إلى غاية 1968م، بعيد الوفاة أطلق اسمه على المستشفى المركزي للجيش بعين النعجة بالجزائر العاصمة.

2 Maitron, CHARBIT Jacques. Pseudonyme : Jacques CHARBY ; François, site : <https://www.maitron-en-ligne.univ-paris1.fr/spip.php?article19443>, consulté le 28/06/2019.

3 - ماري بيار اولوا، المرجع السابق، ص ص 161-162.

الجزائريين في الواقع.¹

وفي مقال نشره شاربي عام 2005م، عقب إصدار هنري علاق "مذكرات جزائرية" أشاد فيه بالدور المتميز الذي لعبه هذا المناضل الشيوعي، الذي بفضلته تم الكشف عن الممارسات الفظيعة للتعذيب، غير أنه أبدى عدم مشاطرته لما أورده صاحب الكتاب بشأن مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي تجاه الثورة الجزائرية، حيث ذكر في تحليله بأن الحزب الشيوعي الفرنسي قد مارس ضغوطا على غير الشيوعيين، وأعطى مثلا عن ذلك، ما عرضته الصحفية إيزابيل فيشنيك، التي كانت مراسلة دائمة لصحيفة le Monde في جنيف لمدة خمسين عامًا، والتي أوضحت في حوار جمعها مع شاربي "أن موقف الحزب الشيوعي الفرنسي كان غير مفهوم، فقد زارها بعض قياداته، وأبلغوها بأنه يتعين عليها أن تتوقف عن استضافة الفارين!"، ويخلص شاربي، إلى أنه لطالما كان الشيوعيون بطيئين في التعرف على أخطائهم، مضيفا بأن شعارهم "السلام في الجزائر"، لم يكن يعني استقلال الجزائر مختتما بالقول: ألم يحن الوقت لوضع حد لـ "حكايات وأساطير PCF"².

وعن مدى وعي جاك شاربي ورفاقه بجسامة المهام وخطورة الموقف جراء انضمامهم إلى الشبكة، يؤكد فرانسيس جونسون: "أن حملة الحقائق كانوا على وعي تام بالأخطار التي يعرضون لها أنفسهم، وكانوا يدركون جيدا أن وجودهم سينقلب إلى الأبد، وأن حياتهم المهنية ستكون معلقة بين قوسين، وأنهم

1 - Mohammed Harbi, « Jacques Charby, comédien », site : https://www.lemonde.fr/disparitions/article/2006/01/06/jacques-charby-comedien_728156_3382.html, consulté le 22/10/2018.

2 https://www.lemonde.fr/idees/article/2005/11/04/henri-alleg-une-memoire-algerienne-communiste-par-jacques-charby_706547_3232.html, consulté le 24/03/2020.

سيلتزمون بشروط العمل السري الصارمة، ومنها البعاد والانفصال عن الأسرة والأصدقاء... فكانوا على استعداد للتضحية بأنفسهم في سبيل خلاص فرنسا و"صون شرفها"¹.

لقد أظهر اكتشاف الشبكة وطول مدة المحاكمة مدى انشغال الصحافة والرأي العام بقضية الحرب في الجزائر، التي تحولت إلى هاجس كبير للدولة الفرنسية، لاسيما مع انقسام المجتمع الفرنسي واتساع ظاهرة الفرار من الخدمة العسكرية، الأمر الذي دفع بالجنرال ديغول إلى دعوة قادة جبهة التحرير الوطني إلى الحوار في شهر جوان 1960م، والتصميم فيما بعد على تسريع وتيرة حل القضية بطريقة سلمية².

2- شاربي والتأريخ لأحداث الثورة الجزائرية

–الأعمال السينمائية المخددة للثورة: يعتبر فيلم "سلام فتي" Une si jeune paix الذي أخرجه جاك شاربي، مجسدا لاستمرارية وتنوع معركة هذا المناضل الصلب، من أجل مناهضة وكشف التدايعات التي خلفتها الحرب الاستعمارية الظالمة، فقد أنتج هذا الشريط، الذي يعد أول فيلم روائي عام 1964م، وقد تقاسم البطولة في أدواره مجموعة من الأطفال الحقيقيين، من أبناء الشهداء، إلى جانب نخبة من الفنانين³، الذين تألقوا لاحقا في الساحة الفنية الجزائرية، وقد تناول هذا العمل بالمعالجة معاناة هذه الشريحة من الأطفال، حيث رسم

1- ماري بيار اولوا، المرجع السابق، ص 173.

2 - عبد الله مقلاتي، "المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية: فرانسيس جونسون نموذجا"، مجلة المصادر، العدد 21، جوان 2010م، ص 257.

3 - <https://maghrebdesfilms.fr/une-si-jeune-paix.html>, consulté le 11/01/2020.
- نذكر من بينهم: حسن الحسني (1916-1987م)، المعروف في الأوساط الفنية باسم بويقرة، وعائشة عجوري (1916 - 2010م)، المسماة كلثوم، والحاج محمد العنقا (1907 - 1978م)، واسمه الحقيقي

صورة متكاملة لما تحمله ذاكرة هؤلاء عن بشاعة الحرب التي تسببت في فقدانهم الأمن الوجداني وحرمانهم من مقاسمة أترابهم على المستوى العالمي التمتع بلحظات الحياة الحلوة، حينما وجدوا أنفسهم يكتفون باللعب داخل أسوار مركز أبناء الشهداء لعبة الحرب بدل الاستمتاع بالسلام¹، وقد حصد هذا الفيلم جائزة في مهرجان عقد بالعاصمة السوفياتية موسكو عام 1966م².

- كتاب الجزائر في السجن _ L'Algérie en Prison: عرض لنا

المناضل جاك شاربي لوحة عن يوميات نزلاء سجن فرين Fresnes، متحدثا عن تلك الأجواء التي تجمع هؤلاء كل صباح، حيث كتب: "والغريب أنك عندما ترى مظاهر الابتهاج على وجوههم في لحظة اللقاء، يخيل إليك أنهم لم يجتمعوا منذ ستة أشهر... يستمعون بعد النشيد الوطني، إلى نشرية الأخبار، التي تحررها لجنة الصحافة، ويساهمون في مناقشات، تزيد المناضل تكويننا وإعدادا، وهذه النشرية، عبارة عن صحيفة حقيقية، تكتب بخط اليد، في عدة نسخ، على عدد الأمكنة التي يجمع فيها المساجين في ساحة الراحة"³.

لقد أبدى شاربي إعجابه بطبيعة التكوين الثقافي الذي يمارسه المساجين بأنفسهم، فتحدث مثلا عن الدروس التي كانت تقدم في مجال اللغة الفرنسية،

محمد إيدير آيت أوعراب، ويلقب برائد الأغنية الشعبية، الذي تولى وضع موسيقى الفيلم، إلى جانب الفرنسي Pierre Jansen.

1 - بوداود عمير، "أول فيلم جزائري بعد الاستقلال"، موقع: www.nafhamag.com/2017/01/13/، تاريخ الاطلاع 2019/03/09م.

2 - Mohammed Harbi, « Jacques Charby, comédien », site : https://www.lemonde.fr/disparitions/article/2006/01/06/jacques-charby-comedien_728156_3382.html, consulté le 22/10/2018.

3 - عبد القادر خليف، "تجليات الثورة الجزائرية في السجون والمعقلات الاستعمارية 1954-1962م"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 22، جامعة حمة لخضر، الوادي، سبتمبر 2018م،

وكان توقيتها منتصف الليل في شهر ماي 1960م، حيث كتب: " حضرت درسا في الفرنسية في درجة السنة السادسة، فرأيت شابا جزائريا بسط لهم الدرس في السبورة، ويعلمهم كيف يكتبون الرسائل والطلبات البسيطة من غير أخطاء، ثم أملى عليهم مثلا، وكان الحاضرون الـ 13 يكتبون ما يملي عليهم باهتمام بالغ، وعناية فائقة فتأملت تلك الرؤوس المنحنية، وفي أولئك الرجال التلاميذ، ثم ابتسمت عندما تذكرت ما تكتبه عنهم الصحف اليمينية: إرهابيون وقطاع طرق" ¹.

وفي سياق استعراضه للأنشطة التوعوية والتنظيمية المنعقدة بالسجن، ذكر بأن مسؤولي المساجين الجزائريين كانوا يعقدون الاجتماعات دوريا في الساحة، ولم يكن ذلك سريرا، فقد نجح هؤلاء في انتزاع هذا الحق من إدارة السجن، ولفت إلى أجواء الديمقراطية بالقول: " هذه الاجتماعات أكدت لي بكيفية ناطقة واضحة صارخة، أن هذا الشعب الجزائري، يطمح إلى ديمقراطية يكون فيها لكل واحد حق الكلام وحق التعبير، ولكل واحد فيها ميزانه واعتباره" ². ولعلّ الخلاصة التي عرضها شاربي، عن دور تلك السجون والمعتقلات في خدمة أهداف الثورة، تمثل أحسن اعتراف، فقد كتب في هذا الصدد: " في هذا السجن، اكتشفت الشعب الجزائري الذي لم تتضح لي حقيقته بمثل هذا الوضوح قبل دخول السجن... لم أعرف من قبل الجزائريين كشعب بمثل هذه القوة... لقد عشت معهم في السجن نحو خمسة أشهر، ولن أتأسف على هذه

1 - قسم التحرير، "جاك شاربي اكتشفت الجزائر في السجن"، المجاهد، العدد 89، 13 فيفري 1961م، ص 09.

2 - قسم التحرير، "جاك شاربي اكتشفت الجزائر في السجن"، المجاهد، العدد 89، 13 فيفري 1961، ص 9.

التجربة...هل أتحمل يا رفاق من غير أن أعلن صراخي وثورتي وسخطي على أقوال الصحافة الفرنسية، وهي تجرؤ على اتهام الخمسين ألف جزائري، المعتقلين في السجون والمحتشدات، بأنهم لم يخطرطوا في الجبهة إلا طلبا للخبز، أو حبا في الدماء"¹.

بشاطر شاربي هذه النظرة حول مكانة المساجين، ودورهم في التعبير عن الوحدة الثورية المناضل هنري علاق، الذي كتب يصف الأوضاع من داخل السجن، حيث كان يتقاسم مع الجزائريين ذات الوضع: "كان السجن صورة مصغرة للجزائر التي كانت ماضية في دربها نحو الحرية...لم يعد أحد يبدي استغرابا، إذ أصبح التزام شعب بأكمله...يعود الفضل في هذا الانسجام إلى الحماس الديني، فأغلبية المساجين هم في الغالب من أصول ريفية، كان إيمانهم عميقا، فهم يحاربون من أجل الحرية، إيمان لا ينفصل عن قضية الاستقلال، وهو ما يعني أيضا الشجاعة والأخوة والتضامن والافتخار بالانتماء إلى ثقافة وحضارة تتكالب الهيمنة الاستعمارية على تجاهلها، فقد كان في السجن الإسلام، والتسامح، والانفتاح"².

- كتاب حاملو الأمل: شبكات دعم جبهة التحرير خلال حرب الجزائر. الفاعلون يتحدثون.

les porteurs d'espoir :les réseaux de soutien au FLN pendant la guerre d'Algérie : les acteurs parlent.

في عام 2004، أصدر "حاملو الأمل" عن دار النشر "لاديكوفارت" في فرنسا، وكان عبارة عن شهادات من أوروبيين وضعوا أنفسهم تحت تصرف

1 - المصدر نفسه، ص 09.

2 - هنري علاق، مذكرات جزائرية، ترجمة جناح مسعود وعبد السلام عزيزي، دار القصبية للنشر الجزائر، طبعة خاصة، 2007م، ص ص 257-259.

الثورة الجزائرية، وأسهموا فيها بقدر استطاعتهم، ومع أنّ ما قدّمه هؤلاء شكّل دعماً قوياً وحاسماً للثورة في بعض الحالات، فإنّ جاك شاربي، قد قال وبتواضع نادر في آخر أيامه: "أعتقد أننا لم نفعل غير أشياء بسيطة ومتواضعة، بعيدة عن جحيم الحرب ورعبها اليومي...كنا مندفعين لإنجاز مهام فرضت نفسها على الواقع ليس إلا"¹. لقد جمع هذا الكتاب زهاء 63 شهادة لقدماء أعضاء شبكات دعم جبهة التحرير الوطني بأوروبا، الذين كانوا ينشطون على مستوى فرنسا وبلجيكا وسويسرا والمشكلين من نساء في حدود 38%، ورجال في حدود 62%، ينتمون إلى شرائح مختلفة اجتماعية وثقافية وأيديولوجية، فمنهم مثقفون، وطبقة وسطى، وبروتستانت، ويهود، وكاثوليك، وشيوعيون وقد كانت دوافعهم سياسية بل ربما أخلاقية في المقام الأول². وفي التحليل الذي قدمه شاربي للعينات التي استجوبها من الفاعلين، لاحظ أنّ عدد المنخرطين من الموظفين والعمال كان محدودا، على عكس المثقفين ولاسيما الصحفيين والأساتذة والكتاب علاوة على أعداد من الفنانين، كما أنّ التركيبة العمرية قد شملت كل الفئات من الشباب إلى الكهولة تحركهم دوافع مختلفة، إما التزاما بالنضال الحزبي لأولئك المنتسبين إلى التيار الشيوعي والاشتراكي والتروتسكي، أو ممن تأثروا بأحداث الحرب العالمية الثانية، وجاءت الفئة الثالثة تضم الشبان المتأثرين بأجدادهم أو ممن جرى تجنيدهم في هذه الفترة³. وفي سياق حديثه

1 - ناصر الدين السعدي، "فرنسيون حاربوا ظلم بلادهم"،

موقع: www.al-akhbar.com/Arab/246591، تاريخ الاطلاع 2020/02/18م.

2 - Gilbert Meynier, "les porteurs d'espoir :les réseaux de soutien au FLN pendant la guerre d'Algérie : les acteurs parlent" Site: <https://www.monde-diplomatique.fr/2004/10/MEYNIER/11617>, consulté le 11/09/2018.

3 - أحمد منغور، موقف الرأي العام من الثورة الجزائرية 1954 - 1962م، مذكرة ماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006م، ص ص 181-182.

عن عملية الانخراط في الشبكة أشار شاربي إلى أن المنخرطين قد توزعت انتماءاتهم الفكرية والأيدولوجية، ولعل ما استوقفه في نوعية المتعاطفين والمساندين كان مشاركة عدد من رجال الدين، وقد فسر دعمهم من منطلقات دينية، حيث قال: "في نفس التنظيم وقف رجال الدين المسيحيين من المذهبين الكاثوليك والبروتستانت، إلى جانب أفراد من التيارات الأخرى، لأن الإنجيل يحض على ضرورة تقديم الحماية والمساعدة للجزائريين الذين يعانون الظلم والطغيان"¹.

- كتاب أطفال الجزائر: les Enfants d'Algérie

يتطرق الكتاب إلى واقع الأطفال الجزائريين اللاجئين بتونس، حيث تشير الإحصائيات إلى أن زهاء 150 ألف جزائري قد عبروا الحدود الشرقية، واستقروا بتونس بين سنوات 1957-1962م حيث مثلت الشريحة الأقل من 15 عاما ما يناهز 50% من المجموع، وقد تلقى هؤلاء الرعاية اللازمة من الأطباء والهلال الأحمر التونسي، وقد قام جاك شاربي بجمع شهاداتهم وقصصهم المؤلمة ورسوماتهم في كتاب صدر لأول مرة بإيطاليا عام 1961م عن دار النشر إينودي Edition Einaudi لصاحبها جيوفاني بيريللي Giovanni Pirelli، ثم أعيد طبعه من طرف دار النشر ماسبيرو عام 1962م، وبالرغم من أنه صدر بعد نهاية الحرب، غير أن تعرض للمنع من التداول ومع ذلك، فقد تحدى العديد من أصحاب المكتبات قرار الحظر، وقاموا بتسويق نسخ محدودة منه².

1 - فاتح زياني، مساهمة فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا في الثورة التحريرية 1954 - 1962م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعة بانتة1، 2015 - 2016م، ص ص 271-272.
2 - <https://www.histoirecoloniale.net/Une-exposition-Enfants-algeriens-refugies-en-Tunisie-1957-1962.html>, consulté le 05/02/2020.

وجاء في تصريحات لمدير دار النشر "لا ديكوفارت"، بأن شاربي قد اتصل به عام 2002م، حيث كان ينوي إعادة نشر كتابه الذي كان قد نشره تحت اسم مجهول عام 1962م وحمل عنوان "أطفال الجزائر" les Enfants d'Algérie، وهي مجموعة شهادات حية وهامة لعدد من الأطفال، تولى جمعها بنفسه في مخيمات اللاجئين الجزائريين بتونس والمغرب، خلال عامي 1961م و1962م، حيث تولت دار النشر فرنسوا ماسبيرو¹ طبعتها وقتئذ²، لكن الكتاب تعرض للمصادرة والمنع من التداول.

لقد أشاد فرحات عباس عبر نشرية "حقائق ضد الاستعمار Vérités Anticolonialistes" في عددها التجريبي الصادر في شهر سبتمبر 1960م بشبكة جونسون حيث ذكر: "كان نضال شبكة جونسون مفيدا للغاية بالنسبة للطرف الجزائري، لأنه وضع كفاحنا في سياقة الحقيقي، باعتبار أنه كفاح ضد النظام الاستعماري، وليس ضد الشعب الفرنسي... ولقد برهن هؤلاء الفرنسيون، الذين قدموا لنا يد المساعدة بالأفعال الملموسة، أنه في الإمكان إقامة تعاون سلمي مستمر بين الشعبين الجزائري والفرنسي"³.

1 - دار النشر فرنسوا ماسبيرو François Maspéro شرعت في العمل عام 1959م، أسهمت في نشر العديد من الأعمال المتعلقة بالثورة الجزائرية، شارك صاحبها في توقيع بيان الـ 121 الشهير بتاريخ 06 سبتمبر 1960م، بمناسبة محاكمة شبكة فرانسيس جونسون، حيث تحدث عن دوافع قيامه بذلك، فذكر: "مهمتي هي تقديم الدعم واللجوء والحماية للمكافحين الجزائريين لقد ساندت جبهة التحرير في مكتبتي، وجمعت أكبر عدد ممكن من الوثائق حول الجزائر، ونشرت كتابا ممنوعة رغم المضايقات المستمرة خاصة الحجز والاعتداءات، فكيف لا أوقع؟ والحقيقة أن المحفز الأول لكل هذا، هو مفارقة ويتمثل في الوطنية!". للمزيد حول نشاطات هذه الدار ينظر: أحمد منغور، المرجع السابق، ص ص 178-179.

2 - François Gèze, " Jacques Charby, un juste ", Site: <https://algeria-watch.org/?p=62452>, consulté le 04/06/2018.

3 - ماري بيار اولو، المرجع السابق، ص ص 196-197.

لم تنكر الجزائر أبدا نضال بعض المثقفين اليساريين الفرنسيين، الذين ساهموا بإمكاناتهم المتواضعة والفعالة لتحقيق السلام في الجزائر، وقد حمل كتاب "تشریح حرب" لفرحات عباس ما يعكس الإقرار والاعتزاز بهؤلاء، حيث كتب: "رجال يقطعون سياسة السكوت ويساندون ويحتجون ضد الحرب القائمة في الجزائر، ويؤيدون المفاوضات والسلم... فهناك صحافيون على الرغم من المخاطر التي تنقلهم يضعون أقلامهم في خدمة الجزائر ويدافعون على تحريرها"¹، وقد اعترف عمر بوداود، الذي ترأس فدرالية جبهة التحرير بفرنسا بين سنوات 1957-1962م بأن هذا التنظيم لم يكن بإمكانه أن يؤدي مهمته بمثل تلك الفعالية، لولا سند الشبكات، فقد كانت الجبهة ستواجه عقبات حقيقية، حيث أن عملها كان يتوقف على السرية، وهي مرتبطة بالدعم المتوفر في عين المكان².

ويذكر ذات القيادي في سياق تعليقه على مواقف النخب الفرنسية المساندة للثورة ودوافعها إلى القيام بذلك، بأن الأسباب التي دفعت جونسون إلى تكوين الشبكة المشهورة، واعتناق القضية الجزائرية، هو حرصه على ألا يرى الجزائريون في الفرنسيين أعداء دون تمييز، حيث صرح له بالقول: "لست معكم باعتباري مناضلا في الجبهة، وإنما وفاء لفرنسا الخالدة، ولمثلها في الحرية والعدالة والديمقراطية"³، وهي لا شك أحاسيس يتقاسمها مع كافة معاونيه ومنهم جاك شاربي.

1 - عبد المجيد عمراني، جون بول سارتر والثورة الجزائرية، مكتبة مدبولي، دم، دط، دت، ص 176.

2 - عمر بوداود، من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني مذكرات مناضل، ترجمة أحمد بن محمد بكلي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 144-145.

3 - المصدر نفسه، ص 138.

خاتمة:

لعلّ ما يمكن الوقوف عنده في ختام هذه المحاولة العلمية، أن الثورة الجزائرية بطابعها التحرري، وأبعادها الإنسانية، وبما حملته من قيم مختلفة، وما تعرضت له من أعمال قمعية وعمليات ممنهجة للتعذيب، قد حرّكت الضمائر الحية، ونجحت في استقطاب العديد من المثقفين والمنتورين الفرنسيين، لاسيما منتسبي التيار اليساري، الذين وقفوا مناصرة لقيم العدالة وتقرير المصير، وانتصروا لمبادئهم، ولأفكار ثورة 1789م، على حساب إستراتيجية حكومتهم، فلم يكتفوا بحملات الاستنكار وتعرية الفضاء الكولونيالية بأفلامهم وأصواتهم، بل تحوّلوا مجازفين بكل مستقبلهم، وأحيانا بحياتهم إلى مناضلين ميدانيين، أسهموا في تقديم دعم لوجستيكي بالغ الأهمية، مكّن الثورة من تحقيق اختراق هائل للوسط الفرنسي، والقيام بأنشطتها الدعائية والنضالية بكل سلاسة، ولعل في مسيرة الفنان شاربي، ما يعكس تلك الروح التي خلقتها الثورة، حينما آمن بمشروعيتها العديد من أبناء المحنل.

الثورة الجزائرية في كتابات جاك سيمون البدايات والمآلات 1962/1954

ك.أ.د/ أحمد مسعود سيد علي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ahmedmessoud.sidali@univ-msila.dz

مقدمة:

تعددت الكتابات حول قضايا شائكة تخص التأريخ للثورة التحريرية، خاصة الكتابات الفرنسية بكل تمظهراتها وتموقعاتها على الخارطة الأيديولوجية، ومن بين هؤلاء نجد كاتب فرنسي ذو أصول يهودية، له مؤلفات عديدة ومتنوعة، فخاض في نشأة الأحزاب الوطنية وأرخ لشخصيات وطنية على غرار مصالي الحاج ومصطفى بن بولعيد.

ومنه نطرح إشكالية: كيف كان منحى الكتابة حول تاريخ الثورة التحريرية في كتابات جاك سيمون، وخاصة في أهم المنعطفات، والخلافات بين الإخوة الأعداء بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية؟ وما هي الآليات والأدوات البحثية التي وظفها لاستقراء إرهابات ومآلات الصراع على الساحة الجزائرية؟

1. تقديم الكاتب وأهم مؤلفاته:

ولد جاك سيمون بتيارت سنة 1933 وتوفي في 31 أكتوبر 2019 وهو من يهود الجزائر، كان من مؤسسي الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين، ومناضل في الحركة البربرية وعمل صحفي بالجزائر بعد الاستقلال له العديد من المؤلفات منها: كتاب حول مصالي الحاج، وكتابتان يؤرخان لنجم شمال

إفريقيا وحزب الشعب الجزائري، ومؤلف حول حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، كتب أيضا حول مجزرة ملوزة والجزائر في الحرب العالمية الثانية، وله مؤلف تحت عنوان: الجزائر الثورة المخادعة 1954-1958، وكتب أيضا عن شخصية مصطفى بن بولعيد، ويقول جاك سيمون عن نفسه: إن أصولي المغاربية لا تجعلني مختلف عن الفرنسيين، وكل أعمالي وتصرفاتي لا يجب أن تموضعي في موضع خارج عن دائرة كوني فرنسي¹.

2. قراءة في كتابات جاك سيمون:

1.2. ميصالي يحضر لحرب الاستقلال:

في مدينة شانتيي Chantilly من سنة 1951 تحاور ميصالي مع أصدقائه حول وجوب بداية التحضير للعمل المسلح من أجل استقلال الجزائر، وفي سبتمبر 1951 أدى ميصالي مناسك الحج رفقة الشاذلي المكي، حيث كانت لهم لقاءات مع الملك ابن سعود الذي وعدهم بمساندة القضية الجزائرية في الأمم المتحدة²، وفي 18 جانفي 1952 في شانتيي التقى ميصالي بالزعماء المغاربة حسب جريدة Le Cri du peuple الصادرة سنة 1990 وهم: الحزب الدستوري القديم بقيادة فرحات صالح وأحمد بن ميلاد والقبليي، ومن الحزب الدستوري الجديد نجد محمد المصمودي، ومن الجبهة الوطنية التونسية، ومن العلماء الشيخ خير الدين والشيخ عباس ومن جماعة فرحات عباس، بومنجل وبن عجيلة، ومن المغرب سي المكي الناصري واليوسفي بن سالم، وبحضور مزغنة ولحول حسين³، هذا ما يظهر سعة وأفق ميصالي في البحث عن حل

1-Jacques Simon, Mostafa Ben Boulaid, le promoteur de la révolution algérienne, L'Harmattan, Paris, 201, p 199.

2- Jacques Simon, Algérie la révolution trahie 1954-1958, L'Harmattan, Paris, 2018, p 45

3 - Jacques Simon, Algérie la révolution trahie..., Op, Cit, p 46.

للقضية الجزائرية من داخل فضاءها المغاربي. وكان مصالي يحث الجزائريين على الانخراط بقوة في الحركة النقابية، فالنضال من أجل الحرية يبدأ في المصانع والمناجم والموانئ...، وقد تكرر هذا في اجتماع فديرالية فرنسا لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية بفرنسا بتاريخ 16-17 فيفري 1952. وفي اجتماع لحركة الانتصار الحريات الديمقراطية الثاني بتاريخ 4-5-6 أبريل 1953 تم تحديد تسعون نقطة منها إعادة تشكيل المنظمة الخاصة وإنشاء نقابة مستقلة عن النقابات الفرنسية¹.

ولقد علق مصالي الحاج بعد هزيمة ديان بيان فو: "إنه حدث ذو أهمية تاريخية في الحياة الدولية لما بعد الحرب، ولكفاح الشعوب المضطهدة من أجل تحررها، وهي تبرز لنا بوضوح أن القوة العسكرية ليست هي العامل الوحيد لتحديد الانتصار"، وفي جريدة *Algérie libre* ليوم 29 ماي 1954 كتب مصالي يدعوا الجزائريين للانتقال إلى الخيار العسكري الذي يجب أن يتم الاعداد له في أقرب وقت، ولقد كانت القصة ومنطقة القبائل معاقل تجدر فيها الفكر المصالي².

يسترسل جاك سيمون ويقول: توافقا مع قرارات مؤتمر هورنو فإن المكتب السياسي لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية أخذ في الحساب التحضير للثورة، ففي جويلية وأوت 1954 المصاليون يحضرون للثورة باسم حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية، أما المركزيون فهو جهاز دخل في مواجهة مع أنصار مصالي الحاج واللجنة الوطنية الثورية الجزائرية CNRA³.

1- Jacques Simon, Ibid, pp 54-55.

2 - Jacques Simon, Ibid, p 78.

3 - Jacques Simon, Ibid, p 98.

أما لحول ومحمد يزيد فقد ذهبا للقاهرة في أوت 1954 ليطلبا من خيضر وآيت أحمد وبن بلة تأجيل الكفاح المسلح وانطلاق الثورة، لكن آيت أحمد وأصدقائه صمتوا عن ذكر وقت بداية الثورة الذي تم هندسته مع فتحي الذيب وجمال عبد الناصر الذان كان لهما اليد الطولى في تحديد وقت انطلاقة الثورة¹

2.2. تشكيل قوة ثالثة:

تأسست القوة الثالثة بعد أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وكان الصراع على أوجه بين المصاليين والمركزيين، وقد حمل بوضياف مصالي تأزم الوضع في الحزب، هذه القوة تشكلت تحت غطاء الدعم المصري بقيادة جمال عبد الناصر، وينقل لنا جاك سيمون تصريح محمد خيضر في أوت 1962 الذي قال فيه بأن العالم علم بالثورة من القاهرة²، مع إظهار أن بوضياف علاقته مع مصالي كانت عدوانية³، ولقد كان بن خدة يردد باستهزاء: هل مصالي ديمقراطي؟ هل هو جمهوري؟ وهل مصالي ثوري؟⁴ ويعطينا سيمون مقارنة بين شخصيتين بارزتين وهما فرحات عباس مؤسس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، الذي كان يطالب بجزائر جديدة حرة متحدة مع فرنسا الجديدة⁵ وبن خدة، فالأول يختلف مع مصالي سياسيا لكن لم يتعدى عليه لفظا، فهو برجوازي مثقف ومتحضر عكس بن خدة أمين عام يسير جهاز بيروقراطي⁶.

1 - Jacques Simon, Ibid, p 93.

2- Jacques Simon, Algérie la révolution trahie..., Op, Cit, p 81.

3- Jacques Simon, Ibid, p 75.

4 - Jacques Simon, Ibid, p 97.

5- Jacques Simon, Ibid, p 13.

6 - Jacques Simon, Ibid, p 100.

3.2. تفجير الثورة في قراءة جاك سيمون:

يسرد جاك سيمون تفاصيل الثورة بالاعتماد على أرشيف الصحف، ومصادر لرجال الات كان لهم دور في ذلك، وكتابات فرنسية مع غياب شبه كلي في كتبه للمصادر الأرشيفية، وفي بعضها يغيب المصدر الأصلي خاصة مقالات الجرائد ويعود للمصدر الثانوي، حيث يقول في نهاية جويلية 1954 مسؤولي اللجنة الوطنية للثورة الجزائرية CNRA يجتمعون لتنفيذ قرارات مؤتمر هورنو والتحضير للثورة، ففي 15 أوت 1954 تم اجتماع مكتب CNRA في بير خادم لدراسة رسالة مصالي وهيتدويل القضية الجزائرية والتحضير العسكري لتفجير الثورة¹، ولقد كان سفر مصالي نحو المشرق سنة 1951 من أجل التحضير جيدا للثورة والتنسيق مع زعماء الدول العربية لخوض غمار الاستقلال²، وحسب تحليل جاك سيمون كان تاريخ اندلاع الثورة هو 15 أكتوبر ثم تغير إلى 1 نوفمبر 1954 وهو من اقتراح جمال عبد الناصر، وكان بوضياف هو المرسل بين التاريخيين وعبد الناصر، وهو مكلف بجمع الستة ليكونوا نواة شرارة الثورة، بالرغم من أنهم لم يكونوا مهيبين جيدا للعملية، وبالنسبة لجمال عبد الناصر الهدف ليس الدفع بسرعة نحو الثورة بل إحباط التحضيرات التي تم الاستعداد لها من طرف CNRA منذ أوت 1954³، لأئبن بولعيد أراد تسريع الثورة التي حدد تاريخها CNRA في ديسمبر 1954⁴، إذن عمل جمال عبد الناصر يريد إعطاء السبق والفضل لمصر والجامعة العربية التي دخلت في اللعبة الأمريكية حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية أرادت إحراج حكومة

1 - Jacques Simon, Ibid, p 104.

2- Jacques Simon, Ibid, p 109.

3 - Jacques Simon, Ibid, p 110.

4- Jacques Simon, Ibid, p 111.

مانديس فرانس¹.

هذه المعطيات كافية للقول بأن بوضياف سجل هذا العمل في اللعبة السياسية لعبد الناصر وبطريقة غير مباشرة في الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط²، لأن جمال عبد الناصر يؤمن بالقومية العربية، لهذا لا يساند الوطنيين³.

إن تأسيس لجنة التنسيق والتنفيذ في مارس 1954 هي نواة صلبة للجنة المركزية المشكلة من لحول ودخلي وسيد علي عبد الحميد وبوضياف محمد الذي حمل مصالي مسؤولية الأزمة في حركة الانتصار والحريات الديمقراطية، حيث أن مناصلي المنظمة الخاصة في الأوراس لم يتم كشفهم ومنهم عاجل عجول وشيحاني بشير وعباس لغرور، حيث كانوا على اتصالات بالتونسيين فتحصلوا على أسلحة تعود للحرب العالمية الثانية⁴.

ويقول جاك سيمون على لسان حربي بأن اجتماع 22 كان في جو غير ديمقراطي⁵، اجتماع عقد في 25 جوان 1954، فعندما كانت قسمت الحزب تجتمع لدراسة رسالة مصالي الحاج، قام بن مهدي العربي وبن بولعيد وديدوش وبيطاط وبوضياف في حي المدنية بتحضير اجتماع 22 الذي ضم: باجي مختار، عثمان بلوزداد، عبد المالك بن رمضان، مصطفى بن عودة، مصطفى بن بولعيد، محمد العربي بن مهدي، لخضر بن طوبال، رابح بيطاط، زوبير بوعجاج، سليمان بوعلي، أحمد بوشعيب، محمد بوضياف، عبد الحفيظ بوالصوف، ديدوش مراد، عبد السلام حباشي، عبد القادر لعمودي، مشاطي

1 - Jacques Simon, Algérie la révolution trahie..., Op, Cit, p 110.

2 - Jacques Simon, Ibid, p 110.

3 - Jacques Simon, Ibid, p 110.

4- Jacques Simon, Ibid, p 81.

5 - Jacques Simon, Ibid, p 84.

محمد، ملاح سليمان، مرزوقي محمد، سويداني بوجمعة، زيغود يوسف.

إن 1 نوفمبر 1954 بالنسبة للمصاليين كان مفاجأة واللجنة الوطنية للثورة الجزائرية CNRA التي كانت تحضر منذ صيف 1954 للعمل المسلح، وبعد نوفمبر بدأت الاعتقالات تطال المصاليين في كل من فرنسا والجزائر وتم حل حركة الانتصار في 5 نوفمبر 1954¹.

لقد جاءت قراءة جاك سيمون لبداية الثورة قراءة متعاطفة مع المصاليين، فهو يركز في عدة فقرات بأن المصاليين منذ مؤتمر هورنو Hornu وهم يحضرون للثورة، مؤتمر هورنو 14-16 جويلية 1954 جمع 350 ممثل وقد مثل العاصمة مصطفى بن محمد، ومولاي مراح²، فمصالي أعاد بعث حزب حركة الانتصار الحريات الديمقراطية لإطلاق ثورة ثانية بعد تلك التي حدثت سنة 1945، من أجل مؤسسات تأسيسية متعاونة مع الأوروبيين في الجزائر³ من بين قرارات المؤتمر إعادة تنظيم الحزب لخوض غمار النضال المسلح في أقرب وقت⁴، وحضر المؤتمر أيضا فيلالي ومزغنة ومشاوي وعبد اللي عيسى ومنه تم تشكيل مكتب الحزب: مولاي مراح أمين عام، أحمد مزغنة مسؤول الشؤون الخارجية، عيسى عبد اللي مسؤول الخزينة، عبد العزيز محمد مسؤول الاعلام، فيلالي على رأس فيديرالية فرنسا، مشاوي محمد ولعجالي أرزقي مسؤولان عن التنظيم، ومنه تم تعويض اللجنة المركزية بالمجلس الوطني الثوري الجزائري CNRA المتشكل من : عبد العزيز محمد وعبد اللي عيسى وبواسطة أرزقي وبخاط أحمد وبن ناصر حسان باي وبن

1 - Jacques Simon, Ibid, p 112.

2 - Jacques Simon, Ibid, p 89.

3-Jacques Simon, L'Algérie dans la seconde guerre mondiale, L'Harmattan, Paris, France, 2015, p 240.

4 - Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 91.

عيسى خلدون وابن محمد مصطفى، بن سيد عبد الرحمان وبوشريحة محمد وبوجرودي السعيد، فيلالي عبد الله، حباشي عبد الله وملزي علال وممشاوي محمد ومولاي مرياح وأحمد مزغنة ومصطفى صطمبولي¹، وبالنسبة لجاك شوفالبي وفرانسوا ميتيران شرارة الثورة بدأت في مؤتمر هورنو².

وفي جويلية 1954 إلتقى بن بولعيد بمصالي في Niort حيث وزع بين بولعيد صور مصالي في أكتوبر 1954³، علما أن جبهة التحرير الجزائرية كانت تجمع المركزيين والعلماء وناشطي اللجنة الثورية للوحدة والعمل والمصاليين⁴.

4.2. الثورة الجزائرية تنطلق نوفمبر 1954 - مارس 1956:

ليلة 31 أكتوبر - 1 نوفمبر 1954 حدثت عمليات تخريبية متنوعة في كل التراب الجزائري⁵، لقد كانت هناك عمليات في جهات وهران، لكن عدم تجذر مناضلي جبهة التحرير داخل المجتمع يفسر ضعف النتائج، وهناك عمليات مماثلة في المنطقة الثانية الشمال القسنطيني، أما المنطقة الرابعة فهي تتبع المصاليين، المناطق الثانية والثالثة والخامسة الأعمال كانت مرتجلة وغير متقنة بعدد محدود ما بين 30 و50 شخص غير مسلحين جيدا وينقصهم التدريب العسكري⁶، إن كل الأعمال التي حدثت ما بين نهاية نوفمبر حتى صيف 1955 ليس من عمل جبهة التحرير ولا جيشها لوحده⁷، ففي المنطقة

1- Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 92.

2 - Jacques Simon, Ibid, p 137.

3- Jacques Simon, Le massacre de Melouza Algérie Juin 1957, Harmattan, Paris, p 20.

4 - Jacques Simon, Ibid, Cit p 22.

5- Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 115.

6 - Jacques Simon, Ibid, p 116.

7- Jacques Simon, Ibid, p 117.

الثالثة العمليات كثيرة لكن النتائج متواضعة، فالمنطقة كانت مصالية ولم تتعاون مع كريم بلقاسم ومن معه، حتى الامداد بالمؤونة كان غير متوفر، أما المنطقة الأولى كانت محصنة جدا، وفي يد بن بولعيد مصطفى¹.

خلص جاك سيمون بأن الذهاب نحو العمل المسلح كان بدون تحضير مسبق وجيد، فهو عبارة عن تضحية بمئات المناضلين من طرف جبهة التحرير من نوفمبر 1954 إلى مارس 1955، أما مصالي فهو ملهم ومن الذين اطلعوا جيدا على تاريخ الثورة الروسية واستلهم منها التقنيات لتأسيس المنظمة الخاصة². أما بوضياف كان في الخارج ولم يكن على استعداد للعودة، وبن بلة مزهو بما قام به بوضياف، وفي نوفمبر 1954 بن بولعيد كانت له علاقات مع الجماعات العسكرية التي شكلتها CNRA منذ سبتمبر 1954 في العاصمة، والحضنة وقسنطينة والقبائل³.

لقد دعم جمال عبد الناصر الثوار الجزائريين من باب القومية العربية والجامعة العربية، والحلف الأفروآسيوي، وحسب جمال عبد الناصر فإن عمليات أول نوفمبر هي عمليات بسيطة لها بعد تكتيكي وإعلامي، وفي ليلة اجتماع منظمة الأمم المتحدة أراد عبد الناصر تحييد مصالي من الساحة السياسية في الجزائر، كما عمل مع عبد الكريم الذي عوضه بعلال الفاسي في المغرب، وفي تونس ساند صالح بن يوسف ضد بورقيبة، وبالنسبة لعبد الناصر جبهة التحرير ورقة ضغط ضد فرنسا لتوقف عملية تزويد إسرائيل بالسلاح، والرئيس المصري مدعوم من طرف فوستر دليس عدو منداس فرانس⁴.

1 - Jacques Simon, Ibid, p 118.

2 - Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 119.

3 - Jacques Simon, Ibid, p 119.

4 - Jacques Simon, Ibid, p 120.

يرى جاك سيمون أنه منذ 2 نوفمبر 1954 CNRA انخرط في العمل المسلح¹، فحزب حركة الانتصار تم بعثه بنفس جديد في مؤتمر هورنو²، وفي نفس الشهر إدارة الحركة الوطنية الجزائرية MNA في العاصمة هي التي هيأت منطقة القبائل للعمل المسلح، وفي جانفي 1955 قدم مصالي مساعدات مالية معتبرة لمنطقة القبائل³، ولقد كان كريم بلقاسم على علاقة بالمصاليين حيث بعث بوفد لهورنو وكانوا مستعدين لتفجير الثورة في 1 ديسمبر 1954، وفي 16 نوفمبر 1954 التقى لعجالي أرزقي عضو المكتب السياسي للمصاليين بكريم بلقاسم وسأله عن عمل وتسيير الثورة وما هو دور مصالي الحاج في كل هذا، وبعدها تم جمع مليونيني فرنك فرنسي من الجالية الجزائرية في فرنسا وقدمت لمسؤول المنطقة الثالثة في ديسمبر 1954، حيث تم نقل هذه الأموال في رحلة من باريس إلى الجزائر⁴.

وبعد انطلاق الثورة الكل كان يظن أن الزعيم هو من قام بها⁵، ففي 7 ديسمبر 1954 عوضت الحركة الوطنية الجزائرية MNA بحزب حركة الانتصار⁶، الذي خصص له جاك سيمون كتاب يقول عنه بأن حزب قوي وله تعقيدات كثيرة⁷ وكان هدف حركة الأمانا تطبيق قرارات مؤتمر هورنو وبالدرجة الأولى الاستقلال الوطني⁸، فحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية كان له أهداف أخرى، ورؤية جديدة حيث أن الثورة ليست هي نسخة 1945 بل

1 - Jacques Simon, Ibid, p 122.

2 - Jacques Simon, Algérie L'abandon sans la défaite (1958-1962), L'Harmattan, Paris, 2009, p 05.

3 - Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 121.

4 - Jacques Simon, Ibid, p 124.

5 - Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 131.

6- Jacques Simon, Ibid, p 134.

7 - Jacques Simon, Le MTLD le mouvement pour le triomphe de la liberté démocratique(1947-1954) Algérie, L'Harmattan, Paris, 2003, p 08.

8- Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 134.

نظمها واستعد لها بن بولعيد جيدا، ولقد انضم غالبية العمال المهاجرين في فرنسا للحركة الوطنية الجزائرية MNA¹، حيث أن عودتهم من فرنسا وتمرسهم في مدرسة CGTU كان لها وقع على تشكيل الوطنية الجزائرية²، أما موقف مصالي الحاج مما كان يحدث في الجزائر من 1 نوفمبر 1954 وما بعدها فقد وضعه أحد محاميه، ففي 1 نوفمبر 1954 مصالي الحاج كان في الإقامة الجبرية في Sables-d'Olonne تحت مراقبة الشرطة الفرنسية، وقد زاره محاميه Yves Dechezelles و Pierre Lambert و Henri Peulet حيث يروي ببير لمبار وفي دشيغال بعد لقائهم بمصالي الحاج بأن مصالي الحاج قال له نري: هل تستطيع الذهاب إلى الجزائر؟ فرد المحتمي بالإيجاب فقال له مصالي: "قل لأصدقائي بأننا اختلافاتنا كثيرة وهي موجودة فعلا وواضحة، لكن الآن الثورة انطلقت وبالرغم من اختلافاتنا يجب مساعدة الثورة، والاتحاد فيما بيننا، وأرجوك أن تعطي أصدقائي هذا المبلغ المعتبر"، وبعدها ذهب هنري المحامي إلى الجزائر في الأيام الأولى من نوفمبر 1954 ونقل لكريم بلقاسم القرار السياسي لمصالي مع إعطائه المال³.

ومن استنتاجات جاك سيمون أيضا: كريم بلقاسم لم يقطع علاقاته مع المصاليين إلا بإلحاح من عبان رمضان، أما بن بولعيد فبقي وفي لمصالي الحاج⁴، ففي 15 فيفري 1955 استجوب الفرنسي Vincent Monteil بن بولعيد في السجن حيث قال له بن بولعيد: "مصالي الحاج هو القائد الوحيد الوطني والحل النهائي للقضية الجزائرية هي السيادة

1- Jacques Simon, Ibid, p 152.

2- Jacques Simon, Messali Hadj invente la nation algérienne, L'Harmattan, Paris, 2018, p 27.

3 - Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 132.

4 - Jacques Simon, Ibid, p 120.

التأسيسية¹ وبرأي سيمون فإن بوضياف هدفه ليس توحيد الحزب أو الثورة الاجتماعية في الجزائر بل إحلال النموذج المصري في الجزائر²، وأن أعمال جبهة التحرير تختلف عن ما يحدث في تونس، فالشعب التونسي يريد تعيين بورقيبة رئيسا للبلاد، أما في المغرب فالشعب يريد إرجاع محمد الخامس لسدة الحكم، ولم تكن القاهرة ملجأهم عكس جبهة التحرير التي كانت القاهرة تسيّر أمورهم³.

من نهاية ديسمبر 1954 حتى فيفري 1955 كانت لقاءات كثيرة بين أعضاء الحركة الوطنية الجزائرية MNA وكريم بلقاسم وأوعمران وبيطاط في العاصمة، وقد كانت اللقاءات تتمحور حول نقص الامدادات المادية في الجبال⁴، وحتى ربيع 1955 في المنطقة الخامسة بالقطاع الوهراني عاد الكثير من المصاليين من فرنسا وبدأوا ينشطون ويعدون الخلايا السرية في المشاتي والدواوير والقرى للتحضير لعمل كبير والتنسيق مع حزب الاستقلال المغربي، فعودة المهاجرين كان له فعله على الحركة الوطنية الجزائرية، ولقد قبلت إدارة الحركة الوطنية الجزائرية تزويد الثوار في منطقة القبائل بالمعدات اللازمة كالأدوية وغيرها، وقد علل كريم لماذا لم يقبل الانضمام للحركة، وصرح بأن مصالي الحاج هو مؤسس المقاومة الوطنية، وطلب بنشر مقال له في جريدة صوت الشعب التابعة للحركة الوطنية موجهة لوزير الداخلية وقد تم نشرها، ففي مارس 1954 حتى فيفري 1955 كريم وأوعمران اتصلا بجماعة MNA التي أصبح يسيرها كل من مصطفى بن محمد وأولبصير العربي وزيتوني

1- Jacques Simon, Le massacre de Melouza..., Op, Cit, p 21.

2 -Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 120.

3 - Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 120.

4 - Jacques Simon, Ibid, p 145.

مختار بعد القبض على محمد المشاوي ولعجالي أرزقي، وبعد المشاورات تم إمداد جبهة التحرير بمبلغ من المال، لقد كانت العاصمة وباريس في يد المصاليين لكن بخروج عبان من السجن تغير كل شيء، حيث أن السلطات الفرنسية أطلقت سراح عبان لعدة اعتبارات لأنه رجل المرحلة فهو يعتبر عدو القومية العربية¹ عبان شرعن الحرب على الأمانا وشكل إدارة مع كل المطرودين من حركة الانتصار: لامين دباغين ومن الحزب الشيوعي عمر أوزقان ومن المركزيين بن خدة وكيوان وصالح دحلب وصالح لوانشي وعيسات إيدير، ومن البرجوازية محمد لبحاوي بالاضافة لياسف سعدي²، وفي المنطقة الثانية الشمال القسنطيني العسكريون المصاليون هم من نظموا جيش التحرير الوطني في الجبال³، وبدأت الحركة الوطنية الجزائرية MNA تشكل مراكزها في الجبال بعد عدم التوصل لاتفاق مع ثوار جيش التحرير الوطني، ولقد كان تشكيل جيش التحرير في منطقة القبائل من نتاج نشاطات مناضلي كريم بلقاسم الذين تربوا في حزب الشعب والحركة الوطنية⁴، ويقول جاك سيمون بأن الأمانا كانت على اتصال بجيش التحرير الوطني عن طريق الهاشمي بغريش سنة 1956 المبعوث من طرف فيلاي عبد الله⁵.

في 17 جويلية 1955 كتب مصالي في جريدة Libérateur قائلاً:
"البارحة اليوم وغدا كنا وسنكون مع الشعب الفرنسي للنضال معا من أجل تأسيس ديمقراطية في ضفتي المتوسط، حيث أن الشعبان حران ومستقلان من الاستعمار والامبريالية، ويستعدان معا مستقبلا مشتركا، والتأسيس لصداقة

1 - Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 158.

2- Jacques Simon, Le massacre de Melouza..., Op, Cit, p 22.

3- Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 144.

4 - Jacques Simon, Ibid, p 146.

5-Jacques Simon, Messali Hadj invente la nation algérienne, Op, Cit, p 135.

مشتركة بين الشعب الفرنسي والمغاربي، إننا ناضل من أجل الحرية الوطنية¹، وبالنسبة لجاك سيمون فمصالي الحاج مناضل شيوعي مسلم².
أما مؤتمر الصومام بالنسبة لجاك سيمون فقد تأسس على مبادئ تخالف مبادئ الحركة الوطنية وأحزابها نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية والحركة الوطنية الجزائرية الأمانا³.

5.2. مجزرة ملوزة في قراءات جاك سيمون:

منذ نهاية سنة 1956 والأمانا تعيش وضعية صعبة⁴، وفي ليلة 28 - 29 ماي 1957 مجموعة من جيش التحرير الوطني دخلت بلباس مدني وعسكري مشاتي بني يلماح بالقرب من ملوزة حيث تم قتل 301 شخص وجرح 150 شخص، وتم إعلام مراكز الشرطة عن طريق طيار كان يحوم بطائرته بالقرب من المجزرة، حيث حضر النقيب Combette إلى عين المكان بعد الظهر⁵، وتم إعداد تقرير خلص لوجود ثلاث فرضيات: رفض السكان للضريبة المفروضة عليهم من طرف جيش التحرير، رفض الساكنة التملص من المصاليين، الحقد بين العرب والقبائل⁶.

وينقل لنا جاك سيمون قراءة الصحافة الفرنسية والعالمية للمجزرة، فالصحف الفرنسية الصادرة ما بين 1 إلى 6 جوان على غرار Aurore و Franc-tireur و combat و le parisien libre و le Figaro و La

1 - Jacques Simon, Algérie la révolution trahie, Op, Cit, p 154

2 - Jacques Simon, Algérie, L'assemblée constituante dans le mouvement nationaliste algérien, L'Harmattan, Paris, 2012, p 28

3 - Jacques Simon, Algérie, L'Algérie française, la révolution 1954-1958, L'Harmattan, paris, 2007, p 464

4 - Jacques Simon, Algérie, L'assemblée constituante dans le mouvement nationaliste algérien, Op, Cit, p 91

5- Jacques Simon, Le massacre de Melouza..., Op, Cit, p31

6- Jacques Simon, Ibid, p 32.

le Monde و Paris presse و France-Soir، le populaire و Croix و L'information كلها تكلمت عن المجزرة وحملت جبهة التحرير ماعدا الجريدة الشيوعية L'Humanité ل 4 / 6 جوان 1957 رفضت التنديد بالعمل الاجرامي ونشرت تصريح لمراسلها في تونس يردد طروحات جبهة التحرير الوطني¹، ويعود بنا سيمون لأحداث 20 أوت لبحث عن مسببات المجزرة فيقول: 20 أوت 1955 قدام حزب الشعب الذين بقوا أوفياء للمصالية هم من قاموا بالحدث، وفي 1 أفريل 1955 عبان رمضان أعلن الحرب على الأمانا، حيث تلقى ياسف سعدي الأوامر بتصفية أعضاء الأمانا، وعميروش أيضا تلقى الورقة البيضاء لتصفية من هم في الجبال من أعضاء الأمانا في الولاية الثالثة².

ويضيف حسب وثائق الأمانا فإن استشهاد شيحاني بشير وبن بولعيد المتحالف مع مصالي تندرج في سياسة واضحة، فالهدف هو خلخلة الولاية الأولى وقطع التحالف بين شيحاني ومسؤولي الولاية الثانية في ربيع 1955، وسمحت لعبان رمضان بانتقاد هجومات 20 أوت 1955 وتسجيل نقطة على زيغود يوسف، وفرض عبان نفسه الشخصية المحورية في مؤتمر الصومام، مما سمحت لعميروش بالسيطرة على طريق سوق أهراس الخاصة بممر التموين بالأسلحة من تونس، وفي أوت 1956 أصبح عبان يسيطر على الولاية الثالثة والرابعة والمنطقة المستقلة للجزائر، لكن بعد تفكيك شبكة ياسف سعدي بعد معركة الجزائر أصبحت القرارات تتخذ من تونس، وأصبحت تابعة لعبد ناصر والجامعة العربية³.

1- Jacques Simon, Ibid, 37.

2-Jacques Simon, Le massacre de Melouza..., Op, Cit, p40.

3- Ibid, p 40.

يطرح جاك سيمون فرضية أن عاجل عجول وراء اغتيال بن بولعيد في 22 مارس 1956 وعاجل عجول من أضر المذيع وبقي في الخارج، ولم يحضر في الاجتماع، وبعدها بن بولعيد أشعل المذيع فانفجر ومات، وعاجل عجول كان يعلم ما يوجد في الراديو والهدف، من وراء اغتيال بن بولعيد هو عدم المرور في محكمة بن بولعيد الذي أراد أن يقيم محكمة على عجول لي طرح قضية اغتيال شبحاني بشير، علما أن عجول استسلم للجيش الفرنسي لحماية نفسه من المصاليين¹.

في شهري جوان وجويلية 1957 ثلاثة من قادة بلونيس وهم : بشريط والحواس وعمر دريس أصبحوا في صف جبهة التحرير، ولقد كان بلونيس يسيطر على منطقة بوسعادة والجلفة، وفي هذا السياق طلب عبان من عميروش بالالتحاق بالولاية الثانية المسيرة من طرف شخصية عنيفة وهو محمدي السعيد، الذي علم بمجيء عميروش فأمر سحنون قائد المنطقة الرابعة في الولاية الثانية بالتوجه إلى دوار بني يلمان، ولقد تم تجنيد قبائل وإمدادهم بمختلف الأسلحة والتوجه نحو المنطقة العربية لبني يلمان، وقد بدأت المجزرة وبأمر من لجنة التنسيق والتنفيذ المتواجدة بتونس².

ولقد كتب محمد يزيد برقية للأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة في 3 جوان 1957 يندد بما قاله الرئيس الفرنسي روني كوتي، وفي تونس الناطق الرسمي لجبهة التحرير بحضور صحفيين فرنسيين وأجانب آخرين قال بأن جبهة التحرير الوطني لا علاقة لها بالمجزرة، ويجب فتح تحقيق حول القضية، وندد بما كتبه الصحافة الفرنسية بأن المجزرة لها علاقة بالصراع بين جبهة

1- Jacques Simon, entretient sur YouTube, 21/05/2020.

2-Jacques Simon, Le massacre de Melouza..., Op, Cit, p 41.

التحرير والأمانا، وذكر بأن تلك المنطقة تحت سيطرة جبهة التحرير وتحت قيادة القائد العسكري هزيل عبد القادر والمسؤول السياسي سي العربي ولا وجود للأمانا في المنطقة، وفي 2 جوان 1957 إذاعة دمشق نددت بالمجزرة وبرأت منها جبهة التحرير ونفس الشيء بالنسبة لإذاعة صوت العرب وإذاعة الجزائر الحرة¹.

القائمة البيبليوغرافية:

- 1-Simon Jacques, Mostafa Ben Boulaid, le promoteur de la révolution algérienne, L'Harmattan, Paris, 2016.
- 2-Simon Jacques, Algérie la révolution trahie 1954-1958, L'Harmattan, Paris, 2018.
- 3- Simon Jacques, L'Algérie dans la seconde guerre mondiale, L'Harmattan, Paris, France, 2015.
- 4- Simon Jacques, Le massacre de Melouza Algérie Juin 1957, Harmattan, Paris.2006.
- 5- Simon Jacques, Algérie L'abandon sans la défaite (1958-1962), L'Harmattan, Paris, 2009.
- 6- Simon Jacques, Le MTLD le mouvement pour le triomphe de la liberté démocratique (1947-1954) Algérie, L'Harmattan, Paris, 2003.
- 7- Simon Jacques, Messali Hadj invente la nation algérienne, L'Harmattan, Paris, 2018.
- 8- Simon Jacques, Algérie, L'assemblée constituante dans le mouvement nationaliste algérien, L'Harmattan, Paris, 2012.
- 9- Simon Jacques, Algérie, L'Algérie française, la révolution 1954-1958, L'Harmattan, paris, 2007.
- 10- Jacques Simon, entretien sur YouTube, 21/05/2020

الثورة الجزائرية في كتابات فرانس فانون

كهد/الطاهر خالد

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

tahaerkhaled@gmail.com

مقدمة

كان لتاريخ الفترة الاستعمارية للجزائر خاصة مرحلة ثورة أول نوفمبر حركة واسعة لتدوينه، حيث ظهر مؤرخون تعددت توجهاتهم بتعدد ثقافتهم السياسية والاجتماعية وحتى الدينية. فكان لتاريخ هذه الحقبة مكانة متميزة باعتباره يعبر عن ثقافتها، ويعد حماية للهوية الوطنية التي ترفض الانسلاخ عن ماضيها والاندماج في المجتمع الفرنسي. لذلك عكف بعض الجزائريين خلال هذه الحقبة من تاريخ بلادهم على تدوينه، فظهرت كتابات تاريخية كثيرة في هذا المجال. وإن كانت تتفاوت في الأهمية التاريخية والقيمة العلمية، وهي مصادر محلية لا يمكن الاستغناء عنها، لأنها تصور لنا وقائع الأحداث التي جرت خلال الثورة الجزائرية. إلا أننا خصصنا في ورقتنا العلمية هذه لمؤرخ بالرغم من أنه لم يكن من أصول جزائرية، غير أنه كتب عن الأحداث التي عاشها في الجزائر، بل غاص في أدق التفاصيل من جميع الجوانب خاصة الجانب الاجتماعي النفسي. فنقل لنا الواقع المرير الذي عاشه الفرد الجزائري، في ظل وطأت الاستعمار الفرنسي، وجسدها لنا بكل أمانة في ثلاث مصادر اعتبرت من أهم الكتابات التاريخية عن الثورة الجزائرية. إنه الطيب والمفكر والمناضل والمؤرخ فرانس فانون، ومن هذا المنطلق وجب علينا طرح الإشكالية التالية: ما مدى مساهمة فرانس فانون في تدوين تاريخ الثورة الجزائرية؟

وماهي الجوانب التي عايشها وعالجها وألم بها في كتاباته؟

أولا/ مسيرة حياة فرانز فانون

1- مولده

أصله من الرقيق الذين حملوا منذ قرون إلى جزر الأنتيل من إفريقيا، وكانت المارتينيك تشكل مع جزر الأنتيل الصغرى منطقة تشملها السيطرة الفرنسية منذ القرن 17م، وقد ازدهرت تجارة الرقيق في المنطقة لتزويد المعمرين البيض باليد العاملة السوداء التي من واجبها القيام بأعمال يدوية في مزارع قصب السكر⁽¹⁾. وظل أبناء الأفارقة الذين استقروا بالجزيرة يعانون الاضطهاد ويقومون من حين لآخر بثورات تقمع بشدة. ومع قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة، وظهر النظريات الاندماجية⁽²⁾، اتخذت بعض التدابير تهدف إلى إيجاد تقارب سطحي بين وضعية سكان المارتينيك وسكان الوطن الأم. وتتنمي أسرة فانون إلى فئة البرجوازية الزنجية، وقد تطورت البرجوازية المحلية إلى وجود نوع من شعور التفوق عند الأنتيل، بالنسبة لزواج المستعمرات الأخرى، إن الديانات التي حملها أسلاف فانون حلت محلها الشعائر المسيحية، وكان رجال الدين الكاثوليك في الجزيرة يضعون أنفسهم في خدمة المحتل، ولا يسمحون ببروز الوعي بالشعور القومي⁽³⁾. ولد فرانز فانون يوم 20 جوان 1925م بمدينة "فوردي فرونس"، عاصمة المارتينيك الفرنسية⁽⁴⁾. والده "كزمير فانون"، كان يعمل بالجمارك، ويعد الولد الثالث في العائلة المكونة من ثمانية إخوة⁽⁵⁾.

2- نشأته وتعليمه

نشأ فرانز فانون وترعرع في وسط عائلة برجوازية صغيرة⁽⁶⁾. عاش منذ طفولته الحرمان والذل الذي لحق بالشعوب المضطهدة والتميز العنصري،

وكان يتسم بالذكاء وحدة التفكير، كما عاش مرحلة طفولته ومراهقته في منطقة البحر الكاريبي (7). وهو الأصغر من بين أربعة بنين، وفي عام 1936م كان يبلغ من العمر إحدى عشر عاما، أدخله والده إلى مدرسة خاصة بالأطفال السود في المارتينيك (8). تلقى فانون بالمدرسة الفرنسية تعليمه، وتعزز نفوره من اللهجة المحلية، وتأثر بالقيم البيضاء ممثلة في عدة شخصيات سياسية، أي نفس القيم والتواريخ التي كانت دروس التاريخ الفرنسي في جميع أنحاء المستعمرات تفرض معرفتها على الأهالي (9).

كان فانون قاسيا، إلى حد ما في محادثاته مع البعض ولكنه محبا للمعرفة ومنفتحا على البعض الآخر، وعن هواية فانون فهو متعدد الهوايات، قالوا عنه أنه مارتينكي وأسود ومستشرب للثقافة الفرنسية، لقد كان لفانون عدة تسميات مما سمح برؤيته من خلال منظور الاختلاف، وكان يعتقد بما هو كوني لدى الإنسان (10). وفي عام 1944م تطوع للعمل في الجيش الفرنسي من أجل القتال في أوروبا متجاوزا بذلك كونه زنجيا أسودا، عاش صراعا مريرا مع الرجل الأبيض (11). وفي ديسمبر 1945م أصيب بجروح في إحدى المعارك بين الحدود السويسرية والفرنسية، أثناء أداء مهامه بجلب الذخيرة وأرسل إلى أحد المستشفيات العسكرية خارج ليون. وبعد انتهاء الحرب العالمية تلقى وسام صليب للحرب الذي تلقاه من سالان الجنرال اللاحق، وكان ذلك الشيء الذي جمعهما، كما اكتسبا من هذه التجربة ثقافة المقاومة، ولكنه اكتشف الممارسات العنصرية الشائعة (12). وبعد الحرب العالمية الثانية عاد فانون إلى المارتينيك وواصل دراسته للحصول على البكالوريا وإعداد نفسه للجامعة (13). كما شارك في حملة انتخابية لصالح أستاذه "أيميه سيزار" الذي انتخب نائبا للحزب الشيوعي في المارتينيك (14). الذي انتخب نائبا للحزب الشيوعي في

المار تينك⁽¹⁵⁾. درس فانون الطب في جامعة ليون الفرنسية، عاش طالبا نشطا يدرس إلى جانب الطب الفلسفة وكان نبوغه مرموقا بين زملائه وأساتذته⁽¹⁶⁾. كان انخراطه في كلية الطب عندما كان العالم من حوله يعيش فترة صراع حاد ومن جملة البلدان التي كانت متوترة وفيها صراعات فرنسا والجزائر والفيتنام⁽¹⁷⁾. وفي عام 1951م أنهى فانون دراسته في الطب النفسي، وحضر الامتحانات الداخلية لمستشفيات الطب النفسي، وتزوج سنة 1952م من جوزي دوبل، ورزق بولد اسمه " أوليفيه"، وعين في مستشفى سانت ألبان تحت إدارة البروفيسور " فرانسوا توسكيل"، وقد ساعده في تطوير معارفه في العلاج الاجتماعي⁽¹⁸⁾. كانت نتيجة دراسته الفلسفية، تأليف كتاب "بشرة سوداء أفتنة بيضاء"، الذي يعالج فيه قضية العنصرية ضد الزواج بفرنسا، فقد كان مرجعا أساسيا للزواج، كما أحدث صدى عالمي كبير ترجم إلى عدة لغات، كما ساهم في كتابة نشرة دورية باسم "تام، تام" موجهة للطلاب الوافدين من المستعمرات، كانت تنشر في الجامعة بفرنسا.

3- التحاقه بالثورة الجزائرية

بعد حصوله على شهادة الطب النفسي بليون، عين فرانس فانون، بمستشفى الأمراض العقلية بالبلدية، (جو نفيل)⁽¹⁹⁾. الذي يعد أهم المستشفيات الطبية الفرنسية، والأهم من نوعه على مستوى إفريقيا⁽²⁰⁾. ومع بداية الثورة الجزائرية، استغرب فانون تجاهل الحكومة الاشتراكية بفرنسا، حيال رغبة الجزائريين بالاستقلال، وصارت مواقفه معادية للاستعمار، وأقام صلات مع حركة "الصدقات الجزائرية" وهي جمعية إنسانية تهدف إلى تقديم الدعم المادي لعائلات المعتقلين السياسيين، وموجهة لناشطين وطنيين لهم علاقة مع الثوار العاملين في البلدية، وقد طلب منه الاعتناء ببعض المجاهدين الذين يعانون

أمراض عصبية (21). وعندما اندلعت الثورة التحريرية كانت له أول الاتصال مع العديد من مسؤولي الثورة من بينهم يوسف بن خدة، عبان رمضان والعقيد الصادق كما شارك في جمع الأدوية للثوار (22). وفي عام 1957م قدم فانون استقالته من رئاسة مستشفى الأمراض العقلية بالبلدية إلى الحاكم الفرنسي "روبرت لاكوست" في رسالة تبيين وجهة نظره في جريمة الاستعمار على الإنسانية، وانضم إلى الثورة الجزائرية مؤمنا بأن معركة الشعوب المستعمرة واحدة يجب أن نخوضها للتحرر في كل مكان. وبعد هذه الرسالة طرد فانون من الجزائر، لكن ارتباطه بالثورة الجزائرية صار أمرا لا رجعة فيه فقد أمضى ثلاثة أشهر في فرنسا على اشتداد الفصل الأول من عام 1957م، لم ينجح خلالها في تقديم مساعدات للثورة الجزائرية (23).

4- أهم مؤلفاته

ومن أهم المؤلفات التي ألفها إبان الثورة الجزائرية هي:

- من أجل إفريقيا: وهذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من المقالات، التي كتبها فانون معظمها وردت في جريدة المجاهد خلال الثورة التحريرية وجمعها محمد الميلي.

- العام الخامس للثورة الجزائرية أو "سيكولوجية الثورة": فعندما صدر اعتبر وثيقة دامغة ضد الاستعمار الفرنسي، ووثيقة أخرى تكشف عن تطور المجتمع الجزائري بسبب الثورة، ووثيقة ثالثة لتحرير الإنسان المضطهد وقد تم تأليفه عام 1959م (24).

- معذبو الأرض: كان هذا الكتاب الأخير الذي ألفه فانون في خضم الثورة التحريرية، والذي انتهى من تأليفه سنة 1961م، الذي أحدث صدى عالمي وترجم لعدة لغات.

5-مرضه ووفاته

أثناء وجوده بالكونغو أحس بالمرض يدب في أوصاله، فعاد سريعا إلى تونس، وأجرى فحوصات طبية، وفي ديسمبر 1960م كانت نتيجة التشخيص سرطان في الدم الذي كان مرضا مستعصيا في ذلك الوقت⁽²⁵⁾. ثم أرسلته جبهة التحرير الوطني إلى الولايات المتحدة، وقام هناك بالعلاج وتوفي بمستشفى بميبرلاند بمرض اللوكيميا، وقد قالت بعض المصادر أن هناك تواطؤ بين الفرنسيين والأمريكيين حتى لا يعالج فانون من مرضه⁽²⁶⁾. قبل موته ترك رسالة إلى أصدقائه يطلب فيها منهم أن يدفن في الجزائر في مقبرة الشهداء، ولما توفي نقلوا جثمانه إلى تونس، واتصلت الحكومة المؤقتة لقيادة الأركان بحثا عن مقبرة الشهداء، لكنهم لم يجدوا أية مقبرة في تلك المنطقة، وفي الأسبوع الأول من ديسمبر 1961م اتصل بالشاذلي من تونس الملازم الأول آيت سي محمد السكرتير العام لهيئة أركان الشرق سابقا، مستفسرا عن وجود مقبرة للشهداء في المنطقة الشمالية للعمليات⁽²⁷⁾. لكن بدل إرسال جثمانه ودفنه سرا، قامت الحكومة المؤقتة بإعلان وفاة فانون، وأكثر من ذلك أعلنت أنه سيدفن في مقبرة الشهداء بالتراب الجزائري، وهذا ما سبب بعض المشاكل حيث علمت فرنسا بالخبر وأرسلت طائرتين من نوع B26 ظلت تحلق باستمرار على طول الحدود في المنطقة المعروفة Nommais land، وتبحث عن أي شخص يتحرك لقبيلته⁽²⁸⁾. لقد تم حفر القبر ليلا، وهياً كل شيء لدفن فانون، في اليوم الموالي جاء وفد يمثل الحكومة المؤقتة وقيادة الأركان واحضر معه الجنثمان إلى الحدود الجزائرية التونسية كان ضمن الوفد محمد الصغير نقاش، مسؤول الصحة في جيش التحرير الوطني، والطبيب يعقوبي، وممثلة الصليب الأحمر الدولي، والصحفيان اليوغسلافيان "بيت شار" و"لابيدونيشن"، وكذلك

الشاذلي بن جديد الذي دلهم على المكان⁽²⁹⁾. لكن الطائرات ظلت في التحليق والتصوير، عاد الوفد من حيث جاء ودفن فانون بمقبرة سيفانة بعد أن أديت له التحية العسكرية، ودفن معه كما أوصى كتبه "بشرة سوداء أقنعة بيضاء"، "العام الخامس للثورة الجزائرية"، "معذبو الأرض" وبعد الاستقلال أعاد المجاهدون دفنه في جوان 1965م بمقبرة الشهداء بعين الكرمة.

ثانيا/ ما كتبه فرانز فانون عن الثورة الجزائرية

إن الحديث عن النخبة الفرنسية المثقفة، ومواقفها من القضايا الإنسانية العالمية، أدت لظهور مفكرين عالميين منهم جون بول سارتر⁽³⁰⁾ وفرانز فانون. الذي هو محل دراستنا في هذا المقال، فهو يجمع بين الفكر والعمل في الثورة الجزائرية⁽³¹⁾.

1- كتاب من أجل إفريقيا

هو عبارة عن مجموعة من المقالات، التي كتبها فانون معظمها وردت في جريدة المجاهد خلال الثورة التحريرية وجمعها محمد الميلي. ومن أهم القضايا التي تطرق لها في هذا الكتاب ما يلي:

أ- ثقافة وعنصرية

طرح فانون في هذا القسم قضية تبادل التأثير بينهما، ففي نظره الثقافة هي مجموع السلوك والمواقف المحركة والعقلية المتولدة عن لقاء الإنسان مع الطبيعة ومع أشباهه، فيقول يجب القول بأن العنصرية تمثل عنصرا ثقافيا فهناك ثقافة تتميز بالعنصرية وثقافة خالية من العنصرية⁽³²⁾. فانون له نظرة فلسفية، من خلال طرحه لهذه القضية فالثقافة ربطها بالعنصرية، وأعطى للثقافة معنى ميتافيزيقي. كما اعتبر العنصرية جزء من الثقافة حيث يقول: "إن هذه العنصرية لم تتبلور ثقافيا، بل هي متجددة باستمرار، وتتغير أشكالها على

الدوام، لأنها تكيفت مع المجموع الثقافي الذي يؤثر عليها فالعنصرية ليست إلا عنصرا من مجموع أوسع، هو القمع المنظم لشعب كامل فكيف يكون سلوك شعب ما لقامع؟ هنا يقوم الشعب بعرقلة القيم الثقافية وأشكال الوجود القائمة، ويتناول هذا المسخ للغة واللباس" (33). نستنتج أن العنصرية تتغير باستمرار لأنها تتكيف مع الثقافة، ومن ثمة فالشعب يتأثر بهذه الثقافة، التي تمس عاداته وتقاليده والقيم الأخلاقية التي نشأ عليها.

ويمكن لنا الاستشهاد كذلك برأي المفكر الجزائري مالك بن نبي حيث يقول: "يتأثر العالم الإسلامي، إذ تراهم يعانون مركب نقص نحو الثقافة العربية، وإنما تتخذ عندنا هذه الحالة ازدواجية معاناة الشباب الجزائري اتجاه طه حسين وفرانز فانون، إلا أن التكوين غالبا ما يكون أدبيا وهي بالتالي ظاهرة عامة فكل مجتمع فقد حضارته يفقد بذلك كل أصالة في التفكير، أو في السلوك أمام أفكار الآخرين" (34). يمكن القول بأن مالك بن نبي مفكر متشعب بالثقافة العربية الإسلامية، عكس فانون الذي يحمل الثقافة الغربية، إلا أن كليهما تشابها في التفكير الثوري والانتماء إلى الجزائر الرافعة لعلم الحرية، ويشير مالك بن نبي إلى أن المجتمعات الناقدة لحضاراتها يؤدي ذلك إلى زوال التفكير، وتتغير المعاملة أمام الحضارة الغربية، فهو يقصد تأثر الحضارة الإسلامية بالغربية.

ب- من أجل الجزائر

تضمن هذا القسم الرسالة التي أرسلها فرانز فانون، إلى الوزير المقيم العام عام 1956م لاستقالته من منصبه بمستشفى الأمراض العقلية بالبليدة، لكي ينظم للثورة الجزائرية التي تأثر بها وأثر فيها. يقول فانون في نص الرسالة: "بطلب مني تفضل السيد وزير الصحة العمومية والإسكان، بقرار صدر بتاريخ

22 أكتوبر 1953م، فوضعتني تحت تصرف السيد الوالي العام في الجزائر لالتحق بمستشفى الأمراض العقلية بالجزائر ومنذ تنصبي في مستشفى الأمراض العقلية بالبلدية في 23 أكتوبر 1953م، وأنا أمارس مهنة طبيب رئيس مصلحة، وعلى الرغم من أن الظروف الموضوعية لممارسة الطب النفسي بالجزائر، تعتبر تحدياً للمعقول، فقد بدا لي أنه لا بد من بذل جهود ضخمة لتغيير أسلوب طبي تتعارض قواعده الذهبية مع المشاريع الإنسانية الحقيقية⁽³⁵⁾. من خلال نص رسالته هاته، يتضح أنه لم يكن طبيب نفسي يمارس مهنته كطبيب فحسب، لكن كان لديه حب الفضول في معرفة كل صغيرة وكبيرة عن الشعب الجزائري، من خلال الحالات المرضية التي مرت عليه، واعتبر نفسه مسؤول عن الجزائر بالدفاع عنها، ورفع لواء الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، وهذا ما يؤدي به فيما بعد بالانضمام إلى الثورة الجزائرية بعد هذه الاستقالة.

ج- نحو تحرير إفريقيا

يتضمن هذا القسم مجموعة من المقالات المتعددة الجوانب ومن بينها:

- أحلام الاستعمار الفرنسي وخيبته

يقول فانون: "منذ عشرين سنة شرعت الشعوب المستعمرة تحطم السيطرة الأجنبية، وتحتل مكانا بارزا في الميدان الدولي، وبدأت الدول الأوروبية تتخلى شيئا فشيئا عن مستعمراتها تحت الضغط التحرري الذي أجبرها على أن تعترف لمستعمراتها القديمة بالحرية والاستقلال، لكن هذا التخلي من الدول الاستعمارية عن ممتلكاتها السابقة لم يتم إلا بعد محاولات عنيفة يائسة جنونية للتمسك بها، ولئن كان ذلك هو شأن كل دولة استعمارية، فإن حرب الجزائر بما بلغته من عمق وعنق تمكن الملاحظين

من أن يشاهدوا بوضوح محاولات فرنسا المتتابة التي بذلت للاحتفاظ بالسلطة الفرنسية، والتي فشلت فشلا ذريعا" (36). يفسر لنا فانون كيف فشلت وخابت آمال الاستعمار الفرنسي للاحتفاظ بمستعمراتها في القارة الإفريقية، لأن إرادة الشعوب كانت قوية و متمسكة بمطلب استقلالها وحريتها، وإتباع طريق العنف والكفاح المسلح لنيل استقلالها، وقد أعطى مثال على الجزائر التي حاولت فرنسا التمسك بها لكن إرادة الشعب الجزائري كانت أقوى من ذلك.

- فقد الأعوان

كان كل نظام استعماري يعتمد على طبقة خاصة، ممن يقبلون العمل مع السلطات المحتلة، والذين يوجدون ضمن الطبقة المثقفة، لذلك ما إن انطلق لهيب الفاتح نوفمبر 1954م، حتى وجهت الحكومة الفرنسية طلبات ملحة إلى بعض الجزائريين، لكي ينددوا بهذه الحركة المتمردة التي تهدد الأمن وامتياز النشاط الفرنسي في أواخر 1954م وبداية 1955م، بتوجيه الجهود نحو تجنيد عدد أكبر من أعوان الاستعمار المخلصين، ليذيعوا تصريحات في الصحف والإذاعات، ويدعوا الناس إلى الهدوء وبقي الاستعماريون ينتظرون النتيجة لكن دون جدوى حتى الأعوان القداماء رفضوا طلب الاستعمار، منهم الإعلان مرة أخرى لأنهم أصبحوا على يقظة وأنهم على اتجاه كامل مسلح (37). يتحدث فانون عن يقظة الفئة التي كانت يد العون لفرنسا في الجزائر، ومساعدتها على تقديم أخبار وتوضيحات عن الثورة والمجاهدين، لكن فرنسا خاب أملها بعد يقظة الشعب وانكشاف حقيقتها، وكذلك إصرار الشعب الجزائري على نيل الاستقلال وحرية الجزائر.

- الحجة الاقتصادية

أمام تخلي الأعوان الذين استعملهم الاستعمار وشوهم في نظر الشعب،

لجأت فرنسا إلى طريقة أخرى تتلخص في فصل الجماهير الشعبية عن قادة الثورة المسلحة، وكان عماد هذه المحاولة فكرتان ضالتان والهدف منها تضليل الرأي العام الفرنسي والعالمى، وهما عدم وجود شعور وطنى جزائري والوعد بتغيير مستوى المعيشة وتحسينه عند السكان كفيل بإيقاف الثورة، ولذلك شرع المسؤولون الفرنسيون يكبلون الوعود تلوى الأخرى، بإنشاء منازل جديدة ومكافحة البؤس، ورفض الرأي الفرنسي العام أن يعترف بأن القضية الجزائرية سياسية بل اقتصادية واجتماعية⁽³⁸⁾. تطرق فانون إلى الإغراءات التي اتبعتها السلطات الاستعمارية، لجلب أتباع لها من الشعب الجزائري، لكنه فشل في السعي لاختراق الثورة من خلال مشاريعها الاقتصادية لأنها حاولت تضليل الرأي العام، واعتبار الثورة الجزائرية مجرد مشكل داخلي ذات طابع اقتصادي اجتماعي، لكنها باءت بالفشل لان إرادة الشعب كانت قوية في نيل استقلالها وحريتها.

د- الجلادون الفرنسيون أمام حرب الجزائر

أفشلت الثورة الجزائرية التضليل الذي مارسته السلطات الاستعمارية، التي كانت بالأمس تعتبر حقائق لا جدال فيها، وذلك بفضل طابعها الإنساني وتعلقها الشديد بالحرية، وتبرهن على إرادة الشعب، لكن أهمية ثورتنا تتمثل في الرسالة التي تحملها، لأن التعذيب الذي طبقه الاستعمار الفرنسي بالجزائر منذ الفاتح نوفمبر 1954م، حقيقة تكمن في أن الفرق العسكرية الفرنسية مرتبطة بجهاز سيطرة بوليسية وعنصرية، ترمي إلى تجريد الإنسان الجزائري من إنسانيته تجريدا كاملا مطلقا، لذلك كان التعذيب عنصرا ملازما للجهاز الاستعماري بالجزائر لا ينفصل عنه⁽³⁹⁾. إن الشعب الجزائري وما تعرض له من التقتيل والتعذيب، من طرف الاستعمار الفرنسي، إلا أنه بقي صامدا في

وجه العدو، مناضلا ومجاهدا ومضحيا بالنفس والنفيس من أجل أن تعيش الجزائر حرة مستقلة، ولم تكبح هذه الممارسات اللإنسانية عزيمة الجزائريين في رفع لواء الجهاد، والكفاح المسلح ضد هؤلاء الغزاة والطغاة الذين جنموا على أرض الجزائر.

هـ- حول مرافعة

يتوجه الديمقراطيون الفرنسيون أحيانا من وراء المجازر الجماعية أو قاعات التعذيب إلى الشعب الجزائري يطلبون منه ألا ينظر إلى مختلف العناصر التي تمثل الشعب الفرنسي بنفس نظرة الاحتقار والكرهية، وهنا يذكر أحد الفرنسيين أن كل ما يجري بالجزائر، يرتكب باسم الشعب الفرنسي، حتى لو كان حكم إعدام صدر ضد بلادها، وقد أعطى فانون مثالا عن صمود جميلة بوحيرد أمام حكم إعدامها، كما أن هذا الحكم لم يفاجأ الجزائريين (40). الشعب الجزائري لم يبد أي اندهاش من حكم الإعدام والتعذيب، لأنه لا توجد عائلة جزائرية لم يمسه التعذيب والتنقيط الجماعي، وقد خاضوا معركة لا رجوع فيها ضد السيطرة الأجنبية التي تأمل بزعزعة الإرادة الوطنية لكنها فشلت.

إن معظم الديمقراطيين الفرنسيين هو أنهم لا يتحركون إلا من أجل حالات فردية لا أثر لها سوى انتزاع دمعات أو إثارة أزمة ضمير صغيرة وهنا يثبت لنا التأخر التاريخي للضمير الفرنسي، فهو لم يتوصل إلى أن يضع مكان الكفاح من أجل احترام الحريات الفردية وحقوق الإنسان، وكفاح الشعوب، وهذا ما يفسر الاعتناء بحالات معينة، حيث كل محاولة تهدف إلى إثارة اهتمام الشعب الفرنسي انطلاقا من وضعيات قصوى، وهذه الوضعيات القصوى ليست جميلة بوحيرد، بل الوضعيات القصوى هي إرادة اثني عشر مليون نسمة هذه الحقيقة الوحيدة (41). إن فانون أعطى منا مثالا عن صمود جميلة بوحيرد الذي

حير الفرنسيين واعتبروا أن حكم الإعدام في حقها وتعذيبها سيؤدي إلى تراجع الشعب الجزائري عن كفاحه ضد العدو الفرنسي لكنه كان عكس ما توقعته السلطات الفرنسية.

و- المثقفون والديمقراطيون الفرنسيون أمام الثورة الجزائرية

إن الواجبات التي تقع على كاهل المثقفين والعناصر الديمقراطية في البلاد الاستعمارية، يأتي بواجب مساندة المطالب الوطنية للشعوب المستعمرة دون تحفظ، فهذا السلوك يقوم على معطيات نظرية هامة تتمثل في الدفاع عن فكرة الإنسان التي هي فكرة منازع فيها في البلاد الغربية، ورفض المساهمة دستوريا في تدهور وجود بعض القيم، واشتراك المصالح بين الطبقات الشغيلة في البلد المستعمر وبين مجموع سكان البلد المحتل، وأخيرا الرغبة في رفض مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها على الحكومة الاستعمارية (42).

إن هذه المساندة والتضامن بتجسيد قبل مرحلة الكفاح المسلح في تنظيم العديد من الاجتماعات العمومية خلال السنة في المصادقة على بعض اللوائح، وقد ينظم المثقفون حملات صحفية ونداءات عمومية إثر موجة استعمارية مفاجئة، تكون مقدمة لإرهاب أوسع وأشمل انتخاباتنا يحلان ومؤامرة، 1950م، 1952م بالنسبة للجزائر (43). يوجه فانون هنا الدعوة إلى اليسار الفرنسي لمساندة المطالب الوطنية للمستعمرات انطلاقا من فكرة الدفاع عن فكرة الإنسان، أي من الجانب الإنساني للتضامن مع سكان المستعمرات وعدم جحود رغبتها في تقرير مصيرها كما يدعوا المثقفون الجزائريون إلى التفرغ من أجل العمل الفكري، وضرورة الانقطاع عن كل شيء والانعزال عن العالم الخارجي لدراسة التجربة الجزائرية.

ز- المقال الثاني فيما يخص المثقفون والديمقراطيون الفرنسيون

منذ 1956م والمثقفون والديمقراطيون الفرنسيون يوجهون خطابات إلى جبهة التحرير الوطني بكيفية منتظمة، تتخللها إما نصائح سياسية أو انتقادات تتعلق بهذا المظهر أو ذلك من مظاهر حرب التحرير الوطني، إلا أن هذا الموقف الذي تتخذه النخبة الفرنسية المثقفة لا ينبغي تأويله على أنه نتيجة من نتائج تضامن مع الشعب الجزائري ينطلق من نفس المعطيات التي ينطلق منها كفاح الشعب الجزائري فالمحرك الحقيقي لتلك النصائح وتلك الانتقادات هو رغبة هذه النخبة في قيادة وتوجيه جبهة التحرير الوطني نفسها⁽⁴⁴⁾. يمكن بأن نستنتج من هذا أنه يفسر لنا تذبذب موقف الديمقراطيين والفرنسيين بين المساهمة في النضال التحريري إلى النهاية أو المعارضة، وهذا ما يكشف لنا عن عدم استعدادهم لمواجهة المشاكل الحساسة من جهة وعدم اندماجهم في الحياة السياسية الداخلية لفرنسا من جهة أخرى، كما أنهم استخدموا أساليب المساومة سواء ظلوا خارج الكفاح أو المساهمة في النضال ليعيشوا النضال من الداخل وقدموا حجج وبراهين عن هذا الموقف المضطرب بإدانة بعض الحوادث والتحفظ من بعضها ليتمكنوا من التأثير على الرأي العام الفرنسي.

ح- المثقفون والديمقراطيون الفرنسيون أمام الثورة الجزائرية

يقول فانون: "من البديهي أن الحكام الفرنسيون محقون عندما يقولون إن المشكل الجزائري يزعزع قواعد الجمهورية الفرنسية نفسها، فمنذ بضعة أعوام تعرضت خرافة الجزائر الفرنسية لامتحان رهيب، تسرب منه إلى الضمير الفرنسي مقدار من الشك في صحة هذه النظرية، وقد تمكن الملاحظون من تسجيل مدى التخريب الذي نال تلك الفكرة على المستوى العالمي، لكن هذا التطور لم يسوي تسوية نهائية مشكل التضليل الذي تولد من جراء عشرات

السنين من تعليم الكذب ومن التزييف المنظم للتاريخ" (45). إن فانون ينقل لنا اعترافات الإدارة الفرنسية بالثورة الجزائرية وكيف أثرت على الجمهورية الفرنسية داخل الجزائر وخارجها، وأدت إلى انهيار اقتصادها وفضحها أمام الرأي العام العالمي، وكشف ادعاءاتها بأن الثورة الجزائرية شأن داخلي، وإنما ثورة اجتماعية لكنها كانت خاطئة لأن الشعب الجزائري تمسك بالثورة واحتضنها، كما أسقط حلم فرنسا باعتبار الجزائر فرنسية.

ط- لن يسيل الدم المغربي هدرا

كانت حادثة اختطاف الطائرة التي تقل ممثلي جبهة التحرير الوطني، ولندوة تونس كانت شوارع مدينة الجزائر وباريس تشهد تعانق الفرنسيين فرحا، وفي 08 فيفري 1958م قبيل مقدم جلالة الملك محمد الخامس إلى تونس تلبية لدعوة الرئيس بورقيبة، من أجل ضبط الموقف فيما يتعلق بالقضية الجزائرية، قذف أسطول جوي يتركب من خمسة وعشرين طائرة باقة من القنابل على قرية ساقية سيدي يوسف. كما أطلقت قذائف ورصاص مدافعها الرشاشة التي قتلت ما يقرب من مائة مدني وجرحت ما يقرب من مائتين وخربت كامل القرية (46). إن الهجمات الفرنسية على التراب التونسي أثارت سخط الشعب، والتي تسببت في مقتل العشرات من التونسيين، وكان هذا بالنسبة لهم مجرد استقلال مؤقت لبلادهم وهذا الاستقلال الضعيف هز لنا شيء عن النزاع الفرنسي-الجزائري أولا، وعن تمركز القوى العسكرية الفرنسية في التراب التونسي ثانيا، وكان طلب الرئيس بورقيبة لفتح باب التفاوض مع فرنسا عدة مرات، لكنها رفضت وفي الأخير اقتنع الشعب التونسي بأن فرنسا لا تريد تأديبه على تضامنه مع الجزائر ولكنها أرادت استرجاع سيطرتها عليها وحثهم في ذلك أن المغرب العربي جزء لا يتجزأ وإن الإمبريالية الفرنسية تريد بسط نفوذها على كامل أجزائه (47).

يتحدث فانون عن الهجمات التي قام بها الاستعمار الفرنسي، من خلال ضربه إلى ساقية سيدي يوسف والتي تسببت في مقتل العشرات من التونسيين، واستمرت هذه الهجمات بحجة تضامن الشعب التونسي مع الجزائري في ظل الثورة التي قامت بها ضد الاستعمار الفرنسي وفي الأخير توصل فانون إلى أن الشعب التونسي قد اقتنع بأن فرنسا تريد استرجاع سيطرتها على تونس وزعموا في ذلك أن المغرب العربي جزء لا يتجزأ.

2- كتاب العام الخامس للثورة الجزائرية أو سيكولوجية الثورة

إن العقل عند الإنسان المفكر يدخل في مجال الدينامية العامة للفرد، وذلك بصفته طاقة اجتماعية للفرد ومعرفية تتفاعل بالمحيط وتحتوي الذاكرة، وتتجدد بخيال يتحرك في المطلق⁽⁴⁸⁾، وهذا ما ينطبق على فانون من خلال كتابه هذا، فعندما صدر اعتبر وثيقة دامغة ضد الاستعمار الفرنسي، ووثيقة أخرى تكشف عن تطور المجتمع الجزائري بسبب الثورة، ووثيقة ثالثة لتحرير الإنسان المضطهد وقد تم تأليفه عام 1959⁽⁴⁹⁾. ومن أهم ما تضمنه هذا الكتاب ما يلي:

أ- الجزائر تلقي الحجاب

يتعرض فانون في هذا الفصل الأول من الكتاب إلى شرح التكنيك الذي يعتمد عليه الاستعمار الفرنسي لتمزيق المجتمع الجزائري، والقضاء على شخصيته المعنوية، وسيحل الدور الذي تلعبه المرأة الجزائرية في الحفاظ على الشخصية الوطنية ومحاولات الاستعمار اتجاه المرأة الجزائرية، وهنا يظهر لنا مدى تقطن فانون للمحاولات الاستعمارية الرامية إلى هضم المرأة الجزائرية ودمجها في المجتمع الأوروبي، يقول فانون في هذا الصدد: "إن المعلمات والأخوات المسيحيات، يضاعفن جهودهن إزاء البنات كلما اقتربن من سن

البلوغ وتوجه العناية أولاً إلى الأمهات للتأثير فيهن حتى يتولين بعد ذلك إقناع الآباء، وفي هذا السبيل تقوم المعلمات والأخوات بتمجيد ذكاء البنت والثناء على نضجها، ويرسمن المستقبل الرائع الذي ينتظرها في ولفتن نظر الوالدين إلى جريمة وقف دراسة البنت وهنا لا تترددن في التسليم لمساوئ المجتمع الأوروبي وتغير من النظام الداخلي للبنت، حتى يتمكن الوالدان من تجنب انتقادات الجيران المحدودي الأفق" (50). وفي نظر أخصائي الشؤون الأهلية يعتبر قدماء المحاربين والمتطورين هم الفرق المكلفة بتحطيم المقاومة الثقافية للبلد المحتل، ومن هنا يتم تقسيم الجهات الجزائرية حسب عدد الوحدات النشيطة أي حسبما تحتوي عليه من إمكانات انجراف الثقافة الوطنية (51).

إن فانون استعرض كذلك بعض الأساليب التي يعتمد إليها الفرنسيون، مثل استغلال الفقر والجوع للنفاذ والتسرب إلى العائلات الجزائرية بواسطة توزيع السميد، فمع كل محمية من السميد توزع نسبة من الاستنكار للحجاب وفي هذا الصدد يرد فانون ملاحظة صادقة عندما يؤكد بأن: "... البرنامج الاستعماري يعتبر أن المرأة هي التي يجب أن تتعهد بالدور التاريخي في تحريك الرجل الجزائري، فتحويل المرأة الجزائرية وتحويلها إلى جانب القيم الغربية وانتزاعها من وضعها التقليدي يعني امتلاك سيطرة حقيقية على الرجل وامتلاك وسائل عملية وفعالة لتحطيم الثقافة الجزائرية" (52).

يمكن القول بأن فانون وضع كل هذه المحاولات في نطاقها الصحيح، عندما يؤكد بأن كل حجاب يسقط وكل جسم يتحرر من "الحايك" في الإطار الاستعماري دائماً وكل وجه امرأة يتعرض للأنظار، يعتبر سلباً على أن الجزائر بدأت تنتكر لنفسها، وتقبل باغتصاب المحتل، لأن المجتمع الجزائري حين يقبل ذلك كأنه قرر تغيير عاداته تحت إدارة وتوجيه المحتل. كما انه لم يخطأ في

تقدير دور المرأة الجزائرية في الحفاظ على الشخصية الوطنية، وقد كان اكتشافه لدور المرأة واكتشاف دور الثقافة الوطنية في الحفاظ على كيان الشعب وفي منع صموده وكفاحه، كل من الاكتشافين يمثلان مظاهر تأثير الثورة الجزائرية في فرانز فانون، خاصة في مرحلة تطور فانون الفكري وهي مرحلة الاندماج في الثورة الجزائرية التي بلغت مرحلة من النضج والتطور والتي أصبح كل شيء فيها واضح على ضوء ما حققته من التغيرات الاجتماعية والانتصارات السياسية التي حققتها الثورة في ظرف قصير وبلغت قطر الكثيرين إلى أهمية الدور الذي لعبته المرأة الجزائرية في الحفاظ على الشخصية الوطنية.

ب- هنا صوت الجزائر

يتحدث فانون في هذا الفصل الثاني من الكتاب عن المواقف الجديدة التي يتبناها الشعب الجزائري أثناء كفاح التحرير إزاء أداة تقنية محددة هي "جهاز الراديو"، وكيف أن الوضع الاستعماري بجملته هو الذي يستهدف من وراء هذه المواقف الجديدة، وإن معارضة مبدأ السيطرة الأجنبية ذاته يقود إلى تحولات أساسية في تدمير المستعمر، وكيفية إدراكه للمستعمر في موقعه هو كإنسان في العالم.

يقول فرانز فانون: "إن راديو الجزائر، وهو عبارة عن محطة إذاعية فرنسية مقامة في الجزائر منذ عشرات السنين، أي طبعة ثانية، أو صدى لمحطة البث الفرنسية الوطنية المقامة في باريس، يعبر قبل كل شيء عن المجتمع الفرنسي وقيمه، ومعظم الأوروبيين في الجزائر يمتلكون جهاز الراديو، فقد كانت أجهزة الراديو قبل 1945م موجودة بنسبة 95% بين أيدي الأوروبيين، أما الجزائريون الذين يكسبون الأجهزة فهم محصورون في البورجوازية المتطورة، كما يملكها بعض القبائل الذين هاجروا منذ زمن بعيد

وعادوا بعدئذ إلى القرية، إن الانقسام الاقتصادي الحاد بين المجتمع المسيطر والخاضع، يوضح جانبا كبيرا من حالة الأمور الراهنة، ولكن هذا الصنف من الوقائع يتلون بالطبع كما هو الأمر في كل وضع استعماري على نحو معين" (53).

يعالج لنا فانون قضية تقنية وهي امتلاك جهاز الراديو الذي حسبه كان له عدة محطات فرنسية سواء في الجزائر أو في فرنسا، كما أنه اعتبر ذلك يعبر عن قيم المجتمع الاستعماري الذي أراد إدخال أشياء غريبة عن المجتمع الجزائري، لكن الشعب الجزائري لا يملك جهاز الراديو إلا فئة معينة، كما أرجع ذلك إلى الانقسام الاقتصادي الذي يجعل هذه الأمور كما هو الحال في كل وضع استعماري. وقد توصل فانون إلى أن هناك تغيير اجتماعي طارئ حدث بفعل الثورة وأن جهاز الراديو لم يعد من ترسانة الغزو الثقافي الذي يمارسه الاحتلال، بل إن المجتمع الجزائري هو الذي جعل من الراديو وسيلة فريدة للمقاومة في وجه الضغوط السيكولوجية والعسكرية المتزايدة، يقرر بحركة مستقلة داخليا، تبني التكتيك الجديد، فيكون بهذا مرتبط بطرق جديدة في استخدام الإشارات التي أبدعتها الثورة.

ج- الأسرة الجزائرية

لقد رأينا بمعالجتنا للالتزام الثوري وتحويل الحجاب إلى أداة، أن تبدل المرأة الجزائرية قد أخذ ينجلي، وهذا الانقلاب لم يتمكن من التحقق دون أن يمس القطاعات الأخرى من الحياة الجزائرية بالتغيير. يقول فرانز فانون: "إن أهم نقطة في هذا التبديل، كما تبدوا لنا هي الأسرة المتجانسة، والتي تشكل كتلة واحدة تقريبا تنقسم وتتشظى فكل عضو من أعضاء هذه الأسرة يكسب في شخصيته ما يفقده في انتمائه لعالم من القيم الغامضة إلى هذا الحد أو

ذاك" (54). يتحدث فانون هنا عن أساليب الحياة اليومية للأسرة الجزائرية قبل اندلاع الثورة التحريرية، فقد كانت منسجمة ومتماسكة، الكل يؤدي دوره على أكمل وجه كما كانت هناك أعراف متفق عليها كل شخص بين أفراد العائلة يحترم الأخ الصغير للكبير، البنات للأب والابن كذلك، وبعد اندلاع الثورة تغيرت هذه القيم فأصبح كل واحد يستقل بشخصيته وأفكاره عن الآخرين، وقد وضحا فيما يلي:

- العلاقة بين الأب والابن

يأمر الأب الابن أحيانا بالتزام السكنية وترك الكفاح والعودة إلى كنف الأسرة، وتكريس نفسه لذويه، ويوجه إلى العازبين حديث الزواج، وإلى المتزوجين التذكير بواجباتهم، ويصبح أمر الخلاف مفضوحا، وهو ما يدعو الشاب الجزائري إلى الدفاع عن موقفه والبرهان على شرعية مسلكه الذي يتبناه أمام والده، وهو يدين الحذر الذي يطلبه والده ويطرحه بحزم، إلا أنه لا يوجد في ذلك رفض أو استبعاد للأب، وإنما نشهد على العكس بداية العمل على تحويل الأسرة، فالمناضل يحل محل الابن ويشرع في العمل من أجل كسب الأب إلى جانب أفكاره (55). يعالج لنا فانون قضية تطور العلاقة بين الأب والابن إبان الثورة الجزائرية، فقد كانت مسؤولية الأسرة على عاتق الأب قبل 1954م لكن بعدها أصبحت على عاتق الابن، رفيقا له في خدمة الأرض وخليفة بعد وفاته، فالولد هو الذي يصبح الحامي أو الولي على أمه وإخوته، وتطراً بذلك تغيرات جذرية على مستوى الأسرة بفعل الثورة.

- العلاقة بين الابنة والأب

يرى فانون بأن للبنات في الأسرة الجزائرية دائما مكانا وراء الابن، وكما هو الوضع في كل المجتمعات التي يمثل العمل في الأرض لها المصدر

الرئيسي لمورد القوت، فإن الذكر يتميز بمركز سيادي، بينما البنت فتكون مذلولة أو مهملة فإنها تحس إحساسا كافيا بالتقدير الذي يحاط به أخوها، كما أن الفتاة لا تملك الفرصة لكي تنمي شخصيتها ولكي تأخذ المبادرات فهي تأخذ مكانا في شبكة التقاليد المنزلية الواسعة في المجتمع الجزائري وتحيل حياة المرأة في البيت من تصرفات منحدره بالتقليد من أجيال سابقة لا تسمح بأي تجديد (56). إن قانون استعرض كذلك القيم والتقاليد التي تتلقاها البنت من طرف والدتها، فتلقنها قيمة الرجل التي لا تدانيها قيمة، كما تتجنب الحديث مع الرجال، والظهور أمام والدها في نطاق الأسرة، ومع وصولها إلى سن البلوغ يبحث في أمر زواجها حسبه لا تتطور وفق مراحل الحيلة الثلاث المعروفة في الغرب، الطفولة، البلوغ، الزواج، فالفتاة الجزائرية لا تعرف سوى مرحلتين، طفولة، بلوغ فزواج، فالأب يرى في ابنته المرأة والبنت ترى في أبيها الرجل (57).

نستنتج مما سبق أن الفتاة الجزائرية كانت تحتل المرتبة الثانية بعد الابن، وفق التقاليد والأعراف التي كانت بين الجزائريين، كما أنها لا تتمتع بشخصية منفصلة عن قرارات حياتها الشخصية، فهي تخضع لأوامر الأب كما أن لها حدود مضبوطة في نطاق الأسرة خاصة الأب الذي ينظر إليها على أنها المرأة التي يجب تزويجها، فانون هنا كانت لديه سعة تحليل شخصيات الأسرة الجزائرية والتي تغلغل في أعماقها وتقاليدها وأعرافها.

-الزواج والطلاق

يقرر الزواج بصفة عامة في الأسر الجزائرية، وبصورة دائمة يرى الزوج زوجته بمناسبة الزواج وأسباب هذا التقليد الاجتماعي والاقتصادي معروفة، فالزواج ليس عقدا شخصيا ولكنه بين عشيرة وأخرى أو بين أسرة وأخرى.

وسوف تسيير الأمور بالثورة بصورة غير محسوسة نحو التبدل، لأن وجود النساء في الجبال ولقاء الرجال بالنساء العازبات، بينما تكون المرأة قائمة على العناية بالرجل على أثر غارة أو إصابة بمرض ما، ليطرح أمام المسؤولين المحليين في جبهة التحرير الوطني مسائل غير متوقعة، لذلك يحدث أن يذهب الرجال لمقابلة الضابط ويطلبون الزواج بهذه أو تلك من الممرضات، ويتردد المسؤول في جبهة التحرير الوطني مدة طويلة، إذ لا يستطيع أي شخص أن يقرر زواج فتاة ما لم يكن هذا الشخص هو أبوها، وفي غياب أبيها أو عمها أو أخوها (58).

إن الثورة كشفت وأزالت بعض التقاليد والمفاهيم التي كانت متداولة من قبل، وأصبحت المرأة تعمل جنبا إلى جنب مع الرجل ويحدث التعارف، وبذلك تتم مراسيم الزواج التي كانت لا تتم إلا بحضور الولي الشرعي للفتاة ويصبح بذلك المسؤول العسكري هو الذي يمثلها، كما أن قانون كانت له أدق تفاصيل الحياة اليومية للشعب الجزائري وفي عمق الأسرة، فقد استعرض كذلك التغيرات التي تبعت الزواج حيث أدى ذلك إلى فتح سجلات للأحوال الشخصية، يمكن عندئذ تسجيل عقود الزواج والمواليد والوفيات وكذلك عادة ترتيب المراسيم للزواج بين الأسر، وتكون ارتباطات القران جميعها اختيارية، وعندما يسمع الأب بزواج ابنته في الجبل لا يعترض على ذلك، بل تطلب صور الزواج ويرسل الأطفال الذين يولدون إلى الأهل لتربيتهم (59).

3- كتاب معذبو الأرض

كان هذا الكتاب الأخير الذي ألفه فانون في خضم الثورة التحريرية، والذي انتهى من تأليفه سنة 1961، الذي أحدث صدى عالمي وترجم لعدة لغات. ومن أهم ما حمله بين طياته ما يلي:

أ- في العنف

إن العنف يلعب دورا بالغ الأهمية في تحرير المستعمرة، لأن العالم الكولونيالي بني أساسا على العنف وليس ثمرة تفاهم وفي ذلك يقول فانون: "إن محور الاستعمار هو حدث عنيف دائما أنه إحلال نوع إنساني في مكان نوع إنساني آخر، بمعنى آخر إنه تغيير نظام العالم، إنه نزال بين قوتين متضاربتين تحت شعار العنف، ولا يمكن أن يكون محور الاستعمار دون أن يلاحظ أحد، فهو لا يتم إلا بعد قتال حاسم مميت يخوضه الطرفان المتنازعان" (60).

إن العالم الاستعماري مقسم إلى قسمين، من الأوروبيين ومدن للسكان الأصليين، أما الأولى يسودها النظام الرأسمالي، وهي مدينة صلبة أنوارها ساطعة، أما الثانية فهي إما قرية أو بلدة الأهالي، فهم حي سيئ السمعة ويقطنون في أكواخ وصناديق القمامات مرتمية في الشوارع، فهي مدينة جائعة للخبز، فهم يحلمون أن يناموا على فراش دافئ ومدينة للسكان الأصليين يسودها النظام الاشتراكي (61). يقول جاد في الجمعية الوطنية الفرنسية: "إن علينا أن لا نلوث الجمهورية بإدخال الشعب الجزائري إليها، ذلك أن القيم تتحسم وتفسد على نحو لا يمكن إصلاحه من جعلها تحتك بالشعب المستعمر، إن عادات الشعب المستعمر وتقاليد وخرافاته، هي بعينها علامة هذا الاحتفاظ وهذا الفساد القائم في تكوين ذاته" (62). إن المستعمر حينها يسمع خطابا عن الثقافة القريبة نجده يلتمس خنجره، ليتأكد من وجوده، وذلك أن العنف الذي كمل تفوق على قيم البيض، يجعل المستعمر يسخر من يتحدث أمامه عن هذه القيم، إن المستعمر لا يتوقف أثناء فترة الاستعمار عن عمله في إنهاك المستعمر وتحطيمه (63).

ب- الانطلاق العفوي عظمة ومواطن ضعفه

إن تحقيق الوعي السياسي يتم بتكاثر الحركات التي تطالب بالحقوق وتكاثر الصراعات الثقافية، كما أن قيام الأحزاب السياسية في البلاد المستعمرة، معاصر لنشوء نخبة من المثقفين والتجار. إن ما يغيب عن الأحزاب السياسة في البلدان المتخلفة هي أنها نتيجة لاهتمامها الأول بالعناصر الواعية من الشعب والطبقة العاملة في المدن أصحاب الحرف والموظفون ونجد أن الروليتاريا اقل استعداد لتلبية نداء الشعارات التي قد تعيش في المدن هي طبقة لا تخشى أن تخسر، فهي من الشعب المستعمر ذلك الجزء الضروري الذي لا يسعى عنه لحساب الآلة الاستعمارية، سائقو الحافلات وعمال المناجم وهذه العناصر هي التي تضمها الأحزاب الوطنية، وبهذه الامتيازات التي تملكها في ظل النظام الاستعماري يمكن أن تعد الجزء البرجوازي من الشعب المستعمر⁽⁶⁴⁾. يمكن القول بأن أكثرية الأحزاب الوطنية "المثقفين الموظفين" يرون الأرياف كراي المستوطنين، لأن الاستعمار قرر سيطرته بواسطة العمل على تجميد الأرياف وتحضيرها على أنها مازالت إقطاعية كما ينعتها الإداريون والعسكريون الاستعماريون، أما الفلاحون فينظرون إلى سكان المدن بأنهم خونة، وفي ظل هذا الصراع نجد أن الاستعماريون يستفعلون هذا الوضع في صراعهم مع الأحزاب الوطنية، فهم يجيبون سكان الجبل ضد سكان المدن⁽⁶⁵⁾. إن قانون ينظر في تدافعه الواسع لإعطاء دور للفلاحين قيمة مميزة ومنحها الأفضلية كلها في حرب التحرير، وذلك يعم إهمال كلية الوظيفة المسيرة لطبقات المجتمع فبمشاركتها كان منذ بداية الاحتلال 1830م إلى غاية الحرب العالمية الأولى لم تضعف قوتها، وهي بذلك تعتبر السبابة لحمل السلاح في وجه العدو الغاشم الذي حسم على أنفس الجزائريين مدة طويلة، عاش الشعب

الجزائري منها الولايات (66).

ج- في الثقافة القومية

إن الأجيال السابقة في البلاد قاومت أعمال الاستنزاف التي تابعه الاستعمار من جهة وهيئات لنضج الكفاح من جهة أخرى، فهذه الأجيال لم تستسلم للاستعمار ولم ترضخ للذل والمهانة، وبقيت صامدة في وجهه، ناضلوا بأسلحتهم التي يملكونها، كما قاموا بعدة ثورات لقمع المستعمر كان لا بد لهذه الثورات حتى يتمكن الجيل اللاحق من أن يقوم بالكفاح من أجل تحقيق النصر (67).

سنتعرض هنا إلى مسألة أساسية وهي مشروع المطالبة بإنشاء أمة، إن ما يهم الحزب السياسي هو أن يفهم الشعب الذي يسمع حديثه ضرورة المشاركة في المعركة إذا كان حقا يطمح للبقاء والاستمرار. إن الاستعمار يحاول أن يوهم الشعب بأن البلاد تشكو من حالة تخلف ويجب بذل الجهود الاقتصادية والاجتماعية كفتح ورشات التشغيل، فالاستعمار سيعلم آجلا أم عاجلا أنه ليس في وسعه وضع إصلاحات اقتصادية واجتماعية ترضي مطامح الشعب المستعمر، كيف ذلك فهو جاء لنهب ثروات البلاد، فليس في وسعهم تقديم ظروف مادية تنسي المستعمر اهتمامه بالكرامة (68).

د- الحرب الاستعمارية والاضطرابات النفسية

عان الشعب الجزائري منذ اندلاع الثورة التحريرية خراب ودمار أثر على سلوكه العقلي وانفعالاته أي على نفسيته بصفة عامة، وكذلك تأثيرا بليغا على المستوى العقلي، إذ صدر الاستعمار الفرنسي الكثير لمستشفيات الأمراض العقلية من المرضى. لقد أصبحت حرب التحرير الوطني التي يخوضها الشعب الجزائري طوال سبع سنوات نزية صالحة لانطلاق الاضطرابات العقلية، وهناك

حالات مرعبة من الجزائريين والفرنسيين تم علاجهم. فقدان العاطفة وهم مرضى ساكنون لا يتحركون ليس فيهم دافع ليعيشوا حياتهم يوما، وهذا المرض نتيجة فقدان الاهتمام والرعاية منذ الطفولة الخوف، والارتباك، ويعيشون حياة مضطربة وعدم الاطمئنان⁽⁶⁹⁾. وقد تطرق فانون للأمراض الجسمية، الناتجة عن التعذيب ونذكر منها:

- قرحات في المعدة: تتفاقم الآلام في الليل مع تقيء شديد، معظم هؤلاء المرضى (من 12 إلى 25 عاما) وهذا يرجع إلى الخوف، سوء التعذيب... الخ.
- نوبات مفاجأة تسارع في خفقات القلب: تزداد عدد خفقات القلب على حين فجأة، 120، 130، 140 في الدقيقة وبصاحب هذا التزايد خوف وشعور باقتراب الموت، وهذا الخفقان ناتج عن الخوف الشديد، هؤلاء شاهدوا التعذيب والشنق والذبح⁽⁷⁰⁾.

إن الشعب إذا أراد أن يتحرر لأبد من أن يضحى ويحب الحياة ويكره الموت، كل ذلك تكتسي به الثائرة المقاتلة المدافعة عن السلام والمسلمين، التي كانت قدوة للشعوب التي تعرضت للاستعمار بمختلف أشكاله.

خاتمة

كانت فترة ظهور فرانز فانون على الساحة الجزائرية، خلال فترة الخمسينات وهي من أهم محطات تاريخ الجزائر، فمجيؤه إلى الجزائر كان بمثابة محطة في مسيرة حياة رجل شارك وانخرط في صفوف الثورة الجزائرية، ليواصل في سبيل حرية واستقلال الجزائر ليس على مستواها فحسب وإنما على مستوى تونس وإفريقيا، الذي عمل فيها من أجل القضية الجزائرية، لذلك كانت كتابات فانون بمثابة المصادر الأولية عن تاريخ الثورة التحريرية، فهي غنية وثرية بمختلف المواضيع. كما أنها تحمل في طياتها وقائع وأحداث ربما لا

يعرفه الجزائري في حد ذاته، والتي كانت ذات طابع اجتماعي نفسي، خاصة من خلال كتابيه "العام الخامس للثورة الجزائرية" و"معذبو الأرض". فعلى هذه الشخصية لا يزال فكرا خصبا غير مدروس وهو ما يبقي على العديد من التساؤلات والاستفهامات حول العديد من القضايا الفكرية التي ستكون مواضيع الباحثين الجامعيين في المستقبل.

الهوامش:

(1) سليمة كبير: فرانز فانون المفكر الغانص في أعماق الثورة الجزائرية، الجزائر: المكتبة الخضراء، د. ت، ص9؛ وأيضا طه طنطاوي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، ط1، مكتبة جزيرة الورد، 2012، ص14.
(2) محمد الملي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، الجزائر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، 2010، ص121.

(3) المصدر نفسه، ص13.

(4) محمد الشريف ولد الحسين: من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال 1830 - 1962، الجزائر: دار القصة للنشر والتوزيع، 2010، ص147.

(5) Achour chourfi: **Dictionnaire Encyclopédique de l'Algérie**, Algérie: Edition ANEP, 2010, p485.

(6) Ibid, p486.

(7) Macy David: **Frantz fanon une vie**, paris- France: édition la découverte, 2011, P46.

(8) William streickhand: **Frantz fanon**, The life and work, Afro- American studies faculty publication series, 1979, p68.

(9) محمد الملي: المصدر السابق، ص12.

(10) حسين هلال: "فرانز فانون سيرة حياة"، مجلة قاسيون، ع/531، (سوريا)، 17 كانون الأول 2011، ص15.

(11) William streickhand: op.cit, p69.

(12) فرانز فانون: **معذبو الأرض**، ترجمة: سامي الدوري، عمال الأجناسي، المؤسسة الوطنية للاتصال والإشهار، الروبية، الجزائر، 2010، ص10.

(13) William streickhand: op.cit, p70.

(14) **ايمي سيزار Aimé Césaire**: شاعر وكاتب وسياسي ولد في 26 جون 1913م بباس بوانت بالمارتينيك، شغل كرسي نيايبا في المارتينيك قرابة خمسين عاما، دخل عالم الأدب من باب ديوانه الشعري

"دفتر العودة إلى أرض المنشأ" في عام 1939م استخدم كلمة "الزنوجة". توفي في 17 أفريل 2008م بفور دوفرانس بعد صراع طويل مع مرض القلب. ينظر: محمد فضل محمد عبد الخالق وآخرون: الموسوعة العربية العالمية، ط2، ج13، الرياض-المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999، ص393.

(15) سليمة كبير: المرجع السابق، ص11.

(16) عبد الحميد فحيري: فرانز فانون بعض الملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1985، ص18.

(17) المرجع نفسه، ص19.

(18) فرانز فانون: معذبو الأرض، المصدر السابق، ص11.

(19) عبد الله مقلاني: قاموس أعلام وشهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، قسنطينة-الجزائر: منشورات بلوتو، 2009، ص401.

(20) Senoussi Sadder: **Onds de choc les transmissions durant la guerre de libération**, Alegria: édition ANEP, 2002, p12.

(21) فرانز فانون: معذبو الأرض، المصدر السابق، ص12.

(22) فرانز فانون: العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة: ذوقان قرقوط، بيروت، لبنان: دار الفارابي للنشر والتوزيع، 2004، ص6.

(23) تائر دوري: "أشباح فانون (الجزء الأول)"، مجلة كنعان، ع/ 1086، (بيروت)، السنة السابعة، مارس 2007، ص04.

(24) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي مرحلة الثورة (1962-1954)، ط1، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2007، ص600.

(25) سليمة كبير: المرجع السابق، ص21.

(26) الشاذلي بن جديد: مذكرات الشاذلي بن جديد ملامح حياة (1979-1929)، ج1، الجزائر: دار القصة للنشر، 2011، ص168.

(27) المصدر نفسه، ص168.

(28) المصدر نفسه، ص168.

(29) المصدر نفسه، ص169.

(30) جون بول أيمارد سارتر **Jean-Paul Aymard Sartre**: ولد في 21 جوان 1905م بباريس، بدأ حياته الدراسية في أكتوبر 1915م بثانوية هنري الخامس بباريس، وفي 1924 دخل سارتر المدرسة العليا للأساتذة حيث التقى بعدة طلبة أصبحوا فيما بعد كخبة فرنسية وسجلوا أسمائهم في تاريخ الفكر المعاصر أمثال ريمون أروان، وموريس مورلو بوانتي وغيرهم. لقد آمن بفكرة الحرية والتي تعد من بيت

- التزاماته. كما ندد بشدة وحشية الجيش الفرنسي في الجزائر. توفي 15 أبريل 1980 عن عمر يناهز 75 عاما بمستشفى بروسيه بباريس. ينظر: جون بول سارتر: مواقف مناهضة للاستعمار، ترجمة: أحمد معراجي، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، 2007، ص3؛ إبراهيم هلاي: "موقف النخبة المثقفة الفرنسية من الثورة الجزائرية (1962-1954) فرانس فانون وجون بول سارتر أنموذجاً"، مجلة كان التاريخية، ع/39، السنة الحادية عشر، مارس 2018، ص112 وما بعدها.
- (31) العربي الزبيري وحسينة حماميد: المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية، ط1، الجزائر: متيجة للطباعة والنشر، 2007، ص 117.
- (32) أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، ص49.
- (33) فرانس فانون: من أجل إفريقيا، ترجمة: محمد الميلي، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1996، ص ص13، 14.
- (34) مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، ط1، بيروت - لبنان: دار الفكر المعاصر، 1993، ص267.
- (35) فرانس فانون: من أجل إفريقيا، المصدر السابق، ص35.
- (36) المصدر نفسه، ص41.
- (37) المصدر نفسه، ص ص41، 42.
- (38) المصدر نفسه، ص42، 43.
- (39) المصدر نفسه، ص47.
- (40) المصدر نفسه، ص57.
- (41) المصدر نفسه، ص58، 59.
- (42) المصدر نفسه، ص61.
- (43) المصدر نفسه، ص62.
- (44) المصدر نفسه، ص66.
- (45) المصدر نفسه، ص70.
- (46) المصدر نفسه، ص90.
- (47) المصدر نفسه، ص91.
- (48) عشراتي سليمان: الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص110.
- (49) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص600.
- (50) فرانس فانون: العام الخامس للثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص23.

- (51) المصدر نفسه، ص23.
- (52) المصدر نفسه، ص24.
- (53) المصدر نفسه، ص65.
- (54) المصدر نفسه، ص101.
- (55) المصدر نفسه، ص ص105، 106.
- (56) المصدر نفسه، ص109.
- (57) المصدر نفسه، ص110.
- (58) المصدر نفسه، ص ص118، 119.
- (59) المصدر نفسه، ص ص120، 121.
- (60) فرانز فانون: **معذبو الأرض**، المصدر السابق، ص28.
- (61) المصدر نفسه، ص29.
- (62) المصدر نفسه، ص30.
- (63) المصدر نفسه، ص35.
- (64) المصدر نفسه، ص ص111، 112.
- (65) المصدر نفسه، ص ص112، 113.
- (66) محمد تقيّة: **الثورة الجزائرية المصدر، الرمز والمآل**، ترجمة: عبد السلام عزيزي، الجزائر: دار القصبّة للنشر، د. ت، ص189.
- (67) فرانز فانون: **معذبو الأرض**، المصدر السابق، ص226.
- (68) المصدر نفسه، ص227.
- (69) المصدر نفسه، ص275.
- (70) المصدر نفسه، ص276.

الثورة الجزائرية وكتاب "حرب الجزائر والجنرال سالان" LA Guerre d'Algérie du Général Salan

د/د عبد الرزاق فراحتيه

جامعة باتنة 01

abderrazak.ferahtia@univ-batna.dz1

المخلص:

لقد شكل تاريخ الثورة الجزائرية مادة خصبة للكثير من الكتاب والباحثين خاصة الفرنسيين الذين قدموا قراءة فسرت في معظمها وجهة نظر الطرف الآخر والتي غالبا ما اختلفت في مضمونها عما قدمه نظرائهم من الجزائريين لكن وعلى الرغم من ذلك شكل هؤلاء بما كتبوه عن الجزائر حقلا خصبا يمكن الولوج إليه بالبحث والتنقيب دفاعا عن الثورة وحماية لها من كل تزوير أو تشويه طالها من تلك الكتابات على أن يكون ذلك وفق قراءة موضوعية وواقعية للأحداث تسمح بالوصول إلى الحقيقة أو الاقتراب منها قدر المستطاع واعتبارا لما سبق تأتي هذه المحاولة لتقديم كتاب (LA Guerre d'Algérie du Général Salan) "حرب الجزائر للجنرال سالان" للمؤرخ الفرنسي (Jacques VALETTE) "جاك فاليت" الذي قدم مادة تاريخية ثرية استقاها من مذكرات احد صانعي الاحداث إبان الثورة التحريرية والتي تضمنت مقاربة عسكرية وأمنية جسدها ضمن استراتيجية سخر لها الجنرال سالان كل الامكانيات المتاحة له للقضاء على الثورة الجزائرية.

Abstract :

The history of the Algerian revolution has constituted a fertile material for many writers and researchers, especially the French, who presented a reading that explained, for the most part, the viewpoint of the other party, which often differed in its content from what was presented by their Algerian counterparts, but despite that, those who wrote about Algeria formed a fertile field that can be accessed By researching and excavating in defense of the revolution and protecting it from any forgery

or distortion of these writings, provided that this is in accordance with an objective and realistic reading of the events that allows access to the truth or as close to it as possible. Salan) "The Algerian War of General Salan" by the French historian (Jacques Vallette) who presented a rich historical material that he gleaned from the memoirs of one of the events makers during the liberation revolution, which included a military and security approach to her body within a strategy for which General Salan harnessed all the possibilities available to him to eliminate Algerian Revolution.

مقدمة:

أمام ما حققته الثورة الجزائرية من نجاحات على الصعيد العسكري في الفترة الممتدة من 1954 على 1956، عاشت الحكومة الفرنسية حالة من التخبط والارتباك فقدت معه القدرة على التحكم في الوضع والسيطرة عليه، ولعل السبب المباشر في ذلك يعود إلى قصور قيادتها العسكرية في فهم حقيقة الحرب الدائرة في الجزائر، ومع ما لحق بجيشها من هزائم جعلها تبحث عن مخرج للمأزق الذي وضعت فيه الأمر الذي دفعها في كل مرة إلى تغيير القيادة العسكرية في الجزائر، أملا منها في تحقيق انتصار تعيد به بعض هيبتها التي فقدتها بفعل الضربة الموجهة التي تلقتها على يد "الفيات منه" في الهند الصينية، وأتت على ما تبقى منها جبهة التحرير وجيشها الوطني، فعينت في منتصف سنة 1957 الجنرال سالان قائدا لجيشها في الجزائر ولم يدخر هذا الأخير جهدا، مستغلا كل الإمكانيات المادية واللوجستية ومستعرضا كل الخطط العسكرية شرقا وغربا شمالا وجنوبا رغبة منه في حسم المعركة عسكريا. فما هي الاستراتيجية التي اعتمدها الجنرال سالان ضد الثورة الجزائرية

تقديم الكتاب:

أولا: من حيث الشكل

1/ صاحب الكاتب:

جاك فالبييت من مواليد 1929 كاتب ومؤرخ فرنسي وحاصل أيضا على دكتوراه في الأدب، وأستاذ جامعي تخصص في تاريخ الاستعمار، عاصر أحداث الثورة الجزائرية، له العديد من المؤلفات عن الجزائر في الفترة من 1954 إلى 1962 منها هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

2/ التعريف بالكتاب:

- عنوان الكتاب: LA Guerre d'Algérie du Général Salan

- المؤلف: Jacques VALETTE

- سنة الطبع: 2008

- دار النشر: L'esprit du livre éditions, 22, rue Jacques-Rivière 92 330 Sceaux

- عدد الصفحات: 228 صفحة مقسمة إلى اثنا عشر باب بعناوين

مختلفة:

الباب الأول: LA CONCEPTION DE LA GUERRE

مفهوم الحرب

الباب الثاني: LE PROBLÈME DES EFFECTIFS

مشكل القوى العاملة

الباب الثالث: LES RÉALITÉS DE LA GUERRE

حقائق الحرب

الباب الرابع: LE RENSEIGNEMENT, ARME PRIORITAIRE

المعلومة سلاح ذو أولوية

الباب الخامس: UNE ARME NOUVELLE: LA GUERRE

PSYCHOLOGIQUE

سلاح جديد: الحرب النفسية

JUSTICE, EXACTIONS ET MORAL DE : الباب السادس:
L'ARMÉE

العدالة وانتهاكات الجيش

ARMÉE ET POLITIQUE NOUVELLE : الباب السابع:

الجيش والسياسة الجديدة

الباب الثامن:

LE GÉNÉRAL SALAN ET L'OFFRE FRANÇAIS DE
CESSEZ-LE-FEU

الجنرال سالان والمقترح الفرنسي لوقف إطلاق النار

LA BATAILLE DU BARRAGE TUNISIEN : الباب التاسع:

معركة الحاجز التونسي

LA DÉFENSE DE LA FRONTIÈRE MAROCAINE: الباب العاشر:

الدفاع عن الحدود المغربية

LE FRONT SAHARIEN: الباب الحادي عشر:

جبهة الصحراء

الملاحق: وعددها 16 وثيقة ما بين تقارير ورسائل وخرائط خاصة بالجنرال سالان

ثانيا: من حيث المضمون

استهل الكاتب مقدمته بالحديث عن تعيين سالان (Salan) كقائد أعلى مسؤول عن ثلاث وحدات قتالية مختلفة الأسلحة بالجزائر وهذا بتاريخ 1956/12/1، حيث تم ترقيته إلى رتبة عميد أي جنرال، وهذا لصعوبة مهمة الجيش الفرنسي في الجزائر، الذي عجز عن القضاء على الثورة التي امتد عمرها لعامين متتالين؛ حيث أكد الكاتب أن فرنسا كانت في تحدي كبير كون

الجيش الفرنسي متعود على الحرب الكلاسيكية الهجومية منها والدفاعية واكتسب تجربة حتى من حرب الفيتنام رغم الهزيمة، لكن في الجزائر الوضع اختلف، أين وجد الفرنسيون أنفسهم امام حرب من نوع آخر "الحرب الثورية"، وهي حرب هدفها إحداث تغيير شامل وجذري؛ الأمر الذي دفع بالحكومة الفرنسية إلى اعتماد حلول أخرى تشمل الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وتأمين مصالحها في شمال إفريقيا خاصة في ظل الرفض الأمريكي للتواجد الفرنسي على الحدود التونسية شرق الجزائر، ولأن أطرافاً ترفض مثل هذه الحلول جاء بالجنرال صالان لتغليب الحل العسكري وإنهاء الثورة الجزائرية بالقوة، وسيجد هذا الأخير صعوبات جمة في تجسيد قناعاته ما دفعه إلى دعم شارل ديغول (Charles de Gaulle) في الوصول إلى السلطة حيث كان أحد مهندسي انقلاب 13 ماي 1958 الذي أفضى إلى قيام الجمهورية الخامسة من أجل تطبيق ما روج له من خطة عسكرية وصفها بـ "الاستراتيجية الواقعية" للقضاء على الثورة التحريرية¹.

في حيثيات الموضوع تناول الكاتب الوضع العسكري في الجزائر قبيل تعيين الجنرال صالان، موضحاً أن الجيش الفرنسي وجد صعوبات جمة في التعامل مع الأساليب المتنوعة التي يقوم بها المتمردين (المجاهدون). الذين يركزون في عملياتهم على أهداف عسكرية وأخرى إدارية ومدنية وصفها بالتخريبية، وأمام الانقسامات الحاصلة على المستوى الحكومة الفرنسية وقيادتها العسكرية بشأن وضع رؤية استراتيجية موحدة تم في جوان 1956 استبدال الجنرال شيرير (Charrière) قائد المنطقة العاشرة الذي عجز عن إيجاد الحل

1 Jacques VALETTE, LA Guerre d'Algérie du Général Salan, L'esprit du livre éditions, France, 2008, p 11

بالجنرال لوريوت (Lorillot) الذي قام باتخاذ إجراءات أشد صرامة وأكثر دموية منها على سبيل الذكر لا الحصر، إعطاء الأمر بالقتل لمجرد الاشتباه، وبالرغم من ذلك فشل في إيقاف العمليات الفدائية، حيث اعترف شخصيا في 4/10/1956 بقوله: "لم أر النتائج التي كنت أتمنى أن أحصل عليها" وفي نهاية المطاف تم إبعاده عن قيادة الجيش الفرنسي¹.

ذكر الكاتب أن الجنرال سالان أشار في مذكراته أنه من أكبر المشاكل التي واجهته بعد تعيينه في منصبه الجديد (قائد عام) مشكلتين: المشكلة الأولى، تأمين الحدود الشرقية والغربية في ضل عمليات التهريب للأسلحة التي تستعملها عناصر جيش التحرير الوطني لضرب أهداف عسكرية وأخرى مدنية وبالرغم من أنه قام خلال شهر فيفري 1957 بعمليات ملاحقة لعناصر جيش التحرير واسعة النطاق على المقاطعات غرب العاصمة في محاولة لمنع القطاع الوهراني أن يتحول إلى أوراس ثانية، فإن ذلك لم يكن كافيا ما دفعه إلى التفكير في وضع حواجز من أجل تطويق الحدود، أما المشكلة الثانية، فتتعلق بتأمين نقل النفط من منابعه بالصحراء إلى مناطق تفرغته بسواحل الجزائر سواء ما تعلق بالشاحنات أو سكة الحديد وهي مهمة جديدة أضيفت إلى المهام التي كلف بها.

في ظل شح الموارد كتب الجنرال سالان تقريره إلى السلطات الفرنسية، حيث جاء القائد العام الجنرال إيلي (Ely) خصيصا للنظر في حيثيات ذلك التقرير، ودراسة المقترحات التي جاءت فيه وأبرزها العدول عن قرار تخفيض الخدمة العسكرية إلى 18 عشر شهر بحسب مقترح الحكومة، لأن ذلك من شأنه إحداث استنزاف ليس فقط في العدد بل ومن حيث نوعية الجنود

العاملين في لجيش الفرنسي بالجزائر ، وبخاصة وأن التقرير أشار بوضوح إلى شح في الموارد البشرية، ولمعالجة هذا العجز طالب الجنرال سالان بتحويل فرقة المشاة (DI.11) والفرقتين المضلّيتين (25 DP, 10 DP) بعد انسحابها من تونس إلى الجزائر ، وما يمكن ملاحظته على التقرير أنه حمل اعترافين مهمين اعتراف أول: استشرّف فيه سالان بطول أمد الحرب ومن ثمة استحالة التنبؤ بنهايتها أو تحديد موعدا لذلك واعتراف ثاني أقر فيه بقوة جيش التحرير الوطني حيث تم التطرق إلى طبيعته، كونه ذو بنية تحتية سياسية ولوجستية صلبة وواسعة الانتشار، وأن العناصر المنضوية فيه ذات تكوين ونوعية¹.

أشار الجنرال سالان أيضا في تقريره؛ إلى أنه خلال الفترة الممتدة من جوان إلى أوت 1957 استطاعت قواته شل نشاط ما يقارب من 1000 من قادة وجنود جيش التحرير في منطقة القبائل بفضل تجنيد أكثر من 9300 حركي كانت مشاركتهم في القتال فعالة، إلى جانب الحرب النفسية والدعائية، التي صاحبت تلك العمليات وتسخير أكثر من 12 ألف عامل لإصلاح الطرقات، بالإضافة إلى تحسين الظروف الصحية والتعليمية للسكان بتقديم المساعدات من فرق عسكرية طبية وتوفير مقاعد الدراسة لأبناء منطقة القبائل، في محاولة لثنيهم عن الالتحاق بالثورة².

حسب الكاتب فبعد حسم الجنرال سالان لمعركته الأولى بالعاصمة عقب فشل إضراب الثمانية أيام الذي قامت به جبهة التحرير الوطني (28 جانفي 4 فيفري)، أراد أن يعطى لحرب الجزائر ديناميكية تحسم الموقف عسكريا لصالح فرنسا، وهذا في ظل احتمالية الذهاب إلى المفاوضات التي قد

1 Jacques VALETTE, op cit, pp 14.15.

2 Jacques VALETTE, op cit, p15.

تضعف موقف المفاوض الفرنسي أمام المفاوض الجزائري، إذا لم يتم الحاق هزائم بجيش التحرير، مبدي قناعته بالاستمرار في العمل في إطار الجزائر الفرنسية وقد ساندته في ذلك عضوين من الحكومة ويتعلق الأمر بكل من الجنرال أندري موريس (André Morrice) والوزير المقيم الجنرال روبيرت لاکوست (Rebert Lacoste) اللذين أكدا أنه لا حل إلا فيما اقترحه الجنرال سالان¹.

طالب أعضاء في الحكومة الفرنسية أيضا الجنرال سالان حسم المعركة قبل شتاء 1958. من هؤلاء القائد العام الجنرال "إيلي" (Ely) الذي ألح على الحاجة إلى "عمل عسكري مضاعف" والكلام نفسه صدر من الوزير شابان دالماس (Chaban-Delmas) الذي طلب منه تقديم "خطة عمل للحرب القادمة" تعتمد على ما سماه: "مشروع هجومي عام"، يحقق الأهداف التالية: تحصين الحدود التونسية، والقضاء على العصابات الموجودة في الحدود، وتطهير الاطلس الصحراوي. ونتيجة لذلك تم القيام بـ 15 عملية قادتها 25 كتيبة و 23 سرب من الطائرات و 18 فرقة مدفعية فقد على إثرها جيش التحرير 244 مجاهد حسب مزاعم الفرنسيين².

ذكر الجنرال سالان في تقرير آخر أن المشكلة في الخطة التي وضعها، تعود إلى نقص الجنود العاملين في الجيش الفرنسي، وهذا بسبب تطبيق قرار تخفيض الخدمة العسكرية إلى 18 شهرا، حيث خسرت القوات الفرنسية في الجزائر 370 ألف جنديا بتسريحهم، وهذا خلال مدة وجيزة، أي في الفترة الممتدة من نوفمبر 1957 إلى فيفري 1958 فقط وطالب بإعادة

1 Jacques VALETTE, op cit, pp 16.17.

2 Jacques VALETTE, op cit, p20.

المدة كما كانت من قبل أي 24 شهر وقد ساندته في اقتراحه هذا الجنرال زيلر (Zeller) الذي طالب برفعها إلى 27 شهرا، وفي اجتماع الرئيس شارل ديغول بالجزائر العاصمة في 1959/2/7 حاول الجنرال صالان إقناعه بمد الخدمة العسكرية إلى 27 شهر مثلما اقترح الجنرال زيلر، لكن ديغول رفض واكتفى بدراسة مقترح 24 شهر حفاظا على التوازن العسكري في الجزائر¹.

خلفيات خطة صالان تعود إلى خريف 1956 حين شعر القادة العسكريون بالعجز نتيجة قوة الثورة في جبال الاوراس ومنطقتي القبائل والشمال القسنطيني، حيث اكتشف الجنرال صالان خطورة الوضع وهذا أمام الضربات القوية لجيش التحرير الوطني، ونتيجة لحرب العصابات والكمائن أصبح الطريق الرابط بين الصومام والجزائر العاصمة غير آمن، كما وصلته تقارير استخباراتية تفيد بأن منطقة الصحراء بها حوالي 400 عنصر من عناصر جيش التحرير بالإضافة إلى عناصر أخرى متواجدة بجبال الناظور المغربية، وأن قوافل من الجمال والشاحنات محملة بالأسلحة تمر عبر الشريط الحدودي من الجنوب إلى الغرب، الأمر الذي أصاب عناصر الجيش الفرنسي بالإحباط بحسب ما توصل إليه الجنرال صالان من نتائج².

ذكر الجنرال صالان أيضا أنه في 14 أوت 1957 تم الاستعانة بقوات إضافية منها 4500 جندي تم توجيهها إلى العاصمة و2200 آخرين إلى وهران و2600 نحو قسنطينة، كما تم إرسال 3000 مضلي إلى باريس جراء تزايد العمليات التي وصفها بالإرهابية هناك، وبالرغم من ذلك أقر صالان باستمرار هجمات جيش التحرير الوطني في العديد من المناطق ضد الجيش

1 Jacques VALETTE, op cit, pp 31.33.

2 Jacques VALETTE, op cit, pp 38.39.

الفرنسي، وأشار أنه بالرغم من الظروف المناخية الحارة والرقابة الشديدة من القوات الفرنسية في الاطلس الصحراوي ناحية الاغواط إلا أن ذلك لم يمنع هؤلاء من اعتراض طريق القوافل¹.

بالعودة إلى منطقة القبائل، فبالإضافة إلى اعتماد الجنرال سالان على القوة والترهيب مع الموالين لجبهة التحرير في منطقة القبائل اعتمد أيضا على أسلوب الحرب النفسية مع بقية السكان ، وهذا من خلال وضع خطة يتم تنفيذها على أربع مراحل: المرحلة الأولى يتم فيها تكليف المكتب الثاني بإجراء دراسة شاملة، لمعرفة ذهنية السكان وطريقة تفكيرهم، ومرحلة ثانية يتم فيها القضاء على البنية التحتية لجبهة التحرير في المنطقة والقضاء على المشتبه فيهم، والمرحلة الثالثة تشكيل بنية تحتية فرنسية في المنطقة مدارس ومستشفيات، ومرحلة رابعة يتم فيها وضع شبكة لنظام دفاعي وأمني بتجنيد العملاء والخونة².

الأسلوب الوحشي للجنرال سالان مع الثورة الجزائرية أدخله في صراع مع العديد من رجال قضاء والصحافة الفرنسيين، حيث واجه تهما بانتهاكات قام بها ضباط تابعين له، في حق معتقلين جزائريين سواء بالاختفاء القسري أم الاعدامات دون محاكمة، وأشبعها القتل خنقا بسد فتحات التهوية ضد السجناء، وقد أحيل العديد من هذه الملفات على القضاء العسكري الذي جملة المسؤولية في ذلك، وقد اعتبرها سالان حملة تشويه، استهدفت شخصه وقيادة الجيش الفرنسي التي أسندت له مهمة الاشراف عليه من طرف من وصفهم بالتمرديين من جبهة التحرير الوطني، متهما إياها بأنها هي من تقوم بذلك³.

1 Jacques VALETTE, op cit, p 52.

2 Jacques VALETTE, op cit, p62.

3 Jacques VALETTE, op cit, pp 77.79.

عندما تم تعيين الجنرال سالان كان على رأس السلطة الاستعمارية في الجزائر الجنرال لاکوست، والذي أراد القيام بإجراءات في إطار ما اطلق عليه بـ "السياسة الجديدة"، والتي من شأنها قطع الطريق على جبهة التحرير الوطني في الحصول على استقلال الجزائر، فمن جهة مدد في تطبيق القوانين الاستثنائية، ومن جهة ثانية قدم جملة من الإصلاحات، على رأسها تشجيع السكان الجزائريين على المشاركة في الحياة المدنية والإدارية، لفصل الجماهير عن الثورة من خلال إعادة تنظيم المجالس البلدية، معتبرا البلدية النواة الأساسية في نجاح سياسته تلك، حيث تم استبدال المنوبين العسكريين بنخب مثقفة، من أجل أن لعب دورا اقتصاديا واجتماعيا يسمح بتطبيق الإصلاحات الجديدة للسلطة الاستعمارية، وفق الدستور الذي أقر بأن الجزائر أرض فرنسية وقد وافقه الجنرال سالان في ذلك¹.

أما بالنسبة لرئيس الحكومة غي موليه (Guy Mollet) على تولى السلطة في فرنسا سنة 1956، فقد تقدم بمشروع وقف إطلاق النار دون شروط مسبقة مع تسليم عناصر جيش التحرير الأسلحة طواعية، وبعد ثلاثة أشهر يتم إجراء انتخابات ثم الشروع في مفاوضات مع ممثلي الشعب المنتخبين، ما دفع بالجنرال سالان إلى الموافقة على وقف إطلاق النار شريطة أن يؤدي ذلك إلى إنهاء حالة الحرب، وليس الاستقلال، وأن لا يشمل من هم خارج الجزائر، سواء في تونس أم المغرب أو الأسرى والمعتقلين بما فيهم الخمسة بن بلة ورفاقه، باعتبارهم متمردين وليسوا منشقين، وقد رفضت جبهة التحرير الوطني عرض غي موليه على لسان الوفد الخارجي بتونس بقيادة محمد الأمين دباغين وأحمد محساس وآيت أحمد وعمر أوعمران، باعتبار أن مسألة

1 Jacques VALETTE, op cit, pp 85.87.

الانتخابات قضية جزائرية بحته يفصل فيها الجزائريون لوحدهم، بعد تقرير مصيرهم، وأنه لا مفاوضات دون الاعتراف المسبق باستقلال الجزائر وفي حال تم ذلك تتشكل حكومة مؤقتة لمباشرة المفاوضات، مع تعهد جبهة التحرير بإقامة علاقات صداقة وتعاون مع الحكومة الفرنسية بالإضافة إلى احترام حقوق المستوطنين، وقد اعتبر الكاتب موقف جبهة التحرير، بالتنازل الذي قدمته في سبيل مفاوضات تفضي إلى الاستقلال، علما أن معارضة موقف الجبهة خاصة من جانب صالان أدى إلى فشل مشروع غي موليه علما أن الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة أوصى الوفد الخارجي بقبول المقترح الفرنسي دون وضع شرط الاستقلال، حتى لا يتم عرقلة المفاوضات، لكن الوفد لم يأخذ توصية بورقيبة بعين الاعتبار¹.

من أجل منع دخول الأسلحة على الحدود الشرقية قدم الجنرال صالان خطة للقائد العام "إيلي" وافق عليها وحث على اتخاذ إجراءات سريعة في نهاية سبتمبر 1957، تشتمل على تطويق الحدود الشرقية البالغ طولها 4500 كم بأسلاك مكهربة تصل قوتها إلى 500 فولت ونظام رادار بثمانية أقسام وزرع الألغام على مسافات طويلة، وتشكيل فرق تفتيش متنقلة بالإضافة إلى تجميع سكان الحدود في مناطق محددة، ومطاردة الثوار الجزائريين (كان من نتائجها قصف ساقية سيدي يوسف في أكتوبر 1957)، ورغم ذلك سجلت السلطات الفرنسية من 8 ديسمبر 1957 إلى 8 جانفي 1958 في حدود 24 عملية عبور قامت بها وحدات جيش التحرير، كما أشار الجنرال صالان أنه في مارس من السنة نفسها لم يعد هناك تحكم في الحدود الشرقية نتيجة تدفق كبير للأسلحة من تونس ما دفعه إلى المطالبة بتدخل عسكري مباشر في هذا

1 Jacques VALETTE, op cit, pp 102.106.

البلد¹.

دراسة خطة التدخل العسكري في تونس، أعدته قيادة الأركان ممثلة في كل من الجنرال سالان والجنرال إيلي والجنرال غومبيز (Gambiez)، هذا الأخير أشار أن العملية تفوق الإمكانيات المتاحة حيث قدر تعدادها بـ 16 كتيبة و6 فرق من المدرعات مدعومة بسرب من سلاح الجو، وهذا من أجل القضاء على القواعد الخلفية لجبهة التحرير داخل التراب التونسي، مما أدى إلى إلغاء العملية لصعوبة المهمة من الناحية المادية وحتى السياسية وفي جوان 1958 راسل الجنرال سالان الرئيس الفرنسي ديغول بشأن الوضع القائم على الحدود مع تونس قائلا: "سواء جاء الحل بالتفاوض أو عن طريق عمل عسكري في كل الأحوال لا يجب أن يتأخر أكثر من ذلك"².

بالنسبة للحدود الغربية ذكرت تقارير استخباراتية سنة 1956 أن عناصر جبهة التحرير تتلقى الدعم والمساندة من النظام المغربي حيث توجد مراكز على الحدود مخصصة لذلك ما دفع إلى القيام بعمليات تدخل منها تلك التي تمت في مارس و54 عملية أخرى في شهر سبتمبر، وعلى الرغم من ذلك بقي الوضع كما هو عليه حيث تم الإشارة إلى أن المنطقة الحدودية من وهران إلى تلمسان تواصل فيها نشاط تهريب الأسلحة، ما أدى إلى التصدي للعديد منها خاصة في الفترة من 1 أوت إلى 18 أكتوبر حيث أسفرت عن اعتراض 30 قافلة وفرقة، وفي سنة 1957 تم التأكد من وجود العديد من مراكز التدريب داخل التراب المغربي خاصة في مدينة وجدة، التي يتم طريقها تهريب الأسلحة من منطقة الناظور بالإضافة إلى المتفجرات التي يتم

1 Jacques VALETTE, op cit, pp 116. 120.

2 Jacques VALETTE, op cit, pp 121.122.

تصنيعها في مدينة ندرومه في تلمسان قادمة من المغرب أين تم ضبط ما قدره 300 كلف في منجم جرادة بتاريخ 23 أكتوبر 1957¹.

اشتكى الجنرال سالان في تقرير له للسلطات الفرنسية من دخول الأسلحة والمتمردين على الحدود المغربية التي تشكل قاعدة خلفية لجيش التحرير الوطني ، حيث أكدت التقارير الاستخباراتية التي تحصل عليها وجود كميات كبيرة وصلت إلى 20 طن من الأسلحة في سبتمبر 1957، تحملها قوارب استولى عليها نظام المخزن وتم نقلها إلى الناظور وفي فيفري 1958 أسلحة وذخيرة أخرى بوزن 78 ألف طن بالإضافة إلى شراء النظام المغربي لـ 4 مليار دولار أسلحة ليتم بيع جزء منها لجبهة التحرير الوطني، وإلى جانب ذلك تم تجنيد الجزائريين المدنيين في المغرب بعدد وصل إلى 10 آلاف مجند، وأثناء دخولهم إلى الجزائر يستخدمون لنقل الأسلحة ولوضع حد لذلك تم في شهر جانفي 1957 اعتماد خطة تطويق الحدود بأسلاك شائكة على طول 14 كلومتر كمرحلة أولى وفي أوت استكملت عملية الاسلاك التي زودت بالكهرباء على مسافة 220 كم ونظام رادار على مسافة 160 كم².

بالنسبة للحدود الجنوبية فقد أشار تقرير للجنرال سالان أن جيش التحرير دمر في ليلة 30 إلى 31 ماي 1957 كمية قدرت بـ 8 ملايين طن من الحلفاء أي ما قيمته 570 مليون فرنك ، بالإضافة إلى عمليات تخريب في منطقة شرق تيمون ووحدات وادي الساورة، وقد فسر ذلك بعيوب في النظام الأمني واقترح لإصلاحه في نوفمبر 1957 إعادة الهيكلة الإدارية والسياسية وبالإضافة إلى الشبكة الاستخباراتية، وإنشاء قطاع عملياتي في تيمون وتسليم

1 Jacques VALETTE, op cit, pp 130.132.

2 Jacques VALETTE, op cit, pp 133.134.

منطقة عين الصفراء إلى مجلس عسكري، وبناء مفرزة لطائرات الهليكوبتر في حاسي مسعود لحماية المنشآت النفطية وتعميمها على منطقتي نقرت وورقلة، في حدود شهر أبريل 1958، كما خُص تقرير للعقيد جوهو (Jouhaux) إلى وجود تهديد مغربي على الحدود الجنوبية للجزائر وبالضبط في تندوف حيث يريد النظام المغربي ضم المنطقة الغربية الجنوبية لترايه¹.

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن استخلاص جملة من الملاحظات والنتائج نوجزها فيما يلي:

الظروف الصعبة التي مر بها الجيش الفرنسي في الجزائر نتيجة فقدانه السيطرة العسكرية والأمنية على الأرض، وما لحق به من هزائم على يد جيش التحرير الوطني، دفع بالسلطات الاستعمارية إلى ترقية العقيد صالان إلى رتبة عميد، وتعيينه ضمن القيادة العليا للقوات الفرنسية في الجزائر، منذ 1957 من أجل إيجاد الحلول التي من شأنها إخراج فرنسا من المأزق العسكري، الذي وضعتها فيه الثورة.

منذ تعيينه اختلف الجنرال صالان مع الحكومة الفرنسية حول الاستراتيجية التي يمكن اتباعها في التعامل مع الحرب في الجزائر، بتفضيله الحل العسكري والأمني على المشروع الفرنسي الذي يتضمن حلولاً أخرى سياسية واقتصادية واجتماعية، وقد أيده في ذلك بعض القادة، الأمر الذي يدل على تطرف وغلو في التفكير، ودموية جسدها في تلك الجرائم التي ارتكبتها تجاه الشعب الجزائري حفاظاً على مشروع "الجزائر الفرنسية".

1 Jacques VALETTE, op cit, pp 150.156.

كتب الجنرال سالان الكثير من التقارير اشتكى فيها من المشاكل والصعوبات التي يعاني منها الجيش الفرنسي في الجزائر وحالت دون تحقيق نتائج أفضل ضد جيش التحرير، وفي كل تلك التقارير كان يركز على أمرين مهمين الامر الأول: المطالبة بزيادة عدد الجيش والامر الثاني: تمديد فترة الخدمة العسكرية ورفض أي تقليص لها اعتقادا منه بإمكانية تحقيق النصر من ذلك هذين الأمرين، كما طالب بتوفير كل أنواع الدعم اللوجستيكي والاستخباراتي وقد وضع لذلك الخطط لكن دون جدوى، وهذا باعترافه هو عندما أقر بأن ما قام به لم يحقق حسما يذكر .

رغم الآلة القمعية التي سلطها الجنرال سالان على الشعب الجزائري من أجل القضاء على جبهة التحرير الوطني إلا أنه اعترف في العديد من تقاريره بصلاصة البنية التحتية الثورة الجزائرية، وهذا من خلال انتشارها الواسع بين الأوساط الجماهيرية، التي حاول معها بكل الوسائل والأساليب لثنيها عن دعم الثورة مثلما حدث مع إضراب الثمانية أيام الذي روج لفشله إعلاميا بعد بذل كل الجهود العسكرية والأمنية لتكسيهه لكن دون جدوى.

من بين المشاكل التي أرقت الجنرال سالان كثيرا مشكلة دخول الأسلحة على الحدود الشرقية والغربية، وتأمين حقول النفط في الجنوب، وعلى الرغم من الخطط التي وضعها والإمكانات التي سخرها لتطويق تلك المناطق عسكريا وأمنيا إلا أن الأسلحة استمرت في الدخول وبكميات كبيرة، بحسب التقارير التي كانت تصله واعترف هو بها، الأمر الذي دفعه في نهاية المطاف إلى المطالبة بتدخل عسكري مباشر ضد تونس، أما في المغرب فقد تكفل هذا الأخير بمصادرة أسلحة جبهة التحرير ومنع القيام بأي عمليات عسكرية على حدوده فشل بذلك نشاط جيش الحدود التابع لجبهة التحرير الوطني ، لكن وبالرغم من

ذلك استمرت عمليات التهريب للأسلحة وهذا بإقرار من الجنرال صالان نفسه، ويعتبر هذا نجاحا باهرا للثورة الجزائرية التي كسرت كل الحواجز الموضوعية أمامها، كما فشل صالان في تأمين طرق نقل البترول بدليل استمرار الهجمات على تلك القوافل بحسب ما جاء في التقارير الأمنية.

من بين الأمور التي أشار إليها الكاتب نقلا عن تقارير استخباراتية وعسكرية، تلك الأطماع المغربية الدفينة في الجزائر خاصة منطقة تندوف، وهذا على الرغم من احتضان المخزن للثورة الجزائرية، ويمكن أن نستنتج من ذلك أمرين الأمر الأول: أن هذه الأطماع قديمة تعود إلى الحقبة الاستعمارية والأمر الثاني: أن إثارة المغرب لهذه القضية في وقت كانت فيه الجزائر في حرب ضد الاستعمار لاستعادة السيادة على ترابها الوطني وفي نزاع معه على الصحراء لتضاف لهذه المشكلة نزاعا حدوديا لم تكن جبهة التحرير مستعدة لطرحة في ذلك الوقت او الفصل فيه.

على الرغم من مساندة النظام التونسي لجبهة التحرير الوطني وتلقيها للدعم المادي والدبلوماسي منه طيلة سنوات الحرب في الجزائر، إلا أن ضغوطا كبيرة مارسها الرئيس بورقيبة على الحكومة المؤقتة هناك من أجل تقديم تنازلات تسهل عملية المفاوضات، وقد أشار جاك فالبيت في كتابه هذا أنه طلب من الوفد الجزائري الذي كان في تونس برئاسة محمد الأمين دباغين القبول بوقف إطلاق النار الذي دعا إليه رئيس الحكومة الفرنسي غي موليه دون الالتفات إلى قضية الاستقلال حتى لا تكون عقبة في مفاوضات محتملة مع فرنسا، ومثل هذه الضغوط الممارسة على جبهة التحرير من قبل النظام التونسي آنذاك تعود إما لاستشعاره عبء الثورة الجزائرية التي امتدت إلى التراب التونسي بقواعدها الخلفية هناك أو من أجل أطماع تتعلق بتوسيع حدوده شرق الجزائر

وجنوبها.

اعتبارا لكل ما سبق يعتبر هذا الكتاب مادة ثرية يمكن العمل عليها مستقبلا بالتحقيق والتمحيص أكثر لكشف العديد من الحقائق فيما يخص الثورة الجزائرية من جهة وحرب فرنسا على الجزائر من جهة أخرى.

الثورة الجزائرية من خلال مذكرات المناضل هنري علاق

The Algerian revolution through the memoirs of the fighter Henri Alleg

كهد/أمال معوشي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

amel.maouchi@univ-msila.dz

الملخص:

يعتبر هنري علاق من أبرز المثقفين الفرنسيين ذوي التوجه الشيوعي، اللذين آمنوا بعدالة الثورة الجزائرية وساندوها وناضلوا في صفوفها منددين بالاستعمار الفرنسي، ونتيجة لذلك تعرض للاعتقال على يد فرقة من المظليين الفرنسيين عام 1957، وسجن بعدها وتعرض للتعذيب، ورأى عن قرب الوجه الحقيقي القبيح لفرنسا الاستعمارية، تجربته في النضال نقلها بنفسه في عدة مؤلفات منها مذكراته، لتكون شاهدا للأجيال وللرأي العام على الثورة الجزائرية، وعلى بشاعة الاستعمار الفرنسي، فكانت على قدر كبير من الأهمية لما تحمله من معلومات تاريخية، إن مداخلتنا تهدف إلى تسليط الضوء حول أهمية هذه المذكرات، والكشف عن بعض ما ورد فيها بخصوص الثورة الجزائرية من وجهة نظر هنري علاق.

Abstract:

Henri Alleg is considered one of the most prominent French intellectuals with a communist orientation, who believed in the justice of the Algerian revolution and supported it and struggled in its ranks denouncing French colonialism. For colonial France, his experience in the struggle conveyed himself in several books, including his memoirs, to be a witness for generations and for public opinion on the Algerian revolution, and on the ugliness of French colonialism. , and revealing some of what was mentioned in it regarding the Algerian revolution from the point of view of Henri Alleg.

مقدمة:

لقد عبرت الثورة الجزائرية عن آمال وطموحات الشعب الجزائري وقناعته بضرورة افتكاك حريته، وقامت منذ البداية على مبادئ إنسانية، فأمن بها واقتنع بمطالبها نخبة من الفرنسيين، فالتفوا حولها وناضلوا في صفوفها بطرق مختلفة، ومن بين هؤلاء هنري علاق الذي سخر نفسه للدفاع عن الجزائر، ودفع جراء ذلك ثمنا باهظا، إذ تعرض للملاحقة ثم السجن والتعذيب مثله مثل بقية المناضلين الجزائريين، ونقل لنا تجربته النضالية ورؤيته للثورة الجزائرية في العديد من المؤلفات منها مذكراته، والسؤال المطروح هنا ما هي قيمتها التاريخية وماذا قدمت من إضافة لتاريخ الثورة الجزائرية؟ ومن خلال هذه المساهمة نحاول الإجابة عن هذا السؤال والكشف عن بعض المعلومات التاريخية التي احتوتها هذه المذكرات حول الثورة الجزائرية، وهذا مرورا بالعناصر التالية: تعريف هنري علاق وتوجهه الفكري، لمحة عامة عن مذكرات هنري علاق وأهميتها التاريخية، الثورة الجزائرية من خلال مذكرات هنري علاق.

1. مولده وتوجهه الفكري:

1.1. مولده ونشأته:

ولد هاري سالم المعروف بهنري علاق (Alleg Henri) في 20 جويلية 1921 بلندن، انحدر من أسرة يهودية فهو حفيد يهوديين من أصل روسي وبولندي، هاجرا إلى إنجلترا، وهاجر والداه بدورهما إلى فرنسا، حصل على البكالوريا في باريس وبدأ دراسته بجامعة السربون¹، لكنه اختار أن يقوم برحلة بحرية قادته تجربته فيها لزيارة الجزائر، التي لم يكن يعلم عنها الكثير وكان

1- عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007،

ذلك عام 1939، ولأول مرة تعرف على هذا البلد عن قرب، ليكتشف الجزائري العميقة بسكانها الأصليين المسلمين، التي تنن تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، والجزائر الفرنسية التي يتنعم أصحابها بخيراتها، ومع الوقت أصبحت الجزائر بلده التي ناضل في سبيل حريتها، واختار رفيقة دربه منها من أصول يهودية اسبانية مائلته في التوجه، عقد قرانه عليها عام 1946، وارتبط بها "من أجل الأفضل والسيئ"¹.

انضم علاق للحزب الشيوعي السري في البداية أثناء الحرب العالمية الثانية، لأنه كان مناهضا لنظام فيشي، ليصبح لاحقا أحد أهم قاداته في الجزائر، كما اعتبر من أبرز الوجوه المناهضة للاستعمار الفرنسي، أدار جريدة "الجزائر الجمهورية" ما بين 1950-1955 حتى مصادرتها في سبتمبر عام 1955² فانتقل إلى العمل السري، وواصل عمله الصحفي بإرسال المقالات إلى فرنسا حيث نشر البعض منها في جريدة L humanité. وفي 12 جوان 1957 تم إلقاء القبض عليه من طرف مظليو الفوج العاشر التابعة للجنرال "ماسو" (Jacques Massu) في منزل صديقه المناضل موريس اودان (Maurice Audin)، والذي كان اعتقل يوما قبله وعذب لاحقا حتى الموت.³ وفي حي الأبيار وفي ظروف مزرية ومعتقل بأئس في عمارة في طور البناء بشارع كلمنصو حيث تواجد أحد أهم مراكز الجنرال "ماسو" للاستتطاق

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية ذكريات الكفاح والأمل، ترجمة جناح مسعود وعبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص. 14، 47، 123، 155.

2- عاشور شرفي، المرجع السابق، ص. 242.

3- رشيد خطاب، الخاوة والرفاق قاموس بيوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأوروبي واليهودي والحرب التحريرية الجزائرية (1954-1962)، ترجمة محمد رضا بوخالفة ونسرين لولين، دار خطاب، الجزائر، 2013، ص. 127.

المشدد، دفع هنري ثمن موقفه الداعم للثورة، وثمان سكوته وعدم وشايته بالرفاق، فلم تمض ساعتان على وصوله حتى كان مقيدا إلى لوحة التعذيب، وبقي شهورا مسجوناً في حمام غير مكتمل وعذب بالماء والنار والكهرباء مع تجربة عذاب جديدة تمثلت في حقنة من مصل الحقيقة، وهي جرعة مخدر من أجل الاعتراف، وهناك فهم أن جلاده شاربونييه (Charbonnier) قد ساهم في اغتيال رفيقه موريس أودان الأستاذ المساعد في الرياضيات بجامعة الجزائر، ورغم كل أنواع التعذيب إلا أن علاق بقي صامتا وصامدا، ولم يدل بكلمة واحدة، ثم نقل إلى معتقل "لودي" (Lodi) (قرية قريبة من المدينة)، وهناك أيضا تعرف على معتقل جديد والتقى بعدد من المناضلين، وشاهد الظروف المزرية التي يقعون فيها، وبعدها تم إيداعه سجن "سركاجي"، وخلال هذه المرحلة اقترح عليه محاميه "ليو متارسو" كتابة كل ما شاهده وعاشه في مركز التعذيب بالأبيار للتنديد بالجلادين وقتلة موريس أودان، ومع نهاية ديسمبر 1957 وصلت آخر الأوراق التي كتبها هنري بأمان إلى محاميه الذي تكفل بدوره بنقلها إلى باريس، أين تلقته زوجته التي كانت قد رحلت إلى فرنسا، ولتجنب أي خطر قامت بنفسها برقن النص، وفي منتصف فبراير من عام 1958 نشرت الصحف "الاستنتاج" *la question*، وأخبره المحامي بذلك، ولم يكن هنري يتصور أن النص سيطلع على شكل كتاب، لكن المحامي ألح أن يكون كذلك ومن الأفضل نشره من طرف دار نشر لا علاقة لها بالحزب الشيوعي، قصد توسيع دائرة تأثيره¹.

ويمثل كتاب "الاستنتاج" كتابا أساسيا في تاريخ الثورة الجزائرية، وكان هنري وقت صدوره لا يزال معتقلا في السجون الفرنسية بتهمة "إعادة تشكيل

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص. 242، 244، 262، 265.

رابطة محلولة "الحزب الشيوعي الجزائري" - والمساس بأمن الدولة"، وقد أوضح ناشره "جيروم لاندون" ناشر دار "منشورات دومينوي Minuit": "كنت أتساءل عن نشره، وعن معرفة ما إذا يلقى رواجاً، وعلى أية حال، فبسبب الأسماء المذكورة فيه والدوائر المتهمه فإنني سأواجه صعوبات وسأحال على القضاء، وستجرى محاكمتي، في مدينة الجزائر، ويصدر في حقي حكم، مع خطر تعرضي للإفلاس المالي، ودفع الذين يعملون معي إلى البطالة وحرمان المؤلفين الشباب من النشر، ولكن في نفس الوقت كنت أقول في نفسي بأن هذا الكتاب حقيقي وهو من مجال الكتابة، وهي كتابة لا تكذب واتخذت بمفردي قرار نشره"¹، وحظي الكتاب بتأييد من الأسماء المشهورة واللامعة والذائعة الصيت مثل فرانسوا موريك "François Mourise"، روجيه مارتان "Roger Martin" وكلاهما حاصل على جائزة نوبل للآداب، جان بول سارتر "Jean Paul Sartre"، وأندريه مالورو "André Malroux" الذين ساهموا في نشر الوعي الجماعي بالاحتجاج ضد حجز الكتاب، والمطالبة في رسالة رسمية موجهة لرئيس الجمهورية بتسليط الضوء حول طرق التعذيب وحتى حول مفهوم الحرب الاستعمارية².

وتضمن كتاب الاستنطاق فترة اعتقال هنري والمعاملة القاسية التي تعرض لها، محتوى الكتاب الصادم³ كان صفقة لفرنسا لأنه كشف ما كانت لا تتجرأ على البوح به، وبمجرد صدوره حقق نجاحاً معتبراً إذ بيعت منه 60000

1- هنري علاق، عودة إلى الاستنطاق حوار مع جيل مارتان، يليه كتاب جنود الرفض أثناء حرب تحرير

الجزائر، منشورات أموكال، الجزائر، 2013، ص-ص 5-6.

2- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.266.

3- رشيد خطاب، المرجع السابق، ص.197.

نسخة في ظرف بضعة أسابيع، وبسرعة جرى منعه ومصادرته، لكنه وزع سرا، ومما لا يقبل الجدل فإن "الاستنطاق" ترك أثره الكبير على الضمائر، وعلى معارضة شعب فرنسا للحرب¹، وقام الناشر "نيلس أندرسون Nils Andersson" بإعادة نشره في سويسرا بعد مرور 14 يوما من منعه في فرنسا، ولأهمية الكتاب ترجم للعديد من اللغات، وساهم في التعريف بالكفاح والقضية الجزائرية، ومعاناة المعتقلين².

وبعد ثلاث سنوات من اعتقال علاق والحكم عليه بعشر سنوات سجنا، نقل إلى سجن ران "Rennes" في فرنسا، ولم تمض مدة طويلة على إقامته هناك حتى فر منه بمساعدة شبكة الشيوعيين الذين ساعدوه على الالتحاق بتشيكوسلوفاكيا أين استقر إلى غاية 1962، وعاد إلى الجزائر وبعث من جديد "الجزائر الجمهورية" وبعد الانقلاب الذي قام به الرئيس هواري بومدين، غادر الجزائر عام 1965،³ وأقام في فرنسا وأشرف خلال الثمانينيات على تأليف كتاب في ثلاث مجلدات عن حرب الجزائر،⁴ وكتب أخرى ولقاءات صحفية وبقي وفيها للجزائر التي زارها بداية القرن الواحد والعشرين، وبقيت جزءا من ذاكرته.

2.1. توجهه الفكري:

كان علاق مناضلا شيوعيا من دعاة المساواة بين أفراد المجتمع الواحد وله "نفور سياسي تجاه جميع الفوارق العرقية والدينية التي تتحول إلى عنصرية

1- هنري علاق، عودة إلى الإستنطاق، المصدر السابق، ص-ص. 6-7.

2- رشيد خطاب، المرجع السابق، ص. 198.

3- المرجع نفسه، ص. 198.

4- عاشور شرفي، المرجع السابق، ص. 242.

بربرية"، ووجد في جريدة "الجزائر الجمهورية" منبرا لنشر أفكاره حول رفض الظلم والسعي للعدالة ودعم المطالب الجزائرية العادلة، وقامت الجريدة على مبدأ "لن يكون هناك نوعان من الفرنسيين بل نوعية واحدة تجمع بين الباريسيين والسكان الأصليين لباريس وسكان مرسيليا الأصليين، والعرب من السكان الأصليين للجزائر، ولهذه الأسباب وغيرها ندعو إلى المساواة الاجتماعية العاجلة بين جميع الفرنسيين مهما كان أصلهم ومعتقداتهم وفلسفتهم.¹ ولطالما اعتبر جريدته اللسان الناطق بالحقيقة وعندما يكون المرء صحفيا فيها يعني "القبول بالتعرض للمخاطر وفي نفس الوقت القبول بمجابهة الصعوبات الجدية"².

ورغ أنه من أصول يهودية إلا أنه لم يكن يهوديا من حيث الديانة فهو شيوعي لا دين له، مقتنع بذلك ولم يفرض اختياره على أحد حتى ولديه رايهما على " حرية الاختيار"، وعندما حاولت جارتة الإيطالية تلقين ابنه بعض التعاليم الدينية، لم يمانع رغم شعوره بأنه يحيد عن جادة الصواب، واعتبر أن الخطر المحقق بالجميع وبولده هو تأثر عقله بالعنصرية العادية واليومية التي كانت تطبع المجتمع الاستعماري³، ويبدو أن هذا الأمر مرتبط بماضيه وأصوله اليهودية فهو نفسه كان ضحية "معاداة اليهود" في فرنسا والجزائر خلال مرحلة نظام فيشي، وقبلها أجداده مورست عليهم العنصرية في روسيا واضطروا للهجرة بسبب ذلك، نبذ العنصرية عنده جعله غير مقتنع بالحركة الصهيونية، واعتبرها حركة عنصرية، "تعرف الإيديولوجية الصهيونية هذا الأمر وتحاول شرعنة

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.179.

2- هنري علاق، عودة إلى الاستنطاق، المصدر السابق، ص.176.

3- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.42، 169.

الآلام التي تنتسب فيها للفلسطينيين المطرودين من بلادهم والإهانات التي يتحملونها والجرائم ضدهم كرد فعل عما عاشه اليهود خلال الحرب العالمية الثانية والاضطهاد الذي عرفوه على مرّ العصور¹.

3.1. وفاته:

توفي هنري علاق في 17 جويلية 2013 في باريس عن عمر ناهز 92 سنة، ونعتته الصحافة والإعلام العربي والفرنسي ونعاه كذلك الرئيس الجزائري الأسبق عبد العزيز بوتفليقة، والرئيس التونسي أحمد المرزوقي وشخصيات مثقفة كبيرة، وبعض رفاقه في النضال منهم المجاهدة الجزائرية "لويزات إيغيل" التي اعتبرته رفيق النضال، وقد بقي هنري وفيا للجزائر التي لم ينقطع عنها وقد زارها عام 2002².

2. لمحة عن مذكرات هنري علاق وأهميتها التاريخية:

رغم أن اسم هنري علاق ارتبط أكثر بكتابه "الاستنطاق" إلا أن له مؤلفات عديدة شاهدة على أحداث الثورة الجزائرية، وتعد "مذكرات جزائرية ذكريات الكفاح والآمال" Mémoire Algérienne souvenirs de lutttes et d'espérances مصدرا هاما في كتابة الثورة الجزائرية، خلد علاق بواسطتها رحلته في النضال من أجل الجزائر، وجاءت في حوالي 460 صفحة، قام بترجمتها إلى العربية جناح مسعود وعبد السلام عزيزي، وظهرت عناوينها الرئيسية كما يلي: من لندن إلى الجزائر، المستعمرة في عهد فيشي، مدينة الجزائر في حرب، الالتزام، عضو دائم في الحزب الشيوعي الجزائري، جريدة

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.171.

2- موسى لوصيف، "هنري علاق والثورة الجزائرية، النضال والمواقف"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 06، ديسمبر، 2015، ص-ص.161-162.

الجزائر الجمهورية، النضال السري، الاستنطاق، محاكمة كولونيلية، الفرار من السجن، العودة إلى جزائر مستقلة، النهضة الصاخبة، زمن الأوهام والانطلاقة الجديدة، خاتمة.. ليست ربما هي كذلك، الجزائر العاصمة، فيفري 2002.

ورصدت المذكرات حياة هنري علاق باعتباره فاعلا وشاهدا ومؤثرا في الأحداث خلال مرحلة الثورة الجزائرية، كما رصدت بعض الأحداث التاريخية وتحركات المناضلين، والاعتداءات الفرنسية والتعذيب الذي كان يتم في السجون، وظروف الاعتقال وغيرها من الأمور المتعلقة بالجزائر خلال الثورة وحتى بعدها، إلى جانب هذا نجد في المذكرات معلومات حول شخصية هنري علاق الخاصة وظروف انتقاله ووصوله إلى الجزائر، وحياته فيها ورؤيته لمرحلة ما بعد الثورة والأحداث السياسية التي عرفتها الجزائر في السنوات الأولى لاستقلالها.

حملت المذكرات الكثير من المعلومات التاريخية مما يجعلها دون شك على قدر كبير من الأهمية، وقد ذهب بعض الباحثين إلى اعتبارها ضرورية جدا في تاريخ الثورة الجزائرية¹، وأكد علاق بنفسه أهميتها معتبرا أن تاريخ الجزائر جزء من تاريخه ومن تاريخ كل مناضل، ففي المذكرات سيجد المطلع عليها سردا وتأملات لماضي يتقاطع مع ماضي العديد من المناضلين الذين انخرطوا منذ شبابهم في المعركة ضدّ طغيان الاستعمار، وعلى لسانه يؤكد: "وأنا أكتب هذه الشهادة أنها ليست مكرسة فقط للجزائريين الذين عاشوا سنوات الجمر بل إنها تتوجه لجميع الرجال ذوي الإرادة الحسنة الذين يتساءلون في هذه الحقبة المقلقة التي نعيشها حول المستقبل ويرفضون الانحناء أمام الفكر

1- حفناوي بلي، صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابات الفرنسيين، دروب للنشر والتوزيع، الجزائر،

الواحد، سلطة المال، والقوة العنيفة، والظلامية واللاتسامح، الأنانية والوقاحة، القيم المغالطة المقدمة بخبث كتعاليم نبيلة يحاول سادة العالم اليوم فرضها كقواعد للسلوك العالمي"¹. إذن هذه المذكرات موجهة لمن عاش مرحلة الثورة وما بعدها، فهي تنقل للجميع شهادة رجل عاش المأساة الجزائرية وترك شهادته حولها.

تحتوي المذكرات على نقد ونقد ذاتي للكاتب أراد أن يفيد به من يبحث عن الحقيقة "وعلى امتداد هذه الصفحات سيجد القارئ أيضا عددا من الملاحظات النقدية (والنقد الذاتي) التي من شأنها مفاجأته. بدا لي أنه من الضروري أن لا أخفيها عليه لأنها جوهرية ... إنها جزء من التجربة التي عشتها مع رفاقي وزملائي في المعركة، والذين بإمكانهم المساعدة على إدراك مدى تعقيدات الحقبة التي تمت معاشتها"² فمن وجهة نظره الصمت وعدم الكتابة سيسمح بانتشار المغالطات والأفكار الخاطئة، التي تحاول بعض الأطراف دسها في تاريخ الجزائر فيقول: "قالصمت والحقائق المزيفة بخصوص تاريخ الاستعمار وحرب التحرير مما تمّ تغذيته في فرنسا من جهة، ومن جهة أخرى في الجزائر لمدة عقود جعل من الصعب الإدراك الموضوعي لهذه الفترة، وعليه يجب مراعاة لفائدة الشعبين ولصداقتهما وتضامنهما نفض الغبار عن هذا الماضي ومواجهة الحقيقة"³.

تعتبر المذكرات شاهدا على فترة حافلة من تاريخ الجزائر بالبطولات والتعاون بين مختلف الفئات وشرائح المجتمع، ومكوناته على اختلافها من

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.05.

2- المصدر نفسه، ص.07.

3- المصدر نفسه، ص.07.

حيث الأصل والعرق والمذهب، والتأكيد على أن ثمن الاستقلال باهظ وغالي "كما يجب إبراز الجوانب المجيدة لهذه السنوات والإشادة بها وبالأخوة المذهلة التي وحدت المحاربين والمناضلين الجزائريين، وبالبطولة الخارقة لشعب بأكمله، وبنسائه المثيرات للإعجاب اللواتي شكلن جبهة ضد القمع في شوارع المدن وفي الأرياف، في الجبال وفي غرف التعذيب وبلا شك يجب قول كل هذا حتى لا ينسى أحد ثمن الاستقلال المكتسب"¹.

تعتبر هذه المذكرات وسيلة مساعدة لتدارك أخطاء الماضي دون ذم أو قذح لطرف على حساب الآخر، وأخذ العبر لمستقبل أفضل "... وحتى لا نترك في الظل الأخطاء المرتكبة، ليس من أجل إهانة بعض الفاعلين في هذا التاريخ والإشادة بالبعض الآخر، بل كل ذلك فقط من أجل الذين يستخلصون اليوم العبر المفيدة من الأخطاء السابقة... وإذا كان هذا الكتاب يساهم قدر الإمكان في تحقيق ذلك فإن نشره في الجزائر اليوم لن يكون بدون فائدة على ما أرى"² لكن رغم أهمية هذه المذكرات والإشادة بها إلا أنه يجب مراعاة الحذر وتوخي الدقة عند العودة إليها والاعتماد عليها، فهي في النهاية تعبر عن رأي صاحبها وتوجهه الفكري وانتمائه السياسي، ولا نقلل من أهميتها إن قلنا ذلك ولكنها تبقى مذكرات حملت شهادة ومشاعر صاحبها.

3. قراءة في مذكرات هنري علاق (بعض قضايا الثورة الجزائرية):

1.3. أسباب الثورة الجزائرية:

أشار هنري علاق في مذكراته إلى أن الثورة الجزائرية قامت بعد أن نفذ صبر الشعب الجزائري على سياسة الاستعمار الفرنسي التعسفية، وكانت هناك

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.07.

2- المصدر نفسه، ص-ص.07-08.

مجموعة من الأسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لانفجارها، ووصف مرحلة ما قبل الثورة بـ "فترة في ظل إرهاب الاستعمار".... رعب الحياة السابقة المجاعة المتواترة، الاضطهاد، الاستغلال الذي كان نصيب الجزائريين المستعمرين الذين كان ينكر عليهم حتى وجودهم كشعب، وشبه تلك السنوات بـ: "سنوات الجمر"¹.

وتصف المذكرات في أكثر من موضع حياة البؤس والفقر وأصناف المعاناة والعوز التي أرهقت كاهل الجزائريين، خاصة في الأحياء الفقيرة التي تنتشر على حافة المدن الكبرى التي لا يجد أصحابها قوت اليوم وكسوة الجسد²، هنري الذي لم يكن يعرف الجزائر عن قرب وبعد أن تجول في أحيائها اكتشف وأدرك أن هناك الجزائر العميقة بأهلها الذين يعانون، وهناك الجزائر الفرنسية للفرنسيين الذين ينعمون برغد الحياة، كما اكتشف التمييز العنصري في كل المجالات، فالعامل الجزائري على سبيل المثال لا يعامل ولا يتلقى ما يتلقاه العامل الفرنسي رغم الجهد المضاعف الذي يبذله³، ولمس الحقد الصليبي الذي بسببه أحدث الفرنسيون عدة تغيرات في البلاد "قالغزة الذين يعلنون أنفسهم ورثة الحملات عادوا إلى أرض الإسلام بعد قرون من الغياب للانتقام للمسيحية"⁴.

وبالنسبة للهرم الاجتماعي في الجزائر فإنه غير متوازن إطلاقاً يرأسه الفرنسيون، والعنصرية ضاربة بجذورها في الجزائر والتمن يدفعه الجزائريون

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.05-06.

2- المصدر نفسه، ص-ص.126-129.

3- المصدر نفسه، ص-ص.151-152.

4- نفسه، ص.10-14.

الذين يصنفون أسفل الهرم "ففي الأعلى نجد الفرنسيين الأصليين بداية من أولئك الذين يشهد اسمهم على انحدارهم من الضفة الأخرى من المتوسط، إذ أن تسمية دوبون Dopont تعني شهادة من الأصل النبيل، ضمن هذه الفئة نجد أولئك الذين ينحدر آباؤهم أو أجدادهم أو أسلافهم من إيطاليا أو إسبانيا أو مالطا أو اليونان، والذين كان الفرنسيون الأصليون يلقبونهم لزمان طويل الفرنسيون الجدد أو حتى فرنسيون بفرنكين وخمسة وسبعون سنتا، ثم الطابع الجبائي الذي يضعونه على طلب التجنيس، ونجد اليهود الفرنسيين بمرسوم بدرجة أقل، وتحتهم في القائمة أبناء البلد الأصليين الذين ينعنون بـ: "العرب" حتى ولو كانوا قبائل أو ميزابيين"¹.

وتناولت المذكرات وضع الجزائر السياسي أثناء الحرب العالمية الثانية وامتداد نظام فيشي إليها، ووصفت حالة التعسف الفرنسي تجاه كل ما هو جزائري، وكيف أن الجزائريين تحمّلوا وزر الحرب العالمية الثانية ومشاكلها، ولكن حين كان المنتصرون يحتفلون بانتصاراتهم كان الجزائريون يدفعون ثمنا غاليا من دمائهم خلال حوادث ماي 1945، التي كانت وجها من أوجه الجرائم الفرنسية ضد الجزائريين،² لقد وصلت الأمور إلى حد لا يطاق قبل الثورة الجزائرية وأصبحت حصتهم اليومية الكثير من الظلم واللامساواة هذه المعاناة التي كان يراها ويسمعها من أصدقائه جعلته يقتنع أن مطلب الاستقلال مطلب ضروري،³ فهناك الكثير من المؤشرات الجديدة عن نفاذ الصبر والتوق إلى الحرية والكرامة الوطنية" وأن الطرف الفرنسي لا يقدم أي حلول للمشاكل التي

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.171.

2- المصدر نفسه، ص-ص.143-144.

3- المصدر نفسه، ص.60.

تتخبط فيها الجزائر وكانت رؤية الحاكم العام كاترو (Catraoux) والجنرال ديغول تصب في اتجاه واحد وهو "أن وحدة فرنسا والجزائر تشكل عقيدة...". وقدمت في هذه الفترة (1944-1945) إصلاحات سياسية هزيلة كمنح المواطنة الفرنسية وتوسيع تمثيل الجزائريين إلى الخمسين (2/5) وإلغاء "قانون الأنديجانا"، لكن "لا شيء تغير جوهريا ولا يزال النظام الاستعماري القديم قائما عمليا وبرمته"¹.

2.3. انطلاق الثورة الجزائرية ورد فعل الحزب الشيوعي والسلطات الفرنسية عليها:

اعتبر علاق انطلاق الثورة ليلة عيد جميع القديسين، "جاءت ليلة جميع القديسين الليلة من 31 أكتوبر إلى أول نوفمبر 1954، حيث انطلقت الرصاصات الأولى لحرب التحرير الوطني الجزائرية، انفجار راعد في سماء هادئة يعلق السياسيون والصحافيون الذين سدّوا آذانهم سواء في فرنسا أو في الجزائر حتى لا يسمعون شيئا من التهديد الذي سبق العاصفة."² وفي تعبير آخر وصف انطلاق الشرارة الأولى للثورة بـ: "الهزة المرعبة لأول نوفمبر في الأوساط الحاكمة." واعترف أن انطلاق الثورة كان نتيجة حتمية وطبيعية للضغط والتوتر الذي عاشه الجزائريون فـ "حقيقة القول لم تكن هناك مفاجأة بالنسبة للذين كانوا على إطلاع بالنسبة للوضع الحقيقية للبلاد، لأنهم يعلمون أن السماء توقفت منذ زمن طويل عن أن تكون هادئة هذا إذا كان ذات يوم هادئ."³ أما بالنسبة لتاريخ انطلاق الثورة فإنه يؤكد أنه تمّ في سرية تامة، ورغم أنه كان على

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص-ص 130-131.

2- المصدر نفسه، ص. 201.

3- المصدر نفسه، ص. 204.

تواصل مع المناضلين إلا أنه لم يعلم به على وجه الدقة، وشهده كما شهده العالم فجأة من ليلة نوفمبر، والأمر لا يتعلق به فقط لأنه بقي محصورا على عدد معين "لم نكن نعلم التاريخ المحدد للانتفاضة" إلى أن انفجرت مما جعلها بالنسبة لنا في سياق الأشياء وعلى عكس الذين يحاولون تزييف التاريخ، لم يكن لدى الشيوعيين الجزائريين أو الفرنسيين أدنى تردد في اتخاذ موقف حول الهجوم...¹.

وبعد اندلاع الثورة لاشك أن هنري كان من مؤيديها بوصفه زعيما في الحزب الشيوعي الجزائري، وأكد أن جريدة "الجزائر الجمهورية" تطرقت للحديث في العدد من 02 نوفمبر وعلى امتداد ثمانية أعمدة، للأعمال المسلحة التي وقعت عشية ذلك اليوم، مذكّرة بالمواقف التي ما انفكت تدافع عنها، ووضع حد للنظام الكولونيالي من خلال مفاوضات مع الممثلين الحقيقيين لسكان الجزائر، لتجنب مآسي ما حدث في مدغشقر والفيتنام، وأعطى الحق للجزائريين وكل من يشبهونهم في الثورة للدفاع عن أنفسهم واسترجاع كرامتهم وحريرتهم، "قالواقع الاستعماري" اعتقد أن العنف الذي يتسلح به أو اللامبالاة التي يقابل بها الأوضاع كفيلة بالقضاء على كل رد فعل من طرف الجزائريين، إلا أن هذه السياسة لم تتجح².

رصدت "مذكرات جزائرية" رد فعل الجانب الفرنسي الرسمي، الذي تعنت في الاعتراف بالثورة وراح يصف الثوار بالخارجين عن القانون وحفنة من المتمردين وغيرها من الصفات السلبية، البعيدة عن الحقيقة، واعتبرت تفجيرات نوفمبر مجرد عصيان وضجيج، وجاء رد السلطات مخيبا للأمل ففي 12

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.202.

2- المصدر نفسه، ص.203.

نوفمبر عرض رئيس مجلس الوزراء "بيير مونداس فرانس" أمام الجمعية الوطنية الفرنسية السياسة التي تنوي حكومته إتباعها، وكان واضحا "أن لا ينتظروا منا أي تعديل إزاء العصيان والتمرد، إذ لا حل وسط معهم، وأننا لا نقبل بأي توافق عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن السلم الداخلي للأمة ووحدة الجمهورية، فالعملات الفرنسية في الجزائر فرنسية منذ زمن طويل...الجزائر هي فرنسا وليس بلدا أجنبيا نحيمه.."¹ وكان خطاب فرانسوا ميتران وزير الداخلية مكملا لخطاب "مونداس فرانس": "لقد انتشر الضجيج فجأة وأصبحت الجزائر تعيش في الدموالنار وبذلك لن تكتمل الحلقة بعد تونس والمغرب لأن الجزائر هي فرنسا... إنه القانون الفرنسي أمة واحدة، برلمان واحد إنه الدستور، إنها إرادتنا."² لم تعترف فرنسا بالثورة، ولم يكن لها أي استعداد للتفريط في الجزائر التي طالما اعتبرتها جزءا لا يتجزأ من فرنسا.

واعتبر علاق أن الحزب الشيوعي الفرنسي وحده هو الذي شكل استثناء وحمل في تصريحه لمكتبته السياسي بتاريخ 08 نوفمبر 1954، مسؤولية الأحداث للحكام الذين رفضوا المطالب الوطنية للأغلبية الساحقة من الجزائريين، وطالب بالاعتراف بمطالب الشعب الجزائري، وبجوهر القضية المتمثل في مطلب الحرية، وباستثناء بعض الشخصيات التي عبرت عن قلقها وعن تحفظاتها أكدت "المذكرات" أن التشكيلات السياسية جميعا اتفقت على جرّ فرنسا إلى نزاع دموي استعماري جديد، خاصة مع بقاء الغموض حول رد فعل الأوساط الحاكمة وما ستقوم به بعد ليلة 01 نوفمبر،³ وأصرّ حكام البلاد

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.203.

2- المصدر نفسه، ص.204.

3- المصدر نفسه، ص.204.

والإعلام على أنهم أمام "حفنة من المتمردين" يسهل القضاء عليهم، حفنة معزولة عن السكان الذين بقوا أوفياء لهم، أما بالنسبة لقيادة الحزب الشيوعي الجزائري، فقد رأى "أن واجب المناهضين للاستعمار مهما كانت جذورهم هو مساندة الانتفاضة أو الالتحاق بها متى كان ذلك ممكنا، وذلك دون إهمال العمل السياسي".¹ واعتقد هنري أن حكومة مسؤولة لا يمكنها إلا أن تستفيد من دروس الهزيمة التي تعرّضت لها في الفيتنام، ولا يمكنها بالتالي تجاهل الدور المتزايد لحركات التحرر الناشئة في أغلب بلدان العالم الثالث، لكن الدعاية في تلك الفترة وفي إطار الحرب الباردة كانت توحى وتحاول إقناع الفرنسيين أن موسكو وراء حركات الاستقلال.²

وأصبحت جريدة "الجزائر الجمهورية" داعمة للثورة من الوهلة الأولى تدافع عنها وتنتقل أخبارها حتى أصبحت تسمى "جريدة الفلاحة"³، لذلك طالما تعرضت للمضايقات من طرف السلطات الفرنسية، حتى تعرّضت للمصادرة عام 1955، لأنها لم تصمت عن الأحداث ووقفت مع الثوار، وابتداء من ربيع 1955 بدأت المتابعات القضائية ضد الجريدة، والغرامات والحجز لإجبارها على الصمت وإضعاف وضعها المالي، كما لم يكن مقبولا أن تستخدم بعض المصطلحات كالاستقلال، ومكافح ومجاهد لوصف من حمل السلاح، وتحت هذا الضغط اجتهدت الجريدة في استخدام جمل للتعبير عن المراد قوله دون تعريض نفسها للخطر هذا من جهة، ومن جهة أخرى تجنبت الجريدة المصطلحات المكرسة والمتداولة في الصحف الأخرى ذات الإيحاءات السلبية

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.205.

2- المصدر نفسه، ص-ص.205-206.

3- المصدر نفسه، ص-ص.206-207.

مثل: عصابة أو فلاة¹، لقد أرغمنا كما يؤكد هنري "عن الحديث عن الأعمال المستمرة عبر البلاد من خلال كلمات مرادفة وغريبة "رجال مسلحون"². كما كانت الجريدة مهددة بالمنع أو المحاكمة والحجز إذا قامت بالتنديد بالمصالح الأمنية الخاصة، والتعذيب الذي يتعرض له المناضلون بعد توقيفهم، ورغم أن التعذيب كان حقيقة ملموسة إلا أن السلطات الفرنسية بإمكانها تكذيب الأمر، فيمكن لرؤساء مجالس الوزراء ثم رؤساء الوزراء والحكام العاملين الذين أصبحوا وزراء مقيمين مع "روبرت لاكوست" أن يسمحو لأنفسهم بإنكار هذه الحقيقة، ولا أحد يجرؤ على تكذيبهم في الجزائر³.

ودفع هنري ثمن وقوفه مع الثورة إذ صودرت جريدته، وتعرض للاعتقال ولفقت له اتهامات بالاعتداء على الشرطة في البداية، ففي 09 جويلية 1955 حكم عليه بثلاثة أشهر حبسا ولشركائه بخمسة عشر يوما لكل واحد منهم، وتعرف على سجن بريروس، وهناك وجد بعض المناضلين الذين تم اعتقالهم قبله⁴، وبعد حوالي ستة (06) أسابيع تم إطلاق سراحه بعد أن منحته محكمة الاستئناف عفوا، نتيجة حملة التنديد التي قامت بها الجريدة ضد اعتقاله، وبعد خروجه من السجن بفترة تم وضع الحزب الشيوعي الجزائري، وجريدة "الجزائر الجمهورية" خارج القانون بمرسوم من حكومة "إدغار فور"، وبالتالي منع الجريدة وتشميعها وتشميع مقرها، ورغم أن قرار منع الجريدة قرار غير شرعي إلا أنه استمر، وفي إحدى ليالي جويلية 1956 تعرض مبنى

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص. 200، 207، 195.

2- المصدر نفسه، ص. 196.

3- المصدر نفسه، ص. 196.

4- المصدر نفسه، ص. 211، 213.

الجريدة ومطبعتها للتعليم والتفجير وألحق بهما الضرر، وأصيب هنري خلال هذه التفجيرات بجروح سطحية في الكتف والرأس لأنه كان في مبنى الجريدة، لقد دفع هنري وجريدته ثمن موقفهم، ولم تهتم الشرطة بعملية التفجير ولم تلق لها بالا¹.

3.3. حقائق أكدتها "مذكرات جزائرية" ومصطلحات صححتها:

رفضت "مذكرات جزائرية" استخدام بعض المصطلحات كما روّجت لها فرنسا، ومن بينها: "معركة الجزائر" فبعد أن دعت جبهة التحرير الوطني في جانفي 1957 إلى إضراب عام تدخلت الفرقة العاشرة للمظليين بقيادة الجنرال "ماسو"، هذا التدخل عرف لاحقا بـ: "معركة الجزائر" وهي تسمية خاطئة كما أشار علاق، إذ لم تكن معركة بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل كانت عملية بوليسية ضخمة ودموية قامت بها فرق المظليين ورجال الشرطة، مستعملة الرشاشات والقنابل ضدّ المدنيين العزل واستخدمت أساليب وحشية، من التعذيب، مضاعفة الاعتقالات التعسفية، القتل العشوائي، لخلق جو من الرعب في أوساط السكان الجزائريين على أمل عزلهم عن جبهة التحرير الوطني التي يدعمونها بصفة جماعية، كما أخفى مصطلح مراكز الفرز الوجه العميق لهذا التعبير، لأنها في الحقيقة مراكز للعنف واستخدام القوة والتعذيب والاعتداء على العزل، وفيها فقد الكثيرون حياتهم تحت التعذيب ومنهم من كانوا أصدقاء لهنري علاق².

أكد علاق مرات عديدة في مذكراته على أن المناضل موريس أودان لقي حتفه تحت التعذيب رغم إنكار السلطات الفرنسية لذلك³، كما أنه تم قتل

1- المصدر نفسه، ص.213، 217.

2- المصدر نفسه، ص.235.

3- المصدر نفسه، ص.235، 245.

علي بومنجل¹ (منتحرا) بأمر من الرائد "أوساريس" الذي افتخر لاحقا بجرائمه في حق الضحايا².

اتبعت فرنسا سياسة الاعتقالات العشوائية والتعذيب في المعتقلات وأنكرت ذلك أمام الرأي العالمي، فمدينة الجزائر وحدها حسب هنري اختفى فيها أكثر من ثلاثة آلاف شخص في ظرف عدة أشهر دون أن يعثر لهم على أثر، لكن السلطات الفرنسية العليا دائمة الإصرار على الكذب على الرأي العام وتضليله لإخفاء جرائمها، ففي فرنسا كان "غي مولي" رئيس المجلس و "روبير لاکوست" الوزير المقيم في الجزائر يقسمان أنهما يقومان بحرب نظيفة، وأن الاتهامات الموجهة للجيش الفرنسي لا تعد كونها مجرد أكاذيب لدعاية جبهة التحرير الوطني والشيعوي حسب "غي مولي" و "لاکوست"³.

شهدت المذكرات على بعض الأعمال الانتقامية من طرف الجماعات المتطرفة في حق الجزائريين العزل والتي تمّ تغطيتها من طرف السلطات الفرنسية، عمليات نفذت في حق الأبرياء كرد فعل على بعض الاغتيالات التي كانت تقوم بها جبهة التحرير الوطني ضد المتطرفين من دعاة الاستعمار، وساق هنري عدة أمثلة منها ما حدث في ديسمبر 1956 عند دفن "أميدى فروجر" رئيس بلدية بوفاريك ورئيس فدرالية أميار الجزائر، والذي تمّ اغتياله

1- علي بومنجل: (1919-1957) مناضل جزائري تحصل على الياناس في الحقوق عام 1943، شارك في تأسيس حركة الجزائرية للسلم والحركة العالمية للسلم، شارك في المؤتمر العالمي الأول للسلم الذي أُنْعِد في باريس 25 أبريل 1949، وحاول من خلال نشاطه التعريف بالقضية الجزائرية على المستوى الخارجي، اختطفه العسكريون الفرنسيون في خضم "معركة الجزائر" وتمّ التمويه على اغتياله، على أنه انتحار. للمزيد ينظر: عاشور شرفي، المرجع السابق، ص-ص.101.100.

2- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.235.

3- المصدر نفسه، ص.236.

على يد جبهة التحرير الوطني لمواقفه المتطرفة ضد السكان، وكرد فعل على ذلك تهجّم بعض المتطرفين على المارة العزل وانتقوا منهم، وعلى طول الطريق المؤدي إلى المقبرة وحتى وسط المدينة بدأت حملة صيد ضدّ العرب بالمسدسات والسكاكين خلّفت عشرات القتلى والجرحى، وحدث أمر مشابه في قسنطينة، بعد اغتيال محافظ الشرطة "سان مارسيلي"، مثل هذه الحوادث تنكرها السلطات الفرنسية وتهملها الصحافة، ويمكن أن تشير إليها على أنها جزء عادل للإرهابيين وشركائهم¹.

4.3. قضية التعذيب والاعتقالات العشوائية:

تعدّ قضية التعذيب من القضايا الشائكة والحساسة التي ميزت مسار الثورة الجزائرية، والمتورط الرئيسي فيها هو المؤسسة العسكرية الفرنسية، فكان أداة عنف غير قانونية مارسته الدولة الفرنسية بشكل غير رسمي لقمع الثوار والمناضلين، ورغم وجود شهادات حول التعذيب إلا أن اتهام الجيش بأمر كهذا أمر صعب التصديق، ولولا أن الفرنسيين تعرضوا للتعذيب ما كان للفضيحة أن تتكشف للرأي العام، وما حدث لعلاق وغيره على يد الجنود المظلمين التابعين للجنرال "جاك ماسو"، فجرّ المسألة وجعلها جزءا من الاتهامات المفروضة على الرأي العام،² والتعذيب كما ورد في المذكرات كان جزءا من المشهد والممارسات الاستعمارية منذ بداية الاحتلال، ويمكن ملاحظته بسهولة لكن لا أحد يحرك ساكنا تجاهه، وكان المحامون الفرنسيون الذين يأتون إلى الجزائر للمرة الأولى للمرافعة يصابون بالذهول من وقاحة القضاة الذين يتعاملون معهم، ورفضهم

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص-ص 238-239.

2- شعبان إيدو، شبكات دعم الثورة الجزائرية في أوروبا الفرنسية (1957-1962)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2017-2018، ص.ص 136-137-138.

لشكاوى ممثليهم الذين تعرّضوا للتعذيب، فالعدالة في الجزائر غائبة تماما،¹.
 والتعذيب عند الجلادين الفرنسيين فنّ من الفنون، وحسب شهادة بعض
 الفرنسيين من النخبة، العدالة على الطريقة الجزائرية لها وجه مخالف عما
 عرفوه في فرنسا، والتعذيب الأكثر استخداما هو التعذيب في حوض الماء،
 وأيضا استخدام العصا والزجاجة التي تدخل في مؤخرة الشخص تحت التعذيب،
 والغريب أن هذا النوع من العذاب أصبح أمرا عاديا للجلادين الفرنسيين، وأغلب
 القضاة في الجزائر كان بإمكانهم ودون خوف أن يعطوا الموافقة على الطرق
 التي استعملها أعوانهم في التعذيب، وحتى أن بعضهم يسمحون لأنفسهم بالتلذذ
 بأشكال التعذيب التي يتعرض لها الموقوفون ... التعذيب في الجزائر كان على
 الدوام ممارسته عادية، والجلاد الفرنسي مقتنع أنه مع العرب لا يمكن إلا أن
 يمارس التعذيب، ولا غنى عنه مع هذا الجنس².

وتعرض هنري علاق لأنواع من التعذيب أفقدته وعيه وتركت في نفسه
 ألما رهيبا، كالتعذيب بالماء والكهرباء والضرب وحتى الحقن المخدّرة، ونقل
 معاناته ومعاناة كل المعتقلين إلى الرأي العالمي، وفي سرية تامة كتب كتابة
 "الاستنطاق" وأشار لقضية التعذيب الذي كان يفوق الوصف لبشاعته،³ لأن
 رجال المظلات الفرنسيون الجلّادون تجردوا من الرحمة والإنسانية، بأنم معنى
 الكلمة، وساهمت شهادته في كشف المستور وتسليط الضوء على المسكوت
 عنه، وكانت سببا في تعاطف الكثير من الشخصيات المثقفة العالمية مع الثورة

1- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.196.

2- المصدر نفسه، ص-ص.196-197.

3- المصدر نفسه، ص-ص.246، 267.

مثل "جان بول سارتر"¹، مما أعطى دعماً عالمياً للثورة التحريرية.

ومن بين شهاداته في كتابه "الاستنطاق" روايته التي وصف فيها جلسة تعذيبه الأولى تحت إشراف "شاربوني" (charbonnier) ومساعديه، والذي حاول في البداية إعطائه فرصة الاعتراف بتقديم ورقة وقلم له، لكن عندما أحس "شاربوني" أن وقته ضائع أمام رواية علاق البسيطة، أعدّ عدته وكلف مساعده "لوركا" (lorca) بالأمر، ووضع هذا الأخير قطعة خشبية سوداء على الأرض كانت مشبعة بالرطوبة، متسخة وعليها آثار تقيؤ من سبقه، قبل أن يطلب "لوركا" من هنري الاستلقاء عليها مجرداً من ثيابه، وبمساعدة جلد آخر ربطت يدا هنري ورجليه بواسطة خيوط من الجلد، كانت مثبتة في الخشبة، وحاول في هذه الأثناء هنري أن يبقى هادئاً قدر المستطاع محافظاً على رباطة جأشه أمام جمع من المظلمين الذين كانوا يحيطون به، وأمام رفضه الإجابة على أسئلتهم وبأمر من "شاربوني" تمّ نقل هنري إلى غرفة أخرى كانت مقابلة للمطبخ، وبلهجة فيها تهكم توجه شاربوني بكلامه لهنري "لا تعرف هذه! لقد سمعت كثيراً عنها وكتبت عنها"² يقصد طبعاً مكان ووسائل التعذيب.

وبدأت عملية التعذيب بجلوس أحد المظلمين على صدر علاق وهو محاط بمجموعة منهم، حيث توجد الكماشات الكهربائية التي تمّ تثبيتها في أذنيه اليمنى واليسرى، وفجأة اهتز جسده وأطلق صرخة مدوية بكل قواه، وكانت هذه أولى الشرارات التي اخترقته، وبينما كان هنري متألماً يصرخ كان "شاربوني" يزيد في كل مرة من قوة الشحنات، ثمّ استاء لشدة صراخه: "يا إلهي إنه يصرخ

1- الطيب ولد العروسي، "المناضل الفرنسي هنري علاق وثورة التحرير الجزائرية"، مجلة الموروث، ع.2،

2013، ص.139، 147، 156.

2- Henri Alleg, *La question, suivi de la torture au cœur de la république* par jean-pierré Rioux, hibr, édition, Algérie, 2012, p-p.19-22

عليه اللعنة". فأقفل فم هنري بقميصه المكور، وأمام إصراره على عدم الكلام والإجابة على أسئلة الجلادين قام "شاربوني" بتثبيت الواصل الكهربائي في الجهاز التناسلي لهنري، ولشدة اهتزاز جسده بفعل قوة الشرارات الكهربائية، فتحت الخيوط التي كان مربوطا بها، وفي كل مرة يعاد إحكام رباطه ويتواصل التعذيب، برمي الماء على جسده، وتمرير الشرارات الكهربائية عليه حتى كان يفقد أعصابه من التعذيب، لكن دون أن يمنحهم ما يريدون، وبعدها أمر شاربوني بتوقيف المرحلة الأولى من التعذيب، لتتواصل لاحقا بطريقة أخرى وهي غطس رأسه في الماء، ومرات أخرى بالكهرباء وبقوة أكبر، حتى أغمي عليه في إحداها، وخلال جلسات التعذيب هذه كان "شاربوني" ومن معه من الجلادين يتهمون تارة، ويضحكون تارة أخرى، كما كانوا يحتسون الخمر على رأس الضحية، الذي كان يعاني ألما رهيبا¹.

وصف هنري التعذيب بالماء علي يد الجلاد "لوركا" الذي خاطبه قائلاً:

"هل تعرف السباحة انحنى... وسنعلمك... هيا إلى الصنبور... لقد قاموا بالنقاط قطعة الخشب التي كنت لا أزال مربوطا بها وحملوني إلى المطبخ.. وثبتوا أنبوبا مطاطيا في صنبور معدني يتواجد فوق وجهي تماما، وقاموا بلف رأسي بقطعة قماش.. وعندما أصبح كل شيء جاهز قال لي أحدهم عندما ترغب في التحدث كل ما عليك فعله تحريك أصابعك ثم استدار نحو الصنبور، وغمرت الخرقة سريعا بالماء وفاضت المياه في كل مكان، فمي وأنفي وفي جميع أنحاء وجهي، ولكن للحظات كنت لا أزال قادرا على تنفس بعض نسمات الهواء البسيطة، وحاولت من خلال قبض حلقي أن أبتلع أقل قدر ممكن من الماء، ومقاومة الاختناق من خلال الاحتفاظ بالهواء في رئتي لأطول فترة أستطيعها،

ولكن لم أستطع الاستمرار لأكثر من لحظات قليلة، وتوَلَّد لدي شعور بالغرق، واستولى عليّ شعور بالعذاب الرهيب المتمثل في الموت نفسه، ورغمما عني كافحت كافة عضلاتي دون جدوى لإنقاذي من الاختناق، ورغمما عني أصبحت أصابعي تهتز دون سيطرة مني وسمعت صوتا يقول "هذا كل شيء سيبدأ الآن بالتحدث"¹.

لقد كانت مراكز التعذيب والسجون رمزا للقهر وللعذاب خاصة سجن "سركاجي"، لكنه أيضا حسب هنري كان صورة مصغرة للجزائر "التي كانت ماضية في دربها نحو الحرية" لقد جمع السجن الكثير من المناضلين وبث الشجاعة في النفوس، وأذاب الفوارق الاجتماعية وقضى على العنصرية والفوارق النفسية، فجميع المعتقلين جمعهم الرغبة في تحرير الجزائر وهزيمة فرنسا، وحتى من حكم عليه بالإعدام استمد قوته من روح المكان وعندها تحين ساعته، كان يحس أنه يوم انعتاقه بعد كل المعاناة والأحزان وفي لحظة واحدة، يتحد السجناء ويرددون أغنية حماسية واحدة يمتد صداها خارج السجن، وتتضم إليهم زغاريد النساء من السجون المجاورة، وحتى من حي القصبة القريب يتفاعلون مع المحكوم عليه بالإعدام، حتى لحظة إعدامه، لقد كانت السجون تعكس وجها من أوجه التلاحم بين الجزائريين، ولم ينل التعذيب من عزيمة الجزائريين ولم يضعف إرادتهم بل زادهم قوة وعزما على نيل الحرية².

أما سر التلاحم والانسجام بين مختلف المناضلين المسجونين فمرده حسب هنري إلى الحماس الديني والإيمان القوي للمعتقلين الذين حاربوا القمع من أجل الحرية، ومطلبهم وعزمهم على الاستقلال لا ينفصل عن إيمانهم، وهو

1- ibid, p-p.28-29.

2- هنري علاق، مذكرات جزائرية، المصدر السابق، ص.257.

ما يعني أيضا الشجاعة والأخوة والتضامن والافتخار بالانتماء إلى ثقافة وحضارة تكالبت الهيمنة الاستعمارية على تجاهلها، فقد كان في السجن الإسلام والتسامح والانفتاح، وحتى المناضلين الأوروبيين الذين كانوا في السجن وجدوا تعاطف من المسلمين، ورغم أنهم جميعا من الشيوعيين، فإن الجزائريين المسلمين رأوا فيهم الاستقامة والأخلاق المثالية، وربما تأملوا أن جزاء هؤلاء الجنة لحسن صنيعهم¹.

خاتمة:

ساند علاق الثورة الجزائرية وترك لنا "مذكراته" التي تعد مصدرا تاريخيا مهما وغنيا بالأحداث، كشف من خلالها عدّة حقائق حول اندلاع الثورة وردود الفعل تجاهها خاصة رد فعل السلطات الفرنسية والحزب الشيوعي، كما أكد عدة أمور حول الاغتيالات ومسألة التعذيب والسجون، وأعطى موقفه ووجهة نظره في الأحداث وبعض الممارسات الاستعمارية، وعلى هذا الأساس تبرز قيمتها التاريخية لكتابة تاريخ الثورة الجزائرية.

النشاط الخارجي للاتحاد العام للعمال الجزائريين (1956-1962) من خلال الوثائق الأرشيفية الفرنسية

كهد/البشير زهاني

جامعة باتنة 01

Zehani198728@gmail.com

الملخص:

عملت جبهة التحرير الوطني منذ اندلاع الثورة التحريرية على إشراك كل فعاليات المجتمع الجزائري لخدمة الأهداف السامية للثورة التحريرية، وكان الإتحاد العام للعمال الجزائريين إحدى هذه التنظيمات التي وظفتها قيادة الثورة الجزائرية لدعم الكفاح الثوري نظرا للدور الفعال الذي لعبته الطبقة العاملة في الحركة الوطنية بقيادة عيسات إيدير، والذي ساهم في توحيد صفوف العمال الجزائريين في التنظيم النقابي المذكور رغبة منه في توحيد القوى الاجتماعية داخل تنظيم نقابي مهيكّل، يكون سندا قويا للثورة التحريرية على المستويين الداخلي والخارجي. سنحاول من خلال مداخلتنا هذه تسليط الضوء على النشاط الثوري الذي قام به الإتحاد العام للعمال الجزائريين في الخارج (1956-1962) عبر الجامعة العالمية للنقابات الحرة (CISL) من خلال مجموعة من الوثائق الأرشيفية الفرنسية.

Abstract:

Since the outbreak of the liberation revolution, the National Liberation Front has worked to involve all the activities of Algerian society to serve the lofty goals of the liberation revolution, and the General Union of Algerian Workers was one of these organizations employed by the leadership of the Algerian revolution to support the revolutionary struggle due to the effective role played by the working class in the national movement led by Aissat Idir. The latter, who contributed to unifying the ranks of Algerian workers in the aforementioned trade union organization, desires to unify the social forces within a structured trade union organization that would be a strong support for the liberation revolution at

the internal and external levels. Through this intervention, we will try to shed light on the revolutionary activity carried out by the General Confederation of Algerian Workers Abroad (1956-1962) through the International League of Free Trade Unions (CISL) through a group of French archival documents

مقدمة

عند تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين سنة 1956، كانت الساحة النقابية العالمية تضم منطمتين نقابيتين كبيرتين بتوجهين مختلفين نظرا لطبيعة العلاقات الدولية آنذاك، والتي تميزت بصراع الحرب الباردة، وهما فدرالية النقابات العالمية (FSM) التي تأسست في عام 1945، والكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة (CISL) التي تأسست ببروكسل ببلجيكا سنة 1949، حيث ضمت أغلب النقابات غير الشيوعية، التي حاولت استقطاب التنظيمات العمالية بالمستعمرات لتعزيز صفوفها سعيا منها لحماية أوروبا من المد الشيوعي.

إن قطيعة الإتحاد العام للعمال الجزائريين مع فدرالية النقابات العالمية (FSM)، قد مثلت منعرجا حاسما في تاريخ الحركة النقابية الجزائرية بصفة عامة وتاريخ الإتحاد العام للعمال الجزائريين بصفة خاصة، وبقدر ما مثل هذا الحدث من أهمية فقد كان ذا خطورة بالغة لما في ذلك من مغامرة، ذلك أن قيادة الإتحاد (UGTA) لم تضمن حينها بعد الانضمام للواجهة النقابية للمعسكر الغربي الجامعة العالمية للنقابات الحرة (CISL)، إلا أن ما حدث من انقسام داخل فدرالية النقابات العالمية قد عجل بمبادرة الإتحاد وسعيه للانضمام لـ (CISL) تحت تأثيرات إيديولوجية وسياسية وتنظيمية .

بهدف إيصال صوتها للعالم سعت قيادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA) تنفيذًا للمخطط المرسوم من طرف جبهة التحرير الوطني

واستغلالا لاعتراف الجامعة العالمية للنقابات الحرة (CISL) بحق الشعوب في الاستقلال الوطني التام، ومساندة كل الجهود المبذولة قصد توفير الظروف الضرورية لتحقيق هذا الهدف والذي ورد ضمن القانون الأساسي ل (C.I.S.L) قررت قيادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA) الانضمام للجامعة العالمية للنقابات الحرة والذي كان ذا أهمية كبيرة كونه سيمكنها من إيصال صوتها للعالم، ذلك أن (CISL) كان يغطي العالم الغربي بالإضافة إلى إفريقيا وآسيا وأمريكا .

فكيف تمكن الإتحاد العام للعمال الجزائريين من كسب تأييد الطبقة الشغيلة على المستوى العالمي؟ ولماذا اختار الاتحاد الانضمام للجامعة العالمية للنقابات الحرة دون غيرها رغم أن الساحة العالمية كانت تعجُ بالنقابات الدولية؟ وهل حقق الإتحاد المأمول من وراء انضمامه لهذه الهيئة المؤثرة دوليا؟ وهل اكتفى الإتحاد بما حققه تحت مظلة النقابة الرأسمالية الجامعة العالمية للنقابات الحرة (CISL)؟ أم ربط علاقات مع بقية المنظمات النافذة دوليا في تلك الحقبة؟

1- الإتحاد العام للعمال الجزائريين والكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة (CISL)

1-1- انضمام الإتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA) للجامعة العالمية للنقابات الحرة الأسباب والخلفيات

تأسست كونفدرالية الجامعة العالمية للنقابات الحرة بتاريخ 7 ديسمبر 1949 من قبل النقابات الراضية للفدرالية العالمية للنقابات ذات التوجه الشيوعي، تكونت من 255 عضو من 148 بلدا، كان هدفها التصدي لانتشار الشيوعية التي أصبحت تسيطر على جزء كبير من العالم.

أمنت هذه الكونفدرالية بحق الشعوب في تقرير مصيرها، وبأن

التحرر الاجتماعي لا يتحقق سوى بالتخلص من الاستعمار¹.

رغم أن الساحة الدولية كانت تعج بالعديد من النقابات، إلا أن الإتحاد العام للعمال الجزائريين اختار الدخول في صفوف الفيدرالية العالمية للنقابات الحرة فما هي خلفيات وأسباب ذلك؟

لقد اختلفت وتعددت الدوافع التي أدت بالاتحاد العام للعمال الجزائريين

للانخراط في صفوف السيسل فمنها ما هو إيديولوجي وتنظيمي وسياسي:

فبالنسبة للجانب الأيديولوجي فإن قيادة الإتحاد حاولت تكذيب وتفنيدهم التهم الموجهة إليها وإلى جبهة التحرير الوطني، كونها مركزية شيوعية تابعة للمعسكر الشرقي، وبالتالي كان انضمام الإتحاد للسيسل الذي يمثل المعسكر الغربي. بالإضافة إلى إدراك الإتحاد بأنه من غير الممكن أن تتخذ الفدرالية النقابية العالمية والمركزيات المنضوية تحت لواءها موقفا معاديا للكفاح الذي تقوده ضد الاستعمار، وأن ألد أعداء الجزائر يتواجدون في المعسكر الغربي، وبالتالي فإن الانضمام لنقابة المعسكر الشرقي لا تفيد الجزائر في كفاحها، لذلك كان على الإتحاد استغلال التناقضات الموجودة بين الأعضاء الأكثر تأثيرا في السيسل².

أما الجانب التنظيمي فإن الإتحاد تخوف من استغراق مسار الانضمام مدة طويلة في حالة اختيار الفدرالية النقابية العالمية (FSM) ويحدث لها ما حدث للاتحاد التونسي للشغل الذي انتظر سنتين كاملتين من أجل الحصول على موافقة الانخراط فيها، ونظرا لكون أن الثورة التحريرية كانت في عامها الثاني ومقبلة على أحداث هامة مثل الجمعية العامة للأمم المتحدة وأيضا

1- رشيد خطاب، أصدقاء الخاوة، ترجمة حافي مصطفى، دار خطاب الجزائر، 2013، ص 392.

2- Benyoucef Benkhada : 'UGTA et le Role de Aissat Idir', Quotidien d'Algerie, 04/05/2011.

بحاجة ماسة للدخول للساحة الدولية من أجل فرض رأي الجزائريين وبالتالي فتح نافذة على الحرب في تلك الفترة الحساسة كان ضرورة تستدعي التعجيل. لقد كانت هناك اعتبارات أخرى هامة مثل احتلال فدرالية القوة العالمية القريبة من حكومة غي مولي لمكانة هامة في (CISL) مما جعل الإتحاد يسعى للتواجد حيث تتواجد هذه النقابة من أجل إمطة اللثام وإظهار الحقائق حول الواقع الذي تشوّهه فدرالية القوة العالمية¹.

في حين يتجلى الجانب السياسي في استفادة النقابيين الجزائريين من التجربة التي خاضها الإتحاد العام التونسي للشغل من أجل الانضمام للنقابة الشيوعية (FSM)، والتي عُولجت ببيروقراطية كبيرة حيث لم يتم الرد على طلبهم إلا بعد سنتين، فكان إتباع نفس المسار إهدارا للوقت أما كان سيكون في غير صالح الثورة، بالإضافة إلى السعي إلى استغلال وجود نقابات مغربية فاعلة على الصعيد الدولي متمثلة في الإتحاد العام التونسي للشغل والإتحاد المغربي للعمل في الفدرالية العالمية للنقابات الحرة من أجل تكوين جبهة مغربية موحدة للدفاع عن القضايا المصيرية لدول المغرب العربي².

وفي هذا السياق وضّح محمد لبجاوي دوافع اختيار الإتحاد الانضمام لليسيل دون غيره من التنظيمات النقابية العالمية قائلا: " يجب أن يكون الهدف الرئيسي جعل انتشار حركتنا ذات طابع دولي ، وهذا يقضي بأن نحصل على الاعتراف بنا من قبل الجميع، وليس فقط من قبل حلفائنا الطبيعيين، إذ نحن

1- Gilbert Meynier: **Histoire Interieure du FLN , 1954-1962**, Casbah , Alger, 2003 , p 254 .

2- Bourouiba Boualem: **les syndicalismes Algriennes , leur combat de l' eveil a libération national 1936 -1962** , Dahbab Edition ENAG Edition 2001. p p 253-254.

حاصلين بطبيعة الحال على دعم الاتحاد، وبانتمائنا إلى الاتحاد الدولي للنقابات الحرة إنما نفجر التناقضات القائمة بين فرنسا الاستعمارية وحلفائها، وبنوع خاص الولايات المتحدة الأمريكية... إن الاتحاد الدولي قد قدم لإخواننا التونسيين في الاتحاد العام للعمال التونسيين، وفي حزب الدستور مساعدة لا يستهان بها " ¹.

ومما سبق يتجلى أن الإتحاد بانضمامه للجامعة العالمية للنقابات الحرة قد سعى لهدفين رئيسيين أي يتمثل في إبعاد الإتحاد النقابي للعمال الجزائريين المالية للحركة الوطنية الجزائرية، وهدف بُعدي يتمثل في فتح نافذة من أجل الدعاية مع النشاط للدفاع عن القضية الجزائرية في المعسكر الغربي، وهو ما سيعود بالفائدة على الإتحاد والثورة عموما وهو ما سنراه لاحقا.

1-2- أهمية انخراط الإتحاد العام للعمال الجزائريين في الجامعة العالمية للنقابات الحرة

انطلاقا من كون أن الاعتراف بحق الشعوب في الاستقلال الوطني التام، ومساندة كل الجهود المبذولة قصد توفير الظروف الضرورية لتحقيق هذا الهدف والذي ورد ضمن القانون الأساسي ل (CISL) قررت قيادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA) الانضمام للسيسل والذي كان ذا أهمية كبيرة كونه سيمكنها من إيصال صوتها للعالم، ذلك أن السيسل كان يغطي العالم الغربي بالإضافة إلى إفريقيا وآسيا وأمريكا حيث أورد محمد فارس تصريح للجامعة العالمية للنقابات الحرة يبين دعمها للنقابيين الجزائريين جاء فيه: "إن اللجنة التنفيذية للسيسل تندد بالإجراءات القمعية المتخذة ضد الحركة النقابية

الجزائرية الحرة وكذا بحملات التوقيف التي تطال مسؤوليها ... وهي تُحيي النقابيين الجزائريين المحرومين من حريتهم وكذلك الذين يقدمون أرواحهم من أجل النشاط النقابي الضروري لوضع أسس الديمقراطية في الجزائر ... تطالب بالإفراج الفوري عن النقابيين المحبوسين. إن السيسل تدعم ماديا وفعليا عمال الجزائر وتطالب بفتح مفاوضات مباشرة مع الممثلين الفعليين للشعب الجزائري"¹.

بالإضافة إلى الدعم الكبير الذي تلقاه العمال الجزائريون المتمثل في " الدفاع عن المحبوسين النقابيين منذ توقيفهم ... كما فتحت حملة عالمية من أجل البحث عن عيسات ايدير الذي أخذ من طرف السلطات الفرنسية رغم تبرئته من طرف العدالة في 1959)). كما قامت السيسل بتوجيه رسالة إلى غي مولي والتي طالبت فيها بالإفراج الفوري عن كل المسؤولين الذين كانوا ضحية الإجراءات الإدارية، كما طلبته بإرسال لجنة تحقيق إلى الجزائر (...)) دون نسيان أن السيسل أول منظمة دولية تعترف بمنظمة نقابية وطنية في دولة مستعمرة"².

رغم ما قامت به السيسل من دعم إلا أنه لم يكن في مستوى تطلعات وطموح الإتحاد، ذلك أن هذا الأخير لم يكن راضيا بمواقف السيسل تجاه القضية الجزائرية³ حيث ورد في تقرير البعثة الخارجية للاتحاد العام للعمال الجزائريين سنة 1957 ما يلي: ((إن النقابة الغربية التي نحن منخرطين فيها في الوقت الراهن، هي معادية للشيوعية، وإلى حد ما معادية للاستعمار،

1- Mohamed Farés: **Aissat Idir** , documents et témoignages sur le **syndicalisme en Algérie** , ENAL,1992, p p 71-72.

2 - ibid, p p 71-72.

3- ibid , p p 71-72.

وباعتبار أن الظاهرة الاستعمارية وليدة الغرب، فإن السيسل لا تناضل إلا بصورة محتشمة ضد الاستعمار. هذا الموقف يظهر بوضوح عندما نقارن بين المساعدة المقدمة للمجرمين والمساعدة التي قُدمت لنا "بالتقطير" ((.

((لم نتوان أبدا في إظهار هذا التوجه الخاطئ للسيسل خاصة في اليوم العالمي للتضامن يوم 04 نوفمبر 1957))¹ ورغم عدم رضا الإتحاد عن دور السيسل، نقول إنه كان نافذة للاتحاد لإيصال صوته ومنه صوت الجزائر الدولي نظرا لمكانة الجامعة العالمية للنقابات الحرة عالميا.

1-3- مراحل انضمام الإتحاد العام للعمال الجزائريين ل (CISL)

ذكر محمد فارس أنه كان هناك تواصل بين عيسات إيدير والأمين العام ل (CISL) أولدنبروغ، وقد كان هذا التواصل عبارة عن تقارير ووثائق ابتداء من فيفري 1956 ومنها تلك المؤرخة ببيوم 19ماي 1956 جاءت من بروكسل والتي أكدت وصول رسائل من الجزائر في أشهر مارس وأفريل وماي، لتكون آخر مراسلة حسب المؤرخ ذاته من طرف أولدنبروغ والتي تظهر اهتمام وتعاطف هذا الأخير مع الأمانة العامة للاتحاد العام للعمال الجزائريين².

جدير بالذكر أن مسألة انضمام الإتحاد العام للعمال الجزائريين ل (CISL) شابتها عدة صعوبات، أبرزها قيام الإتحاد النقابي للعمال الجزائريين بوضع حواجز للحيلولة دون وصول (UGTA) إلى مبتغاه، إلا أن اللقاءات التي جرت بين الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل أحمد بن صالح والأمين العام للسيسل الأمريكي براون بالإضافة إلى الحضور المغربي المتمثل في

1 Mohamed Harbi : **les archives de la révolution Algérienne**, les éditions jeune Afrique , paris, 1981, p150.

2- Mohamed Fares: **les Relation des syndicats Maghrebins avec les internationales syndicales , le cas de L'ugta Algerie de 1956 a 1962**, p161.

الإتحاد المغربي للعمل والإتحاد النقابي الليبي، والجزائري رشيد عبد العزيز وهو عضو في جبهة التحرير كان لهذه اللقاءات دور في قبول عضوية الإتحاد العام للعمال الجزائريين في (CISL)¹.

إن انضمام الإتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA) لليسيل تم عبر الخطوات التالية: الدورة الأولى تمت يوم 10 مارس 1956 وجمعت أعضاء اللجنة الفرعية في بروكسل والتي تتألف من الأمين العام لليسيل أولدنبروغ، الأمين العام للقوة العمالية الفرنسية السيد بوثرو، السيد فانسون توسون الأمين العام للمركزية البريطانية، وإروين براون عن الولايات المتحدة الأمريكية وأحمد بن صالح الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل وطيب بوعزة عن الإتحاد المغربي للعمل، وكان وفد الإتحاد العام للعمال الجزائريين يتألف من رحمون دكار وقايد مولود² بينما أوردت إحدى الوثائق الأرشيفية أن الدورة الثانية تم فيها عقد اللقاءات الأولية التي تمثلت في تلك الجلسات التي جمعت وفد الإتحاد العام للعمال الجزائريين المتمثل في السيد رشيد عبد العزيز ممثل جبهة التحرير الوطني رفقة دكار رحمون عضو نقابة البريد في (UGTA) مع ممثل الإتحاد التونسي للشغل في C.I.S.L زهير شلي في 29 جوان 1956 ومع السيد بن قطاف أحد المقربين من فرحات عباس والسيد بوليمة بن الطيب القيادي في الإتحاد المغربي للعمل في 30 جوان 1956، كما كان للوفد

1- Mohamed Fares : Aissat idir documents , op.cit , p p 71-72.

2 - محمود آيت مدور، الحركة النقابية المغاربية بين 1945-1962، الجزائر وتونس نموذجا، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص181.

الجزائري لقاءات مع أحمد بن صالح الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل الذي وصل إلى بروكسل في 2 جويلية 1956¹.

وخلال الفترة مابين 3 إلى 5 جويلية 1956 سعى الثلاث براون، بن صالح ورشيد عبد العزيز بمحاولة إقناع وفود الـ (C.I.S.L) بعدة مسائل أبرزها:

- رفض ترشيح الإتحاد النقابي للعمال الجزائريين المقرب من الحركة المصالية لعضوية الجامعة العالمية للنقابات الحرة.

- قبول عضوية الإتحاد العام للعمال الجزائريين بعد دعم الإتحاد التونسي للشغل والإتحاد المغربي للعمل، رغم إبداءهم في البداية موافقة على اقتراح الأمين العام لسيسل فيما يخص دمج النقابيين الجزائريين تجنباً للانقسام².

مداولات اللجنة التنفيذية: انطلقت المناقشات حول القضية الجزائرية يوم 6 جويلية 1956 بين أعضاء اللجنة التنفيذية للكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة وانتهت بالنتائج التالية:

- رفض قبول الإتحاد النقابي للعمال الجزائريين (USTA) بسبب عدم وجود تمثيل لهذه النقابة في أوساط العمال الجزائريين.

- قبول عضوية الإتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA) نظراً لتمثيله الكبير في أوساط الجزائريين.

يشار أن عملية الانتخاب جرت على ثلاث مراحل كانت فيها الكفة

1 - وثيقة أرشيفية بتاريخ 17 جويلية 1956 تحت رقم 233/2916 بعنوان: " حول موضوع قبول الإتحاد العام للعمال الجزائريين في السيسل".

2 - وثيقة أرشيفية بتاريخ 17 جويلية 1956 تحت رقم 233/2916 بعنوان: " حول موضوع قبول الإتحاد العام للعمال الجزائريين في السيسل".

متساوية في المرحلتين الأوليتين لكن تدخل السيد أحمد بن صالح قبل العملية الثالثة والتي هدد فيها بانسحاب نقابات بلدان المغرب العربي من الجامعة العالمية للنقابات الحرة (CISL) وانضمامها لفدرالية النقابات العالمية (FSM) في حال رفض انضمام الإتحاد العام للعمال الجزائريين جعل الكفة تميل لصالح الإتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA)¹ في وقت دعم ممثلو المغرب وليبيا الإتحاد العام للعمال الجزائريين بعدة طرق حيث نقل بوعلام بوروية تصريح للممثل الإتحاد المغربي للعمل كونه لا يعرف في الجزائر سوى جبهة التحرير الوطني والإتحاد العام للعمال الجزائريين²، كما يقول محمد فارس: "أنه وبالرغم من المناورات التي قامت بها كل من الفدرالية العامة للعمال البلجيكية ونقابة القوة العمالية الفرنسية والإتحاد النقابي للعمال الجزائريين، إلا أن العرض الذي قدمه مولود قايد كان يحمل أدلة دامغة حول قوة تمثيل الإتحاد العام للعمال الجزائريين، كما أن المعلومات المقدمة من طرف المركزيات المغاربية المنخرطة في السيسل (CISL) (الإتحاد التونسي للشغل والإتحاد المغربي للعمل واتحاد النقابات الليبية) تؤكد على أن الإتحاد العام للعمال الجزائريين يمثل الشريحة الواسعة من العمال الجزائريين، وفي الأخير صوت أغلبية المجلس لصالح انخراط الإتحاد العام للعمال الجزائريين في الجامعة العالمية للنقابات الحرة³.

1-4- المواقف المختلفة من انضمام الإتحاد العام للعمال الجزائريين للجامعة العالمية للنقابات الحرة (CISL)

أ- موقف الإتحاد النقابي للعمال الجزائريين (USTA):

1 - نفس الوثيقة الأرشيفية.

2 - محمود آيت مدور، المرجع السابق، ص182.

انطلاقاً من الاختلاف في وجهات النظر لكون لكل مركزية مسار نضالها وإيديولوجيتها وحركتها السياسية، حيث أن الصراع السياسي بين (MNA) و (FLN) سواء داخليا أو خارجيا لأجل كسب الاعتراف الدولي انعكس على الصراع بين النقابيين وعقب كسب (UGTA) معكزة الانتساب للجامعة العالمية للنقابات الحرة، قام الإتحاد النقابي للعمال الجزائريين كتعبير منه عن رفض انضمام (UGTA) ل (CISL) بإرسال رسالة عبر مكتبه بفيديراليتة بفرنسا بتاريخ 6 جويلية 1957 إلى القائمين على السيسل بتونس معبرين عن أملهم بإعادة النظر في طلب الانخراط الذي تقدم به الإتحاد العام النقابي للعمال الجزائريين، وكون أن الظروف والشروط التي تم فيها قبول الإتحاد العام للعمال الجزائريين لم تكن محايدة¹.

فحسب محمد حربي أن رسالة (USTA) ل (CISL) أوضحت فيها أنها لم تأخذ بعين الاعتبار إلا أمرا واحدا من أجل تبرير أن (UGTA) لا تمثل الجزائريين بالقدر الكافي سوى الانتخابات النقابية في الإدارة الولائية للقاطرات الكهربائية للجزائر العاصمة مبررين في نفس الرسالة أن الأمر يعود لرفض الإدارة السماح ل (USTA) بتقديم ممثلين عكس (UGTA) الذي قُبلت قائمته من نفس الإدارة، مبرزين أن نفس الأمر تكرر معهم في مسألة الانضمام للسيسل منددين ورافضين للدخول في لعبة الحيل العقيمة ومتسائلين حسب ما جاء في الوثيقة عن قدرة الإتحاد على تنظيم إضراب واحد حول قضية جزائرية ما².

1 - بزيان سعدي، دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 1954، ط2، منشورات

تالة، الجزائر، 2009، ص75.

2- Mohamed Harbi: les archives de la révolution Algérienne , op.cit , p150.

ومما يدعم هذا الطرح ما ورد في وثيقة أرشيفية مؤرخة في 18 جويلية 1956 موجهة إلى مكتب شؤون الجزائر بوزارة الداخلية تحت عنوان، إحباط لدى مسؤولي (USTA) بعد قبول انضمام (UGTA) إلى (CISL) تشير إلى حالة من الإحباط لدى العديد من مناضلي الحركة الوطنية ونقابيي الإتحاد النقابي للعمال الجزائريين بعد القرار الأخير الذي تم فيه قبول انخراط الإتحاد العام للعمال الجزائريين ورفض الإتحاد النقابي للعمال الجزائريين في الجامعة العالمية للنقابات الحرة، حيث عزوا ذلك إلى الدور الذي قام به أحمد بن صالح الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل والذي انتقم من الإتحاد النقابي بسبب رفض هذا الأخير للشروط التي وضعها من أجل عقد لقاء بين النقابتين قبل انضمام الإتحاد العام للعمال الجزائريين لـ (CISL)¹.

ب - موقف مركزية القوة العمالية الفرنسية:

لقد رفضت هذه المركزية ونددت بانضمام الإتحاد العام للعمال الجزائريين للجامعة العالمية للنقابات الحرة وبذلت كل ما في وسعها لدى مختلف المركزيات والنقابات الدولية للحيلولة دون قبول هذا الانضمام². وقد نقلت وكالة الأنباء الفرنسية قرارات الاجتماع الاستثنائي الذي عقدته هذه المركزية للنظر في قرارات الهيئة التنفيذية للسيسل التي قبلت بانضمام الإتحاد ورفضت في نفس الوقت انضمام (USTA) ومن أهم ما تمخض عن الاجتماع: "... إن مكتب كونفدرالية القوة العمالية يُندد بالقرارات التمييزية والمتسعة المتخذة من طرف الهيئة التنفيذية للسيسل، مثل هذه القرارات التي

1 - أرشيف العتبة الدبلوماسية الفرنسية وثيقة تحت رقم: k23/N/ 3278.

2 - Weiss François : **doctrine et action syndicales en Algérie** , Cujas, paris ,1970: op.cit , p 38

من شأنها أن تساهم في عدم استقرار وضع دقيق ... " ¹.

ج- موقف الصحافة الفرنسية:

تخوفت الصحافة الفرنسية من مسألة انضمام (UGTA) لسيسل واعتبرت هذا الأمر فرصة للأمريكيين للتدخل في الشؤون الداخلية لفرنسا، وأن هدف ذلك هو إبعاد عمال المغرب العربي المنخرطين في النقابات الفرنسية، وقد كتب ريمي رور من جريدة لاديباش كوتيديان في هذا الصدد: "إن إنشاء مركزية نقابية جزائرية والتي تطلب الانخراط في السيسل لم يكن له صدى كبير في أوساط الرأي العام، إن الأمر مُحير فعلا. أفلم تتخذ هذه المركزية موقفا في صالح "حركة التحرير الوطني" أي الإرهابيين؟ ألم تطلب بقوة بضرورة إنشاء فدرالية نقابية إسلامية بحتة؟... إن إنشاء المركزية الجزائرية جاء بعد إنشاء اتحاد نقابات المغرب الأقصى وانخراط الإتحاد العام التونسي في السيسل... أما في الجزائر فيبدو وأن السيسل تصرفت بحذر وقد قام أحد ممثليها بالاستماع إلى المطالب الوطنية لاتحاد النقابات الحرة تحت التأثير الأمريكي والتي سعت إلى فصل العمال الأهالي في شمال إفريقيا (المغرب، تونس والآن الجزائر) عن العمال المنخرطين في المركزيات الفرنسية (السجستاني، القوة العمالية والكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين) ... إنه من غير المعقول أن يلتزم مسؤولونا الصمت إزاء مبادرات حلفائنا من وراء البحار... والتي تشبه إلى حد ما التدخل في شؤوننا في شمال إفريقيا وفي الجزائر". تصريح عبر عن مدى تخوف الصحافة الفرنسية من مساعي الإتحاد العام للعمال الجزائريين وقبول حلفاء فرنسا لمسألة انضمام الإتحاد للسيسل، تخوف صنفته الصحافة الفرنسية

في خانة التدخل في الشؤون الداخلية لفرنسا¹. أما الإتحاد العام للعمال الجزائريين فقد صرح بعد هذا الإنجاز بما يلي: "إن العمال الجزائريين يحيون اللجنة التنفيذية للكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة بعد تصويتها معترفة بالطابع الوطني والتمثيلي للاتحاد لكل العمال الجزائريين"².

1-5- موقف الجامعة العالمية للنقابات الحرة للدفاع من القضية الجزائرية

عقب انضمام الإتحاد العام للعمال الجزائريين للجمعة العالمية للنقابات الحرة اتخذتها وسيلة لإيصال صوت الشعب الجزائري عامة وشريحة العمال خاصة إلى كل أنحاء العالم، وذلك عن طريق المشاركة في مؤتمرات الكونفدرالية وعن طريق بياناتها ضد السياسة الاستعمارية، وعن طريق ما كانت تقدمه من مساعدات مادية للاتحاد وللشعب الجزائري وخاصة اللاجئين الجزائريين بتونس والمغرب، وبالتالي أصبح (UGTA) رقما مهما في هذه النقابة الدولية، ما جعل الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة تتبنى مطالب (UGTA) وتدرجها في كل نقاشاتها وبين مختلف فروعها.

أُدرجت قضية القمع النقابي المسلط على العمال الجزائريين من طرف السلطات الاستعمارية في النقطة العاشرة من جدول أعمال اللجنة التنفيذية المنعقد بتاريخ 03 جويلية 1956، ومن أهم القرارات التي ورد خلالها الدفاع عن (UGTA) وبالتالي الدفاع عن الجزائر وتمثلت في:

1- إصدار بيان شديد اللهجة يندد بسياسة القمع الفرنسي ضد النقابيين المنتمين لـ (UGTA) ومحاولات إقصائهم من الانتخابات بالتنسيق مع عديد النقابات ذات التمثيل الضعيف.

1 - محمود آيت مدور، المرجع نفسه، ص189.

2- السعي لإدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الأمم المتحدة، وذلك بجمع توقيعات ضد السياسة الاستعمارية المطبقة في الجزائر.

3- تقديم عريضة وشكوى دولية لدى المنظمة الدولية للعمل (O I T) ضد الحكومة الفرنسية في فيفري 1957، وذلك بناء على تقرير يتضمن وثائق تبين أشكال القمع المسلط على نقابيي الإتحاد العام للعمال الجزائريين، وقد قدمت هذه العريضة بموافقة الأمين العام للجامعة العالمية للنقابات الحرة وبطلب من (UGTA) ¹ ، وفي نفس الوقت تم إرسال رسائل ل غي مولي رئيس المجلس الفرنسي للوزراء، روبير لاكوست الحاكم العام للجزائر تتضمن كل منها احتجاج على السياسة القمعية².

4- كما قدمت الفيدرالية العالمية للنقابات الحرة إثر اغتيال عيسات ايدير الأمين العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين شكوى بفرنسا لمنظمة حقوق الإنسان بالأمم المتحدة وشكوى أخرى للمكتب العالمي للشغل وعبر رسالة للأمين العام للأمم المتحدة من أجل فتح تحقيق عادل حول قضية اغتيال شهيد الحركة النقابية الجزائرية الامين العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين عيسات ايدير³.

كما عبرت الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة عن دعمها للنقابيين الجزائريين خلال انعقاد دورة اللجنة التنفيذية بتاريخ 30/26 نوفمبر 1956 من

1 - محمد قدور: دور المنظمات الجماهيرية في الثورة التحريرية 1956- 1962 الإتحاد العام للعمال الجزائريين (نموذجاً)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، السنة الجامعية 2014-2015 الجزائر، ص.150.

2- A.N.O.M, GGA /7G /1104, DSNA , 1 Congres de l union général des travailleurs d' Afrique noire UGTAN , 15-18 /01/1959 .

3 - "صدي اغتيال الشهيد عيسات ايدير في العالم"، المجاهد، عدد 48، 1959/08/10.

أجل دراسة القضية الجزائرية عن طريق التصريح الآتي: "إن اللجنة التنفيذية لـ (CISL) تُندد بالإجراءات القمعية المتخذة ضد الحركة النقابية الجزائرية الحرة وكذلك بحملات التوقيف التي تطال مسؤوليها ... وهي تحيي النقابيين الجزائريين المحرومين من حريتهم وكذلك الذين يقدمون أرواحهم من أجل النشاط النقابي الضروري لوضع أسس الديمقراطية بالجزائر ... نطالب بالإفراج الفوري عن النقابيين المحبوسين ... إن (CISL) تدعم ماديا وفعليا عمال الجزائر وتطالب بفتح مفاوضات مباشرة مع الممثلين الفعليين للشعب الجزائري"¹.

لقد طالبت السيسل من هيئة الأمم المتحدة وضح حد لإراقة الدماء واتخاذ كافة الإجراءات لتحقيق هذا المسعى، وبالتالي حل المشكل الجزائري طبقا لميثاق الأمم المتحدة ومبادئ حقوق الإنسان، ولأجل الضغط على الدول الأعضاء هيئة الأمم المتحدة لتحقيق ذلك تمت المصادقة في هذا المؤتمر على جملة على التوصيات الآتية:

- تقديم بيان احتجاج على التضيق الممنهج على الحركة النقابية في الجزائر، من خلال اعتقال قادتها.
- الدعوة للإفراج الفوري عن النقابيين الجزائريين المعتقلين.
- الترحيب بالنقابيين الذين حرّموا من حريتهم، وكذلك الذين يتعرضون للخطر في حياتهم ويواصلون مهمتهم لإنشاء نظام ديمقراطي في الجزائر.
- توافق للأمين العام بأن يقدم للمكتب الدولي للعمل شكوى ضد الحكومة الفرنسية بسبب انتهاكها للحقوق النقابية، في حالة عدم إفراج السلطات عن النقابيين المعتقلين في سجونها.

- يمكن للأمين العام أن يستخدم صندوق التضامن الدولي لمساعدة عائلات النقباء المعتقلين.
- يؤكد قرار اللجنة الفرعية أن ترسل إلى الجزائر الوفد الذي عينته.
- تقديم احتجاج شديد اللهجة ضد التدابير التعسفية من قبل الوزير المقيم الذي يمنع دخول العضو المتوقع للوفد إلى الجزائر، ورفض الوزير المقيم إثبات اتهاماته.
- التأكيد من جديد أنه لا يمكن حل للنزاع الجزائري في المواجهة.
- الدعوة لفتح مفاوضات مباشرة مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري، وإنهاء القتال في الجزائر.
- يعتقد أن المفاوضات يجب أن تستند إلى حق الشعب الجزائري في التصرف الحر في مصيره، وعلى الاعتراف المتبادل بضرورة تحديد وضع الجزائر في المستقبل والحاجة إلى دستور ديمقراطي والضمانات الكافية لحقوق متساوية لجميع سكان البلد.
- يكلف الأمين العام بالتقدم شخصيا إلى رئيس المجلس الفرنسي بقرار اللجنة بشأن الوفد ووجهة نظره فيما يتعلق بحرية تكوين الجمعيات، والمشكلة الفرنسية الجزائرية، وإرسال لجنة تحقيق إلى الجزائر برئاسة "إروين براون"¹.
- وفي 26 أكتوبر 1956 بعث رئيس النقابة الأمريكية (A.F.I-) " جورج موني" إلى كاتب الدولة الأمريكية جوه فوستر دالاس طالبه فيها بضرورة استخدام نفوذه ونفوذ الولايات المتحدة لنجدة الشعب الجزائري في حربه ضد فرنسا جاء فيها: " وكما تعلمون، يتضمن جدول الأعمال المؤقت

1- C.A.D.F.M.A.E Carton 163 , a.s la cisl et l' Afrique du nord Voire aussi le comite executif accepte notre affiliation, **revue ouvrière algérien**, 5/8/1956.

للجمعية العامة القادمة للأمم المتحدة أربع عشرة نقطة تتعلق بأفريقيا، بحثت لجنة العلاقات الخارجية لنقابة الأمريكية في الأزمة الخطيرة في الجزائر، حيث شاركت القوات الفرنسية المكونة من خمسين ألف (50.000) رجل في حرب عبثية ورهيبة ضد الشعب الجزائري الذي يناضل من أجل الاستقلال الوطني " إلى بلدنا وإلى فرنسا وإلى جميع الدول الديمقراطية " إننا نحث حكومتنا على بذل أقصى ما في وسعها لمساعدة الأمم المتحدة على تقديم المساعدة من خلال العمل الإيجابي للشعب الجزائري من أجل نيل حريته وإقامة ديمقراطية تكفل لجميع المواطنين وضعهم القانوني الكامل في ظل المساواة الأخوة العدالة".¹

كما كُلِّ نشاط (UGTA) ضمن (CISL) على الصعيد السياسي بتطورات لصالح الجزائر تمثلت في قيام النقابة الدولية بمراسلة الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها (11) بتاريخ 1957/02/06 برسالة تضمنت ضرورة الضغط على السلطات الاستعمارية الفرنسية وإقناعها من أجل فتح حوار جدي مع الممثلين الشرعيين للشعب الجزائري.²

لقد عقدت الجامعة العالمية للنقابات الحرة عديد المؤتمرات والتي كانت دائما حاضرة الجزائر في جداول أعمالها ومن هذه المؤتمرات: المؤتمر العالمي الخامس للجامعة العالمية للنقابات الحرة بتونس ما بين 05 و13 جويلية 1957 وشارك فيه (200) مندوب ومستشار يمثلون ستة وسبعون (76) منظمة نقابية تابعة لثمانية وخمسون (58) دولة، هيمنت فيه القضية الجزائرية على جميع المناقشات وعرفت تجاوب الجميع، خاصة عند عرض

1- L A.F.L-C.I.O dénonce l' arrestation des dirigent démocrate algérien، *revue l'ouvrière algérien*, 4/1/1957.

الأمين العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين "رشيد بن عبد العزيز" لتقريره الذي عرف دعم النقابيتين التونسية والمغربية، وأهم النقاط التي خرج بها المؤتمر فيما يخص الجزائر:

- تقديم مساعدات مالية بقيمة ثلاث ملايين فرنك فرنسي عن طريق الصندوق العالمي للتضامن التابع للكونفدرالية، وهذا لمساعدة اللاجئين الجزائريين وعائلات النقابيين المسجونين بالجزائر.

- دعم الكونفدرالية لمبدأ تقرير المصير للشعب الجزائري وفتح مفاوضات عاجلة بين جبهة التحرير الوطني وفرنسا¹.

- التعبير عن أملهم في أن تقوم منظمة العمل الدولية بحث الحكومة الفرنسية كي تقي بالالتزامات التي قطعتها على نفسها كعضو في هذه المنظمة من خلال إلغاء التدابير التي تحول دون تطبيق حرية تكوين الجمعيات، وذلك من خلال مراسلة الحكومة الفرنسية أيضا بنفس النداء².

- أكد المؤتمر من جديد اقتناعهم بأن حل المشكلة الجزائرية لا يمكن أن يكون في استعراض للقوة ولكن فقط من خلال المفاوضات المباشرة "الممثلين الشرعيين" للشعب الجزائري، يجب أن تستند هذه المفاوضات على اعتراف فرنسا بـ "الأمة الجزائرية" المستقلة الحرة مقابل تأكيد الجزائريين رغبتهم في احترام حريات جميع سكان الجزائر ومصالحهم، وذلك في إطار الصداقة الفرنسية الجزائرية دون تحديد لجهة معينة وهي جبهة التحرير الوطني³.

1 - بغداد خلوفي، الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة 2014-2015، الجزائر، ص 192.

2- C.A.D.F, M.A.E/163,congre de la C.I.S.I a Tunis.

3- .A.D.F, M.A.E/163 télégamme a l' arrivée texte de la résolution sur l' Algérie.

- دعوة الحكومة الفرنسية لوقف إراقة الدماء والبدء في مفاوضات مباشرة، مع إطلاق سراح النقابيين المسجونين أو المودعين في مراكز الاعتقال السياسية، لإثبات حسن نواياها في إعادة تفعيل حرية العمل النقابي.

- الموافقة للأمين العام لمواصلة استخدام صندوق التضامن الدولي لتقديم المساعدة الكافية لأسر النقابيين الموقوفين والنقابيين اللاجئين¹. وكنموذج عن المساعدة السابقة الذكر فقد قدمت المؤسسة السالفة الذكر ثلاثة ملايين فرنك لمساعدة اللاجئين الجزائريين وعائلات النقابيين الموقوفين بالسجون الفرنسية، كما تم في 26 أكتوبر 1957 أعلم مولود قايد (علي رشيد بن عبد العزيز) بقيام مكتب السيسل بباريس بإيداع مبلغ 437.783 فرنك فرنسي في حساب الاتحاد العام للشغل التونسي².

يمكن اعتبار أن ما تمخض عن اللائحة كان بمثابة المكسب المعنوي الذي شكل إضافة عززت مطالب الجزائريين، وأيدت كفاحه لأجل نيل حريته، ذلك أنه رغم التناقض الذي ميز هذه الهيئة والذي تجلى في موقف صارم عبرت عنه الوفود خاصة الوفد الأمريكي بقيادة "اروين براون" تمثل في الدفاع عن مطامح الشعوب المستعمرة وحقوقها، وموقف لين تجاه فرنسا، كما بدا الاضطراب أيضا على السيسل من خلال هذه اللائحة في اقتصارها على ذكر الشعب الجزائري دون الإشارة إلى جبهة التحرير الوطني الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري والمعبر عن طموحاته، إلا أن ما تحقق من مكاسب وعلى رأسها تعيين الأمين العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين كعضو بالنيابة في اللجنة التنفيذية للجامعة دليل على الاعتراف بالواقع الذي أكده وفد أمريكا

1- C.A.D.F, M.A.E/163,congre de la C.I.S.I a Tunis congre, op.cit.

2- C.A.D.F, M.A.E/163, appui financier Forni par la C.I.S.L a L' U.G.T.A .

اللاتينية عندما صرح قائلاً: "بعد ثلاث سنوات من كفاح عنيف يقوده الشعب الجزائري ليحصل على استقلاله لم يعد هناك مكان للشك أو الريبة، لإرادة الشعب الجزائري وتصميمه على نيل الحرية تبرز بوضوح وبقوة لكل منا"¹.
ومما يدل أيضا على دعم المسألة الجزائرية من طرف السيسل، هو قيام أولدنبروغ بكتابة رسالة في 31 جانفي 1957 إلى السيد روبير لاكوست يعاتبه فيها حول مسألة منع السيد عبد القادر علال أحد مسؤولي الإتحاد العام للعمال الجزائريين من حضور اجتماع السيسل بعد دعوتها إياه ليكون جواب السلطة الفرنسية بأن الإتحاد أداة في يد جبهة التحرير الوطني، وأن عمله سياسي أكثر منه نقابي².

إن اجتماع الكونفدرالية يومي 08 و 09 مارس 1958 بجنيف الذي حضره مثلا عن (UGTA) مولود قايد بالإضافة إلى ممثلي النقابات الثلاث المغاربية الأخرى، قد تم خلاله معاتبة النقابيين الشمال إفريقيين للكونفدرالية رغم تنديد هذه الأخيرة بأحداث ساقية سيدي يوسف 1958/02/08 وإنشاء منطقة عازلة بين الجزائر وتونس، ليتم إرسال نداء من قبل القادة النقابيين الشمال إفريقيين إلى الحكومة الفرنسية لوقف الاعتداءات بالجزائر³، ويكون هذا المؤتمر بمثابة منبر عبرت فيه النقابات المغاربية عن بداية فقدانها الثقة في العالم الحر، وفي الحركة النقابية الحرة، مشيرة أن أي دعم سيقدم لفرنسا سيؤدي إلى عدم التمييز بين السيسل والحكومات الغربية، وأن تقصير السيسل ستكون

1- C.A.D.F, M.A.E/163 , notice sur le syndicalisme en Algérie .

2 - بغداد خلوفي، المرجع السابق، ص 294.

3- A.N.O.M, GGA /7G /1104, PRG , Alger le 01/04/1958, note le renseignement a / de le c.i.s.l .

عواقبه زوال هذه النقابة الدولية من المغرب العربي¹.

وفي ختام المؤتمر طالب المجتمعين فرنسا بوقف الحرب في الجزائر والإقرار الفوري للحريات وإطلاق سراح المسجونين بسبب مشاركتهم في الحركة التحررية والبدء بإجراء مفاوضات بينها وبين الجبهة بصفتها الممثل الوحيد للشعب الجزائري، على أساس الاعتراف للشعب الجزائري بحقه في الاستقلال واحترام حرية جميع السكان في الجزائر ومصالحهم، وأعرّب المؤتمر عن يقينهم بأن السلام العالمي والعلاقات بين المغرب العربي سيظلان معرضان للخطر دون نيل الشعب الجزائري لاستقلاله وحرية².

وفي هذا الصدد نشرت جريدة المجاهد مجهودات الجامعة العالمية للنقابات الحرة استجابة لمؤتمر جنيف نوجزها فيما يلي:

1- إرسال الكاتب العام للجامعة العالمية للنقابات الحرة برسالة إلى رئيس الوزراء الفرنسي يوم 25 مارس 1958 جاء فيها: "أود أن ألاحظ لكم فيما يخص مسألة إيقاف النقابيين بأن الجامعة قد اضطرت إلى إحاطة مكتب الشغل الدولي ببعض التصرفات التي صدرت منكم ضد عدد من النقابيين الجزائريين الذين قبضتم عنهم دون أي ترتيب قضائي وأن مكتب الشغل مع مراعاته لآراء الآخرين التي أعنها مجلسها الإداري خلال دورته 137 و 138 التي تشير إلى أن النقابيين الموقوفين ألحقت بهم تهمة سياسية أو جنائية تعتبرها الحكومة إحالة هؤلاء النقابيين على سلطة قضائية نزيهة للبت في أمرهم، كما أعرّبت اللجنة الإضافية التابعة لمكتب الشغل عن أملها أن تعيد المحاكم الفرنسية

1 - سالم بويح، "العلاقات بين الإتحاد العام للعمال الجزائريين والجامعة العالمية للنقابات الحرة"، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، ع141، تونس، 2013، ص ص 88-89.

2 - "مؤتمر نقابات المغرب الكبير بطنجة"، المجاهد، عدد 12، المرجع السابق.

النظر في قضايا هؤلاء الموقوفين وأن تطلق سراح الذين لم يتخذ في شأنهم أي ترتيب قضائي في وقت سابق".

2- إصدار الجامعة العالمية للنقابات الحرة بيان استنكرت فيه تكوين المنطقة المحرمة ورفعت احتجاجا ضد هذه الفعلة غير الإنسانية التي تقضي بترحيل حوالي 400.000 ساكن عن أراضيهم وديارهم، حيث صرح الكاتب العام للجامعة بقوله: ((إن القلق يساورنا ليس فقط لأن 400.000 من الناس قد ينتزعون من أرض أجدادهم بل أيضا المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي قد تتجر عن هذا الإجراء الجماعي خطيرة كل الخطر، فألاف المساكن وآلاف الضيعات ستخرب حتما. ما الذي سيحل بعد ذلك بأصحاب تلك الممتلكات بها النساء والأطفال؟ هل سيجدون مأوى يلجؤون إليه؟ وفي هذا الإطار كونت الجامعة لجنة تحقيق تكونت من السادة. المباتيتت (بلجيكا) وبرتاسكوني (سويسرا) وبايني (إيطاليا) زارت هذه اللجنة مراكز تجمع اللاجئين الجزائريين في عين دراهم، ساقية سيدي يوسف، سبيطلة ... ونتيجة للزيارة أكد رئيس الوفد. المباتيتت خلال الندوة أن الوضعية التي يعيشها اللاجئون لم تستقر وهي أبعد أن تستقر.

3- تم الاتفاق على وضع صندوق التضامن الذي تقرر تأسيسه خلال مؤتمر تونس تحت تصرف العمال اللاجئين وعائلاتهم وتقديم إعانة مالية أولية لمساعدتهم لمدة 6 أشهر قدرها 15 مليون فرنك، كما وعد برناسكوني بتسديد منحة قدرها 07 ملايين يدفعها الصندوق السويسري للإعانة الخارجية.

4- بعث الكاتب العام للجامعة العالمية للنقابات الحرة بتاريخ 24 مارس 1958 إلى جميع المنظمات المنخرطة في الجامعة منشورا جاء فيه: ((نظرا لخطورة الحالة في الجزائر و آثارها السيئة على الأقطار المجاورة فإن اللجنة

الفرعية قد قررت أن تطلب من جميع المنظمات في الجامعة أن تقوم بكل الجهودات لإعلام حكوماتها المختلفة والحكومة الفرنسية أيضا بمدى تأثير النقابات الحرة من سوء الحالة في الجزائر، كما طلبت اللجنة الفرعية من نفس المنظمات أن تصرح بتأييدها للسياسة التي سلكتها إلى الآن جامعة النقابات الحرة فيما يخص الجزائر، وأن تُعبر عن أملها في أن يجعل حد للحرب الجزائرية فليس لجامعة النقابات الحرة من غاية في الجزائر سوى إنهاء الحرب الإجرامية والبحث عن وسيلة تمكن الفرنسيين والمسلمين من التعايش السلمي في إفريقيا الشمالية))¹.

وبوصول العام الخامس للثورة انتقد الإتحاد العام للعمال الجزائريين عدم نجاعة تدخلها والمنظمات النقابية المنخرطة فيها معبرا عن شعوره بالإحباط وخيبة الأمل منها ومن مواقف العمال في الغرب " أوروبا وأمريكا" تجاه القضية الجزائرية متهما إياهم بالتقصير وعدم الجدية في دعمها، مؤكدا أنه لم يتحقق شيء من تلك اللوائح التي تمت المصادقة عليها بالإجماع في مؤتمر الجماعة بتونس، بخصوص بدء المفاوضات وإنهاء الحرب، من خلال شن الإتحاد هجوما عنيفا على العمال الأوروبيين والأمريكيين لأنهم في نظره غير مستعدين للوقوف ضد الحرب الاستعمارية، ولم يتخلصوا بعد من الإرث والتقاليد الاستعمارية الراسخة في وجدانهم، مؤكدا بأنهم يفتقدون للروح النضالية، مبينا أن مساعدتهم تقتصر على بعض الهبات النقدية والعينية، وعلى إصدار لوائح غير عملية، فهؤلاء العمال يفضلون التمتع بما ينعمون به من عيش رغيد ولا

1 - "جامعة النقابات الحرة في خدمة العمال اللاجئين في تونس"، جريدة المجاهد، ع 22، 1958/4/15.

- يبالون بما تقوم به حكوماتهم الرجعية من جرائم عوض التصدي لها والتعبير عن التضامن مع العمال الجزائريين ، حيث اتهم بالخصوص :
- الطبقة العاملة الفرنسية وقادتها بالوقوف إلى جانب الرأسماليين والسلطات الفرنسية في حربها ضد الشعب الجزائري بدافع الشعور الوطني.
 - العمال الرأسماليين الإنجليز والأمريكان بتزويد فرنسا بأسلحة الحلف الأطلسي الفتاكة ودعم المجهود الحربي الفرنسي.
 - مسؤولو المنظمة النقابية البريطانية الذين لم يجرؤ حتى على طرح مشكلة استمرار الحرب في الجزائر أثناء مشاركتهم في مؤتمر الأحزاب الاشتراكية في 1958/09/29 بسكار بورغ في المملكة المتحدة.
 - الأمين العام للمنظمة النقابية الأمريكية الذي لم يمنع حضوره ضمن أعضاء الوفد الأمريكي في الجمعية العامة للأمم المتحدة من قيام الوفد بالتصويت لصالح المستعمر الفرنسي وياضطهاد الشرعية على الحرب في الجزائر، وأن ممثل المنظمة في أوروبا أدلى بتصريح في باريس لصالح سياسة ديغول في الجزائر قائلاً: "قامت جبهة التحرير بخطأ فادح بتوجهها نحو الشرق ورفضها اليد الممدودة من طرف الجنرال ديغول، الحل الوحيد للوصول إلى المفاوضات هو قبول اقتراحه"، وفي المقابل توجه الإتحاد العام للعمال الجزائريين ببناء إلى جميع عمال العالم للتعجيل بتقديم المساعدات الفعلية والمساندة الملموسة لطموحات الشعب الجزائري في الحرية والسلام من خلال القيام بـ:
 - تأكيد موقفها من القضية الجزائرية بكل قوة ووضوح.
 - القيام بإرسال وفدا عنها إلى هيئة الأمم المتحدة أثناء مناقشة القضية الجزائرية يشارك فيها ممثل عن السيسل.

- التعجيل بإدانة الانتخابات التي تنظمها السلطات الفرنسية تحت ضغط الجيش الفرنسي.

- ضرورة تدخل جميع العمال وكافة المنظمات في الجامعة لدى حكوماتهم للمطالبة ببدء المفاوضات المباشرة بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة الجزائرية لإيجاد حل للقضية الجزائرية يلبي طموحات الجزائريين¹.

إثر انعقاد الدورة الثانية والعشرون للجنة التنفيذية لـ (CISL) المنعقدة ما بين 24 و 28 نوفمبر 1958 تم اعتبار الإتحاد العام للعمال الجزائريين كمنظمة بالمنفى، حيث أكدت الكونفدرالية العالمية للانتخابات الحرة عزمها من أجل مساعدة الإتحاد ع ع ج لأجل الحصول على الاعتراف الرسمي من طرف المفوضية العليا للاجئين، أمر مكن الإتحاد من الاستفادة من المساعدات التي يقدمها المركز الدولي للانتخابات في المنفى. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تأكيد الاعتراف بوجود أمة جزائرية².

كما اجتمعت اللجنة التنفيذية للكونفدرالية العالمية للانتخابات الحرة بجنيف من 14 إلى 15 مارس 1959 وخرجت بعدة قرارات تخص الجزائر منها:

- تذكير الجامعة العلمية للانتخابات الحرة (CISL) بأنها تدعم حق الشعوب في حكم بلدانها بنفسها.

- التأكيد على حق الشعوب في تقرير مصيرها داعية السلطات الفرنسية إلى الإفراج عن نقابيين (UGTA) المسجونين، مبينة أنه من حق الجزائريين التمتع بالحرية النقابية بالجزائر³.

1- A.N.O.M, FM /81F /793 , CISL , 24/12/1959, Relation sur L' Algérie par le congres mondial de la cisl tenu le 11/12/1959 .

2 - C.A.D.F.M.A.E Carton 165 , Position de la CISL à légard de L' UGTA .

3- C.A.D.F.M.A.E Carton 163 , Réunion du comité exécutif de la cisl .

- قرار لجنة الصندوق الدولي للتضامن التابع ل(CISL) المجتمعة في جنيف في تلك الفترة تخصيص مبلغ مالي قدر بخمسين ألف (50000) دولار لتدعم التكوين المهني والنقابي للاجئين الجزائريين كمساعدة في إطار السنة العالمية للاجئين المنظمة من قبل هيئة الأمم المتحدة، على أن يخصص نصف هذا المبلغ للاجئين الجزائريين بتونس¹.

كما كان لنشاط بعثة إ ع ع ج دور في توجيه الدعوة للاتحاد ع ع ج لأول مرة من طرف النقابة الأمريكية (AFL - CIO) لأجل حضور مؤتمرها السنوي بسان فرانسيسكو ما بين 17 و 25 سبتمبر 1959².

لقد كانت لحدة الانتقادات أثر في جعل الجامعة العالمية للنقابات الحرة تصادق في اجتماعها المنعقد ببروكسل أيام 3-11 ديسمبر 1959 على جملة من المطالب أهمها:

- العمل من أجل التحرر والاستقلال الوطني التام للشعوب ومنها تقرير مصير الشعب الجزائري.

- اعتبار النظام المطبق في الجزائر والذي يحرم شعبه من الإرادة الحرة تهديدا للاستقرار السياسي والأمن العالمي.

- التأكيد على التداعيات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للسياسة الفرنسية الناجمة عن احتجاز القياديين النقابيين بمراكز المحتشدات والسجون بالجزائر وفرنسا على الدول المجاورة³، وبالتالي أرسل المؤتمر بيانات ونداءات إلى الحكومة الفرنسية عن طريق اللجنة التنفيذية للمطالبة بإقرار الحريات

1- ibid

2- L' ouvrier Algérien , tunis , N8 , octobre , 1959 , p 02 .

3- A.N.O.M, FM /81F /793 , CISL , 24/12/1959, Relation sur L'Algérie par le congres mondial de la cisl tenu le 11/12/1959.

الديمقراطية وحرية ممارسة العمل النقابي ومناشدة الحكومة الفرنسية لإطلاق سراح كل المسجونين انطلاقا من اعتراف الرئيس الفرنسي بحق تقرير المصير¹.

- أكد المؤتمرين على القرارات والنداءات التي وجهها المؤتمر الخامس لـ (CISL) الذي عقد بتونس في جويلية 1957، بالإضافة إلى ما تم اتخاذه سواء من طرف اللجنة التنفيذية للجامعة العالمية للنقابات الحرة أو من طرف المؤتمر الجهوي الإفريقي الأخير للكونفدرالية الذي كان دعا للتعجيل بفتح المفاوضات بين جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية.

- حذر المؤتمر من خطورة الأوضاع بالجزائر، مادام النقابيون يتم تبرئتهم من طرف المحاكم الدائمة التابعة للقوات العسكرية الفرنسية بالجزائر دون إطلاق سراحهم، وهو ما حدث للأمين العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين عيسات ايدير الذي تم سجنه ثم توفي في ظروف غامضة².

إن علم الجامعة العالمية للنقابات الحرة (CISL) بما تعرض له عيسات ايدير من اعتقال وتعذيب بالسجن ثم وفاته في جويلية 1959 يؤكد متابعتها للتطورات التي كانت تحدث بالجزائر، حيث أعربت عن استنكارها الشديد لما تتعرض له الحياة النقابية بالجزائر، وفي هذا الصدد سعت (CISL) لدى المكتب الدولي للعمل (BIT) والصليب الأحمر الدولي بجنيف من أجل لفت الانتباه لقضية النقابي الجزائري علي يحيى عبد المجيد رفيق عيسات ايدير

1 - A.N.O.M, FM /81F /793, CISL, 24/12/1959, Relation sur L' Algérie par le congres mondial de la cisl tenu le 11/12/1959.

2- A.N.O.M, FM /81F /793 , CISL , sixième congrès mondial , palais des congrès Bruxelles , 3-11 décembre 1959, résolution sur l'Algérie.

الذي تعرض هو الآخر للتعذيب بسجن البليدة¹.

وتدعيما للموقف صادق مؤتمر النقابات الأمريكية المنعقد بمدينة سان فرانسيسكو على لائحة تخص الجزائر ومما جاء فيها: "لقد أصبحت إفريقيا ميدانا حربيا تواصل فيه الشعوب المستعمرة كفاحها في سبيل حريتها ... إلا أن امتناع فرنسا عن الاعتراف بحق الاستقلال للمجاهدين الجزائريين الذين يكافحون منذ خمس (5) سنوات، وهو الذي يمثل أكبر عائق في وجه هذا التقدم واعترافا منا بأن استتباب السلم وانتشار الحرية في العالم سيتوجب التوقف العاجل لحرب الجزائر البشعة، لذلك فإن مؤتمرنا يطالب الأمم المتحدة بمساندة التدابير التالية :

1- السعي لإجراء مفاوضات مع جبهة التحرير لإيقاف القتال.

2- إطلاق سراح عاجل من الجانبين للمساجين الموقوفين من طرف السلطات العسكرية والمدنية.

3- العمل على إجراء انتخابات ديمقراطية في الجزائر تحت مراقبة هيئة الأمم المتحدة مع منح المساواة التامة في الانتخابات والدعاية لجميع الساكنين بالجزائر من فرنسيين وجزائريين، لتشكيل حكومة يمكنها أن تتفاوض مع فرنسا بشأن العلاقات المقبلة والتعاون مع تونس والمغرب لإحداث جامعة ديمقراطية مغاربية²، كما عبرت الكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة (CISL) عقب إلقاء القنبلة النووية بركان في فيفري 1960 في بيان لها موجه للحكومة الفرنسية عن أسفها واحتجاجها داعية السلطات الفرنسية لعدم تكرار مثل هذه التجارب³.

1- A.N.O.M, FM/81F/793 , Bruxelles le 14 avril 1960 , s/s décembre de la CISL en Faveur d'Ali Yahya .

2 - "موقف النقابات الأمريكية"، جريدة المجاهد، ع 523، 05-10-1959 .

3- A.N.O.M , FM/81F/793, Bruxelles le 24/02/1960, la CISL et les Recents événement d'Algérie .

لقد ذكر سليمان الشيخ بأن الاتحاد العام للعمال الجزائريين قد سبق الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من خلال احتجاجه لدول الأعضاء في الحلف الأطلسي بخصوص موقفهم من القضية الجزائرية، حيث أورد ذات رسالة بعثة إ ع ع ج في 14/09/1960 إلى نقابات كل دول الأعضاء في ذات الحلف لوضعهم أمام مسؤولياتهم ومما ورد فيها: "إن مسؤولياتكم لتزداد ضخامة لا لأنكم فقط تشاركون حالياً بمختلف الضرائب التي تدفعونها في صناعة الأسلحة والمعدات الحربية التي تستخدم في إطار حلف الناتو لكي يقتل بها الجنود الفرنسيون مواطنينا الجزائريين فقط، ولكن لأنكم أنتم العمال الذين تصنعون وتنقلون هذه المعدات التي توافقون على استخدامها في حرب استعمارية ضد عمال مثلكم يناضلون من أجل الحرية ويطمحون إلى الديمقراطية والتقدم"، كما جاء في نفس الرسالة من بعثة الإتحاد بهدف الحصول على موقف صريح وواضح من نقابات دول الحلف الأطلسي بشأن مسألة إبداء تضامنها مع العمال الجزائريين ما يلي: "فلقد حرصنا دوماً على فصل عمل الحكومات عن موقف الشعوب والعمال ولكنه لم يعد من الممكن بعد ستة سنوات من الحرب الفظيعة أن نستمر في الدعوة للتضامن العمالي الذي لم يعد يعرف كيف يعبر عن نفسه في مثل حالة الجزائر بأعمال ملموسة وناجعة"¹.

وفي 1 نوفمبر 1960 توجهت الجامعة العالمية للنقابات الحرة ببناء للشعب الفرنسي مطالبة إياه بالتعبير عن رغبته الصادقة في إنهاء القتال بين الجزائر وفرنسا، داعية إياه للتصريح برغبته في التطبيق الفوري لمبدأ تقرير

1 - سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة، تر: محمد حافظ الجمالي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002، ص ص 447-448.

مصير الشعب الجزائري الذي كان قد أعلن عنه ديغول قبل عام، لتجنب تأثير هذه الحرب على المسرح الدولي، حيث ختمت النداء بقولها: "نحن عندما ندعو فرنسا إلى فتح محادثات مع الشعب الجزائري، لا لتبقى وفية لتقاليدنا النبيلة في الحرية والديمقراطية، بل لتحصل على الامتنان من جميع النوايا الحسنة التي تسعى جاهدة للقضاء على أسباب الحروب، بإقامة سلام عادل ودائم ترعاه المؤسسات" وفي هذا الصدد قام صندوق التضامن الدولي التابع للسيسل بشراء سيارتي إسعاف، وأدوية للاجئين الجزائريين بتونس، أوصلها هناك الهلال الأحمر البريطاني¹.

كما بث الأمين العام للكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة تصريحاً إثر بدء مظاهرات 11 ديسمبر 1960، والتي خلفت المئات من القتلى والجرحى الجزائريين على يد الجيش الفرنسي، - والتي أكدها الاتحاد العام للعمال الجزائريين في تقريره -، حيث دعا فيه الأمين العام للسيسل إلى إرسال لجنة أممية لتقصي الحقائق، وإجراء استفتاء تحت رعاية هيئة الأمم المتحدة².

عقدت الجامعة العالمية للنقابات الحرة ندوة جمعت نقابات دول الحلف الشمال الأطلسي المنتمية إليها ببروكسل يوم 09 فيفري 1961 بطلب من الإتحاد لدراسة مسألة التدخل غير المباشر لقوى الحلف الأطلسي في الصراع الجزائري الفرنسي لصالح هذا الأخير، ولم تحضر كل النقابات للدول المعنية وذلك نظراً لمساندة فرنسا فغابت إيطاليا والنرويج وكندا وحضر مندوبوا نقابات الدول الآتية: بلجيكا (سجل حضوره لفترة قصيرة) ألمانيا الفيدرالية (سجلت حضورها بشخصيتين)، الولايات المتحدة الأمريكية (شخصية واحدة) بريطانيا

1- C.A.D.F, M.A.E/164, a.s la C.I.S.L et l' affaire algérienne .

2- A.N.O.M , FM , 81F/ 793 , Déclaration de la cisl aux sujet des derniers Evénements d' Algérie .

(الأمين العام) هولندا (شخصيتين) وقد مثل الإتحاد العام للعمال الجزائريين السيدين معاشو عبد القادر وديكار بجاوي الذين حاولا إثبات استعمال الاستعمار الفرنسي لوسائل الحلف الأطلسي، وتطالب إثر ذلك بحركة عمالية قوية من أجل إحلال السلام بالجزائر¹.

وفي النهاية تم التصويت والمصادقة على وقف الدعم المقدم من طرف حلف الشمال الأطلسي لفرنسا وضرورة الإسراع في استئناف المفاوضات بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة الجزائرية حول مبدأ وقف إطلاق النار والضمانات المقدمة حول تقرير المصير من أجل حصول الجزائري على استقلاله، كما طالبت الكونفدرالية بإطلاق سراح المساجين النقابيين والإقرار بالحريات النقابية، وتقرر إرسال بعثة عن الكونفدرالية ممثلة للمؤتمر إلى باريس لاطلاع الطرف الفرنسي على القرارات التي خرج بها المؤتمر².

وبمناسبة الفاتح من نوفمبر 1961 والذي صادف الذكرى السابعة لاندلاع الثورة التحريرية، وجه الأمين العام للكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة رسالة إلى الطبقة العاملة بالجزائر جاء فيها:

- أن السيسل تحيي الشعب الجزائري وتثمن تضحياته وتتحني أمام أرواح الشهداء الرموز الممثلين في شخصيات عيسات ايدير باعتباره أول أمين عام لـ إ ع ع ج، مبدية ثقته الكاملة بلعب العمال الجزائريين دورا رياديا في تطوير الجزائر المستقلة مثلما كان لهم دورا فعالا في الكفاح لأجل نيل الحرية واستقلال الجزائر.

1- C.A.D.F, M.A.E/165 a.s la C.I.S.L et l' affaire algérienne.

2- A.N.O.M, FM /81F /793 , Brexelles le 14/02/1961, a /s de la cisl et l' affaire Algérienne .

- أكد علمه بإرادة الجزائريين في إعطاء الجزائر الجديدة محتوى اجتماعي وديمقراطي لأجل إعطاء العمال ما تم حرمانهم من حقوق.
- كما أكد الأمين العام لليسيل أن هذه الأخيرة ستبقى إلى جانب القضية الجزائرية مثلما كانت كذلك منذ السنوات الأولى للثورة، مبينا أن القضية الجزائرية أصبحت قضية الكونفدرالية وستبقى كذلك ... مؤكدا أن المعاناة الجزائريةين ستنتهي قريبا¹.
- كما وجهت الجامعة العالمية للنقابات الحرة نداء إلى الشعب الفرنسي تطلب منه إظهار رغبته في إنهاء الحرب بالجزائر، والمطالبة بتطبيق تقرير المصير الذي أوصى به الرئيس ديغول منذ أكثر من سنة مؤكدا أن "إن فتح المفاوضات مع الشعب الجزائري لا تبقي فرنسا وفيه لتقاليدنا النيلة جدا من حرية وديمقراطية فقط، ولكن امتنان جميع الرجال ذوي النوايا الصادقة، الذين يبذلون جهودهم من أجل تقليص أسباب الحرب بالنضال لصالح إقامة سلم عادل ومتمين"². كما أصدرت الكونفدرالية عقب اجتماعها ببروكسل من 30 أكتوبر إلى 02 نوفمبر 1961 الذي حضره عدد كبير من ممثلي أمريكا اللاتينية أفريقيا وآسيا تم خلال إصدار عدة قرارات تخص الجزائر جاء فيها:
- بعثت الكونفدرالية تحي الشعب الجزائري في حربه لأجل التحرر وتتأسف للعمال لفقدان رمزهم الشهيد عيسات ايدير.
- أن التضحيات بالأرواح البشرية التي سببتها هذه الحرب لا يمكن أن تذهب هباء وتقف في طريق الحرية والسلم.

1- A.N.O.M, FM /81F /793 , 1 Novembre 1961 aux travailleurs Algériens .

2- A.N.O.M, FM /81F /793 , Bruxelles le 14/02/1961, a /s de la cisl et l' affaire Algérienne.

- نادى باستئناف المفاوضات بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة الجزائرية.

- إدانة الحركة الإرهابية التي تهدف إلى إثارة الفوضى بالجزائر وتهدد المؤسسات الفرنسية.

- دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة من أجل الإسراع في حل القضية الجزائرية.

ألحت الكونفدرالية على السلطات الفرنسية إطلاق سراح المساجين الجزائريين بما فيهم الوزراء من أجل بعث المفاوضات مع الفرنسيين.

- طمأنت الجامعة العالمية للنقابات الحرة العمال الجزائريين بأنها ستكون داعما لهم لإعادة بناء الحركة العمالية، وبالتالي المساهمة في التطور الاقتصادي والاجتماعي لأوطانهم¹.

وبعد إعلان وقف إطلاق النار في 18 مارس 1962 أصدرت الجامعة العالمية للنقابات الحرة (CISL) هنأت فيه الجزائر وفرنسا، حيث عبرت عن رضاها التام للتوصل لهذا الاتفاق، وتباهت بمساهمتها الملموسة في حل القضية الجزائرية، مؤكدة أنها وقفت بصفة دائمة إلى جانب الاتحاد العام للعمال الجزائريين في كافة مراحل الثورة، وأنها ساندت الجزائريين في نضالهم لأجل نيل الحرية والاستقلال مبينة أنها ستستمر بنفس القوة للمساهمة في بناء دولة جزائر قوية تتمتع بالحرية والعدالة الاجتماعية والقيم الديمقراطية².

1- A.N.O.M, FM /81F /793 , Bxelles le 14/02/1961, a /s de la cisl et l' affaire Algérienne , op.cit .

2- C.A.D.F, M.A.E/165 C.I.S.L cuminique spécial a l'occasion de cessez le feu- en Algérie, 22/2/1962.

وهكذا استطاعت (UGTA) أن تُخرج فرنسا في أماكن طالما اعتبرت مراكز دعم وذلك بفعل الفدرالية العالمية للنقابات الحرة التي كانت بمثابة البوابة التي استطاعت (UGTA) الولوج من خلالها للعالم الخارجي لإيصال انشغالات ومشاكل الطبقة الشغيلة والشعب الجزائري إلى مختلف المنظمات والهيئات الدولية، هذا دون نسيان المساعدات التي قدمتها سيسل بالإضافة إلى البيانات والندوات والمؤتمرات منها:

- تقديم مصلحة المالية للكونفدرالية مبلغ مالي قدره خمسة مائة ألف (500.000) فرنك للاتحاد في بداية 1957 وفي 26 أوت 1957 دفعت مبلغ (437.783) فرنك فرنسي من طرف مكتب المصلحة بباريس في حساب الإتحاد التونسي للشغل لصالح الجزائريين¹.

- كما قامت الكونفدرالية بدورات تكوينية لفائدة النقابيين الجزائريين التابعين ل (UGTA) بالجزائر وتونس والمغرب حيث امتد التريص التكويني في هذا الخصوص من شهر سبتمبر إلى غاية أواخر شهر ديسمبر 1957 بمقر سيسل ببيروكسل².

- إضافة إلى المساعدات المادية حيث عُثر عن وصلات استلام بتاريخ 26 أكتوبر 1956 و 8 نوفمبر 1956 بحوالي 100.000 فرنك موجهة لعائلات النقابيين والجزائريين عموما³.

كما قدمت الكونفدرالية في أواخر 1958 مبالغ مالية للاتحاد في أوت

1 - بغداد خلوفي، المرجع السابق، ص 298.

2- A.N.O.M , GGA, 7G/1106 , PRG , Alger le 30/01/1958, note de Renseignement a/s de l' UGTA.

3 - الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي، الغلبة رقم: 30 الخاصة بأمانة الدولة للشؤون الجزائرية (SEAA)

(5000 دولار) وفي سبتمبر (10000 دولار) وفي أكتوبر (5000 دولار)، بالإضافة إلى منحها لمصلحة المعلومات الأمريكية بتونس المنخرطة في الكونفدرالية آلات وعتاد وخاصة كتب متعلقة بدروس نقابية إلى أعضاء الإتحاد العام للعمال الجزائريين¹.

قدرت بعض المصادر أن قيمة المساعدات التي منحتها سيسل للاتحاد ع ع ج خلال سنة 1958 بـ 150000 دولار، هذا إضافة إلى المساعدات المادية التي قدمتها مصلحة المعلومات الأمريكية بتونس الشقيقة.² كما صادق المكتب التنفيذي للجامعة في نوفمبر 1959 على تخصيص مبلغ خمسة عشرة مليون (15.000.000) فرنك لفائدة الإتحاد العام للعمال الجزائريين لتمويل أنشطته خلال ستة (06) أشهر³.

استغل الإتحاد العام للعمال الجزائريين المساعدات المقدمة له من قبل سيسل على قلتها في تسطير برامج وأنشطة نقابية لفائدة اللاجئيين الجزائريين بتونس بمساعدة الإتحاد العام التونسي للشغل تمثلت في صرف منح لـ 32 عاملا جزائريا يتابعون دروسا نقابية في مدرسة تكوين الإطارات النقابية التابعة للاتحاد العام التونسي للشغل، ومنح 86 عاملا جزائريا يواصلون تكوينهم المهني في اختصاصات مختلفة بالإدارات والمؤسسات الاقتصادية التونسية، وأنشطة اجتماعية تمثلت في تقديم مساعدة مالية شهرية قدرها 5000 فرنك لـ

1- A.N.O.M, GGA /1105, SDECE , Alger le 20/11/1956 Rapport de la cisl avec L'UGTA et aide app-ortée à L'UGTA par les services d'information americaines a tunis .

2- C.A.D.F.M.A.E Carton 164 , Alger le 30 Mars 1960 , activité général de l' union général du travailleurs Algériens et relation FLN - l' UGTA.

3 - " جامعة النقابات الحرة في خدمة العمال اللاجئيين الجزائريين بتونس"، المجاهد، عدد 2، المرجع السابق.

268 من عائلات العمال اللاجئيين المسجلة أسماؤهم لدى الاتحاد العام للعمال الجزائريين، كما تم تخصيص ميزانية سنوية للمقر المركزي للاتحاد بتونس لتسيير إدارته وتسيير مصاريف أنشطته بالخارج، ولكل الحصول على دعم أكبر من السيسل شرح التليي البرنامج المذكور لقادته ، ميينا أن نفقات اللاجئيين تزيد يوما بعد يوم نظرا لما سببته الحرب الدائرة ، فتمت الاستجابة من طرف الجامعة العالمية للنفقات الحرة بإضافة منحة 3000 فرنك لـ268 عاملا جزائريا¹.

وفي إطار نشاط الاتحاد ع ع ج ضمن الجامعة العالمية للنفقات الحرة، فقد تمكن ممثلي (UGTA) من الحصول على مقر خاص بهم من طرف الاتحاد النقابي الألماني استغله نقابيي الاتحاد في التعريف بالقضية الجزائرية في ألمانيا سواء بالتواصل مع المجتمع المدني أو الكنيسة لعرض مع ترتكبه فرنسا في الجزائر من قمع وحشي، كما استغل ممثلو الاتحاد في ألمانيا تلك الظروف والإمكانيات المتاحة لهم لتكوين العمال عبر أفواج يتم اختيارهم من طرف قيادة الإتحاد العام للعمال الجزائريين يتوزعون بعدة مدن أهمها فرانكفورت، هامبورغ ، ميونيخ، بون، دورتموند ، شتوتغارت وغيرها². كما قام الصندوق العالمي للتضامن التابع للكونفدرالية في 13 جوان 1960 بشراء سيارتين إسعاف لصالح اللاجئيين الجزائريين بتونس³.

في وقت تم منح الصندوق العالمي للتضامن التابع للكونفدرالية مبلغ 50 ألف دولار لمساعدة الاتحاد على بناء حركة نقابية حرة في الجزائر

1 - سالم بويحيى، المرجع السابق، ص ص 58-59.

2 - أرشيف الدبلوماسية الفرنسية، وثيقة مؤرخة في 1960/02/29، تحت رقم: 354.

3- A.N.O.M, FM /81F /793 , Bruxelles le 25/08/1960, aide de la cisl au Réfugiés Algériens en tunisie et Aux Maroc.

بالإضافة لمساعدة النقابيين وعائلاتهم، إضافة إلى منح منظمة الإغاثة العالمية 06 ملايين فرنك لتطوير التكوين المهني والنقابي للجانين الجزائريين بتونس¹. كما شارك الإتحاد في نوفمبر 1960 في مؤتمر عمال الصُّلب بألمانيا الغربية الذي خصص جزء من أعماله حول الجزائر وكيفية تقديم مساعدات لها². بالإضافة لإجراء محمد شتاق وهو عضو بالاتحاد محادثات بواشنطن مع شخصيات من العالم العمالي بالولايات المتحدة الأمريكية وحضر إلى مؤتمر (AFL.CIO) للمرة الثانية، وكان المؤتمر في ختام أشغاله قد صادق على لائحة تطالب من الحكومة الأمريكية مساندة الأمم المتحدة في مسعاها الرامي للتعجيل بحل المشكل الجزائري³.

وعقب التغيير الذي مسّ قيادة الإتحاد العام للعمال الجزائريين بتعيين مكتب جديد يتكون من خمسة أعضاء برئاسة علي يحيى عبد النور في 13 أكتوبر 1961 وهو التغيير الذي استقبله ارفينغ براون (Irving Brown) ممثل النقابات الأمريكية بأوروبا بارتياح كبير، حيث هنا هذا الأخير علي يحيى عبد النور بتاريخ 25 أكتوبر 1961 ببرقية تهنئة ووعده بتقديم الدعم المادي والمعنوي من طرف النقابات الأمريكية، حيث أرسل براون رسالة في نفس اليوم إلى مدير الشؤون الدولية لـ (AFL- CIO) ميشال روس (Michael Ross) بواشنطن حيث أخبره فيها بتعيين علي يحيى عبد النور على رأس (UGTA) مقترحا عليه تقديم مبلغاً مالياً قدره 10 آلاف دولار⁴. ليكون اجتماع قادة الإتحاد بجنيف مع ممثلي الاتحادات النقابية الفرنسية القوة العمالية للكونفدرالية الفرنسية

1- C.A.D.F.M.A.E Carton 163 , Réunion du comité exécutif de la cisl.

2- EL Moujahid du 28/11/1960.

3- EL Moujahid du 20/12/1961.

4- C.A.D.F.M.A.E Carton 165 , Changement du Personnel dirigeant l' UGTA.

للعمال المسيحيين والكونفدرالية العامة للشغل في 27 فيفري 1961، حيث تم نشر بلاغ بعد نهاية هذا الاجتماع أكدت فيه النقابات الفرنسية على ضرورة إنهاء الحرب بالتفاوض مع الحكومة المؤقتة الجزائرية و ضد تقسيم الجزائر، وهذا يُعد انتصارا كبيرا للشعب الجزائري والطبقة العمالية بالجزائر وفرنسا¹. من النجاحات الدبلوماسية التي حققتها البعثة الجزائرية الخارجية لـ (UGTA) هو تمكنها من استمالة الكونفدرالية العالمية للعمال المسيحيين (CITC) التي كان مقرها ببروكسيل عندما قبلت الدعوة التي وُجّهت لها من طرف البعثة الخارجية للاتحاد ع ع ج للقدوم لتونس، حيث تكون وفد هذه المركزية من (André Janson) نائب الرئيس و (Eugene Descamp) و (Théo Braun) دامت زيارتهم لبعثة إ ع ع ج يتونس أربعة أيام (15- 18 ماي 1961) حيث زار خلالها رئيس الحكومة المؤقتة فرحات عباس. للإشارة فقد جاءت هذه الزيارة لتأكيد المخرجات الإيجابية للقاء الذي جمع (CFTC) و (UGTA) ببروكسل والذي تم خلاله الخروج بتوقيع على نص مشترك في 21 فيفري 1961 الذي يدعو إلى الشروع في المفاوضات المباشرة الممهدة للاستقلال الجزائريين².

لقد أورد السيد روبرت بورتر (Robert Bortherau) الأمين العام لـ (CISL) خلال اجتماع اللجنة التنفيذية للسيسل الذي انعقد ببروكسل من 30 أكتوبر إلى 02 نوفمبر 1961 بأن المبلغ المالي الذي تم تقديمه لـ (UGTA)

1- EL Moujahid du 27/02/1961

2- Le Mouvement ouvrier Maghreb pendant la periode colonial institut Arabe d'éducation ouvrière et de Recherches sur le Travail , Alger SD , p178 .

من قبل (CISL) خلال الفترة الممتدة من 1956 إلى 1960 قد بلغ حوالي 200 ألف دولار¹.

في حين أحصى صندوق التضامن العالمي التابع للسيسل قيمة المساعدات المقدمة للاتحاد العام للعمال الجزائريين في الفترة (1956-1962) بـ 375.000 دولار لتنفيذ برامجه الخاصة بالتكوين النقابي والمهني لفائدة العمال اللاجئيين².

كما قامت الندوة الجهوية الإفريقية للسيسل بإصدار بيان شديد اللهجة ضد الحكومة الفرنسية بسبب منعها للعمل النقابي وإتباع سياسة القمع والترهيب من خلال استقبالها وفد الجزائر (ممثل إ.ع.ع.ج) لحضور أشغال هذه الندوة³.

إن ما يتوجب التذكير به هو أن دعم السيسل للمسألة الجزائرية كان على قدر عالي من الأهمية رغم أنه لم يكن في مستوى طموحات وآمال الإتحاد العام للعمال الجزائريين، والدليل على ذلك هو شكر الاتحاد (UGTA) لكل النقابات العالمية دون تخصيص أو ذكر للجامعة العالمية للنقابات الحرة في خطابه بمناسبة وقف إطلاق النار في 18 مارس 1962، وهو ما جعلنا نتساءل عن عدم جرأة وصراحة ذكر دعم السيسل للقضية الجزائرية من طرف الإتحاد العام للعمال الجزائريين قد يكون ذلك لعدة اعتبارات منها:

1- C.A.D.F.M.A.E Carton 164 , Bruxelles le 09 Novembre 1961 , a / s Réunion du comité exécutif de la cisl.

2 - سالم بويحيى، المرجع السابق، ص61.

3 - أرشيف الدبلوماسية الفرنسية وثيقة تحت رقم: k23/N/ 3278

- مكانة فرنسا في المعسكر الغربي وقوة شبكة علاقاتها في المؤسسات الدولية، بالإضافة إلى ثقل مكانة (FO) الفرنسية خاصة إذا علمنا أن ممثلها هو نائب الأمين العام للسيسل.

- عدم دعم حركات التحرر من طرف النقابات المنخرطة فيها الأمر سبب تجذر الذهنية الاستعمارية وسيطرتها عليها.

- قد يكون بسبب تشكيك السيسل بولاء الإتحاد خاصة بعد تقربها من (FSM) المعادية إيديولوجيا للسيسل وبالتالي قد يكون هذا الأمر أحد أسباب ألا تكون القضية الجزائرية أولوية عند السيسل، لتبدأ العلاقات بين الإتحاد العام للعمال الجزائريين والسيسل في التوتر مع الاستقلال ثم تنتهي سريعا بانسحاب إ ع ع ج منها عقب اجتماع اللجنة الوطنية لعدة أيام من شهر جويلية 1964، وكان ذلك تماشيا مع سياسة الجزائر بعد الاستقلال، ثم انضم الإتحاد العام للعمال الجزائريين إلى الإتحاد الدولي للنقابات العمالية العربية في نوفمبر 1964.

خاتمة

من مرونة مع غيرها، نظرا لكونها كانت تسمح (FSM) إن ما تميزت به فدرالية النقابات العالمية للمنظمات غير المنخرطة بها مثل الإتحاد العام للعمال الجزائريين بحضور أنشطتها، بل حتى التصويت في مؤتمراتها، قد جعل تعامل الإتحاد معها وثقته بها أكثر من غيرها من المنظمات الدولية، خاصة أنها (CISL) فدرالية تهدف للدفاع عن الشعوب المستعمرة، وهو ما جعل الجامعة العالمية للنقابات الحرة دائمة التشكيك بولاء (UGTA) خاصة بعد تقربها الكبير من (FSM)، الشيء الذي يتعكس مع السيسل إيديولوجيا، أمر قد يكون السبب المباشر في تقاعس (CISL) عن تقديم دعم حقيقي وجاد

لـ (UGTA) لتبدأ العلاقات بين الاتحاد ع ع ج و (CISL) في التوتر مع الاستقلال ، ثم تنتهي سريعا بانسحاب إ ع ع ج منها عقب اجتماع اللجنة الوطنية لعدة أيام في جويلية 1964، تماشيا مع سياسة الجزائر عقب الاستقلال ثم انظم الإتحاد ع ع ج إلى الإتحاد الدولي للنقابات العمالية العربية في نوفمبر 1964.

توصيات الملتقى

توصيات الملتقى:

جرت خلال يومي 2 و3 مارس أشغال الملتقى الوطني حول الثورة الجزائرية في الكتابات العربية والأجنبية، المنظم عن بعد من قبل مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية بجامعة المسيلة، وبالتنسيق مع قسم التاريخ وكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، وبعد تقديم مداخلات ست جلسات كاملة وفتح نقاشات موسعة حول قضايا الموضوع توصل المشاركون إلى التوصيات الآتية:

- . طبع أعمال الملتقى ورقيا وإلكترونيا، وعلى الراغبين في إدخال تعديلات على مداخلاتهم إعادة إرسال المداخلة بعد أسبوع من تاريخ اليوم.
- . دعوة الباحثين إلى رقمنة الكتابات الخاصة بالثورة الجزائرية، وإلى وضع منصات خاصة لجمع هذا التراث وتيسير الاطلاع عليه والتعريف به.
- . تأكيد المشاركين على أهمية العودة للموضوع في ملتقيات وندوات قادمة، نظرا لما حظيت به الثورة الجزائرية من اهتمام ملفت من قبل المفكرين والكتاب والمؤرخين لأكثر من سبعة عقود.
- . دعوة الباحثين إلى ضرورة مضاعفة الجهود في التعريف بالثورة الجزائرية من الكتابات المتنوعة حولها، وبالشكل الذي يجعل منها أنموذجا متميزا ثريا بالأبعاد الحضارية والإنسانية والإقليمية، وخاصة الأبعاد العربية والعالمية.

. تأكيد الباحثين على قراءة كل ما كتب حول الثورة الجزائرية بمنهجية علمية رزينة، وذلك للاستفادة منها في كتابة موضوعية حول الثورة الجزائرية.

. تأكيد الباحثين على التعريف بمختلف الكتابات التي تناولت الثورة الجزائرية بمختلف الوسائط المكتوبة والسمعي البصري.

. الدعوة من خلال جمع الكتابات حول الثورة للإشادة بالمكانة الإقليمية والدولية والإنسانية للثورة الجزائرية.

. الدعوة إلى إعداد بحوث ورسائل جامعية حول الموضوعات المدروسة من قبل طلبة الماجستير والدكتوراه.

. الدعوة إلى تبادل الخبرات بين الباحثين من مختلف الدول ومن خلال اتفاقيات التعاون، وبينهم وبين طلبة الدكتوراه لتعميم المعارف والتعريف بالكتابات الخاصة بالثورة الجزائرية.

فهرس المحتويات

05	كلمة مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية كأ.د/ عبد الله مقلاتي.....
المحور الأول	
الثورة الجزائرية في الكتابات الوطنية	
10	أهمية مذكرات عبد الرزاق بن ايدر في التوثيق لأحداث الثورة الجزائرية بالولاية الثالثة (زمورة والمناطق المجاورة لها أنموذجا) كأ.د/ فتح الدين بن أزواو - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
34	التدوين التاريخي لأحداث الثورة الجزائرية في اهتمامات المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله أنموذجا كأ.د/ خيري الرزقي - جامعة باتنة 01.....
52	النشاط العسكري للقاعدة الشرقية من خلال مذكرات الضابط سالم جيليانو كأ.ط د/ عصام بوسعيد - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
71	الثورة الجزائرية من خلال كتاب الأعمال الانسانية أثناء حرب التحرير 1954 - 1962 كأ.د/ براهيم نصيرة - جامعة محمد خيضر بسكرة.....
94	الحرب النفسية في منطقة شرشال وعين الدفلى دراسة من خلال وثائق الأرشيف 1955-1961م كأ.د/ عيسى حمري - جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة.....
114	صورة مؤتمر الصومام في مذكرات لخضر بن طبال كأ.ط د/ سعاد بلبكوش - جامعة قسنطينة 02.....

141	الثورة الجزائرية في جريدة المقاومة الجزائرية (1956 - 1957) ط د/ شارف مريم - جامعة تلمسان.....
167	الثورة الجزائرية ومشروع بناء الفرد المجتمعي من خلال كتابات مالك بن نبي د/ كريمة زيتون - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
189	المذكرات الشخصية في الخطاب التاريخي للثورة الجزائرية "دراسة تاريخية نقدية لمذكرات محمد حربي" ط د/ يونس تامة - جامعة باتنة 01.....
المحور الثاني	
الثورة الجزائرية في الكتابات المغاربية والعربية	
214	الثورة الجزائرية في كتابات النخب الليبية المتضامنة معها أ.د/ عبد الله مقلاتي - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
230	جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية للقضاء على الثورة التحريرية الجزائرية وصداها في صحيفة "العمل" التونسية (1954 - 1958) د/ قشيش فتيحة - جامعة الجبلاي بونعامة خميس مليانة.....
260	الطالب 'يحيى بوعزيز' وكتابات حول الثورة الجزائرية بجريدة الصباح التونسية أ.د/ كركب عبد الحق - جامعة تيارت.....
276	ثورة التحرير الجزائرية الكبرى في الكتب المصرية كتاب فتحي الديب عبد الناصر وثورة الجزائر نموذجا أ.د/ محمد قويسم - جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة.....

المحور الثالث

الثورة الجزائرية في الكتابات الفرنسية

295	الثورة الجزائرية في كتابات المناضل جاك شاربي Jacques Chabry د/ عبد القادر خليفي - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
314	الثورة الجزائرية في كتابات جاك سيمون البدايات والمآلات 1962/1954 د.أ/ أحمد مسعود سيد علي - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
331	الثورة الجزائرية في كتابات فرانس فانون د/ الطاهر خالد - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
361	الثورة الجزائرية وكتاب "حرب الجزائر والجنرال سالان" LA Guerre d'Algérie du Général Salan د/ عبد الرزاق فراحتيه - جامعة باتنة 01.....
379	الثورة الجزائرية من خلال مذكرات المناضل هنري علاق د/ أمال معوشي - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
405	النشاط الخارجي للاتحاد العام للعمال الجزائريين (1962-1956) من خلال الوثائق الأرشيفية الفرنسية د/ البشير زهاني - جامعة باتنة 01.....

رقم الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2023

ISBN: 978-9931-899-03-7